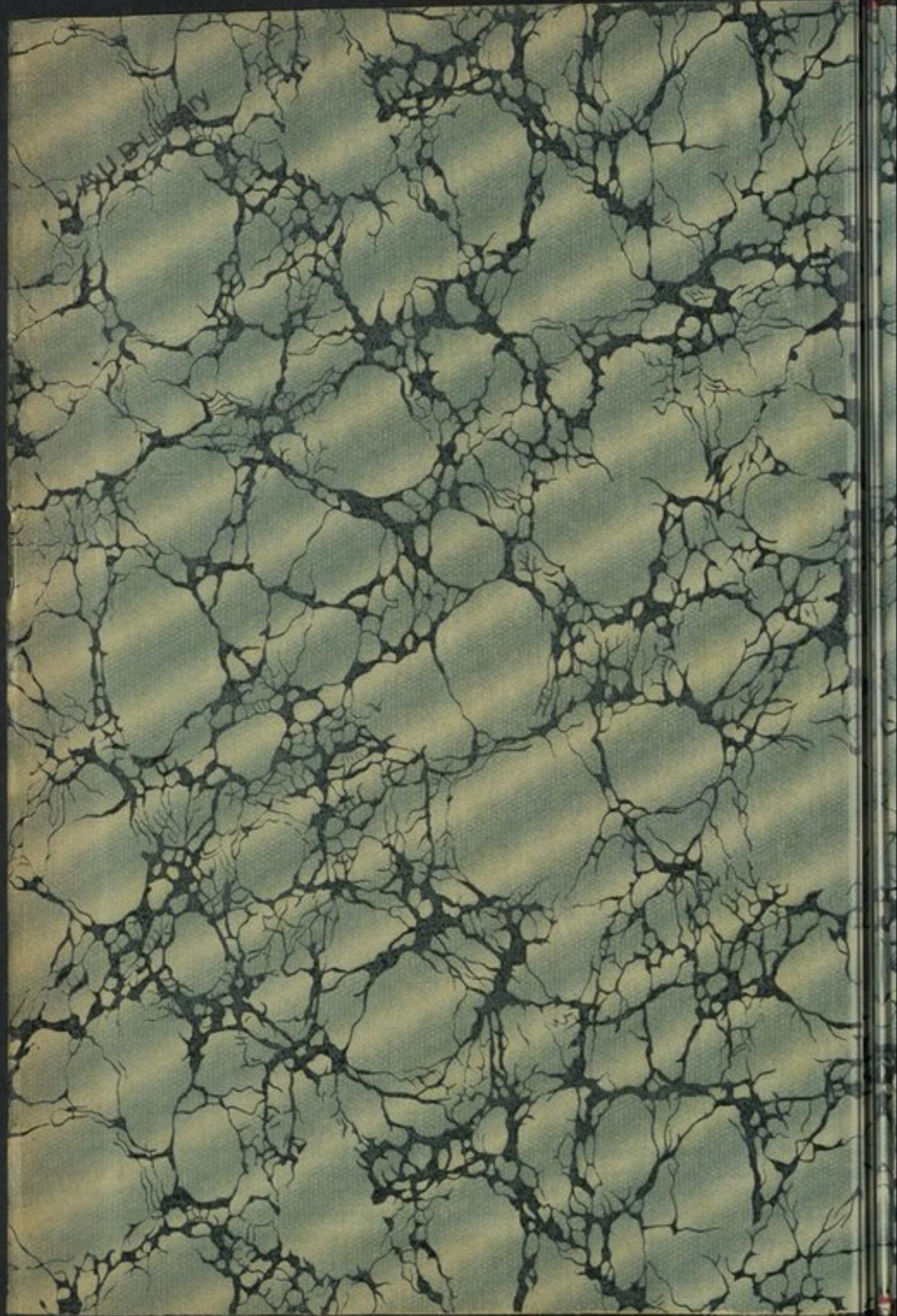
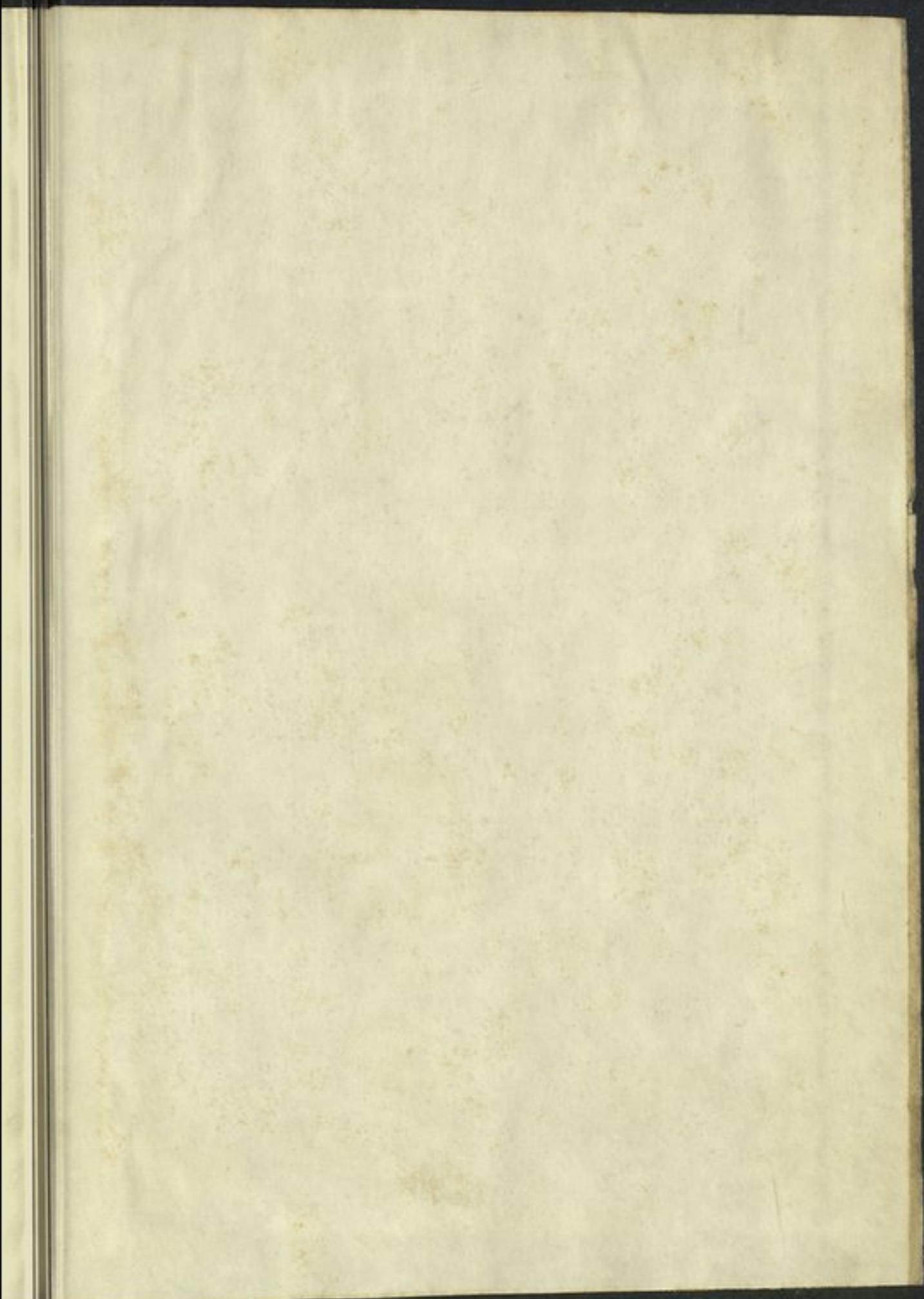


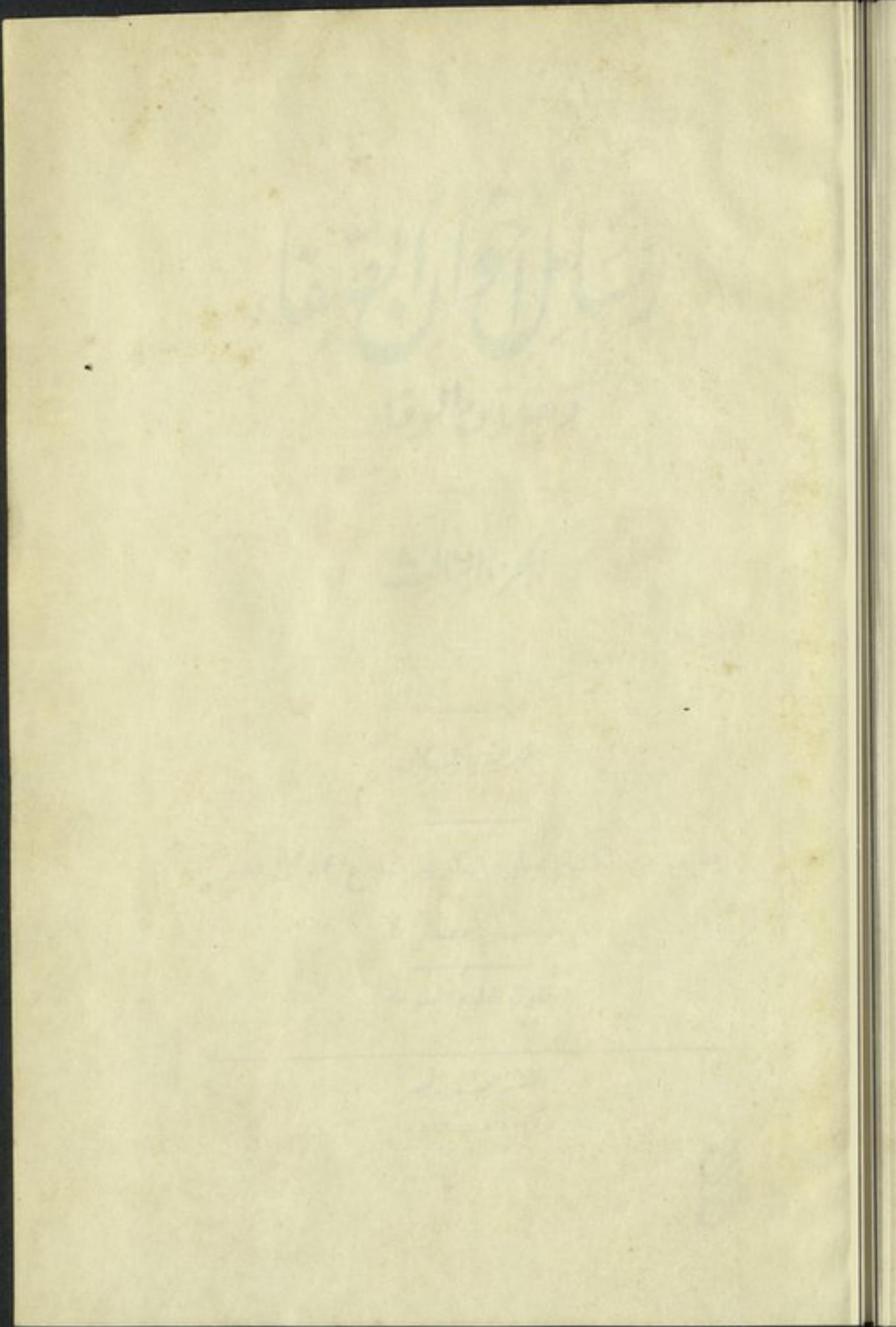
American University of Beirut
University Libraries



Donated by
Dr. Samir Saleeby







١٨١.٠٧
I 2652zA
v. 3
c. 3

رَسَائِلُ خَوَالِ الصِّفَا، وَضِيقَانِ الرُّوفَاءِ

الْجُزُءُ الْثَالِثُ

عني بتصحيحه

هُشَيْرُ الدِّينُ الزَّرَكِيُّ

يُطَابُ مِنَ الْمَكْتَبَةِ التِّجَارِيَّةِ الْكَبِيرِيَّ بِشَارِعِ مُحَمَّدِ عَلَى بَصْرَهُ

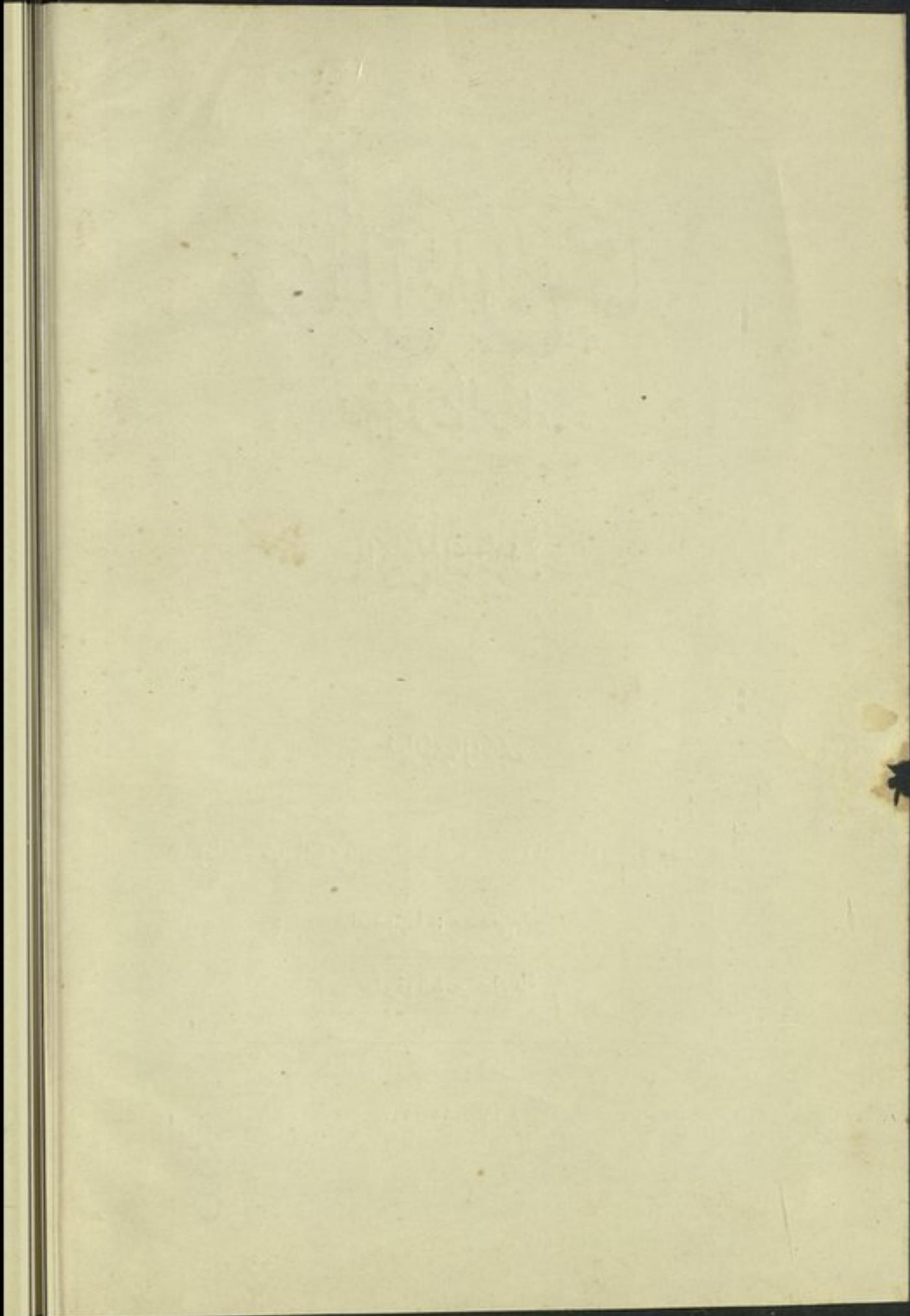
لِصَاحْبِها : مُصطفَى مُحَمَّد

حُقُوقُ الْعُطْبُونِ مُحْفَوظَةٌ

الطبعة الرابعة بـ بصره

١٣٤٧ - ١٩٢٨ م





الرسالة الثانية عشر

ممه الجسمانيات الطبيعيات

في قول الحكماء ان الانسان عالم صغير

﴿وهي الرسالة السادسة والعشرون من رسائل اخوان الصفا﴾



الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . آللله خير أما يشركون

فصل

اعلم أيها الاخ أيديك الله و إيانا بروح منه بانا قد فرغنا من ذكر مسقى النطفة
وبيان ما يتعلّق بذلك من رباط النفس بها و تقلب الحالات التي تظهر شهرآ بعد شهر
وتأثيرات أفعال الكواكب في أحكام بنية الجسد وقد يتنا بعد ذلك الغرض
الacusى من وجود الانسان ومكنته في العالم زمانا فنريد أن نذكّر في هذه
الرسالة معنى قول الحكماء ان الانسان عالم صغير فنقول

اعلم ان الحكاء الاولين لما نظروا الى هذا العالم الجساني بأبصار عيونهم
وشاهدوا ظواهر اموره بحواسهم وتفكرروا عند ذلك في احواله بعقولهم
وتصفحوا تصرف اشخاص كلياته ببصائرهم واعتبروا فنون جزيئاته بروشتهم فلم
يجدوا جزءاً من جميع اجزاءه اتم بنية ولا مكمل صورة ولا بجملته أشد تشبيها
من الانسان

وذلك انه لما كان الانسان هو جملة مجموعة من جسد جسماني ونفس روحانية وجدوا في هيئة بنية جسده مثالات لجميع الموجودات التي في العالم الجسماني من عجائب تركيب افلاكه واقسام ابراجه وحركات كواكبه وتركيب اركانه وامهاته واختلاف جواهر معادنه وفنون اشكال بناته وغرائب هياكل حيواناته وجدوا أيضاً لاصناف اخلاقائق الروحانيين من الملائكة والجن والانسان والشياطين وتفوس سائر الحيوانات وتصرف أحوالها في العالم تشبيهاً من النفس الانسانية وسرابان قواها في بنية الجسد.

فاما تبينت لهم هذه الامور عن صور الانسان سموه من أجل ذلك عالماً صغيراً ونريد أن نذكر من تلك المثالات وتلك التشبيهات طرقاً لكيما يكون دليلاً على صحة ما قالوه وبياناً لما وصفوه، وليقرب أيضاً على المتعلمين فهمها ويسهل على الباحثين تأملها

﴿فصل﴾

في اعتبار أحوال الانسان باحوال الموجودات حسب مانين هاهنا فنقول أن الموجودات لما كانت كائناً جواهر وأعراضاً مجموعاً منها هيولى وصوراً ومركباً منها كما يبينا في رسالة الهيولي وكانت الاعراض كائناً جسمانية أو روحانية كما يبينا في رسالة العقل والمعقول وكان الانسان انما هو جملة مجموعة من جوهرين مقرنين أحدهما هاهذا الجسد الجسماني الطويل العريض العميق المدرك بطريق الحواس والاخر هذه النفس الروحانية العلامة المدركة بطريق العقل

فاما كان الجسد بنية مؤلفة من أعضاء مختلفة الاشكال كاليدين والرجلين والرأس والرقبة والظهر والوركين والركبتين والساقيين والقدمين. وكانت كل واحدة منها أيضاً مركبة من أعضاء مختلفة الصور متشابهة الاجزاء كالعظم والعصب والعروق واللحم والجلد وما شاكلها كما يبينا في رسالة تركيب الجسد. وكانت هي

أيضاً مكونة من الاختلاط الاربعة التي هي الدم والبلغم والمرتان وهي أيضاً متولدة من الكيموس والكيموس من الفساد والغذاء من النبات والنبات من الاركان الاربعة كما يبينا في رسالة النبات وكل واحدة مقومة من طبيعتين من الطبع الاربع المعلومة كما يبينا في رسالة الكون والفساد وكل واحدة منها صور متممة للجسم وصور مقومة لشيء آخر من الاجسام الطبيعية كما يبينا في رسالة الهيولي والصورة

ولما كان الهيولي والصورة أيضاً جوهرين بسيطين روحانيين معقولين مخترعين مبدعين كما شاء بأريها جل جلاله للفعل والاتصال قابلين بلا كيف ولا زمان ولا مكان بل بقوله كن فكان كما يبينا في رسالة المبادي العقلية ولما كان الانسان حاله ماترى وهو كما أخبرنا انه جملة مجموعة من جسد ظلماني ونفس روحانية صار اذا اعتبر حال جسده وما فيه من غرائب تركيب أعضائه وفنون تأليف مفاصله يشبه دارا لسا كمنها.

وإذا اعتبر حال نفسه وعجائب تصرفاتها في بناء هيكل جسده وسريان قواه في مفاصل بدنها يشبه كأنها سا كما في منزله مع خدمه وأهله وولده ومن وجه آخر اذا اعتبر وجد بنية جسده مع اختلاف اشكال اعضائه وافتنان تأليف مفاصله يشبه دكانا للصانع

فهمكذا نفسه من أجل سريان قواها في بنية هيكل جسده وعجائب افعالها من اعضاء بدنها وفنون حركاتها في مفاصل جسده يشبه صانعا في الدكان مع تلامذته وعلمائه كما يبينا في رسالة الصنائع العملية

ومن وجه آخر اذا اعتبر بنية جسده مع كثرة تأليفات طبقات بناء هيكله وغرائب تركيب مفاصل بدنها وكثرة اختلاف اعضائه وتشعب فروع عروقه وامتدادها الى اطراف اعضائه وتبين اوعيته الى في عمق جسده وتصرف قوى النفس يشبه مدينة مملوءة اسواقها من الصنائع كما يبينا في رسالة تركيب الجسد .

ومن وجه آخر اذا اعتبر من أجل حكم النفس على أحوال الجسد وحسن سياستها وسريران قواها وتصرفاتها في بنية هذا الجسد يشبه ملكا في تلك المدينة بجنوده وخدمه وحاشيته كما بينا في رسالة العقل والمعقول .

ومن وجه آخر اذا اعتبر حال الجسد وتكوينه وحال النفس ونشؤها مع الجسد يشبه الجسد الرحم والنفس كالجذين كما بينا في رسالة نشوء النفس الجزوية وخروجها من القوة والفعل

ومن وجه آخر اذا اعتبر وجده مثل الجسد كالسفينة والنفس كالملاحة والاعمال كالامتنعة للتجار والدنيا كالبحار والموت كالساحل والاخرة كمدينة التجارة والله تعالى الملك المجازى هناك

ومن وجه آخر اذا اعتبر وجد الجسد كالدابة والنفس كالراكب والدنيا كالميدان والعمل كالسوق

ومن وجه آخر اذا اعتبر وجد النفس كالحراث والجسد كالمزرعة والاعمال كالحب والثمر والموت كالمحصاد والدار الاخرة كالبيدر كما بينا في رسالة حكمة الموت ومن وجه آخر اذا اعتبر وجد عجيب بنية الجسد كما ذكرنا في كتب التشريح وكثرة ما تستفيد النفس العلوم بمقارنتها الجسد يشبه مكتبا للعلوم والنفس كالصبي في المكتب كما بينا في رسالة الحاس والمحسوس

ومن وجه آخر اذا اعتبر تركيب الجسد وسريران قوى النفس فيه وتصرف احوال الانسان كنه دفتر مملوء من العلوم ويقال انه مختصر من الاوح المحفوظ وقد خربت الحكاء لذلك أمثالا كثيرة وزرید أن نذكر من ذلك طرفاً مرموزاً مختصررا حسب ما يليق بنا

* فصل *

في ان الانسان مختصر من الاوح المحفوظ

ذكر انه كان ملك من الملوك ، حكيم من الحكاء ، سيد من السادات وكان له

أولاد صغار محبوون له مكرمون عليه فأراد أن يؤذن لهم ويهذبهم ويروضهم ليقومهم قبل إصافهم إلى مجلسه لانه لا يليق ب مجالس الملوك إلا المهدبون بالآداب والمرتاضون في العلوم المتخلقون بالأخلاق الجميلة المبرأون من العيوب فرأى من الرأي الرصين والحكمة ان يبني لهم قصراً على أحكم ما يكون من البنيان فأفرد لكل واحد منهم مجلساً وكتب كل علم أراد أن يعلمه إياه في جوانب ذلك المجلس وصور فيه كل شيء أراد أن يهذبهم بهم أجلاهم في ذلك القصر وأجلس كل واحد منهم في حصته المعدة له ووكل بهم الخدم والجوار والغلامان وقال لا ولئك الاولاد انظروا الى ما صورت لكم بين أيديكم واقرءوا ما كتبت فيه من أجلكم وتأملوا ما ينتبه لكم وتفكروا فيها لتعرفوا معانيها وتصيروا من ذلك حكماء أخياراً فضلاء أبراراً فأوصلكم الى مجلسى فتكونوا من ندماء مكرمين سعداء منعمين أبداً ما بقيت وبقيتم معي وكان مما كتب لهم في ذلك المجلس من العلوم ان صور في أعلى قبة المجلس صورة الافلاك وبين كيفية دورانها وأبراج طلوعاتها وكذلك الكواكب وحركاتها وأوضاع دلائلها وأحكامها

وصور في صحن المجلس صورة الارض وأقسام الاقاليم وخطط الجبال والبحار والبراري والأنهار وبين حدود البلدان والمدن والمالك والمالك وكتب في صدر المجلس علم الطب والطبائع وصور النبات والحيوانات والمعادن بأنواعها وأجناسها وأشخاصها وبين خاصيتها ومنافعها ومضاردا

وكتب في الجانب الآخر علم الصنائع والحرف وبين كيفية الحرف والنسل وصور المدن والأسواق وبين أحكام البيع والشراء والربح والتجارات وكتب في الجانب الآخر علم الدين والملل والشرائع والسنن وبين الحلال والحرام والحدود والاحكام

وكتب في الجانب الآخر السياسة وتدبير المملكة وبين كيفية جباية الخراج

والكتاب والدواوين وبين أرزاق الجنود وحفظ الرعية والثغور بالجيوش
والاعوات .

فهذه ستة أجناس من العلوم يراض بها أولاد الملوك وهذا مثل ضربته
الحكمة، وذلك ان الملك الحكيم هو الله تعالى والاولاد الصغار هي الانسانية
والقصر المبني هو الفلك بأسره والجالس المتقدة هي صورة الانسان والآداب
المصورة هي عجيب تركيب جسده والعلوم المكتوبة فيه هي فوئ النفس و المعارفها
ونحن نبين هذا فصلا فصلا فيما بعد بأوجز الوجوه .

﴿فصل﴾

في فضيلة جوهر النفس

فنتقول اعلم ان جواهر النقوس عند الله منزلة وكرامة ليس جواهر الاجسام
وذلك لقرب انبتها منه وبعد نسبة الاجسام وذلك ان جواهر النقوس حية
بذاتها علامه وفعالة وجواهر الاجسام ميزة منفعة لامثال لها
وقد بينا في رسالة المبادىء العقلية ان نسبة الموجودات من الباري تعالى
كنسبة العدد من الواحد والعقل كالاثنين والنفس كالثلاثة والهليولى الأولى
كالاربعة والطبيعة كالخمسة والجسم كالستة والملك كالسبعين والاركان كالثمانية
والمولودات كالتسعة

ومن وجه آخر نسبة النفس من العقل كنسبة ضوء القمر من نور الشمس
ونسبة العقل من الباري كنسبة نور الشمس من الشمس وكما ان القمر اذا امتلا
من نور الشمس حاكى نورها كذلك النفس اذا قبلت فيض العقل فاستتمت
فضائلها حاكت افعالها افعال العقل وانما تستتم فضائلها اذا هي عرفت ذاتها
وحقيقة جوهرها وانما تستبين لها فضائل جوهرها إذ هي عرفت احوال عالمها
الذى هو صورة الانسانية لأن الباري تعالى خلق الانسان في احسن تقويم
وصوره أكمل صورة وجعل صورته مرآة لنفسه ليتراءى فيها صورة العالم
الكبير

وذلك أن الباري جل جلاله لما أراد أن يطلع النفس الإنسانية على خزائن علومه ويشهد لها العالم بأسره علم أن العالم واسع كبير وليس في طاقة الإنسان أن يدور في العالم حتى يشاهده كله لقصر عمره وطول عمران العالم فرأى من الحكمة أن يخلق لها عالمًا صغيراً مختصراً من العالم الكبير وصور في العالم الصغير جميع ما في العالم الكبير ومثله بين يديها وأشهادها إيهاد قال عز من قائل وأشهدهم على أقوالهم ألسنت بربكم قالوا بأجمعهم بلى فن كان منهم شاهد داعمًا عارفاً حقيقته كانت شهادته عليه حقاً ومن كان جاهلاً كانت شهادته مردوة لأنه قال عز وجل الا من شهد بحق وهم يعلمون الا ترى أنه لا يقبل الا شهادة أهل العلم

ثم اعلم ان افتتاح جسم العلوم هو في معرفة الانسان نفسه ومعرفة الانسان تكون من ثلاثة جهات أحدها أن يعتبر أحوال جسده وتركيب بنيته وما يتعاقب عليه من الصفات خلوا من النفس والآخر اعتبار أحوال نفسه وما يوصف من الصفات خلوا من الجسد والآخر اعتبار أحوالها مقتربتين جيئاً وما يتعلق على الجملة من الصفات . وقد يبينا في رسالة تركيب الجسد طرفاً من هذه الاعتبارات وزريد أن نذكر في هذه الرسالة طرفاً آخر فنقول

* فصل *

في اعتبار أحوال الانسان بأحوال الفلك

اعلم أن الباري تعالى جعل في تركيب جسد الانسان أمثلة واسارات الى تركيب الافلاك وأبراجها والسماءات وأطباقها وجعل سريان قوى النفس في مفاصل جسده واختلاف أعضائه كسريان قوى الجناس الملائكة وقبائل الجن والانسان والشياطين في أطباق السماءات والأرض في أعلى علية الى أسفل السافلين

وأما مماثلة تركيب جسد الانسان بتركيب الافلاك و ذلك أنه لما كانت الافلاك تسع طبقات مركبة بعضها جوف بعض كما يبينا في الرسالة التي في مدخل النجوم

كذلك وجد في تركيب جسد الإنسان تسع جواهر بعضها جوف بعض ملتفات عليها مماثلة لها وهي العظام والمخ واللحم والعروق والدم والعصب والجلد والشعر والظفر بفعل المخ في جوف العظام ممزوجاً لوقت الحاجة إليه ولف العصب على مفاصله كيما يمسكها فلا ينفصل وحشى خلل ذلك باللحم صيانة لها ومد في خلل اللحم العروق والأوردة الضاربة لحفظها وصلاحها وكما الكل بالجلد سيراً لها وجالاً لها وأنبت الشعر والظفر من فضل تلك المادة لأرباب افصار مماثلاً لتركيب الأفلاك بالكمية والكيفية جميعاً لأنها تسع طبقات وهذه تسع جواهر وتلك بعضها جوف بعض وهذه مثال ذلك

ولما كان الفلك مقسمأً إلى عشر برجاً وجد في بنية الجسد إلى عشر ثقباً مماثلاً له وهي العينان ، والأذنان ، والمنخران ، والنديان ، والفم ، والسرة والسبيلين .

ولما كانت الإبراج ستة منها جنوبية ، وستة منها شمالية ، كذلك وجدت ستة ثقب إلى في الجسد في الجانبين ، وستة في الجانب الشمالي مماثلاً له بالكمية والكيفية جميعاً

ولما كان في الفلك سبعة كواكب سيارة بها تجري أحكام الفلك والكتائب كذلك وجد سبع قوى في الجسد فعالة بها يكون صلاح الجسد ولما كانت هذه الكواكب ذات قوس وأجسام لها أفعال جسمانية في الأجسام وأفعال روحانية في النفوس كذلك وجدت في الجسد سبع قوى جسمانية وهي القوى الجاذبة والمسكة والاهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمصورة وسبع قوى أخرى روحانية وهي القوى الحسنية أعلى الباصرة ، والسامعة ، والذائقية ، والشامة ، واللامسة ، والقوة الناطقة العاقلة ، والقدرة الحساسة ، مناسبة الخامسة المتحيرة ، والقدرة الناطقة مناسبة للقدر ، والقدرة العاقلة مناسبة للشمس وذلك أن لكل واحد من الكواكب الخمسة ييتان في الفلك أحد هؤلئه في حيز

الشمس والثاني في حيز القمر ، والنيران لكل واحد منها بيت كذا يينا في رسالتنا النجوم

كذلك وجد في بنية الجسد لكل واحد من القوى الحساسة مجريان أحدهما في الجانب الأيمن والآخر في الجانب الأيسر فالقوة الباصرة مجراءها في العينين والقوة السادسة مجراءها في الأذنين ، والقوة الشامنة مجراءها في المنخرتين والقوة اللامسة مجراءها في اليدين والقوة الدائمة الشهوانية مجراءها في الفم بالجانب الأيمن أشبه والفرج بالجانب الأيسر أشبه

وأما القوة الناطقة فجراءها الحقنوم إلى اللسان والقوة العاقلة فجراءها وسط الدماغ ونسبة القوة الناطقة إلى القوة العاقلة كنسبة القمر إلى الشمس وذلك أن القمر يأخذ نوره من الشمس في جريانه من منازل القمر المائية والعشرين ، وذلك أن القوة الناطقة من العقل تأخذ معانى الفاظه بجريانه في الحقنوم فيعبر عنها بمعانٍ وعشرين حرفاً ونسبة عمانية وعشرين حرفاً لـ القوة الناطقة كنسبة ثمانية وعشرين متزلاً للقمر

وما كان في الفلك عقدتان وهما الرافق والذنب وهو خفيا الذات ظاهراً الأفعال بهما سعادات الكواكب ونحوها كذلك وجد في الجسد أمران خفيان للذات ظاهراً الأفعال بهما صلاح بنية الجسد وصححة الأفعال للنفس وهم صحة المزاج وسوء المزاج وذلك أنه إذا صاح مزاج أخلاق الجسد صحت أعضاؤه واستقامت أفعال النفس . وجرت على الأمر الطبيعي .

وإذا فسد المزاج اضطررت البنية وعيقت أفعال النفس عن جريانها على السداد وأضر ما يكون نحوه العقدتين على النيرين لأنهما أو كبد الأسباب في كسوتها وكذلك أضر ما يكون سوء المزاج على القوة الناطقة والقوة العاقلة لأنه يعوقها من أفعالها أكثر وأشد

والعينان في الجسد مناسبتان لبني المشترى في الفلك والاذنان في الجسد مناسبتان لبني عطارد في النيل والمنخران في الجسد والثديان مناسبتان في

الجسد لبيّن الزهرة والسبيلان لبيّن زحل والقم لبيت الشمس والمرأة لبيت القمر
والمرأة كانت باب الغذاء في الرحم قبل الولادة والقم باب الغذاء في الدنيا
والسبيلين مقابلان لها ك مقابلان لبيّن زحل لبيّن النيرين
وكما ان في الفلك بروجا فيها حدود ووجوه ودرجات لها اوصاف مختلفة
كذلك للجسد اعضاء ومفاصل وعروق وأعصاب وعظام مختلفة يطول شرحها
ومناسبتها بحدود الفلك وقد ترکنا ذكر ذلك

﴿ فصل ﴾

في مشاهدة تركيب جسد الانسان بالاركان الاربعة
فنقول اعلم انه لما كان تحت فلك القمر أربعة اركان وهي الامهات التي بها
قوام الاشياء المولادات والتي هي الحيوان والنبات والمعادن.
وكذلك وجد في بنية الجسد اربعة اعضاء هي نام جملة الجسد وأوها الرأس
ثم الصدر ثم البطن ثم الجوف الى آخر قدميه وهذه الاربعة موازية لتلك وذلك
ان رأسه مواز لركن النار من جهة شعاعات بصره وحركات حواسه وصدره
مواز لركن الهواء من جهة نفسه واستنشاقه الهواء. وبطنه مواز لركن الماء من
جهة الرطوبات التي فيه . وجوفه الى آخر قدميه مواز لركن الارض من قبل
انه مستقر عليه كاستقرار الثلاثة الباقيه فوق الارض وحوطها
وكما ان من هذه الاركان الاربعة تتحلل البخارات فنها تكون الرياح والسحب
والامطار والحيوانات والنبات والمعادن
وكذلك بهذه الاعضاء الاربعة تحالل البخارات في بدن الانسان مثل ما يخرج
المخاط من المنخرتين والمدوع من العينين والبصاق من القم والرياح التي تتولد في
الجوف والرطوبات التي تخرج مثل البول والغائط وغيرها
في بنية جسمه كالارض وعظامه كالجبال والماض فيه كالمعادن وجوفه كالبحر
وامعاوه كالامطار وعروقه كالجداول وملحه كالتراب وشعره كالنبات ومنته

كالبرية الطيبة وحيث لا ينبع الشعر كالارض السبخة ووجهه الى القدم كالعمران وظهره كالخراب وقدام وجهه كالشرق وخلف ظهره كالغرب ويعينه كالجنوب ويساره كالشمال وتفسه كالرياح وكلامه كالرعد وأصواته الصواعق وضعكه كضوء النهار وبكاوه كالمطر وبؤسه وحزنه كظلمة الليل ونومه كالموت ويقطنه كالحياة وأيام صباحه كأيام الربيع وأيام شبابه كأيام الصيف وأيام كهولته كأيام الخريف وأيام شيخوخته كأيام الشتاء وحر كاته وأفعاله كركات الكواكب ودور أنها ولادته وحضوره كالطوالع وموته وغيابه كالغوارب واستقامة أوره وأحواله كاستقامة الكواكب وتخانه وأدباه كرجوعها وامراضه واعللها كاحتراقاتها وتوقفه وتخيره في الامور كتوقفها وارتقاءه في المنزل والشرف كارتفاعها في أو جاتها واشرافها وانخفاضها في المنزل والسقوط كهبوطها وسقوطها في حضيضاها واجتماعه مع امرأته كاجماعها ومواصلته كاتصالاتها وانفصاله كانصرافاتها وأشارته لكتابه.

وكما ان الشمس رأس الكواكب في الفلك كذلك في الناس ملوك ورؤساء وكالاتصالات الكواكب بالشمس وبعضها ببعض كذلك اتصالات الناس بالملوك وبعضهم ببعض وكأنصار الكواكب من الشمس بالقوة وزيادة النور وكذلك انصرافات الناس من الملوك بالولايات والخلع والراتب وكسبة المريخ من الشمس كذلك نسبة صاحب الجيش من الملك وكسبة عطارد من الشمس كذلك نسبة الكتاب والوزراء من الملك وكسبة المشتري من الشمس وكسبة القضاة والعلماء من الملوك وكسبة زحل من الشمس كذلك نسبة الحزان والوكلاء من الملوك وكسبة ازهرة من الشمس كذلك نسبة الجواري والمنفيات من الملوك وكسبة القدر من الشمس كذلك نسبة الخوارج من الملوك وذلك ان القمر من الشمس يأخذ النور من أول الشهر الى ان يغادرها فيجاكيها في نورها ويصير كالمائل لها في هيئتها وكذلك حكم الخوارج من الملوك يتبعون أمرهم يخلعون الطاعة وينازعونهم في الملك.

وأيضاً أن أحوال القمر تشبه أحوال أمور الدنيا من الحيوان والنبات وغيرها
وذلك أن القمر يتدبر من أول الشهر بالزيادة في النور والكمال إلى أن يتم
في نصف الشهر ثم يأخذ في النقصان والاضمحلال والحادق إلى آخر الشهر
وهكذا حالات أهل الدنيا تتدبر من أول الأمر بالزيادة فلا تزال
تنمو وتنشئ إلى أن تم و تستكمم ثم تأخذ في الانحساط والنقصان إلى أن تضمر
وتتلاشى .

﴿ فصل ﴾

في تعداد قوى النفس

فنقول : إن هذا الجسد من كثرة عجائبه وترتيب أعضائه وطرائقه
تأليف مفاصيله يشبه مدينة والنفس كملك تلك المدينة وفنون قواها
كالمبود والاعوان وأفعالها في هذا الجسد وحركاتها فيها كالزعية والخدم
وذلك أن للنفس الإنسانية قوى كثيرة لا يحصى عددها إلا الله تعالى ولكل قوة
منها مجرى في عضو من أعضاء الجسد غير مجرى القوى الأخرى ولكل قوة منها
إلى النفس نسبة خلاف نسبة الأخرى

ونريد أن نذكر منها مارفاً ليكون دليلاً على الباقية منها وذلك أن لها خمس
قوى حساسة كأنها أصحاب الأخبار وأن النفس قد ولت كل واحدة منها ناحية
من مملكتها لتأتيها بالأخبار من تلك الناحية من غير أن تشرك معها قوة أخرى
بيان ذلك أن القوة السابعة التي مجرأها في الأذنين فإن النفس قد ولتها ادراك
السمواعات خسب وهي الأصوات . والاصوات نوعان حيوانية وغير حيوانية
فغير الحيوانية كصوت الطبل والرعد والحجر ، والشجر ، والزمر ، والأوتاد وما
شاكل ذلك والحيوانية نوعان منطقية وغير منطقية كصهيل الخيل ونهيق الحمار
وخوار الثور

وبالجملة فإن أصوات الحيوانات غير الناطقة والمنطقية نوعان دالة وغير دالة فغير

داللة كاللَّهَان والنَّفَّات والضَّحْكُ والبَكَاءُ والصَّرَّاحُ والآتِينُ وغَيْرُ ذَلِكِ وَالدَّالَّةُ هِيَ الَّتِي تُلفظُ بِالْمُحْرُوفِ الْمُعْجَمَةُ وَهِيَ الَّتِي تَدْلُ عَلَى الْمَعْنَى فِي أَفْكَارِ النُّفُوسِ كَمَا يَبَيَّنُ فِي رِسَالَةِ الْمُنْطَقِ

وَلِكُلِّ نَوْعٍ مِّنْ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ نَوْعٌ آخَرٌ وَتَحْتَ تَلْكَ الْأَنْوَاعِ أَشْخَاصٌ لَا يَعْلَمُ عَدْدُهَا إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ . وَإِنَّ الْقُوَّةَ هِيَ الْمُتَوْلِيَّةُ ادْرَا كَهَا الْمُتَصْرِفَةُ فِيهَا بَاتِيَانُ الْأَخْبَارِ عَنْهَا إِلَى الْقُوَّةِ الْمُتَخَيْلَةِ الَّتِي مُسْكِنُهَا مُقْدَمُ الدَّمَاغِ . وَهَذِهِ الْقُوَّةُ فِي ادْرَا كَهَا هَذِهِ الْأَصْوَاتِ وَاتِّيَانُهَا بِالْأَخْبَارِ هَا تَشَبَّهُ صَاحِبُ خَبْرٍ مَلِكٌ يَأْتِي بِالْأَخْبَارِ إِلَيْهِ مِنْ نَاحِيَّةِ مِنْ نَوْاحِيِّ مَلِكَتِهِ

وَأَمَّا الْقُوَّةُ الْبَاسِرَةُ الَّتِي مُجْرِاهَا فِي الْعَيْنَيْنِ فَإِنَّ النُّفُوسَ قَدْ وَلَتْهَا ادْرَاكُ الْمُبَصِّرَاتِ وَهِيَ تَنْقَسِمُ أَنْوَاعًا فَنَّهَا الْأَنْوَارُ وَالظَّلَّمَةُ وَمِنْهَا الْأَلْوَانُ وَهِيَ السُّوَادُ وَالْبَيْاضُ وَالْأَمْرَةُ وَالصَّفْرَةُ وَمَا يَتَوَلَّهُ عِنْدَ التَّرْكِيبِ مِنْ سَائِرِ الْأَلْوَانِ وَمِنْ الْمُبَصِّرَاتِ أَيْضًا الْمَقَادِيرُ ذَوَاتُ الْأَبعَادِ وَالْأَشْكَالِ وَالصُّورِ وَالْحَرْكَاتِ وَالسَّكُونِ وَكُلُّ نَوْعٍ مِّنْ هَذِهِ تَحْتَهُ أَنْوَاعٍ وَتَحْتَ تَلْكَ الْأَنْوَاعِ أَشْخَاصٌ وَهِيَ كَهَا تَحْتَ ادْرَاكَ الْقُوَّةِ الْبَاسِرَةِ وَهِيَ الْمُتَصْرِفَةُ فِيهَا وَالْمُمْيَزُ لَهَا تَأْتِي بِالْأَخْبَارِ عَنْهَا إِلَى الْقُوَّةِ الْمُتَخَيْلَةِ الَّتِي مُسْكِنُهَا مُقْدَمُ الدَّمَاغِ وَنَسْبَةُ هَذِهِ الْقُوَّةِ مِنَ النُّفُوسِ كَنْسَةُ الدِّيدَانِ وَصَاحِبُ الْبَرِيدِ إِلَى الْمَلِكِ يَأْتِي بِالْأَخْبَارِ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ نَوْاحِيِّ مَلِكَتِهِ

وَأَمَّا الْقُوَّةُ الشَّامِةُ الَّتِي مُجْرِاهَا فِي الْمَذَرِّيْنِ فَإِنَّ النُّفُوسَ قَدْ وَلَتْهَا إِدْرَاكُ الْرَّوَاعِحِ وَالْتَّصْرِفِ فِيهَا وَالْمُتَبَيِّنُ لَهَا وَهِيَ نُوَاعُ لَذِيَّدَةٍ وَكَرِيَّةٍ : فَاللَّذِيَّدَةُ تَسْمِيُ الطَّيِّبَ وَالْكَرِيَّةُ تَسْمِيُ النَّنَّ وَتَحْتَ كُلِّ نَوْعٍ مِّنْ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ نَوْعٌ لَيْسَ لَهُ أَسْمَاءً مُفَرَّدةً كَاسْمَاءِ سَائِرِ الْحَسْوَسَاتِ وَلَكِنَّ الْقُوَّةَ النَّازِفَةَ نَسْبَتْ كُلَّ رَائِحَةٍ مِنْهَا إِلَى حَامِلِهَا الَّذِي يَفْوَحُ مِنْهُ فَيُقَالُ رَائِحَةُ الْمُسْكِ وَرَائِحَةُ الْكَافُورِ وَرَائِحَةُ الْمَوْدِ وَرَائِحَةُ النَّرْجِسِ وَغَيْرُ ذَلِكَ فَنْسَبَتْهَا إِلَى الَّذِي تَفْوَحُ مِنْهُ وَهِيَ كَثِيرَةٌ لَا يَحْصَى عَدْدُهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى وَإِنَّ الْقُوَّةَ الشَّامِةَ هِيَ الْمُتَوْلِيَّةُ لَادْرَا كَهَا وَالْتَّصْرِفُ فِيهَا بَاتِيَانُ أَخْبَارِهَا إِلَى الْقُوَّةِ

المتخيلة ونسبتها الى النفس كنسبة أحد أصحاب الاخبار الى الملك مثل ماقلنا
في أمر القوة الباصرة والسامعة

وأما القوة الذائقة التي مجرها في الانسان فان النفس قد ولتها أمر الطعموم
والادراك لها والتصرف فيها وتمييز بعضها من بعض وهي تنقسم تسعه أنواع :
أوها الحلاوة الملائمة لطبع الانسان . والثانية الحرارة المذترة لطبع الانسان
ومنها وسائل وهي الحلوة والملوحة والدسمة والعفوصة والحرافة والقبوصة
والعذوبة وكل نوع من هذه تحته أنواع وتحت كل نوع منها أشخاص لا يعلم
عدها الا الله الواحد القهار وان القوة الذائقة التي هي متولية أمر هذه الطعموم
بالادراك لها والتصرف فيها وتمييز بعضها عن بعض راتياناً أخبارها الى القوة
المتخيلة ونسبتها الى النفس كنسبة أصحاب الاخبار الى الملك مثل أمر السامعة
والباصرة والشامة

واما القوة اللامسة التي مجرها باليدين فان النفس قد ولتها أمر الملموسات
وهي عشرة أنواع : الحرارة والبرودة والرطوبة والبيروسة واللين والخشونة
والصلابة والرخاؤة والثقل والخففة ولكل واحد من هذه تحتها نوع وتحت
تلك الانواع أشخاص لا يعلمها الا الله الملك الجبار العزيز القهار وان القوة
اللامسة التي باليدين هي المتولية أمر الملموسات بالادراك والتصرف فيها وتمييز
بعضها عن بعض وباتياناً أخبارها الى القوة المتخيلة ونسبتها الى الشمس كنسبة
احدى اخوانها الى تقدم ذكرها

وما مثل النفس مع قواها هذه الحس الحسارة واختلاف محسوساتها وما تحت
كل جنس منها من الانواع والاشخاص المختلفة الصور المفتنة الاشكال المتباعدة
الهيئات الا كخمسه من الانبياء أولى العزم من الرسل مرسليهم واحد وشرائعهم
مختلفة وتحت كل شريعة مفروضات مفنة وأحكام متباعدة وسنن متغيرة تحت
أحكامها أنها كثيرة لا يحصى عدها الا الواجب الوجود الواحد من جميم الوجوه

وكان ان تملك الامم كلهم يرجعون الى الله ليفصل بينهم فيما كانوا فيه مختلفون .
فهكذا حكم المحسوسات كلها مرجعها الى النفس الناطقة لتمييز بعضها عن بعض
وتعارف واحداً واحداً منها بحقائقها وتحكم عليها وتنزلها منازلها

»فصل «

واعلم يا أخي ان للنفس الإنسانية خمس قوى أخرى تنسب نسبتها الى النفس
غير نسبة هذه الخمسة التي تقدم ذكرها وسريرتها في أعضاء الجسد خلاف سريران
أو إثنين وأفعاها لا تشبه أفعاها

وذلك ان هذه القوى الخمس هي كالشريكاء المتعاونات في تناولها صور المعلومات
بعضها من بعض وثلاثة منها نسبتها الى النفس كنسبة الندماء من الملك الحاضرين
مجلسه دائمًا المطلعين على أسراره المعينين له في خاصة أفعاله وهي القوة المتخيلة
التي مجرأها مقدم الدماغ والثانية القوة المفكرة التي مجرأها وسط الدماغ والثالثة
القوة الحافظة التي مجرأها مؤخر الدماغ وواحدة منها نسبتها الى النفس كنسبة
الحاجب والترجمان عن الملك وهي القوة الناطقة المخبرة عنها معاني ما في فكرها
من العلوم وال حاجات و مجرأها في الخلق من الى الانسان
واحدة منها نسبتها الى النفس كنسبة الوزير الى الملك المعين له في تدبير
 مما يكتبه وسياسة رعيته وهي القوة التي بها تظهر النفس الكتابة والصنائع اجمع
ومجرأها في اليدين والاصابع فهذه القوى الخمس هي كالتعاونات فيما يتناولن
من صور المعلومات

بيان ذلك ان القوة المتخيلة اذا تناولت رسوم المحسوسات من القوى
الخاصة ادركت وأدلت اليها فتجتمعها كلها وتؤديها الى القوة المفكرة التي
مجرأها وسط الدماغ حتى تميز بعضها من بعض وتعارف الحق من الباطل والصواب
من الخطأ والضار من النافع ثم تؤديها الى القوة الحافظة التي مجرأها مؤخر
الدماغ لتحفظها الى وقت الحاجة والتذكرة

ثم ان القوة الناطقة تناول تلك الرسوم المحفوظة وتعبر عنها عند البيان لـ القوة
السامعة من الحاضرين في الوقت.

ولما كانت الاصوات لا تُمكث في الهواء الاريفي تأخذ الاصوات حظها ثم تضمحل اقتضت الحكمة الالهية والعنابة الربانية واحتلال الطبيعة بان قيدت تلك الانفاظ بصناعة الكتابة .

وذلك ان القوة الصناعية اذا أرادت تقييدها صاحت لها صوراً من الخطوط
بالقلم وأودعتها وجوه الالوان وبطون الطوامير ليبقى العلم مفيدةً فائدةً من
الماضين للغابرين وأثراً من الاولين للاخرين وخطاباً من الغائبين للحاضرين وهذا
من جسم نعم الله تعالى على الانسان كما ذكر في كتابه فقال :
« اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان مام يعلم »

* فصل *

اعلم يا أخي أنه اذا تفكك الانسان العاقل الفهيم في هذه القوة التي تقدم ذكرها وكيفية سريانها في أعضاء الجسم وتصرفها في ادراك هذه المحسوسات وتصورها رسوم المعلومات واطلاع النفس عليها كلها في جميع حالاتها تكون هذه شاهدة له من نفسه ودليلًا من ذاته على ان للنفس الكلية قوى كثيرة مبنية في فضاء الافلاك وأطباق السموات وأركان الامهات وفي الحيوانات والنبات موكلة بحفظ الخليقة ومرتبة لصلاح البرية وهي ملائكة الله جل اسمه وخالص عباده وصفوته من بريته لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون من غير خطاب ولا كلام فهكذا هذه القوى تتصرف في حوائج النفس من غير كلام منهاطن ولا خطاب

ويتبين له أيضاً بأن الله جل ثناؤه مطلع على أسرار جميع العالمين وأحوالهم لا يعزب عنه من أمورهم مثقال ذرة كما أن نفسه مطلعة على جميع محسوسات حواسها ومعلومات قواها وهن منقادة لامرها في ما يأتين به اليها من أخبار محسوساتها من غير كلام هن منها ولا خطاب

﴿ فصل ﴾

في اعتبار أحوال الإنسان بالموجودات التي دون فلك القمر
فاما اعتبار الإنسان بالموجودات التي دون فلك القمر فاعلم ان الموجودات
التي تحت فلك القمر نوعان بسيطة ومركبة فالبساط هي الاركان الاربعة التي هي
النار والهواء والماء والارض والمركبات هي المولدات السكائنات الفاسدات أعني
الحيوان والنبات والمعادن .

فالمعادن أسبق في الكون ثم النبات ثم الحيوان ثم الانسان ولكل نوع
من هذه خاصية قد سبق اليها . خاصية الاركان الاربعة الطبائع الاربعة التي هي
الحرارة والبرودة والرطوبة والجفافة واستحالة بعضها الى بعض وخاصية النبات
الغذاء والتقو وخاصية الحيوان الحس والحركة وخاصية الانسان النطق والتفكير
واستخراج البراهين وخاصية الملائكة الالهوت ابدأ فان الانسان قد يشارك
هذه الانواع كلها في خواصها وذلك اذ له طبائع اربع تقبل الاستحالة والتغيير
مثل الاركان الاربعة وله كون وفساد مثل المعادن ويتجدد وينمو كالنبات
ويحس ويتحرك كالحيوان ويعكس الالهوت كالملائكة كما يبينا في رسالةبعث

﴿ فصل ﴾

ثم اعلم يا أخي بان الحيوانات أنواع كثيرة ولكل نوع منها خاصية دون
غيره والانسان يشار كلها في خواصها ولكن لها خاصيتين تعمها كلها وهي
طلبها المنافع وفرارها من المضار . ولكن منها ما يطلب المنافع بالقهر والغلبة
كالسباع . ومنها ما يطلب المنافع بال بصيرة كالكتاب والسنور . ومنها ما يطلبها
بالحيلة كالعنكبوت وكل ذلك يوجد في الانسان

وذلك اذ الملوك والسلطانين يطلبون المنافع بالغلبة والملكين بالسؤال
والتواضع والصناعة والتجار بالحيلة والرفق وكما هرب من المضار والعدو ولكن بعضها
يدفع العدو عن نفسه بالقتال والقهر والغلبة كالسباع وبعضها بالفرار كالارانب
والظباء وبعضها يدفع بالسلاح والجواشن كالقنفذ والسلحفاة وبعضها بالتحصن

في الارض كلأر و المهام والحيات

وهذه كلها توجد في الانسان . وذلك أنه يدفع عن نفسه العدو بالقهر والغلبة فان خاف على نفسه لبس السلاح وان لم يطمه قدر منه فان لم يقدر على الفرار تحسن بالخصوص . وربما يدفع الانسان عدوه بالحيلة كما احتال الغراب على اليوم في كتاب كليلة ودمنة . واما مشاركة الانسان للكلائنات في خواصها فاعلم يا أخي أيدك الله وإيانا بروح منه أن لكل نوع من أنواع الحيوانات خاصية هي مطبوعة عليها وكلها توجد في الانسان وذلك أنه يكون شجاعاً كالأسد وجباراً كالارنب وسخيناً كالدب وبحيلاً كالكلب وغيفياً كالسمك وفخوراً كالغراب ووحشياً كالنمر وانسيَا كالحمام ومحتملاً كالثعلب ومسالماً كالغنم وسريراً كالغزال وبطيئاً كالدب وعزيزاً كالفيل وذليلاً كالجمل أو لصاً كالعميق وتأهلاً كالطاوس وهادياً كالقطابة وضالاً كالنعمامة وما هراً كالنحل وشديداً كالتنين ومهيباً كالعنكبوت وحليماً كالجمل وحقوداً كالحمار وكددوداً كالثور وشرساً كالbulbul وأخرس كالحوت ومنطبقياً كالهزار داستان والبيضاء ومستحلاً كالذئب ومباركاً كالطيطاوي ومضرراً كال فأر وجهولاً كالخنزير ومشوهاً كالبوم وتفاعلاً كالنحل

وباجلة ما من حيوان ولا معادن ولا نبات ولا ركن ولا فلك ولا كوكب ولا برج ولا موجود من الموجودات له خاصية الا وهي توجد في الانسان أو مثالاً لها كما بيننا قبل من كل شيء طرقاً . وهذه الاشياء التي ذكرنا في أمر الانسان لا توجد في شيء من أنواع الموجودات التي في هذا العالم الا في الانسان فن أجل ذلك قالت الحكمة أن الانسان وحده بعد كل كثرة كما أن الباري جل ثناؤه وحده قبل كل كثرة . ومن أجل ما عددنا من عجائب تركيب جسد الانسان وغرائب تصارييف نفسه وما يظهر من جملة بنائه من الصنائع والعلوم والأخلاق والأراء والطرائق والمذاهب والأعمال والأفعال والأقوال والتأثيرات الجسمانية والروحانية سموه عالما صغيراً

﴿فصل﴾

فانظر يا أخي الى هذا الهيكل المبني بالحكمة وتأمل هذا الكتاب الملوء من العلوم وتفكر في هذا الصراط المستقيم الممدوود بين الجنة والنار فلعلك أن توفق للخيرات عليه والمر على الصراط المستقيم وتأمل هذا الميزان الموضوع بالقسط فلعلك تعرف وزن حسناتك وسيئاتك واحسب حسابك به قبل فوت رأس مالك فان الجنة من وراء هذا كله

واذكر ما قد نبهك الله له وذكرك اياه بقوله «كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا» وقوله «هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق انا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون» وقال «ان هذا صراطى مستقىما فاتبعوه»

فإن كنت لا تحسن كيف تقرأ هذا الكتاب وكيف تحسب هذا الحساب وكيف تزن هذا الميزان وكيف تجوز هذا الصراط فهم مجلس اخوان لك نصائح أو أصدقاء لك كرماء فضلاء اختياراً علماء محبيك لك متوددين اليك فيعرفونك ما لا تنكره ويعلمونك ما تعيقه ولا تشتك فيه بشواهد من نفسك وبراهين من ذاتك ودلائل من جوهرك اذا انتبهت نفسك من نوم الغفلة ، ورقدة الجهالة ، ونظرت بعين البصيرة كما نظروا وسرت بسيرتهم العادلة كما ساروا وحملت بسنتهم الحسنة وتقهمت في شريعتهم العقلية ودخلت مدینتهم الروحانية وتخافت بأخلاقهم الملوكية وعرفت آراءهم الصحيحة وتعلمت معلوماتهم الحقيقة فحيثئذ تؤيد بروح الحياة الابدية وتعيش عيش السعادة منها خليداً أبداً بنفسك الباقية الزكية لا يجدك البالى المستحيل

﴿فصل﴾

ثم اعلم انه قد جعلت الحكمة الاهية والعناية الربانية أعضاء كل شخص من الحيوان مناسباً لجملة جسده كما يبينا في رسالة فضيلة النسب فريد أن نذكر منها في هذه الرسالة طرفاً ليتبين تقابل العالم الصغير والكبير

وذلك أن الإنسان لما كان أكمل الموجودات وأتم الكائنات التي تحت فلك القمر وكان جسمه جزءاً من أجزاء العالم بأسره وكان هذا الجزء أشبه الأشياء بجملته صارت نفس الإنسان أيضاً أشبه النفوس الجزئية بالنفس الكلية التي هي نفس العالم بأسره وصار حكم سريان قوى نفسه وأفعالها في بنية جسده مماثلة لسريان قوى النفس الكلية في جميع العالم

ويبيان ذلك أن بنية جسدها أعني النفس الكلية التي هي جملة العالم سبعة أشخاص فاضلة متحركة مدبرة باذن الملك الجبار عز وجل ولكل واحد منها جرم فيه روح تسهي النفس ولكل واحد منها أفعال في العالم مخصوصة غير ما للاخر مذكور ذلك في كتب أحكام النجوم

فهكذا أيضاً جعل الله تعالى في بنية جسد الانسان أعضاء بنيتها مناسبة بجملة بدنها بعضها البعض وجعل لكل عضو منها قوة تختص بها ليظهر بها أفعـالـهـ في بنية الجسد وفي سائر أطرافـهـ وجعل أفعالـهاـ مناسبة لـأـفـعـالـهـ قوى روحـانـياتـ الكواكبـ السـبـعةـ

بيانـهـ أنـ نـسـبـةـ جـرـمـ الـجـسـدـ كـنـسـبـةـ جـرـمـ الشـمـسـ مـنـ الـعـالـمـ بـأـسـرـهـ وـذـلـكـ أـنـ لـمـ كـانـ مـرـكـزـ جـرـمـ مـهـافـ وـسـطـ الـأـفـلـاكـ كـماـ بـيـنـاـ فـيـ رسـالـةـ السـمـاءـ وـالـعـالـمـ هـكـذـاـ جـعـلـ الـبـارـيـ تـعـالـيـ جـرـمـ الـقـلـبـ فـيـ وـسـطـ الـجـسـدـ ،ـ وـكـاـ أـنـ مـنـ جـرـمـ الشـمـسـ يـنـبـثـ النـورـ وـالـشـعـاعـ فـيـ جـمـيعـ الـعـالـمـ بـأـسـرـهـ وـمـنـهـ سـرـيـ قـوـىـ روـحـانـيـاتـهـ فـيـ جـمـيعـ أـجـزـاءـ الـعـالـمـ وـبـهـ حـيـاةـ الـعـالـمـ وـصـلـاحـهـ كـذـلـكـ يـنـبـثـ مـنـ جـرـمـ الـقـلـبـ الـحـرـارـةـ وـتـسـيرـ فـيـ الـعـرـوـقـ الـضـوـارـبـ إـلـىـ سـائـرـ أـطـرـافـ الـبـدـنـ وـبـهـ تـكـوـنـ حـيـاةـ الـجـسـدـ وـصـلـاحـهـ وـأـيـضاـ أـنـ نـسـبـةـ جـرـمـ الطـحـالـ مـنـ الـجـسـدـ كـنـسـبـةـ زـحـلـ مـنـ الـعـالـمـ وـذـلـكـ أـنـ جـرـمـ زـحـلـ تـنـبـثـ مـعـ شـعـاعـهـ قـوـىـ روـحـانـيـاتـهـ وـتـسـرـيـ فـيـ جـمـيعـ أـجـزـاءـ الـعـالـمـ وـبـهـ تـنـاسـكـ الصـورـ فـيـ الـهـيـوـيـ وـبـقـائـهـ باذنـ اللهـ فـهـكـذـاـ يـنـبـثـ مـنـ جـرـمـ الطـحـالـ قـوـةـ الـخـلـطـ السـوـدـاوـيـ الـبـارـدـ الـيـابـسـ وـتـجـرـيـ معـ الدـمـ فـيـ الـعـرـوـقـ الـوـارـدـةـ إـلـىـ سـائـرـ أـطـرـافـ الـجـسـدـ وـبـهـ يـكـوـنـ جـوـودـ رـطـوبـةـ

الدم وتماسك أجزائه ويعرف حقيقة ما قلنا وصحة ما وصفنا جماعة من العذفة
في صناعة الطب والراسخون في العلوم الحكيمية

وأيضاً أن نسبة جرم الكبد من الجسد كنسبة جرم المثري من العالم وذلك
أنه ينبع من جرمه مع شعاعه قوى روحانيته وتسري في أجزاء العالم وبها يكون
ترتيب أجزائه واعتدال أركانه و المناسبة موجوداتها التي في العالم على أفضل الحالات
وأكمل الصفات ويعرف حقيقة ما قلناه الحكاء والأنباء وخلفاؤ الأئمة الذين
هم خزائن علم الله والأمناء على أمراته

وأيضاً فإن نسبة جرم المرأة من الجسد كنسبة جرم المريض من الدائم وذلك
أنه تنبت من جرمه مع شعاعه قوى روحانيته وتسري في جميع أجزاء العالم وبها
تكون عزمات الموجودات وبلغ النهايات فهكذا ينبع من جرم المرأة قوى
الخلط الصفراوي وتجري مع الدم إلى سائر أطراف الجسد وهي الملاطفة
للاملاطف المعيدة لها إلى أقصى مدى غايتها ومتنهى همايتها

وأيضاً أن نسبة جرم المعدة إلى الجسد كنسبة جرم الزهرة في العالم وذلك أنه ينبع
من جرمه مع شعاعها قوى روحانيتها وتسري في جميع أجزاء العالم وهي المفرحة
المقدسة المسرة جميع الخلائق الحسانية والروحانية التي في العالم وبها زينة الموجودات
ومحاسن الكائنات في العالم أعني عالم الأفلاك والامميات جميعاً فهكذا ينبع
من جرم المعدة القوة الشهوانية الطالبة للغذاء الذي هو مادة الجسد وهي أولى
الخلط وبها تكون حياة الجسد ولذة العيش وقوام البدن في الأجسام البشرية
وال أجسام الطبيعية

وأيضاً أن نسبة جرم الدماغ كنسبة جرم عطارد من العالم وذلك أنه ينبع
من جرمه مع شعاعه قوى روحانيته التي تسري في جميع أجزاء العالم وبها يكون
الحس والشعور والمرفان في جميع الخلائق من العالمين جميعاً من الملائكة والناس
أجمعين والجن والشياطين والحيوانات أجمع فهكذا ينبع من وسط الدماغ قوة
بها يكون الحس والشعور والذهب والتفكير والروية والمعارف أجمع

وأيضاً أن نسبة جرم الرئة كنسبة جرم القمر من العالم وذلك أنه ينبع من جرم مم شعاعه فوى روحانيته التي تسرى في عالم الاركان تارة وفي عالم الافلاك تارة كما هو بين ظاهر وذلك أن جرم القمر نصفه أبداً ممتلىء نوراً ونصفه الآخر مظلماً وهو تارة يقبل بوجهه الممتلىء من النور نحو عالم الاركان من أول الشهر وتارة نحو عالم الافلاك من آخر الشهر ويعرف حقيقه ما قبلناه وصححة ما بینناه الباحثون في علم الحسطي والاهيئة فهكذا ينبع من جرم الرئة قوة تحذب الهواء تارة من خارج الجسد وترسله الى القلب ومن القلب تنفذه في العروق الضوارب الى سائر اطراف الجسد وهو الذي يسمى النفس وبها تكون حياة الجسد وتارة ترد من ذلك الهواء من داخل وبها يكون التنفس والاصوات والكلام أجمع فانتبه أيها الاخ من نوم الغفلة ورقدة الجمالة . وفقك الله وايانا وجميع اخواننا للسداد وهداك وايانا وجميع اخواننا سبيل الرشاد انه رءوف بالعباد (تمت رسالة قول الحكاء ويتلوها رسالة نشوء الانفس)

الرسالة الثالثة عشرة

من الجسمانيات الطبيعيات

في كيفية نشوء الانفس الجزئية في الاجساد البشرية الطبيعية

وهي الرسالة السابعة والعشرون من رسائل اخوان الصفا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الله خير أمة يشركون

﴿فصل﴾

اعلم أبا الاخ البار الرحيم أيدك الله وإيانا بروح منه انه لما فرغنا من بيان
قول الحكاء إن الانسان عالم صغير نريد أن نذكر في هذه الرسالة كيفية نشوء
الانفس الجزئية فنقول :

اعلم ان هذا الجسد هذه الانفس في المثال بعزلة الرحم للجنين وذلك ان
الجنين اذا استتمت في الرحم بنيتها وتكملت هناك صورته خرج الى هذه الدار
قام الخلقة سالم الحواس وانتفع بالحياة فيها وتعتم بنعيمها الى وقت معلوم فهكذا
يكون حال الانفس في الدار الآخرة وذلك ان الانفس الجزئية اذا استتمت ذواتها
بالخروج من القوة الى حيز الفعل بما تستفيد من العلوم والمعارف بطريق الحواس
واستكملت صورتها بما تكتسب من الفضائل بطريق المقولات والتجارب
والرياضيات وما يدبر في هذه الدار من السياسات من اصلاح أمر المعاش على
الطريقة الوسطى وتهذيد أمر المعاد على سنن الهدى وتهذيب النفس بالاخلاق

الجنة والآراء الصحيحة والاعمال الصالحة كل ذلك بتوسط هذا الجسد المؤلف من الدم واللحم

ثم ان فارقته على بصيرة منها ومن امرها وقد عرفت جوهرها وتصورت ذاتها وتبينت امر عالمها ومبنيها ومعادها كارهة للكون مع الجسد بقيت عند ذلك مفارقة لا يحيى واستقلت بذاتها واستغفت بجوهرها عن التعاقب بالاجسام فعند ذلك ترتفق الى الملا الاعلى وتدخل في زمرة الملائكة وتشاهد تلك الامور الروحانية وتعاين تلك الصور النورانية التي لا تدركها بالحواس الحس ولا تصور في الاوهام البشرية كما ذكر هذا في الرموزات النبوية ان في الجنة ما العين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من النعيم واللذة والسرور والفرح والروح والريحان كما قال الله تعالى (فيها ما تشتهي الانفس وتلذل العيون وأنتم فيها خالدون) وقال (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون) فاما اذا لم تستم خلقة الجنين في الرحم ولا استكملت هناك صورته او عرض له عارض من النفس والاعوجاج في عضو من الاعضاء فانه لا ينتفع بالحياة في هذه الدار على القائم ولا يكمل له نعيمها كالعميان والظفر والطرشان والزمي والمقاليد وأشباههم فهكذا تكون حال النفوس الجزئية عند مفارقة الاجساد البشرية

وذلك ان الجزئية اذ لم تستم بالعلوم والمعارف فانها مادامت مرتبطة بالاجساد البشرية متلهي لها إدراك المحسوسات فلا تستكملي صورها بمعرفة حقائق الاشياء مادام لها العقل والتبييز والروية ولا هي تهدب بالأخلاق الجليلة مادام يسكنها الاجهاد والعزيمة ولا هي قومنا اعوجاجها من الآراء الفاسدة وقد أرهقتها اعمالها السيئة وأنقلتها أفعالها القبيحة فانها عند مفارقة الاجساد لا تنتفع بجوهرها ولا تستقل بذاتها ولا يسكنها النهوض الى الملا الاعلى من نقل أو زارها ولا يخرج بها الى ملائكة السماء ولا تستأهل للدخول في زمرة الملائكة وتفاقم دونها أبواب السماء ويفوتها ذلك الروح والريحان كما ذكر الله عز وجل «لا تفتح لهم أبواب السماء ولا

يدخلون الجنة حتى يلتج الجمل في سُمُّ الخياط «لأنه لا يليق بها ذلك المكان الشريف مادامت النفس مذمومة بهذه الصفات غير مهذبة بالأخلاق الجميلة مقيدة بأخلاقيات دنيوية وسيرة جائرة وعادات رديئة واعتقادات فاسدة وجهاالت متراكمة وأعمال سيئة تبقى مربوطة محبوسة لأنها لا يليق بها ذلك المنزل النوراني والعالم الروحاني كما لا يليق بالعميان والزمني والجهال والبكماء مجالس الملوك ومنادتهم لنقصانهم فإذا فاتتها ذلك المكان الشريف بقيت مقيدة في الهواء تهوى دون السماء وتتجبرها شياطينها التي تتعلق عليها من الشهوات الجسمانية والآراء الفاسدة والاهتمام بالأمور الهرولائية راجعة إلى قعر الأجسام المذهبة وأسر الطبيعة الجسدانية وتدفعها أمواج الشهوات الحمراء المؤدية إلى أودية الهاوية حيث لا أئس لها وتتجبرها الشياطين كما تجبر العميان والزمني مجنوبين طرقات الناس كما ذكر الله تعالى عز وجل « ومن يعيش عن ذكر الرحمن تفريض له شيطاناً فهو له قرين » وقال « وقيضا لهم ذرنا ذرنا لهم ما بين أيديهم » وقال « وقال قرينه هذا الذي عتيد » فيصيغها عند ذلك وهج الأثير قارة وبرد الزمهرير قارة ووحشة القلام والألم والعذاب إلى أن تقوم القيمة يكون ذلك حالها كما ذكر الله عز وجل (النار يعرضون عليها غدوأ وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) وقال (ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون) كل ذلك لشدة شوقها إلى الجسمانية التي قد اعتادتها وقد فارقتها ولم تحصل لها اللذات الروحانيات وقد خسرت الدنيا والآخرة (ذلك هو الخسران المبين)

* فصل *

أعلم أيها الأخ الكريم البار الرحيم أيدك الله وابانا بروح منه ان العلم والحكمة للنفس كتناول الطعام والشراب للجسد وذلك ان الاجساد ترضم أولاثم تناول الطعام والشراب الاذين هما غذاء

الاجـاد لينـشو صـغيرـها وينـمو نـاقـصـها ويـسـمـع مـهـزـوـلـها ويـقـوي ضـعـيفـها ويـكـسـى روـنـقـها وكـاـلـهـا ويـبـلـغـ الى اـنـصـى مـدـيـ غـايـاتـها وـمـنـتـهـى نـهـايـاتـها وـمـحـاسـنـها بالـلـبـنـ ثمـ بالـطـعـامـ والـشـرـابـ الـذـينـ هـاـ غـذـاؤـهـاـ وـمـادـتـهاـ فـهـكـذـاـ أـيـضـاـ حـالـاتـ الـانـفـسـ مـمـاثـلـةـ لـحـالـاتـ الـاجـادـ بـالـطـعـامـ وـالـشـرـابـ الـذـيـ هوـ غـذـاؤـهـاـ وـمـادـتـهاـ فـيـ تـصـارـيفـهاـ لـاقـتـرانـ ماـيـدـهـاـ فـيـ كـوـنـ الـحـيـاةـ وـذـالـكـ انـ الـانـفـسـ الـجـزـئـيـةـ تـتـصـورـ بـالـعـلـومـ جـوـاهـرـهـاـ وـتـنـمـيـ بـالـحـكـمـةـ ذـواـنـهـاـ وـتـضـىـءـ بـالـعـارـفـ صـورـهـاـ وـتـقـوىـ بـالـرـياـضـيـاتـ فـكـرـهـاـ وـتـبـرـأـ بـالـآـدـابـ خـواـفـرـهـاـ وـتـتـسـعـ اـقـبـولـ الصـورـ الـمـجـرـدـةـ الـرـوحـاـيـةـ عـقـوـلـهـاـ وـتـعـاـوـلـ اـشـتـيـاقـ الـاـهـوـرـ الـخـالـدـةـ هـمـتـهـاـ وـيـشـتـدـ عـلـىـ الـبـلـوـغـ عـلـىـ اـقـصـىـ مـدـ غـايـاتـهـاـ عـزـمـاتـهـاـ مـنـ التـرـقـيـ فـيـ الـمـرـاتـبـ الـعـالـيـةـ بـالـنـظـرـ فـيـ الـعـلـومـ الـاـطـيـةـ وـالـسـاوـكـ فـيـ الـمـذاـهـبـ الـرـوحـاـيـةـ الـرـبـانـيـةـ وـالـتـبـعـيـدـ فـيـ الـاـمـوـرـ الـشـرـيفـةـ مـنـ الـحـكـمـةـ عـلـىـ الـمـذـهـبـ السـقـراـطـيـ وـالـنـصـوفـ وـالـتـزـهدـ وـالـتـرـهـبـ عـلـىـ الـمـنـهـجـ الـمـسـيـحـيـ وـالـتـعـلـقـ بـالـدـيـنـ الـخـيـفـيـ وـهـوـ الـتـشـبـهـ بـجـوـهـرـهـاـ الـكـلـيـ وـلـحـوقـهـاـ بـعـالـمـهـاـ الـعـلـوـيـ وـالـتـوـصـلـ عـلـىـ عـلـمـهـاـ الـاـوـلـىـ وـالـاعـتـصـامـ بـجـبـلـ عـصـمـتـهـ وـابـنـعـاءـ مـرـضـاتـهـ وـطـابـ الـوـلـفـ لـدـيـهـ بـالـاـتـحـادـ بـاـبـنـاءـ جـنـسـهـاـ فـيـ عـلـمـهـاـ الـرـوـحـاـيـةـ وـمـحـلـهـاـ الـنـورـاـيـةـ فـيـ دـارـهـاـ الـحـيـوـانـيـ كـاـلـ قـالـ اللـهـ تـعـالـىـ «ـوـاـنـ الدـارـ الـاـخـرـةـ طـيـ الـحـيـوـانـ لـوـ كـانـواـ يـعـدـونـ»

فـاـذـاـ كـانـتـ الدـارـ هـيـ الـحـيـوـانـ فـاـ ذـلـكـ يـاـ أـخـىـ باـهـلـ الدـارـ كـيـفـ تـكـونـ صـفـتـهـمـ وـنـعـيـمـهـمـ الـاـ كـاـلـ قـالـ اللـهـ تـعـالـىـ وـتـقـدـسـ «ـفـيـ مـقـعـدـ صـدـقـ عـنـدـ مـاـيـكـ مـقـتـدـرـ»ـ فـاـفـهـمـ هـذـهـ الـاـشـارـاتـ وـالـمـرـاءـيـ وـالـمـرـاءـوـزـاتـ

ثـمـ اـعـلـمـ اـنـ النـفـسـ اـذـاـ اـتـهـتـ مـنـ نـوـمـ الـغـفـلـةـ وـاـسـتـيـقـظـتـ مـنـ رـقـدـةـ الـجـهـالـةـ وـاـجـهـتـ وـالـقـتـ مـنـ ذـاتـهـاـ الـقـشـورـ الـجـسـانـيـةـ وـالـنـشـاوـةـ الـجـرمـانـيـةـ وـالـعـادـاتـ الـطـبـيعـيـةـ وـالـاخـلـاقـ الـسـبـعـيـةـ وـالـاـرـاءـ الـجـاهـلـيـةـ وـصـفـتـ مـنـ درـنـ الشـهـوـاتـ الـهـيـوـلـانـيـةـ تـخـلـصـتـ وـاـبـعـثـتـ وـقـامـتـ فـاـسـتـنـارـتـ عـنـدـ ذـلـكـ ذـاتـهـاـ وـأـضـاءـ جـوـهـرـهـاـ وـأـشـرـقـتـ أـنـوارـهـاـ وـاحـتـدـ بـصـرـهـاـ

فعنده ذلك ترى تلك الصورة الروحانية وتعاين تلك الجوادر النورانية
وتشاهد تلك الامور الخفية والاسرار المكنونة التي لا يمكن ادارتها بالحواس
الجمانية والمشاعر الجرمانية ولا يشاهدها الا من تخلصت نفسه بتدبر خلقه
اذا لم تكن صربوطة بارادة طبيعية ومقيدة بشهوات جسمانية يلوح فيها فيعانيها
فإذا عاينت تلك الامور تعلقت بها تعلق العاشق بالمشوق والتزمتها التزام
الحبيب المحبوب وتحدت بها اتحاد النور بالنور فتبقى معها يقائدها وتذوم مع
دوامها وتقرح بروحها ورياحها وتشم بنفحتها وتلذ بلذاتها التي عجزت الاسن
الانسانية عن التعبير عنها وقصرت اوهام المتفكرین عن ان تتصورها بكنه صفاتها
كما قال تعالى :

« فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جراء بما كانوا يعملون » وقال :
فيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين وأنتم فيها خالدون »

﴿فصل﴾

ثم اعلم انه اذا خرج الجنين من الرحم سالماً من الآفات العارضة صحيح
الحواس قوى البدن واشتدت اركانه وانبسطت قوى النفس في الجسد باشرت
القوى الحساسة ذوات المحسوسات وادراً كها على هياكلها
ثم أدت رسومها الى القوة المتخيلة التي في مقدم الدماغ ودفعتها المتخيلة
الى المفكرة.

ثم غابت المحسوسات عن مشاهدة الحواس وبقيت آثار تلك الرسوم مصورة
في فكرة النفس فاستقلت بذاتها واستغفت بمحورها عن حواسها وتصرفت
فيها من غير أن يشار كها شيء خارج من ذاتها ويتأملها من غير أن يحتاج الى
غير نفسها

فإذا تأملتها النفس و Mizanها بعقلها لا تجد شيئاً سوى صور تلك المحسوسات
منتزعه من هيولاتها ومصورة في جوهر النفس فيكون جوهر النفس لتلك
(م - آ)

المصورة في ذاتها كالمهيولى وتلك الرسوم فيها كالصورة وهكذا أيضاً حكم صور المقولات في النفس ، وذلك أنها ليست شيئاً سوى صور الأجناس والأنواع انتزعتها النفس بقوتها المفكرة وصورها في ذاتها وحملتها كاحمل الهواء صوت المسموعات ، وذلك أن الهواء يحمل الأصوات والنغمات المختلفة ويؤديها إلى المسامع

ويحمل أيضاً الروائح ويؤديها إلى المشام بهيئتها لا يغير منها شيئاً إلا بعارض يعرض لها لأن الهواء جسم لطيف روحاني حافظ للصورة .

وهكذا الضياء أيضاً يحمل الأشكال واللوان ويؤديها إلى الأبصار ولا يخلط بعضها ببعض

فهيكلها أيضاً النفس تقبل صور المعلومات من الحسوسات والمقولات في ذاتها وتتصورها بفكرها وتحفظها بالقوة الحافظة من غير أن تخلط بعضها ببعض لأن جوهر النفس أشد روحانية من جوهر الهواء وجوهر الضياء جميعاً فاستغفت بنفسها واستقرت بذاتها وفرحت بذاتها واستبشرت بخلاصها وساحت في الملوك وتبوأت من الجنة حيث شاءت فنعم أجر العاملين

ثم أعلم أنه كما يعرض للأجسام أمراض وأعلال تخرجها من الاعتدال وتعيل بها عن صحة مزاجها حتى تسقمها فلا تنتفع بالحياة في هذه الدار ولا تنتفع بنعيمها على تمام ولا ينهيها عيشها على الكمال

فهيكلها يعرض للنفوس الجزئية الحيوانية أمراض تخرجها عن الاعتدال والطريقة الوسطى والصحة والحق والصراط السوي والهدى وتعيل بالإنسان عن قصد سين الهدى حتى لا تنتفع بالحياة في الأولى ولا تناول السعادة في الأخرى

وان أمراضها أربعة أنواع وهي الجهلات المتراءكة والأخلاق الرديئة والأراء الفاسدة والأعمال السيئة

ثم تتفرع هذه كالمأهولة للنفوس الجزئية البشرية لشدة ميلها الى الشهوات الجسانية التي هي نيران واقدة تتوقد على الافتءة بانواع الفنون المقلقة والهموم المحرقة لشدة غرورها بالذات الجرمانية التي هي استراحات عن الالام الطبيعية والمؤذيات البيولوجية

﴿فصل﴾

ثم اعلم ان مرض النفوس علاجات وطباء تدوای بها كما أن مرض الاجساد طبای تعالج به وعقاقير يداوى بها وله كتب وضعتها الحكمة موصوف فيها علاجاتها .

فيهكذا أيضاً مرض النفوس كتب وقوانين عامة جاءت بها الانبياء والحكمة مذكور فيها علاجات الامراض النفسية وهو الاقتداء بسنة الناموس واجتناب المحارم والاتهاء عن المنافي والأخذ بسنة الحسنة والسير بــيرته العادلة وزر عم طلب المعرف والتخلق بالاخلاق الجميلة وزر عم سنة الهدى على الطريقة الوسطى في طلب معيشة الحياة الدنيا والسعى بالاعمال الصالحة في طلب نعم الآخرة ومداواة النفوس المريضة بتذكيرها أمر مبدئها وما قد نسيته من أمر معادها بضرور الامثال بالوعد والترغيب في جزيل الثواب والمدح والثناء لمن تاب وأناب لعلهم يذكرون .

ثم اعلم انه ذكر في كتب الطب أصل تركيب الجسد ومتاجر الاخلاق واسباب الامراض وكيفية المداوات من مفردات الادوية ومركباتها التي تختلف شربانها بحسب اختلاف الامزجة والاهوية والعادات

فيهكذا ذكر وتبين في كتب الانبياء المنزلة عليهم السلام الذين هم أطباء النفوس وبيان ماهية النفس وبدء كون العالم وسبب كون عصيّان النفوس التي هي مرضها وسقطها عن مراتبها الذي هو موتها الاول وسبب صحتها وسبب تغيرها وفسادها وأنواع أمراضها

ووصف كيفية مداواة النفوس المريضة بالندم والتوبه وحسن الاخلاق والافعال الحسنة والاجتناب مما نهى الله تعالى ورسوله وبالذكاء لامر المعاد والافعال الحسنة والتوكيل على الله في جميع الامور كما قال تعالى :

« يابني آدم لا يفتنكم الشيطان كما اخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهم لباسها ليرونها سوأتها » وقال « وإذا أخذ ربكم من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم السوء بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيمة أنا كنا عن هذا غافلين » وقال « بعث الله النبيين مبشرين ومنذرين » « إثلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل » « ليهلك من هلك على يينة ويحيى من حي عن يينة »

ثم اعلم أن طائفة من العقلاه قد مالوا وأعرضوا عن الحق والديانات النبوية الى الاراء الحكيمه وذلك لقصور فهمهم عن صور تلك الامور التي أشارت اليها الانبياء عليهم السلام في أشاراتهم ورموزهم فعجزوا عن ادراك حقائق تلك المعاني التي الفتتها اليهم الملائكة من الوحي والاهام والتأييد والاشارات وانما قبلت الانبياء الوحي من الملائكة بصفاء جوهر تقوسها ومجانسة رواحها لارواحهم لالقياسات منطقية ولا برياضات حكمية مثل الادوية الشافية والعقاقير النافعة يدرؤن سبب شفائها وخاصية منفعتها.

ثم اعلم ان من سنة الناموس والاداب الحسنة تناول الطعام الذي هو غذاء الجسد بثلاثة أصوات فهذه السنة كأنها اشارة من وضع الناموس للنفوس والتنبيه لها والتحذير على انه واجب طلب العلوم من ثلاث طرقات لأن العلم غذاء النفس كما ان الطعام غذاء الجسد وأحوال النفس مماثلة لاحوال الجسد لشدة اقتران ما بينهما فاحد الطرق التي تناول بها النفس العلوم قوة الفكر الذي تدرك به النفس الموجودات المعقولات

ومن هذه الطريق أخذت الانبياء عليهما السلام الوحي من الملائكة والطريق الآخر السمع الذي تقبل به النفس معانى اللغات وما تدل عليه

الا صوات من الاخبار الغائبة والآخر طريق النظر الذي به تشاهد النقوس الموجودات الحاضرة فهذه الثلاث طرائق يجب أن تتناول العلوم بها كما يبنا وكمَا نبهنا الله عز وجل وقال :

« جعل لكم السمع والبصر والافتة قليلاً ما تشكرون » وذم من لا ينفع بالنعم فقال « لهم قلوب لا يفهون بها وهم آذان لا يسمعون بها وهم أعين لا يبصرون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل » وقال « صم بكم عمي » فهم صم عن الحقائق بكم عن الدقائق عمي عن المبصرات المعنوية العقلية بعين القلب وليس يريده بهذا الفم بحيث انهم لا يسمعون الا صوات ولا يبصرون الا لوان ولا يعرفون ولا يفهون أمر المعاش بل اغا ذمهم بحيث انهم لا يعقلون أمر المعاد كما قال تعالى « يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون »

واعلم ان العلم قنية للنفس كما ان المال قنية للجسد لأن المال يراد لصلاح أمر الجسد والعلم يراد لصلاح أمر النفس فتى لم تدل النفس العلم من هذه الطرق الثلاث وذلك تناوله بثلاثة أصابع الا من طريقة واحدة أي باصبع واحد فمثله كمثل المريض الذي ليس له حظ من ماله الا الثالث لأن المريض واقف بين رجاء الحياة وخوف الموت وهذا مثل أهل التقليد الذين لا يعرفون أمر الدين الا من طريق السمع فهو موقوفون بين الشك واليقين والشك مرض النفوس واليقين صحتها فهو لاء ليس لهم من العلم الا الشك من أجل مرض تقوسيهم ثم اعلم ان السائرين اثنان سائل سؤال حاجة من عرض الدنيا لصلاح الجسد المستحيل الفاني وسائل سؤال مسئلة من العلم يكون فيه خلاص النفس من ظلم الجهل واصلاح الدين وأمر المعاد وطلب نعيم الآخرة البافى

وهكذا المجالس اثنان : مجلس للاكل والشرب والغناء والآذان الجسانية من نبات الأرض ولحوم الحيوان لصلاح هذا الجسد المستحيل المتغير الفاني ومجلس للعلم والحكمة والسماع والآذان من نعيم الآخرة الباقيه لنفس الحالدة التي لا يزيد جوهرها ولا تفني لذتها ولا ينقطع سرورها

ثم ان كل ما يؤكل من الطعام والشراب يتبنى النقصان في مال صاحبه وإذا
أكل وشرب قدر ما يبلغ الشبع والرثي وزاد على ذلك صارت اللذة ألمًا وإذا
مكثت تلك المأكولات المشتهيات في المعدة ساعة واستمرأت وأخذت الأعضاء
كل واحد قسطاً منها تغير ما بقي واستحال واحتیج الى اخراجها والا صارت
اللذة ألمًا ومشقة ومرضاً واعلالاً

وأما مجالس العلم والحكمة والاستئذان منها فليست تجل النفوس منها لأنها
لذات روحانية من نعيم الآخرة وأنموذجها ولا ينقص من علم العالم المرشد
وان كثيرون المتعلمون والسامعون لأنها من كنوز رموز الآخرة

* فصل *

ثم اعلم انه ليس في كثرة الا كل افتخار ولا يحتاج من الا كل والشرب
الا الى مقدار ما يسكن الجوع والعطش فإذا سكن ذلك كان سكونه بالوان من
المأكولات أو بكسرة من خبز الشعير أو بشرب الماء القرابح كما قال عيسى عليه
السلام للحواريين ان أكل خبز الشعير وشرب الماء القرابح اليوم في الدنيا لكثير
من يريد أن يدخل الفردوس غداً

ثم ان الافتخار والثناء ينبغي أن يكون في اقتداء الفضائل الحكيمية وفي
الاستفادة بنور العلم والاستبصر بالآيات والدلائل على معرفة حقائق الأشياء
والحكمة والتأله والزهد والتصرف ولو زوم مذاهب الربانيين والتهاون بأمر الجسد
والاهتمام بأمر النفس والحرص على خلاصها من ظامة الجهة واستنقاذها من بحر
الطيولى وعتقها من أسر الطبيعة والخروج من قعر الأجسام والصعود الى عالم
الآرواح والدخول في زمرة الملائكة كما ذكر الله تعالى (إليه يصعد الكلام الطيب
والعمل الصالح يرفعه) يعني به روح المؤمنين وقال (ان الابرار لهي نعيم)
وقال «ان كتاب الابرار لفي عليين وما أدرك ماعليون» يعني به أنفس الابرار
وقال «حتى اذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبّتم

فأدخلوها خالدين » وقال « والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم
بما صبرتم فنعم عقبى الدار »

واعلم يا أخي أيديك الله وإياها بروح منه أن الجسد اذا خرج من الرحم سالما
من الآفات العارضة صحيح الحواس وقوى بدن الطفل استتببت وانسست قوى
النفس في الجسد وبأشرت القوى الحساسة ذوات المحسوسات وأدركتها
على هؤلئها . ثم أدت رسومها الى القوى المتخيلة التي في مقدم الدماغ وأدتها
المتخيلة الى القوة المتفكره . ثم اذا غابت المحسوسات عن مشاهدة الحواس لها بقيت
تلك الرسوم مصورة في ذكر النفس فإذا تأملتها النفس وميزتها بعقلها فليست
تجدد شيئاً سوى صورة تلك المحسوسات منتزعه الى هيولاتها ومصورة
في جوهر النفس فيكون جوهر النفس لتلك الصورة فيها كاهليولي وتلك الرسوم
فيها كالصورة .

وهكذا أيضاً حال الصور المعقولة في النفس فإنها ليست شيئاً سوى
صور الاجناس والانواع انتزعتها النفس بقوتها المفكرة وصورتها في ذاتها او حملتها
كمحمل الهواء صور المحسوسات .

وذلك ان الهواء يحمل الا صوات المختلفة ويؤديها الى المسامع ويحمل الروائح
ويؤديها الى الشام بعيتها لا يغير منها شيئاً الا أن يعرض عارض لها لأن الهواء
جسم لطيف روحاني حافظ للصورة

وهكذا الضياء يحمل الالوان ويؤديها الى الابصار باصباغها ولا يخالط
بعضها بعض . لأن جوهر النفس أشد روحانية من جوهر الهواء والضياء جميعاً
ثم اعلم يا أخي أن النفوس الجزئية يفضل بعضها على بعض باحدى هذه
الخصال الأربع

احداها معارفها التي استفادتها بكونها مع الجسد ، والثانية أخلاقها التي
عددناها . والثالثة آراؤها التي اعتقدمها . والرابعة أعمالها التي اكتسبتها

فإذا كانت النفس كثيرة المعارف في العلوم وحسنـة الأخـلـاق صحيحةـةـ الـأـراءـ
صـالـحةـ الـأـعـمـالـ صـورـهـاـ هـذـهـ الـخـصـالـ صـورـةـ حـسـنـةـ صـحـيـحـةـ بـهـيـةـ بـهـيـجـةـ روـحـانـيـةـ
فـإـذـاـ فـارـقـتـ الـجـسـدـ وـاسـتـقـلـتـ بـذـاتـهـ وـاسـتـغـفـتـ بـجـوـهـرـهـاـ عـنـ التـعـلـقـ بـالـجـامـ
وـأـنـجـلـتـ عـنـهـاـ أـصـدـاءـ الطـبـيـعـةـ أـبـصـرـتـ وـرـأـتـ عـنـ ذـلـكـ ذـاتـهـ وـتـرـاءـتـ هـاـ صـورـتـهـاـ
فـعـاـيـنـتـ جـاهـاـ وـرـوـقـهـاـ فـرـأـتـ كـلـ مـاعـمـلـتـ مـنـ خـيـرـ مـحـضـرـاـ وـكـلـاـ لـاحـظـتـ ذـاتـهـاـ
ازـدـادـتـ فـرـحـاـ وـسـرـورـاـ وـلـذـةـ وـذـلـكـ هوـ جـزـأـهـاـ وـنـعـيمـهـاـ وـجـنـتـهـاـ لـاـنـقـلـةـ هـاـ أـبـداـ
كـمـ قـالـ تـعـالـىـ (ـيـوـمـ تـجـدـ كـلـ نـفـسـ مـاعـمـلـتـ مـنـ خـيـرـ مـحـضـرـاـ)

وـإـذـاـ كـانـتـ أـعـمـاـلـهـاـ سـيـئـةـ وـسـيرـتـهـاـ جـائـرـةـ وـأـرـأـوـهـاـ فـاسـدـةـ وـأـخـلـافـهـاـ رـدـبـةـ
وـمـعـارـفـهـاـ باـطـلـةـ أـكـسـبـتـهـاـ هـذـهـ الـخـصـالـ صـورـةـ قـبـيـحـةـ سـيـجـةـ وـحـشـةـ وـهـيـ لـاـ تـحـسـ
بـهـاـ مـادـامـتـ مـرـبـوـطـةـ بـالـجـسـدـ مـشـغـلـةـ بـالـمـحـسـوـسـاتـ مـسـتـرـوـحـةـ إـلـىـ بـهـيـجـةـ الطـبـيـعـةـ
وـزـيـنـةـ الـهـيـوـيـيـ فـإـذـاـ جـاءـتـ سـكـرـةـ الـمـوـتـ وـحـسـرـةـ الـفـوـتـ بـالـحـقـ إـلـىـ لـابـدـ لـكـلـ
شـخـصـ مـنـ ذـلـكـ وـلـكـلـ أـجـلـ مـسـمـيـ وـهـيـ مـفـارـقـةـ النـفـسـ الـجـسـدـ فـارـقـتـهـ عـلـىـ رـغـمـ
مـنـهـاـ جـبـراـ وـقـهـراـ وـبـطـاتـ آـلـاتـ الـحـوـاسـ إـلـىـ تـذـالـ بـهـاـ الـلـذـاتـ الـجـمـانـيـةـ وـبـقـيـتـ
فـارـغـةـ نـفـارـتـ عـنـدـ ذـلـكـ إـلـىـ ذـاتـهـاـ فـرـأـتـ مـاعـمـلـتـ مـنـ سـوـءـ مـحـضـرـاـ وـتـحـيـرـتـ وـهـيـ
صـورـةـ قـبـيـحـةـ سـيـجـةـ وـحـشـةـ وـأـنـتـمـ وـحـزـنـتـ وـاسـتـوـحـشـتـ (ـأـذـلـكـ يـرـيـمـ اللـهـ
أـعـمـالـهـمـ حـسـرـاتـ عـلـيـهـمـ) وـوـدـتـ أـنـ لـوـ كـانـ بـيـنـهـاـ وـبـيـنـهـ أـمـدـأـ بـعـيـدـاـ وـتـبـقـىـ عـلـىـ تـالـكـ
الـحـالـةـ مـتـأـلـمـةـ مـعـذـبـةـ فـيـ ذـاتـهـاـ فـذـلـكـ هوـ جـزـأـهـاـ وـأـلـيمـ عـذـابـهـاـ وـجـحـيـمـهـاـ وـعـقـابـهـاـ
كـمـ قـالـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ أـنـاـ هـيـ أـعـمـالـكـ إـلـىـ تـرـدـ إـلـيـكـ وـكـمـ قـالـ اللـهـ تـعـالـىـ
(ـوـأـنـ لـيـسـ لـلـاـنـسـانـ إـلـاـ مـاسـعـيـ وـأـنـ سـعـيـهـ سـوـفـ يـرـىـ) (ـإـنـ الـأـبـرـارـ لـفـيـ نـعـيمـ
وـإـنـ الـفـجـارـ لـفـيـ جـحـيـمـ) فـأـمـاـ أـصـحـابـ الـمـيـنـ فـفـيـ سـدـرـ مـخـضـودـ وـأـمـاـ أـصـحـابـ
الـشـمـالـ فـفـيـ سـمـومـ وـجـيـمـ . وـفـقـكـ اللـهـ وـإـيـانـاـ وـجـيـعـ اـخـوـانـاـ لـاـسـدـادـ وـهـدـاـكـ وـإـيـانـاـ
وـجـيـعـ اـخـوـانـاـ سـبـيلـ الرـشـادـ وـصـلـىـ اللـهـ عـلـىـ النـبـيـ مـحـمـدـ وـآـلـهـ الـإـمـاجـادـ

(ـتـمـتـ رـسـالـةـ نـشـوـءـ النـفـسـ وـيـتـلـوـهـاـ رـسـالـةـ طـافـةـ الـأـنـسـانـ فـيـ الـمـعـارـفـ)

الرسالة الرابعة عشرة

من الجسمانيات الطبيعيات

في بيان طاقة الانسان في المعرف والى أي حد هو ومباغه من العلوم
والى أي غاية ينتهي وأي شرف يرتفع
﴿ وهي الرسالة الثامنة والعشرون من رسائل اخوان الصفا ﴾



الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . آللله خير أما يشركون
﴿ فصل ﴾

اعلم أنها الاخ أيدك الله وإيانا بروح منه بانا قد فرغنا من بيان كيفية نشوء
الانفس الجزئية في الاجساد البشرية فنريد أن نذكر في هذه الرسالة طاقة الانسان
في المعرف والى أي حد ينتهي فنقول .

اعلم ان الله تعالى لما خلق جسد آدم عليه السلام أبى البشر من التراب
وصوره في أحمر تقويم وأحسن صورته وأحكم بنديته ثم نفع فيه من
روحه صار ذلك الجسد الترابي بتلك الروح الشريفة حيأعالماً قادرآً ثم فضلها
بما علمه من الأسماء على بعض الملائكة لاعاليهم كاهم وأمرهم بالسجود له من أجل
تلك الروح الشريفة التي نفع فيه لامن أجل الجسد الترابي وابليس اللعين لما نظر
إلى الجسد الترابي وعرف ورأى تلك الروح الشريفة الفاضلة العاملة قال (أنا

خير منه خلقتني من نار وخلقه من طين) اذ النار خير من التراب لأن النار جسم مضىء متحرك يطلب الملو والترب جسم مظلم ساكن يطلب السفل وكان هذا منه قياساً خطأ لأن السجود لم يكن لاجسد الترابي بل لتلك الروح الشريفة لأن الانسان اهوا يأكل ويشرب وينام من أجل الجسد ويتحرك ويحسن ويتكلم ويعلم بالنفس الشريفة التي من أمر الله

ثم اعلم ان العلم غذاء للنفس وحياة هاماً كما ان الطعام وجميع المتناولات غذاء وشراب لاجسد وحياة له

ثم اعلم ان العلم بالأشياء بعضه طبيعي غوريزي مثل ما يدرك بالحواس ومثل مافي أوائل العقول وبعضه تعليمي مكتسب مثل الرياضيات والآداب وما يأتى به الناموس .

فن الناس من لا يرغب في التعليم والتآدب بل يتكل على ماتدركه الحواس أو مافي قرائع العقول

ومنهم من يرغب في التعلم والتآدب لكن من الناس من لا يقبل من العلم الا ما يتصور في نفسه او يقوم عليه برهان هندسى او منطقي .
ومنهم طائفة لا تقبل الا ما يدل عليه قول الشاعر وطائفة لا تقبل الا برواية وخبر ، ومنهم طائفة لا تقبل الا بالاحتجاج والجدل . و منهم من يرضى بالتقليد ويقمع بذلك .

ويتبين لنا أن نبين مبلغ قوة الانسان في ادراك المعلومات والمحسوسات الى أي نهاية وهي جده وعلاقته في معرفة حقائق الأشياء والى أي حد ينتهي لأن في الناس طائفة من العقلاة لما تفكروا في حدوث العالم وبخوضوا عن العلة الموجبة لكونه بعدان لم يكن لم يعرفوها ولم يتصوروا في عقولهم بهذه كون العالم فدعهم جهلهم عند ذلك الى التول بقدم العالم و منهم من لاح له شئ غير ما لاح للآخر فاختلت أقوالهم في حدوث العالم والعلة الموجبة لكونه بحسب ما لاح لواحد واحد ونحن قد بدأنا في رسالة لنافي المبادئ ما تلك العلة فأعرفها من هناك

﴿فصل﴾

ثم اعلم أن من تفكير في كيفية حدوث العالم وعنة حدوثه بعد ان لم يكن يريد أن يعرفها أو يتصور كيف كان ذلك وهو جاهل لا يعرف كيفية تركيب جسده ولا يتفكر في بنية هيكله ولا يدرى كيف كان بهذه كون ذاته ولا يعلم ماهية جوهر نفسه ولا كيفية ارتباطها بجسمه ولا لأى علة ربطت به بعد إن لم تكن مربوطة ولا لأى علة تفارق الجسد في آخر العمر عند انتفاء الأجل ولا تدري أين تذهب اذا فارقت الجسد ولا من أين جاءت قبل ذلك هو يريد أن يعرف بهذه كون العالم وكيفية حدوثه وما تملك العلة الموجبة لكونه مع جهله بما ذكرنا من هذه الاشياء التي هي أقرب الى فهمه وأسهل لتعلمه وأمكن لتصوره فمثله كمثل رجل لا يطيق حمل مائة رطل فهو يتکاف حمل الف رطل أو كمثل من لا يقدر على المشي وهو يريد أن يعود أو من لا يضر يده اذا أخرجها وهو يريد أن يرى ما وراء الحجب

ثم اعلم أنه اذا اعتبر أحوال الانسان ومجاري أمره من ذلك وحال جسنه فإنه متوسط بين الصغر والكبر فلا صغير جداً ولا كبير مفرطاً، فمكذا حال بقائه فهو لا طويل العمر في الدنيا ولا قصير المدة فيها

وهكذا حال وجوده فلا هو متقدم الوجود على الاشياء ولا متاخر عنها لأن من الموجودات ما هو أقدم وجوداً منه كالاركان والافلاك ومنها ما هو متاخر الوجود عنه كالموجودات الصناعية

وهكذا حال مكانه متوسط فلا هو من الطرف الاقصى من العالم ولا هو في المركز سواء

وهكذا حال رتبته في الشرف والدمة متوسط لأن من الموجودات ما هو أشرف منه كالملائكة المقربين ومنها ما هو أدنى منه كالبهائم وهكذا حاله في القوة والضعف متوسط ، فلا هو قوي متن ، ولا ضعيف

مهين لأن من الحيوانات ما هو أقوى منه كالأسد ، ومنها ما هو أضعف منه
كالحيوانات الصغار

وهكذا حاله في الجهل والعلم متوسط ، فلا هو راسخ في العلم كالملائكة ولا
هو جاهم وهم كلهم

وهكذا حال معلوماته متوسط المقدار بين الطرفين . وذلك أن الإنسان غير
محبط بالأشياء المفرطة الكثيرة كتضاعف العدد الكبير وهو مدرك للأشياء
القليلة كالجزء الذي لا يتجزأ الذي هو في جذر العشرة وما شاكله

وهكذا حال قدرته على الموزونات فإنه لا يمكنه وزنها إلا متوسط منها بين
الثقيل المفرط الثقل كالجبال وبين الخفيف النذر الخفة كالذرة

وهكذا حال قدرته على مساحة الأبعاد والمقادير لا يقدر على مساحة إلا
المتوسط منها بين الواسع المفرط السعة كالبراري والبحار وبين الضيق اللطيف
كجرم الإبرة وجسم الخردلة

وهكذا حال ذوة حواسه على ادراك المحسوسات فلا يحس منها إلا متوسطات
بين الطرفين

وذلك أن القوة الباقر لا تقوى على ادراك الألوان فيظلمة الظلاماء ولا
على ادراكها في النور الباهر كالنظر إلى عين الشمس في نصف النهار في
يوم الصيف

وهكذا قوة السمع لا تطبق استماع الصاعقة لشدتها وجلالتها ولا تقوى أيضاً
على ادراك دبيب الخلقة لخفافتها وخفوها

وهكذا القوة الذائقة والقوة الشامة والقوة اللامنة لا تقوى على ادراك
محسوبيها إلا متوسطات منها وذلك أن الحر المفرط والبرد المفرط يفسدان المذاق
ويخرجانه عن الاعتدال

وهكذا الطعم المفرط . وهكذا الرائحة المفرطة يفسدان آلات الحواس وغيران

المزاج والاحساس وهذا يكون من اعتدال المزاج وقد بينا في رسالة لنا كيفية ادراك الحواس لحسوتها واحدا واحدا فاعرفه من هناك وهكذا قوة علم الانسان ومعرفته بالامور الماضية وأخبار الماضين مع الزمان البعيد لا يمكنه عالمها الا ما قرب كونه من زمانه مثل معرفتنا بآبائنا وأجدادنا القريبين منا ومثل عالمنا بأخباربني اسرائيل وما كان بعد الطوفان أو قبل ذلك الى آدم عليه السلام

فاما ما كان قبل آدم عليه السلام من أخبار الملائكة وقصة الجان الذين كانوا يفسدون في الارض قبل خلق آدم عليه السلام فليس البشرعلم بهوا لهم ميل الى معرفتها الا من طريق الوحي عن الملائكة تسلیما

وهكذا علم الانسان بالامور الآتية في الزمان المستقبل لا يمكنه معرفتها والاستدلال على كونها بدلائل النجوم الا ما يكون قريب الكون مثل استدلال المنجمين بالقراءات التي تكون في كل عشرين سنة مرة وفي كل مائتين واربعين سنة مرة ، وفي كل تسعمائة وستين سنة مرة

وأما القراءات التي تكون في كل ثلاثة آلاف وثمانمائة واربعين سنة مرة وفي كل سبعة آلاف سنة فليس على معرفة الاستدلال بها على الكائنات سبيل البعدها من الزمان المستقبل

ومكذا قوة عقل الانسان متوسطة لا يقوى على تصور الاشياء المعقولة إلا ما كان متوسطاً بين الطرفين من الجلالة والطفاء . وذلك لأن من الاشياء المعقولة ما لا يمكن عقل ادراكه واحتاطة العلم به جلالته وشدة ظهوره وبيانه ووضوحه مثل جلالة الباري عز وجل فإنه لا يقوى عقل الانسان على ادراكه وإحاطة العلم بعاهية ذات جلالته وشدة ظهوره ووضوح بيانه لا خفاء ذاته وشدة كيانه

ومثل عجز الانسان عن تصور صورة العالم بكليته لشدة كبره وظهوره لصغره

وخفائه ومثل عجزه أيضاً عن ادراك الصور المجردة عن الظيواني لشدة صفاتها ولطافتها ونفوذها في الاشياء

ومن الاشياء مالا يعنى ادراكها وتصورها لخفائها ودقتها وصغرها مثل الجزء الذي لا يتجرأ ومثل الظيواني الاولى المجردة من الصور والكيفيات ومثل عجزه أيضاً عن معرفة كيفية تصور الجنين في الرحم وخلق الفرج في جوف الببيضة والحب في الغلف والثمر في الاكمام

ثم اعلم أن هذه الاشياء التي تدرك حسناً مفروغ من صنعتها فاما في وقت تكوينها فالحس لا يدركها والوقت لا يتصورها فمن يريد أن يعلم كيفية حدوث العالم وعلة كونه فينبغي أن يتذكر أولاً في هذه الاشياء فيعلمها ويتصور كيفية حدوثها، ثم بعد ذلك يتذكر في كيفية حدوث العالم وعلة كونه فمن ادعى أنه يعرف ذلك فليخبرنا عن صورة العالم كيف هي على ما هي عليه الآن لأن حواسه هي تبادرها وتشاهدها ودع ما كان مضى مع الزمان الماضي لنساته عن ذلك أو الذي يكون في الزمان المستقبل كيف يكون أو فليخبرنا عن علة كثرة الكواكب وعلة أبعادها ومقاديرها واعظامها وحركاتها وما هي عليه الآن وما العلة في ذلك أو فليخبرنا عن الحجرة وما هي فإنما لم نجد إلى وقتنا هذا أحداً من الحكماء قد قال فيها قوله مرضياً أو فليخبرنا عن شيء واحد وهو الأرض الذي رأه في وجه القمر ما هو والناس يشاهدونه دائمًا ودع ما لا يشاهدونه من كون العالم أو فليخبرنا عن علة اختلاف أجناس المعادن وأشكال الناس وهي كل الحيوان بما هي عليه الآن وما العلة في ذلك

* فصل *

ثم اعلم أنه ليس الى معرفة عمل هذه الاشياء وصول الا أن تؤخذ من الانبياء عليهم السلام تقلیداً كما أخذوها عن الملائكة تسليماً

ثم اعلم أن نسبة علم البشر الى علم الملائكة ومعرفتهم كنسبة علم حيوان البحر

إلى حيوان البر ومعرفتها بأمورها وكلم حيوان البر إلى علم البشر ومعرفته بأمورها وذلك أن حيوان الماء لها حس وحركة وتميز تتصرف فيها من طلب غذائها ومصالحها ومنافعها والهرب من عدوها وعرفانها ذكرانها وأناثها وأبناء جنسها

فأما احساسها بأحوال حيوان البر ومعرفتها بأمورها فليس لها إلى معرفة ذلك إلا شيء يسير

وهكذا حيوان البر بأحوال البشر ومعرفتها بأمور الناس فليس لها إلا شيء يسير

وهكذا علم البشر بأحوال الملائكة ومعرفتهم بأمور الذين في فضاء الأفلاك وطبقات السماوات فليس لهم بها علم إلا شيء يسير

وهكذا أحوال الملائكة في مراتبها ومقاماتها متفاوتة متباينة الأولى فالأول والأشرف فالشرف وفوق كل ذي علم عليم وإلى ربك المنتهي كما أخبر عز وجل عن أحوال الملائكة في مراتبها ومقاماتها فقال تعالى « قل هو نبوء عظيم أنتم عنه معرضون ما كان لي علم بالملائكة الأعلى اذ يختصمون » وقال في حكاية عن الملائكة « وما منا الا كله مقام معلوم وانا لنجن الصافون وانا لنجن المسبحون » وقال « لا يعلم جنود ربك الا هو وما هي الا ذكري للبشر » يعني أجناس الملائكة وقبائل الجن والانسان والحيوانات أجمع

ثم اعلم ان علم جميع الخلائق بالنسبة إلى علم الله تعالى ليست الا كالجزء اليسير كما قال تعالى « ولو ان ما في الاوض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعد سبعة ابخر ما تقدت كلامات الله » يعني علم الله قال « ولا يحيطون بشيء من عالمه الا بما شاء » ونحن قد جعلنا هذه الرسالة تنبئها لاخواننا على نهاية مبلغ طاقة الانسان في العلوم والمعارف وتوبيخاً لا قوام جهال يعارضون العلماء بالكلام والجدال ويسألونهم عن علل اشياء ليس في طاقة الانسان معرفتها وهم قد

ترکوا البحث عن أشياء واجب عليهم تعلّمها والبحث عنها ثم لا يسألون عنها ولا
يتفكرُون فيها لجهلهم

* فصل *

اعلم انه ليس من علم ولا عمل ولا تجارة الا وبين اهلها فيها منازعة وخلف
عن ذلك الخلاف الذي بين العلماء في حدوث العلم وقدمه وهو طائفة الفلسفية
والشريعة فالأنبياء عليهم السلام كلهم يرون ويعتقدون ان عالم الاجسام محدث
لا شك فيه

وهكذا يرى بعض الفلاسفة الفضلاء الراسخون في العلم فأما المخالفون الناقصون
فشكّون فيما يقولون متّهبون فيما يزعمون من قدم العالم
وهكذا حكم كثير من أتباع الأنبياء عليهم السلام والمقربون بما خبرت به
فأئمهم شاكون أيضاً فيما يتّلدون ومتّهبون فيما يعتقدون وأعيذك أيها الاخ
الفضل بالله ان تكونون منهم لأن ما مثلهم في هذه الرسالة وما يختلفون فيها الا
كمثل أولئك الصبيان الاغبياء البليه الجهلاء

وذلك أنه كان رجل حكيم له أولاد صغار وكان فيهم جماعة أذكياء فهؤلاء
نجباء وكان فيهم جماعة أغبياء به جهلاء فنظر أولئك الاخوة يوماً في بعض
خزائن أثيبيم فوجدوها مملوءة بالحلوة مختلفة الطعام والالوان والروائح والاشكال
فتأمّلواها وفكروا فيها فوقع في أفكارهم ان قالوا ألا ترى من عمل هذه العجائب
وصور هذه الاشكال ومن صنم هذه الالوان

فنـ كان منهم ذكياً فيها مدركاً نجيباً عالم انه عمل صانع حكيم . ومن كان منهم
غبياً أبله ساهياً خفي عليه ذلك وانغلق

ثم تفكـرـ الذين عـلـموـاـ أـنـهـ صـنـعـ الـحـكـيمـ أـرـىـ مـنـ أـيـ شـيـ عـمـلـهـ وـبـأـيـ شـيـ
صـورـهـ . فـنـ كـانـ مـنـهـ أـذـكـيـ وـأـفـهـمـ عـلـمـ أـنـهـ مـنـ شـيـ آـخـرـ عـمـلـهـ . وـمـنـ كـانـ دـوـنـهـ
فـيـ الـفـهـمـ وـالـذـكـاءـ خـفـيـ عـلـيـهـ ذـلـكـ

ثم تذكر الذين علموا أنه من أي شيء عملها زرى كيف عملها ولم صورها بهذه الأشكال ، فن كان منهم أذكي وأفهم وأنجح عقل ذات وتصورها وتحقق واستغنى عن سؤال لم وكيف . ومن كان منهم دون ذلك في المرتبة خفي عليه وقصر فهمه عنه وتوقف يتفكر ويترى في ذلك

ثم عند ذلك سألا أخوة لهم بالغين عاقلين عن هذه الحلاوة فأجابوا أنها عملها الحلواني ، فقالوا من الحلواني ، فقالوا صانع حكيم فهم من فهم وعقل وصدقهم ومنهم من خفي عليه لغباؤه فكذب وأنكر أذ لم ير الحلواني قبل ذلك ولا سمع بذلك

ثم سأله أولئك الأخوة الصغار أخوانهم الكبار بالغين العقلاء أترى من أي شيء عمل الحلواني هذه العجائب فأجابوهم أنه عملها من السكر والدهن والنشاء ، فهم من صدقهم أذ كان موفقاً هادئاً مؤيداً رشيداً ، ومنهم من كذب وأنكر أذ لم يروا هذه الأشياء عياناً ولم يمرون بها عقلاً

ثم قالوا أررنا منها شيئاً فقالوا لهم لم يبق للصانع منها شيئاً بل استعملها كلها فهم من كان موفقاً فصدقهم ومنهم من كذب وأنكر ولم يرشد

ثم أنهم سألوهم كيف عمل الحلواني هذه قالوا بني الدبكدان وأوقد النار ونصب الطنجير وصب فيه الدهن وطرح فيه السكر وحركتها باسطلام وعقدها بالنشاء ، فن كان منهم أذكي فهمما تصوره بجودة ذكائه وحسن روشه وفريحة قلبه وصفاء جوهر نفسه وضياء نور عقله ، ومنهم من عميت عليه الآباء أذ لم يكن له ذكاء ولا لقلبه صفاء ولا لنور عقله ضياء

ثم إن أولئك الأخوة اختلفوا فيما بينهم وصاروا فرقاً يتجادلون فيما بينهم في هذه المسألة ويتنازعون ويتخاصلون وانشبت بينهم نيران الفتنة والبغضاء ثم إن والدتهم الشقيق رثى لهم ورجهم لمارأى ما وقعوا فيه من المحننة والبلوى وأمر بعض أخوانهم العقلاء المستبصرين أن يكونوا قضاة وعدولاً بينهم ويقضوا الحكيم بارفق ما يقدرون عليه .

فقال لهم اذا سألكم اخوتكم وتحاكموا اليكم فيم يختلفون فيه فارسلوهم
ودلهم على ذلك فكان من جواب أولئك الاخوة القضاة اذا سئلوا عن عمل
هذه الخلافات اجابوا اخوتهما باهـا من عمل أـيهـم فـسـكـنـتـ نـفـوسـ اـولـئـكـ الـاخـوةـ
الصغار الى فـوـطـهمـ لـانـ مـعـرـفـتـهـمـ بـاـيـهـمـ اـقـرـبـ الـىـ فـهـمـمـ مـنـ مـعـرـفـتـهـمـ بـالـحـلـوـانـيـ
وـاـذـاـ سـأـلـوـهـمـ مـنـ أـيـ شـىـ عـمـلـ قـالـوـاـ لـاـ مـنـ شـىـ تـعـرـفـوـنـهـ فـسـكـنـتـ نـفـوسـهـمـ
الـىـ قـوـطـهـمـ اـكـثـرـ مـنـ سـكـونـهـمـ الـىـ قـوـلـ مـنـ اـجـابـ اـنـهـ عـمـلـ مـنـ السـكـرـ وـالـشـيرـجـ
وـالـنـشـأـ لـانـ الصـبـيـانـ قـدـ تـبـيـنـ لـهـمـ بـأـنـ أـشـيـاءـ كـثـيرـةـ مـاـ رـأـوـهـاـ بـعـدـ وـلـاـ عـرـفـوـهـاـ
وـاـذـاـ سـأـلـوـهـمـ كـيـفـ عـمـاـهـاـ وـكـيـفـ صـورـهـاـ قـالـوـاـ كـاـشـاءـ وـكـيـفـ شـاءـ
وـكـانـ هـذـهـ الـجـوـابـاتـ أـسـكـنـ لـنـفـوسـهـمـ مـنـ قـوـلـ مـنـ يـطـوـلـ فـيـ الـخـطـبـ وـقـالـ
كـيـتـ وـكـيـتـ وـفـعـلـ وـصـنـعـ

فـهـذـاـ مـثـلـ اـخـتـلـافـ الـعـلـمـاءـ فـيـ حدـوـثـ الـعـالـمـ وـقـدـمـهـ وـالـسـائـلـيـنـ لـهـمـ وـاـخـوـتـهـمـ
الـجـيـبـيـنـ عـنـهـ فـتـلـ الـعـالـمـ بـاـفـيـهـ مـنـ الـعـجـائـبـ وـمـارـقـ أـجـنـاسـ الـمـوـجـودـاتـ وـغـرـائـبـهـ
وـصـنـوـفـ صـنـاعـتـ الـمـصـنـوـعـاتـ كـمـثـلـ تـلـكـ الـخـرـازـةـ الـمـلـوـءـةـ مـنـ الـحـلـاوـةـ
وـمـثـلـ السـائـلـيـنـ عـنـ حدـوـثـ الـعـالـمـ وـكـيـفـيـةـ صـنـعـتـهـ وـعـنـ هـيـوـلـاهـ وـصـنـاعـهـاـ كـمـثـلـ
سـؤـالـ اـولـئـكـ الـاخـوـةـ الصـغـارـ الـضـعـفـاءـ الـعـقـولـ الـقـلـيلـ الـفـهـمـ .

وـمـثـلـ ذـلـكـ الـاخـوـةـ الـعـقـلـاءـ الـذـيـنـ سـئـلـوـاـ فـاجـابـوـ بـشـرـحـ طـوـبـيلـ فـأـوـقـعـوـاـ الـخـلـفـ
بـيـنـ الـاخـوـةـ كـمـثـلـ الـفـلـاسـفـةـ فـيـ أـجـوـيـهـمـ عـنـ كـيـفـيـةـ حدـوـثـ الـعـالـمـ وـالـهـيـوـلـيـ
وـالـصـوـرـةـ وـالـعـنـصـرـ وـالـطـبـيـعـةـ وـمـاـ شـاـكـهـاـ مـنـ الـاـنـفـاظـ الـفـرـيـمـةـ الـمعـانـيـ
الـبـعـيـدـةـ التـصـوـرـ

وـمـثـلـ اـولـئـكـ الـاخـوـةـ الـقـضـاءـ وـالـعـدـولـ فـيـ أـجـوـيـهـمـ كـمـثـلـ الـأـنـبـيـاءـ عـلـيـهـمـ
الـسـلامـ وـخـلـفـأـهـمـ

وـمـثـلـ ذـلـكـ الـابـ الشـفـوقـ الرـحـيمـ هوـ الـبـارـيـ تـعـالـىـ يـاعـثـ الـأـنـبـيـاءـ عـلـيـهـمـ
الـسـلامـ لـيـكـوـنـوـاـ قـضـاءـ بـيـنـ خـلـقـهـ فـيـ مـاـيـخـتـلـفـونـ فـيـهـ مـنـ هـذـهـ الـمـسـائـلـ وـيـجـبـوـنـهـمـ
بـحـسـبـ مـاـيـلـيـقـ بـعـقـوـطـهـ وـمـبـلـغـ فـهـمـ

﴿ فصل ﴾

ثُمَّ أَعْلَمُ إِنَّا قَدْ أَخْبَرْنَا عَنْ عَلَةِ حدوثِ الْعَالَمِ وَبَيْنَا كَيْفِيَّةَ صُنْعَتِهِ وَمَاهِيَّةُ
هَيْوَلَاهُ وَصُورَتِهِ فِي الْمَبَادِيِّ الْعُقْلَيَّةِ مُثْلِّاً مَا ذُكِرَ الْقَدِمَاءُ الْفَضَلَاءُ الْمُوَحْدُونَ
مِنْهُمُ الْقَائِلُونَ بِحدوثِ الْعَالَمِ

وَلَكِنْ يَحْتَاجُ النَّاظُورُ فِيهَا وَالسَّائِلُ عَنْ هَذِهِ الْمَسَائلِ أَنْ تَكُونَ لَهُ نَفْسٌ زَكِيَّةٌ
وَفِيهِمْ دَقِيقٌ وَقُوَّةٌ رُوَيْدَةٌ وَجُودَةٌ تَصُورٌ رُوْحَانِيَّةٌ كَمَا يَفْهَمُهُمْ فَإِنْ لَمْ يَفْهَمُهُمْ مَا وَصَفَنَا
فَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَقْنَعَ بِمَا قَالَتِ الْفَلَاسِفَةُ أَنَّ الْعَالَمَ مَعْلُومٌ وَعَلَيْهِ الْبَارِي وَرِبَّاً قَالَتِ
الْأَنْبِيَاءُ بِأَجْمِعِهَا عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَنَّ الْعَالَمَ بِأَمْرِهِ مُخْلُوقٌ وَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ خَالِقُهُ
وَمُبْدِعُهُ وَمُخْتَرُهُ

فَإِنْ لَمْ يَعْقُلْ مَا قَالَتِ الْفَلَاسِفَةُ وَمَا أَخْبَرْتُ عَنْهُ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَلَمْ
يَقْبَلُوهُمْ وَلَمْ تَسْكُنْ نَفْسَهُمْ إِلَى حُكْمِهِمْ وَلَمْ يَطْمَئِنُ إِلَى قَوْلِهِمْ وَيَسْكُلُ عَلَى مَا تَخْيِلُهُ
الْقُوَّةُ الْوَهْمِيَّةُ فَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَيْضًا أَنْ يَشْقَى بِحُكْمِهِمْ وَلَا أَنْ يَسْكُنَ إِلَى تَخْيِلِهِ لَا نَهُ
تَخْيِلُ مَا لَهُ حَقِيقَةٌ وَمَا لَهُ حَقِيقَةٌ لَهُ فَلَا يَوْنَقُ بِهِ وَلَا يَحْكُمُ بِصَحَّتِهِ كَمَا لَا يَقُولُ وَلَا
يَحْكُمُ بِصَحَّةِ الْقُوَّةِ الْبَارِصَةِ إِذَا أَرْتَكُلُونَ شَيْءًا مِنَ الْطَّعَامِ بِأَنْ تَحْكُمُ عَلَى حَقِيقَتِهِ
إِلَّا بَعْدَ أَنْ تَسْتَعِينَ بِالْقُوَّةِ الْإِشَامَةِ فَإِنْ عَرَفْتَ حَقِيقَتَهُ وَلَا اسْتَعِنْتَ بِالْقُوَّةِ الْذَّائِقَةِ

فَهَكُذا يَنْبَغِي لَكَ يَا أَخِي إِذَا شَكَكْتَ فِي مَسَأَةٍ مُشَكَّلةٍ أَنْ لَا تَنْقِبْ بِنَفْسِكَ
دُونَ أَنْ تَسْتَشِيرَ فِيهَا إِخْرَانَكَ الْكَرَامَ الْفَضَلَاءَ كَمَا تَسْتَعِينَ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ
تَنْهُضْ بِشَيْءٍ مِنْهَا بِإِخْرَانِكَ وَجِيرَانِكَ وَاصْدَقَائِكَ الْفَضَلَاءِ الْكَرَامِ
فَهَكُذا يَجِبُ أَنْ تَكُونَ سِيرَتَكَ فِي أَمْرِ الدِّينِ وَ طَلْبِ الْآخِرَةِ وَفِتَكَ
اللَّهُ أَيْهَا الْأَخْلَقُ لِلْسَّدَادِ وَهَدَاكَ إِلَى سَبِيلِ الرِّشادِ وَجِمِيعِ إِخْرَانِكَ كَانُوا فِي الْبَلَادِ

﴿ فصل ﴾

ثُمَّ أَعْلَمُ إِنَّ الْحُكَّمَاءَ الْأَوَّلِينَ قَدْ تَكَلَّمُتِ فِي فَنُونِ مِنَ الْعِلُومِ وَضَرُوبِ مِنْ

الآداب وغرائب من الحكم كثيرة لا يحصى عددها الا الله الواحد القهار
 فنها من تكاليم في تركيب الافلاك واحكام النجوم
 وتتكلموا أيضاً في الطب والطبايع والكائنات التي تحت فلك القمر وقوم
 من العلماء الشرعيين ينكرون أكثره
 أما لقصور فهمهم عما وصف القوم أو لتركهم النظر فيها واشتغالهم بعلم
 الشرع واحكامه أو لعناد يبنهم
 وكذلك أيضاً أن أكثر من ينظر في العلوم الحكيمية من المبتدئين فيها
 والمتسطفين من بينهم يتهاونون باصر الفاموس وأحكام الشريعة ويزرون بأهله
 ويأتقون من الدخول تحت أحكامه الا خوفاً وكرهاً من قوة الملك الذي هو
 أخ النبوة .

كل ذلك لقصور فهم الفريقيين جيئاً عن معرفة حقائق هذه الاشياء المذكورة
 ولقلة عالمهم أيضاً باهيات الكائنات
 ولما كان مذهب اخواننا الفضلاء الكرام النظر فيها جيئاً والكشف
 عن حقائق اشيائها أعني العلوم الحكيمية والنبوية جيئاً
 وكان هذا العلم بحراً واسعاً وميداناً طويلاً احتاجنا أن نتكلم في مادعت
 الضرورة الى عمل هذه الرسائل التي هي إحدى عشر وخمسين رسالة والكلام
 فيها بأوجز ما يمكن وايراد النكت التي هي الاب ولامفهم ذلك الابامتال تضرب
 ليقرب من فهم المبتدئي النظر في العلوم وتسهل تصور الحقائق للمتأملين
 ثم اعلم ان العلوم الحكيمية والشريعة النبوية كلها أمران اهيان يتفرقان في
 الغرض المقصود منهما الذي هو الاصل ويختلفان في الفروع
 وذلك ان الغرض الاقصى من الفلسفة هو ما قبل أنها التشبيه بالله بحسب
 طاقة البشر كما بينا في رسائلنا اجمع وعمدتها أربع خصال أولها معرفة حقائق
 الموجودات والثانية اعتقاد الاراء الصحيحة والثالثة التخلق بالاخلاق الجميلة
 والرابعة الحميدة والرابعة الاعمال الزكية والافعال الحسنة

والغرض من هذه الخصال هو تهذيب النفس والترقي من حال النقص الى التام والاظروج من حد القوة الى الفعل بالظهور لتنازل بذلك البقاء والدوان والخلود في النعم مع ابناء جنسها مع الملائكة وهكذا الغرض من النبوة والناموس هو تهذيب النفس الانسانية واصلاحها وتخلصها من جهنم عالم الكون والفساد وايصالها الى الجنة ونعم اهلها في فسحة عالم الافلاك وسعة السموات والتنسم من ذلك الروح والريحان المذكور في القرآن فهذا هو المقصود من العلوم الحكيمية والشريعة النبوية جميعاً وأما اختلافهما في الطرق المؤدية اليها فن أجل الطبائع المختلفة والاعراض المتغيرة التي عرضت للنفوس ، وبذلك اختلفت موضوعات النواميس وسنن الدياقات ومفروضات الشرائع كما اختلفت عقائد الاطباء وعلاجاتهم بحسب اختلاف الامراض العارضة للاجساد من الاكلام والاواعز وبحسب اختلاف الازمنة والاماكنة ومثال آخر في اختلاف سنن الدياقات النبوية والفلسفية جميعاً وفنون مفروضات النواميس والمقصد واحد كاختلاف طرقات القاصدين نحو بيت الله الحرام وتوجههم شطره بحسب مواضع بلدانهم ومرافقهم ومرافقهم من البيت شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً كما يبينا في رسالة جنرافيما .

﴿فصل﴾

ثم اعلم أن الموجودات كلها نوعان كافية وجزئية
الموجودات الكلية الدائمة الوجود والبقاء لأنها ابتدأت في الترتيب من
أشرفها وأتمها إلى أدنىها وأنقصها كما يبينا في رسالة المباديء العقلية
الموجودات الجزويات دائمة في الكون متوجهة نحو التام لأنها تبتعد
بالكون من أنقص الوجود متوجهة إلى أتم الوجود ومن أدون الاحوال متropicة
إلى أشرفها وأتمها
ثم اعلم ان الانسان هو من الامور الجزوية وهو مجموع من جواهرين أحدهما
هذا الجسد الجساني والآخر هو النفس الروحانية فانقض حالات جسده ابتدأوه

من النطفة متوجها الى أن يصير رجلا جلدا وأنقص حالات نفسه وأدونها أن تكون ساذجة لا تعلم شيئا كما قال الله تعالى : « والله أخر جكم من بطون امهاتكم لاتعلمون شيئاً » وأتم حالاتها أن تخرج كل مافي قوتها من الفضائل الى الفعل وهو أن يصير الانسان مؤمنا حقا عالما ربانيا حكما فيلسوفا محققا كما قال تعالى « وعلمتم مالم علموا أنتم ولا آباءكم » وقال : « علم الانسان مالم يعلم » وقال : كونوا ربانين

ثم اعلم أن كل عمل متقن فن صانع حكيم في أولية العقل وكل فاعل حكيم فله في فعله غرض ما والغرض هو غاية يسبق اليها وعم النفس واذا باع الفاعل الى الغاية قطع الفعل

ثم اعلم ان دوران الافلاك فعل متقن ففاعله اذا حكيم فله اذا في ادارة الافلاك غرض ما فان كان قد بلغ الى غرضه فسبيله أن يقطع الفعل ليقف الفلك عن الدوران

فاما الاجسام فان افضلها ما كان يظهر عنه افضل فعل واجل النقوس ما بدار منها العلم وزال عنها الجهل

ثم اعلم ان الذي ما يأك كل الانسان هو العسل وانعم ما يلبس هو الابریسم فان كان الفاعل لها هي الدودة والزناير فادا اصغر الاجسام اكرمتها فعلا . وقد قام البرهان بان الجسم لا يفعل له البتة

ولا يخفى عليك بان الزرع والشجر في اخراج الحب والثمر وغايتها الحصاد و تمام الغرض منها بعد ذلك تمام الحيوان في الادراك وغايتها النتاج وحصاده وصرامة الموت

فالفرض من الحيوان اذا بعد الموت كذلك الحب اذا لم يتم ولم يستحكم قبل حصاد الزرع لا ينتفع به بعد الحصاد كذلك الثمر اذا لم ينضج وينعقد قبل اخراجه لم ينتفع فيما يراد منه

وهكذا حكم النفس الإنسانية اذا هي لم تم بالمعارف الحقيقة صورتها ولم تستم بالأخلاق الجميلة جوهرها ولا بالآراء الصحيحة عقلها ولا بالأعمال الرازية ذاتها في الدنيا، لا تنتفع بعد مفارقة الجسد بحياتها ولا تستقل بذاتها ولا تتلذ بالنعم في الآخرة على التمام والكمال كما أن الجنين اذا لم تستم في الرحم خلقته ولم تستكمل هناك صورته لا ينتفع بالحياة في الدنيا

فيكذا حكم النفس لأن موت الجسد ولادة النفس كما أن الطلاق ولادة الجنين فاتتبه إليها الأخ من نوم الغفلة ورقدة الجهالة فان الفرض في ذلك أن تصير ملكا بالفعل فاجمهد غاية الجهد وقو ظهرك بالحبيل المتين واعتصم بحبل الله « والذين جاهدوا فينا لهم نعم سبلنا وان الله لمع الحسنين » واجمهد أن تتوجه نحو الصراط المستقيم اذ ذلك أقرب طرق من الخط المعوج الى الفرض الاقصى لتناول بذلك السعادة وبقاء الأبد وتتلذذ بذلك النعيم من الروح والريحان والمحور والغمامان وفقك الله ويا نا وجميع اخواننا للسداد انه رءوف بالعباد وبحق محمد وآل الامجاد صلوات الله عليهم الى يوم التناد

تمت الرسالة في بيان طاقة الانسان ويتوهها رسالة حكمة الموت والحياة

الرسالة الخامسة عشرة

من الجسما نيات الطبيعيات

في حكمة الموت والحياة

وهي الرسالة التاسعة والعشرون من رسائل اخوان الصفا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الله خير أمة يشركون

﴿ فصل ﴾

اعلم أيها الاخ البار الرحيم أيدك الله وإيانا بروح منه انه لما فرغنا من بيان طاقة الانسان في المعارف الى اي حد تنتهي وبيننا الغرض من التواضيس الشرعية النبوية والعلوم الحكمة الحقيقة وهو تهذيب النفس خسب واستدعاء الخلق الى الله تعالى فبرأى أن نذكر في هذه الرسالة ماهية حكمة الموت والحياة وما الحكمة في وجودهما

فنقول اعلم أن افتتاح جميع العلوم الحقيقة هو في معرفة الانسان نفسه . ولما كان الانسان هو جملة مجموعة من جوهرين متبادرتين وأعراض تحملهما أحدهما هذا الجسد الجماني والأخر هو النفس الروحانية كما بينا في الرسالة التي ذكرنا فيها أن الانسان عالم صغير وكان جوهر النفس أشرف من جوهر الجسد صار عالم الانسان بجوهر النفس وأحوالها أشرف من عالمه بجوهر الجسم وأحواله . وقد بينا ماهية الجسم وصفاته المخصوصة به في رسالة الهيروى ورسالة الحاس والمحوس

ونريد أن نتكلم هنا في علم النفس وأحوالها فنقول : لما كان علم الإنسان ومحاجته بالمعلومات من تسعه أوجه كايننا في رسالة الصنائع العلمية وهي هل هو ، وما هو ، وكيف هو ، وكم هو ، وأين هو ، ومن هو ، ولم هو ، ومن هو كما يينا ذلك في رسالة قاطيفورياس ثم نريد أن نذكر من هذه المباحث في أسر النفس الجزئية الإنسانية طرفاً فنقول : ما هي ، وكيف هي ، وكم هي ، مع هذا الجسد وأين كانت قبل رباطها ، وكيف تكون حالها إذا فارقته ، ولم ربطة بالجسم ، وما الغرض في ذلك ؟

واعلم أنه قد يينا ماهيّها في رسالة العقل والمعقولات وكثيرها في رسالة العالم الإنسان كبير ، وأين كانت النفس الجزئية قبل رباطها بالأجساد في رسالة مسقعة النعافة ، وأين تكون إذا فارقت الجسد في رسالة البعث والقيمة ، ونريد أن نذكر في هذه الرسالة الملقبة بمكمة الموت كيف كونها مع الجسد ولم ربطة بالجسم ولم تفارقه .

ولما كانت الأنسنة الجزئية قوى منبعثة من النفس الكلية في الأُجسام الجزئية التي تحت فلك القمر احتجنا أن نذكر أولاً النفس الكلية التي هي نفس العالم بأسره ولم ربطة بالجسم الكلى الذي هو جملة العالم من أقصى فلك المحيط إلى منتهى مركز الأرض بعون الله تعالى

» فصل «

(في غرض ربط النفس الكلية بالجسم الكلى حسب ما تبين هنا)
فنقول أنه لما كانت الموجودات كلها مرتبة بعضها تحت بعض متعلقة في الوجود بالعلة الأولى الذي هو الباري تعالى كتعاقب العدد وترتيبه عن الواحد الذي قبل الآتين كما يينا في رسالة المباديء العقائية وكانت النفس أحد الموجودات وكانت مرتبتها دون العقل وفوق الجسم المطلق وكان الجسم فارغاً من الأشكال والصور

والنقوش والحياة قابلاً لها بالطبع ، وكانت النفس حية بالذات علامة بالقوة فعالة بالطبع ولم يكن من الحكمة الاهمية والعنوية الربانية أن ترك النفس فارغة غير مشغولة بضرب من الحكمة وأن يكون الجسم مع قبوله للعام عاطلاً ناقص الحال ولم يكن للنفس أن تتحكم على الموجودات التي فوق رتبتها الذي هو العامل الفعال عطافت النفس بواجب الحكمة على الجسم المطلق اذا كان دونها في الرتبة فتحكمت فيه بالتحريك له والشكل والتصاوير والنقوش والاصباغ ايمن الجسم بذلك وتكميل النفس أيضاً باخراج ما في ذمتها من الحكمة والصنائع الى الفعل والظهور والاظهار تشبهها بحكمة الباري تعالى اذا لم يقتصر على عالمه بالكائنات قبل كونها حتى أخرجها الى الوجود بعد العدم ليظهر الكل للجزاء ويشاهد الجزء الكل ويخرج ما في القوة من الحكمة والصنائع الى الفعل والظهور فن أجل هذا ربطت النفس الكافية بالجسم الكلي المطلق الذي هو جملة العالم من أعلى فلك المحيط الى منتهى مركز الارض وهي سارية في جميع أعلاه كهاؤركانه ومولاته ومدبرة لها ومحركة باذن الله تعالى وتقديس

﴿فصل﴾

(في سريان النفس الكافية في الجسم الكلي)

واعلم يا أخي أيديك الله وايانا بروح منه أنه اذا فاضت قوى النفس الكافية الفاكية في الجسم الكلي الذي هو جملة العالم الجساني ابتدأت من أعلى فلك المحيط متوجهة نحو مركز العالم وسررت في الأفلاك والكوناك والاركان الاربعة والوقات الزمانية أولاً فأولاً حتى اذا بلغت الى منتهى مركز العالم اجتمعت كلها هناك ويكون ذلك سبباً لكون الأجسام الجزئية الكائنة الفاسدة الى دون فلك القمر وهي الحيوانات والنبات والمعادن لأنها إذا علت إلى أقصى مدى غالياتها الذي هو الغرض الأقصى بطول الزمان وعطافت عند ذلك راجعة أعني تلك القوى نحو المحيط فيكون سبب بعث الأقسى الجزئية الإنسانية

الكلية من الأُجسام الفاضلة ، وهذا قول بجمل يحتاج أن نشرحه ونبين أيضًا
أن الموت حكمة

واعلم ان الحيوانات كلها تكره الموت وتحب الحياة ولكن من أجل أن
كثيراً من العقلا يقولون أن الموت حق وفي ذلك حكمة ولا يدرؤن ما تلك
الحكمة ويتحجرون بقوله تعالى « هو الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيمكم أحسن
عملاً » ولا يدرؤن معنى قوله تعالى وما المراد في ذلك ثم انهم مع افراهم بذلك
كلهم يحبون الحياة ويكرهون الموت ثم يذمون الحياة عند تنفيص العيش
ويتمون الموت عند الشدائيد احتاجنا أن نبين ما الموت وما الحياة ولم يكره الموت
وتحب الحياة وما الحكمة في خلقتهم

﴿فصل﴾ (في اعتبار الموت والحياة)

فاعلم انه اذا فكر العاقل العالم في تركيب هذا الجسد وما هو عليه من اتقان
البنية وأحكام الصنعة كما ذكر في كتاب التشريح وكتاب منافع الاعضاء بشرح
طويل من عجائب تأليف أعضائه وغرائب تركيبه وحسن هندام مفاصله وكيفية
تشعب الاعصاب الممتدة على أعضائه وعظامه المؤتلفة عليها المتمنكة بمفاصيلها
المنتشرة الى أطراف بدنها المنشأة منها الاوقاد الاليمنة الرقيقة للحس وللشعور
وكيفية تشعب العروق الواردة الى منشأها من عمق الكبد المنتشرة في خلل
الرحم الموردة للدم الى أطراف البدن وكيفية تشعب العروق الفاربة الى منشأها
من القلب المنتشرة في عمق البدن الموصولة للتبض الى أطراف الجسد وكيفية طبقات
بنية بدنها بعضها فوق بعض كما يبينا في رسالة تركيب الجسد والاواعية المعدة
للاغراض المختلفة لجر المنفعة او لدفع المضررة وكيفية ابتدائه من النطفة وتسيمه
في الرحم ونشؤه في أيام الصبي وتكتميله في أيام الشباب وتنضيجه في أيام الكهولة
غيرى أنه غاية الكمال والحكمة والصواب والاتقان

ثم اذا تفكـر في أيام الشـيخوخـة وفي ذهـاب قـوـته وـتـغـيـرات روـقـه وـادـبـارـه وـنـفـسـانـه ثم هـدـمـه بـالـمـوت وـتـغـيـرـه بـعـدـ ذـلـك بـالـاـنـفـاخـ والـذـنـ وـفـاسـدـه ، ثم كـيفـ يـبـلـيـ فيـ التـرـابـ وـيـضـمـحـلـ وـلـاـ يـعـرـفـ ماـ وـجـهـ الـحـكـمـةـ فـيـهـ فـيـتـحـيرـ وـيـتـشـكـلـ وـيـضـلـ عنـ الصـوـابـ . فـنـ اـجـلـ هـذـاـ اـحـتـجـنـاـ انـ نـذـكـرـ فـيـ هـذـهـ الرـسـالـةـ المـوـتـ وـالـحـيـاـ وـبـنـيـنـ ماـ الـحـكـمـةـ فـيـ خـلـقـهـماـ وـكـوـنـهـماـ

وـاعـلـمـ انهـ اـذـاـ فـكـرـ العـاقـلـ الـلـبـيبـ فـيـ خـلـقـةـ الـرـحـمـ وـحـالـ الـمـشـيـمةـ وـكـوـنـ الـجـنـينـ منـ النـطـفـةـ وـكـيـفـيـةـ ذـلـكـ الـمـكـانـ وـمـاـ قـدـ أـعـدـ هـنـاكـ مـنـ الـمـرـافـقـ وـالـمـرـافـلـ لـتـتـمـيـمـ الـخـلـقـةـ وـتـكـمـيـلـ الـصـورـةـ فـيـ رـاهـاـهـ فـيـ غـايـةـ الـحـكـمـةـ وـاتـقـانـ الصـنـعـةـ مـنـ الصـوـابـ وـمـاـ يـتـعـجـبـ مـنـهـ أـوـلـوـ الـأـلـبـابـ

ثـمـ اـذـاـ فـكـرـ فـيـ حـالـ الـوـلـادـةـ وـكـيـفـ يـنـقـلـ فـيـ الـرـحـمـ وـتـنـخـرـقـ الـمـشـيـمةـ وـتـنـقـطـعـ تـلـكـ الـأـوـتـارـ وـتـسـرـخـيـ تـلـكـ الـرـبـاطـاتـ الـتـيـ كـانـتـ عـسـكـ الـجـنـينـ هـنـاكـ وـكـيـفـ يـسـيلـ الـدـمـ وـالـرـطـوبـاتـ الـمـعـدـةـ الـتـيـ كـانـتـ هـنـاكـ لـمـرـافـقـهـ وـمـاـنـلـقـاهـ الـوـلـادـةـ مـنـ الـجـهـدـ وـالـشـدـةـ فـاـنـهـ يـرـىـ شـيـئـاـ يـدـهـشـ الـعـقـلـ وـيـخـيـرـ أـوـلـاـ الـإـبـارـ وـالـأـلـبـابـ

وـلـكـنـ لـمـ كـانـ مـنـ حـالـ مـاـ يـنـقـلـ إـلـيـ الـجـنـينـ مـنـ فـسـحةـ هـذـاـ الـعـالـمـ وـطـيـبـ نـسـيمـهـ وـاـشـرـاقـ أـنـوارـهـ وـمـاـ يـسـتـأـنـفـ الطـفـلـ مـنـ الـعـمـلـ فـيـ مـسـتـقـبـلـ الـعـمـرـ مـنـ لـذـةـ الـعـيـشـ وـلـمـتـعـ بـنـعـيمـ الـدـنـيـاـ وـاـذـاـقـدـرـ وـنـجـاهـ اللـهـ مـنـ ذـلـكـ الـمـكـانـ الضـيـقـ الـمـقـلـمـ النـاقـصـ الـحـالـ بـالـاضـافـةـ إـلـىـ أـحـوـالـ هـذـهـ الدـارـ مـنـ الـنـعـرـ وـالـنـقـابـ فـيـرـىـ اـنـ الـحـكـمـةـ وـالـصـوـابـ كـانـ فـيـ الـخـرـوجـ مـنـ هـنـاكـ

فـهـكـذـاـ يـنـبـغـيـ لـكـ يـأـخـيـ أـنـ تـعـتـرـفـ لـتـعـلـمـ أـنـ حـالـ الـنـفـسـ مـعـ الجـسـدـ كـحـالـ الـجـنـينـ فـيـ الـرـحـمـ وـاـنـ حـالـهـاـ بـعـدـ الـمـوـتـ كـحـالـ الطـفـلـ بـعـدـ الـوـلـادـةـ لـاـنـ مـوـتـ الجـسـدـ وـلـادـةـ الـنـفـسـ

وـكـذـلـكـ وـلـادـةـ الطـفـلـ لـيـسـ شـيـئـاـ سـوـىـ خـرـوجـهـ مـنـ الـرـحـمـ وـكـذـلـكـ وـلـادـةـ الـنـفـسـ لـيـسـ هـيـ شـيـئـاـ سـوـىـ مـفـارـقـةـ الـنـفـسـ اـيـاهـ

﴿ فصل ﴾

في ماهية الحياة

فنقول أعلم أن الموت والحياة نوعان جسدي ونفساني والحياة الجسدانية ليست شيئاً سوى استعمال النفس الجسد والموت الجسدي ليس شيئاً سوى تركها استعماله كما أن اليقظة ليست شيئاً سوى استعمال النفس الحواس وليس النوم شيئاً سوى تركه استعمالها

فاما النفس خياتها ذاتية لها وذلك أنها بمحورها حية بالفعل علامه بالقدرة فعالة في الأجسام والأشكال والنقوش والصور طبعاً وإن موتها هو جهازها بمحورها واغفلتها عن معرفة ذاتها وإن ذلك عارض لها من شدة استغراقها في بحث الهيولي ولبعد ذهابها في هاوية الأجسام ولشدة غرورها في الشهوات الجسمانية والناس أكثرهم لجهالاتهم بمحور نفوسهم وغفلتهم عن حياتهم الابدية لا يعروفون الا هذه الحياة الدنيا الجسدانية الدنية المقطعة «ومما الحياة الدنيا الامتناع الغرور» «إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكثر في الاموال والأولاد» فصاروا يريدون البقاء في الدنيا ويتمسكون بالخلود فيها كما قال تعالى :

«يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة غافلون» وقال يريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة (والآخرة خير وابقى) وقال «والآخرة خير لمن اتقى» وقال (وان الدار الآخرة هي الحيوان لو كانوا يعملون) وأيات كثيرة في ذم الذين يريدون الحياة الدنيا هي حياة الجسد ويفعلون عن الحياة الآخرة التي هي حياة النفس بالحقيقة وتلك حياة أبداً داماً فاما ماهية حياة الجسم فنقول: اعلم أن الجسد ميت بمحوره وإن حياته عرضية لتجاوزة النفس إيه كا ان الهواء مظلم بمحوره وإن ضياؤه باشراق نور الشمس عليه والقمر والكواكب والدليل على ان الجسد ميت بمحوره ما يرى من حاله بعد مفارقة النفس له كيف يتغير ويفسد ويلاشي ويرجع الى التراب كما كان بدليماً «منها خلقناكم وفيها نعيدكم

﴿ فصل ﴾

في غرض رباط النفس الجزئية بالجسد الجرئي

فنقول اعلم انما ربطت الأنفس الجزئية كما تکل بالريانة وتخرج ما في جوهرها من الحكمة والصنائع والفضائل من حد القوة الى حد الفعل لتم الاهيولى الجزئية

وتکل هي أيضاً وتبشّه ذلك الجزء بالكل وهو ان تتعلم النفس الجزئية السياسة والتدبر والتهدب بالأخلاق الجميلة والاراء الصحيحة والاعمال الركبة والمعارف الحقيقة.

وهكذا تشبه الجزء بالكل كما قيل في حد الحكمة انما التشبّه بالآخر بحسب الطاقة الانسانية

واذا بلغت النفس الانسانية الى اقصى مدى غايتها وكمات بما اظهرت من الفضائل وهدم الجسد نقلت هذه الانفس بعد مفارقة الجسد الى حالة أخرى ونشروا آخر اعلى وأشرف من هذا الجسد المؤلف من اللحم والدم والاخلاط الاربعة القابلة للكون والفساد كما قال الله تعالى « وتنشئكم فيما لا تعلمون »

ثم ان الله ينشيء النشأة الاخرة ، فت تكون نسبة تلك الحال الى تنقل اليها النفس بعد مفارقة الجسد بالإضافة الى هذه الحال كنسبة حال الجسد في الرحم الى الحال التي تنقل اليها بعد الولادة من فسحة هذا العالم وطيب نسمته واشراق نوره بالإضافة الى ظامة الاحشاء والمشيمة والرحم التي هي ثلاثة طلمات

ثم اعلم ان النفس لا تختس تلك الحال التي تنقل اليها الا بعد مفارقة الجسد كما ان الجنين لا يحس باحوال هذه الدنيا الا بعد الولادة

فن أجل هذا قال النبي صلى الله عليه وآله الناس نیام فإذا ماتوا انتبهوا واما نومهم غفلتهم عما بعد الموت

فإذا جاءت سكرة الموت بالحق التي هي مفارقة النفس الجسد وعاينت

الحقيقة التي كانوا بها يوعدون كما قال الله تعالى «فـ كـ شـ فـ نـا عـنـكـ غـ طـاءـكـ فـ بـ صـ رـ كـ الـ يـوـمـ حـدـيـدـ»

وقال لنبيه عليه السلام « واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » يعني الموت بعد مفارقة الجسد وقال « كل نفس ذائقة الموت ثملينا يرجعون »

فَإِذَا مَوْتٍ حُكْمَةٌ أَذْلَّ رَجُوعَهُ إِلَى رِبِّهَا الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِلَّا بَعْدَ الْمَوْتِ وَلَا
وَصُولَّ لِلنَّفْسِ إِلَى مَا وَعَدَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا بَعْدَ مُفَارِقَتِهَا الْجَسَدُ « يَا أَيُّهَا النَّفْسُ
الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً » فَإِذَا مَوْتٍ حُكْمَةٌ وَمِنْهُ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى
عَلَى عِبَادِهِ بِلِّ الْمَوْتِ سَبِيلٌ بِقَاءُ الْحَيَاةِ الْجَسَدَانِيَّةِ وَسَبِيلٌ فِنَاءِ الْجَسَدِ

* فصل *

في حكم الموت

والولادة أيضاً كون قد ابتديء ، والموت غايتها إلى إليها المتنهي ، وكما ان
عمره مسقط النطفة لا تكون الا بعد الولادة لأن الطفل لا يتمتع الا بعد الولادة
فهي كذا النفس لا تتمتع الا بعد مقارنة الجسد لأن موت الجسد ولادة النفس
وهي الروح

وذلك أن موت الجسد ليس شيئاً سوى مفارقة النفس له كائن ولادة الجنين
ليست شيئاً سوى مفارقة الرحم فإذا الموت حكمه كما ان الولادة حكمه
وكما ان الجنين اذا عُت في الرحم صورته وكمات هناك خلقته لم ينتفع في
الرحم بل ينتفع بعد الولادة في الحياة الدنيا
كذلك النفس اذا كمات صورتها وعمت فضائلها بكونها معم الجسد انتفعت
بعد مفارقتها الجسد في الحياة الآخرة

فإذاً الموت حكمة اذا البقاء الابدي لا يتغير الا بعد حصول الموت ، فالمموت سبب لحياة الابد والحياة الدنيا سبب للموت في الحقيقة اذا الانسان ما لم يدخل في هذا العالم لا يمكن له أن يموت فإذا وجد الانسان فتكون حياته سبباً لموته وموته سبباً لحياته الباقيه أبد الابدين

واعلم يا أخي ان مثل النفس مع الجسد كمثل الصي في المكتب ليتعلم ويتأدب ويرتاض فإذا تعلم وأحكم ذلك فليس حال أخرى إلا خروج من المكتب والارتفاع بما حصل في المكتب لانه قد تم ما يراد منه وبقي الا كرام والمجازات فيهكذا حكم النفس مع الجسد اذا أحكمت ما يراد منها بكونها معه فليس من طريقة الا المقارنة

وكما ان الصي اذا أحكم ما يراد منه في المكتب استغنى عن حمل الالوح والدواة والمداد والقلم وسواده لانه كان يكتسب به ويقرأ منه وي فهو ليحصل العلم في نفسه محفوظاً من القرآن والاخبار والاشعار والنحو واللغة وما شاكلها مما يحفظ العبيان في المكتب فيهكذا حكم النفس مع الجسد اذا هي أحكمت أمر المحسوسات بطريق الحواس وأمر المعقولات بطريق الفكر والرواية وعرفت حقائق أمور هذا العالم من الكون والفساد وارتفعت بعد ذلك بطريق الرياضيات التي هي البراهين الى معرفة الامور الغائبة عن الحواس وارتضت فيها وعرفتها حق معرفتها واستبيان لها أمر عالمها ومبدأها ومعادها وعانت بعين البصيرة أحوالاً ببناء جنسها من السابقين الذين مضوا على سن الهدى وارتقوا الى ملائكة السماء وفيحة الافلاك وسعتها ، اشتاقت هي عند ذلك الصعود الى هناك والحق ببناء جنسها ولا يمكنها ذلك بهذا الجسد الثقيل الا بتركها ومقارتها اياديه و الموت فلو لم يكن الموت لكان ممنوعة من الوصول الى هناك فإذاً الموت حكمة ونعمه ورحمة وفضل ورضوان من الله عز وجل للنفس المخيرة المستبصرة

﴿ فصل ﴾

حكمة أخرى من حكمة الموت

واعلم يا أخي بأن الجسد كالسفينة والنفس كالملاح والأعمال الصالحة كالبضاعة والامتنعة للتجار والدنيا كالبحر أيام الحياة كالمعبر والموت كالساحل المتوجه إليه والدار الآخرة مدينة التاجر والجنة هي الربح والله تعالى هو الملك المجازي كما ان التاجر اذا عبر البحر وسامت امته وبضاعته ولما لم يخرج من السفينة لا يمكنه الدخول الى مدينة للتجارة ويفوته ربح بضاعته فهكذا حكم النفس مع الجسد أيضاً، وذلك إنما اذا قطعت أيام الحياة الدنيا بالأعمال الصالحة وسارت سيرة عادلة وتخافت بالأخلاق الجميلة واعتقدت آراء صحيحة ونظرت في أمور المحسوسات فعرفتها معرفة صحيحة وبخت عن حقائق المعمولات وأحكامها وبلغت آخر العمر ، وهدم الجسد فليس التدبر والحقيقة الا الفراق الذي هو موت الجسد فلو لم يكن الموت لما مكنها الصعود الى ما كوت السماء، ولا الدخول في زمرة الملائكة ولا الوصول الى الجنة وكان يفوتها لقاء الله تعالى ونعم الدار الآخرة كما يفوت الجنين مشاهدة هذا العالم على حقيقته لو بلت في المشيمة ولم يظهر منها فإذاً الموت حكمة ورحمة ونعمة إذ لا وصول لنا الى ربنا الا بعد خروجنا من هذا الهيكل ومفارقة أجسادنا « كل نفس ذاتية الموت ثم اليانا ترجعون »

﴿ فصل ﴾

في حكمة الموت

اعلم ان الدنيا كالميدان والاجساد خيل عتاق والنفوس السابقة الى الخيرات فرسان والله تعالى الملك الجواد المجازي وكما ان الفارس السابق اذا بلغ باب الملك ان لم ينزل عن فرسه لا يمكنه الدخول الى حضرة الملك فنهوته جائز فهو الخلع والكرامة فهكذا حكم نفوس السابقين في الخيرات والأعمال الصالحة اذا قطعوا أيام
(م - ٥)

الحياة الدنيا بسبقاً الى الحشرات كما مدحهم الله تعالى: انهم كانوا يسرون في الحشرات
ويدعونا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين

فإذا في العمر وهدم الجسد وشاخت النفس وكملت ان لم تفارقه لا يمكنه
الصعود الى ملائكة السماء لأن هذا الجسد الثقيل المتهالك الفاسد لا يليق بذلك
المكان العالى الشريف بل النفس هي التي يمكنها الصعود الى هناك لتجازى بما
عملت من خير فإذا الموت حكمه ورجمة

وأيضاً ان الدنيا مزرعة وأرحام النساء كالحرث كما قال الله تعالى «نساؤكم
حرث لكم» والنطفة كالبذر والولادة كالنبت وأيام الشباب كالنشوء وأيام
الكهولة كالنضج وأيام الشيخوخة كاليس والجفاف
فبعد هذه الحالات لابد من الحصاد والصرام وهو الموت والصراط والآخرة
كالبيدر فكما ان البيدر يجمع الغلة من كل جنس ويدرس وينقى ويرمى القشور
والورق والتين والحب والثمر ويجعل علفاً للدواجن وخطياً للثيران.

فيهذا تجتمع في الآخرة أمم الاولين والآخرين من كل دين وتكتشف
الseسرار ويميز الله الخبيث من الطيب فيجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً
فيجعله في جهنم وينجى الله الذين اتقوا بخازتهم لا يعذهم السوء ولا يتم بخزنتون
وهذا كله بعد الموت هو حكمه ورجمة ونعمه من الله تعالى لا ولائه
فلا جل هذا يتمنى أولياؤه الموت كما عاتب من ظن انه منهم بغیر حق قل يا أيها
الذين هادوا ان زعمتم انكم أولياء الله من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم
صادقين فدل بهذه الآيات علامه أولياء الله تعالى انهم يتمتنون الموت اذا علموا
انهم الى ربهم راجعون بعد الموت فإذا الموت حكمه ونعمه

* فصل *

في حكمه الموت أيضاً

واعلم يا أخي ان النقوس كالصناع والاجداد كالدراكين وأعضاء الجسد
كالاًدوات كما يتنا في رسالة تركيب الجسد

ثُمْ أعلم أن الصناع يجهدون في الصنائع ويحملون مشقة العمل لكسب المال وطلب الغناء فإذا استغنى واحد منهم ترك الدكان والأدوات واستراح من العمل فهكذا حكم النفوس إذا هي أحکمت ما يراد منها بكونها مع الجسد منزاد للأخرة استغفت عن الجسد فاستقلت بذاتها فلو لم يؤخذ منها الجسد لكان وبالاً عليها ومانعاً لها من الصعود إلى ملكوت السماء والدخول في زمرة الملائكة والسيحان في عالم الأفلاك والسريان في فسحة فضاء السموات والتئسم من الروح والريحان فإذا الموت حكمة ونعمه من الله تعالى لعباده الصالحين

وقال يوسف الصديق « رب قد آتني من الملك وعانتي من تأويل الأحاديث فاطر السموات والارض أنت وإي في الدنيا والآخرة توفى مسلماً وألحقني بالصالحين أما ترى انه عليه السلام عن الموت بقوله « توفى مسلماً لما علم ان الاحق بالصالحين لا يكون الا بعد الموت فإذا الموت حكمة ونعمه وقال خليل الرحمن عليه السلام « الذي خلقني فهو يهدين والذي يطعمني ويستعين و اذا مرضت فهو يشفين والذي يعيتني ثم يحيين والذي أطمع أن يغفر لي خططيتي يوم الدين رب هب لي حكماً وألحقني بالصالحين واجعل لي لسان صدق في الآخرين واجعلني من ورثة جنة النعيم » فإذا الموت حكمة اذا كانت وراثة الجنة لا تيسر الا بعد الموت

ثُمْ أعلم أن الكرامة للنفس من الله وارادة النفس خاصة لا للجسد لأن الجسد قد يلي في التراب وأنا ألحقت بالصالحين نفسه

﴿فصل﴾

(في كيفية خروج النفس من القوة الى الفعل)

فنقول : أعلم أنار الله برهانك بأن نقوس الصبيان عاقلة بالقدرة ونقوس البالغين عاقلة بالفعل ونقوس العقلاة عالمة بالقدرة ونقوس العلاماء عالمة بالفعل والعلماء نقوسهم فلسفية بالقدرة والفلسفه نقوسهم حكاء بالفعل والحكاء الأخيار

ملائكة بالقوة فإذا فارقت نفوسها أجسادها كانت ملائكة بالفعل فإذا الموت حكمة ورحمة

واعلم يا أخي أن المعادن تستحيل إلى أجسام النبات وأجسام النبات تستحيل إلى أجسام الحيوان وأشرف الحيوان الإنسان ، فصورة النبات صراط منكوس إلى العمق وقد جازها النفس الحيوانية ونجت منها ، وصورة الحيوان صراط ممدود على السطح وقد جازها النفس الإنسانية ونجت منها ، وصورة الإنسان صراط مستقيم كالم خط قاماً منتصباً بين الجنة والنار وهي أخريات جهنم ، فإذا نفس جازتها نجت من جهنم ودخلت الجنة التي هي صورة الملائكة والا ردت إلى أسفل السافلين كما ذكر الله تعالى «لقد خلقنا الآذان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير منون »

فانظر يا أخي في هذا الباب وتفكر فيه فانك على خطر عظيم . وقد بلغت قريباً من باب الجنة فان بادرت قبل مفارقة الجسد للنفس واستعدت وتزودت بالأعمال الصالحة والأراء الصحيحة والأخلاق الجميلة والعلوم الحقيقية رجوت ذلك أن تنجو من نيران الهاوية التي هي عالم الكون والفساد وتدخل إلى الجنة بالصعود إلى عالم الأفلاك وفسحة السموات عالم الدوام والبقاء والخلود في النعيم والسرور مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ذلك الفضل من الله

﴿ فصل ﴾

(في غرض السياسات)

اعلم ان الجسد مسوس والنفس سائس فاي نفس ارتضت في سياسة جسدها كما يجب امكانها سياسة الاهل والخدم والغمان . ومن ساس أهله بسيرة عادلة امكنه أن يسوس قبيلة امكنه أن يسوس أهل المدينة كلهم ومن ساس أهل المدينة كما يجب امكنه أن يسوس الناموس الاهلي ومن ساس الناموس الاهلي

أمكنته الصعود الى عالم الافلاك وسعة السموات عالم الدوام ليجازى هناك بعامل من خير ، فاذا الموت حكمة

فان لم يستوى لك يا أخي سياسة الناموس الاطي فكن حاذقاً فيه فلعلمك تنجو من جهنم بشفاعة أهلها وتصعد الى ملائكة السماء بمعاونتهم وتدخل الجنة برحمه الله وفضله وسعة رحمته وفقك الله يا أخي للصواب وهداك الرشاد وجميع اخواننا حيث كانوا في البلاد انه رحيم جواد

»فصل«

(في عيوب الجسد ومثالبه)

فأعلم يا أخي أنا قد بينا في رسالة تركيب الجسد ورسالة الإنسان عالم صغير ورسالة الحاس والمحسوس ما تستفيد النفس بكونها معه من الحكمة والعلوم والفوائد وما ترثى من المخاذ الصنائع والسياسات والتدبر والربوبية والتشبه بالله بحسب الطاقة الإنسانية اذا أخذت النفس طريق ذات اليقين لأن هذا الجسد وهذه النفس صراط ممدوح بين الدنيا والآخرة . فاذا عبرت النفس على هذا الصراط وسلعت من آفاته سهل عليها سائر ما بعد ذلك

فنعيوب هذا الجسد كون النفس محبوس في كنيف لأن الكنيف بالحقيقة هو هذا الجسد فهو ينبع عن كل قاذورات من وسخ وبول وغازط ومخاط وبصاق ودم وصدىق ولعاب وعرق نتن وبخر وصنان وان كل ما يكون في الكنيف من القاذورات فهو يخرج وفيه يتكون فأوله نفحة قذرة وآخره جيفة منتهى وما بين الحالتين مليءa عذرة والنفس على دوام الاوقات في تنظيفه وغسله وتنقيتها ومداواته وستر عوراته وحفظه من آفات الحر والبرد والجوع والعطش والصدمة والضربة والآفات العارضة التي لا يخصى عددها وباجملة فليس في العالم تن ولا نجاسة ولا قاذورة ولا جيفة الامنه ، ومن وجه آخر فنقول مثل النفس مع الجسد كعادب صنم يعبده بالليل والنهار وذلك

أن النفس اذا تركت تعلم العلم وعباده الله عز وجل والنظر في أمور معادها بعد فراق الجسد والاستعداد له والتزود للرحلة من الدنيا الى الآخرة واشتغلت بما يكون فيه صلاح الجسد من الاكل والشرب واللباس والمسكن والمركب وما شا كلها من أنواع زينة الدنيا ف تكون كأنها هوذى يعبد صناعا كما ذكر الله تعالى « أفرأيت من أخذ الله هواء وأضلله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهدى من بعد الله أفلاتندكرون »

ومن وجه آخر فنقول الجسد كأنه كافر محجوب عن الله تعالى لا يعرفه ولا يدرى من خلقه ورزقه
ومن وجه آخر كأنه صاحب بدعة يدعى الى هواه ويريد أن تكون الامور بغير اراده

ومن وجه آخر كأنه جاهل عجول لا ينظر في العواقب ، وأيضاً كأنه عدو للنفس يظهر الصداقة ويكتم العداوة

وأيضاً كأنه شيطان من كثرة الوساوس ، وأيضاً كأنه ابليس يدعى الى العداوة ، وأيضاً كأنه ميت على جنازة حملتها النفس على كتفها لا تستريح منه ، يأوي لها حتى اذا دفنته في التراب ، وأيضاً كأنه غيم بين أبصار الناظرين ونور الشمس لأن ظلمات أخلاق الجسد تمنع عن النظر الى نور العقل وهو يعطل الامال وينسى الاجال

وأيضاً مثل هذه النفس الجزئية مع شرفها وشرف جوهرها وما هي عليه من غربتها في هذا العالم الذي تحت الكون والفساد وما ابتليت به من آفات هذا الجسد وفساد هيبولاه كمثل رجل حكيم خبير في غربة قد ابتلى بعشق امرأة رعناء فاجرة جاهلة سيئة الخلق رديئة الطبيع فهي دائم الاوقات تطالبه المأكولات الطيبة والمشروبات المذيبة واللباس الفاخر والمسكن المزخرف والشهوات الرديئة وان ذلك الحكيم من شدة محنتها بمحبتهما وعظم بلائه بمحبتهما قد صرف كل همته الى اصلاح أمرها وأكثر عنایته بتغيير شأنها حتى نسي أمر نفسه

صلاح شأنه وبلدته التي خرج منها وأقربائه الذين نشأ معهم ونسمته التي كان فيها بدئاً فكأنه قد قرن بشيطان صريح وعدو مبين . فهذا الشيطان هو الذي قال الله تعالى « يابني آدم لا يغتنمكم الشيطان كما أخرج أبوكم من الجنة » فهو إذاً ابليس الذي أخرج آدم من الجنة

ثم اعلم ان جوهر النفس جوهر سماوي وعلمه عالم روحاني وهي حية بذاتها غير محتاجة الى الاكل والشرب واللباس والمسكن وما شاكل ذلك مما يحتاج اليه الجسد في قوام وجوده ومادة بقائه ، وان كل ما يحتاج اليه الانسان من اعراض هذه الدنيا فانما هو من أجل هذا الجسد المستحيل الفاسد ولاصلاح شأنه وقوام وجوده وجر المنفعة اليه ودفع المضر عنه وهو لا يثبت على حالة واحدة طرفة عين

ثم اعلم ان النفس مادامت مع هذا الجسد الى الوقت المعلوم فانها متغيرة بكثرة غمومها لاصلاح أمر هذا الجسد شقيقة بشدة عن ايتها فيما تختلف من الاعمال الشاقة والصناعات المتبعة لاكتساب المال والمتعة والاثاث وما يحتاج اليه الانسان في طول حياته الدنيا

ثم اعلم أن النفس ما دامت مربوطة بالجسد لا راحة لها دون مفارقتها هذا الجسد كما أن ذلك الرجل الحكيم المبتلى بعشق تلك المرأة الفاجرة الرعناء لا راحة له مما قد ابتلى به الا بمفارقتها والتسلى عن حبها وعشيقها فاذا الموت حكمة ورحمة ونعمه لنفوس الاخيار بعد بوار الاجساد فما الموت الا نعمة وسرور وما الحياة الدنيا الا متع الغرور

الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور وفقك الله وآياتنا وجميع اخوانا للسداد انه رحيم رؤوف بالعباد

ـت الرسالة الخامسة عشرة في ماهية الحياة والموت

ويتلوها رسالة المذات

الرِّسَالَةُ السِّادِسَةُ عَشْرُهَا

صَمَمُ الْجَسْمَانِيَّاتِ الطَّبِيعِيَّاتِ

في خاصية المذات وفي حكمة الحياة والموت وما هي ماهيتها
 ﴿ وهي الرسالة الثالثون من رسائل إخوان الصفا ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . آللله خير أما يشركون
 فصل

اعلم أيها الاخ أيديك الله وإيانا بروح منه إننا قد فرغنا من بيان حكمة الموت
 والحياة وبيان ماهيتها وقلنا ما هي حكمة من وجودها في عالم الكون والفساد
 وما العلة في كراهيته تقوس الحيوانات الموت ومحبتها الحياة ونزيره أن نذكر في
 هذه الرسالة ماهية المذلة والألم والغم والفرح والسرور والحزن والراحة والتعب
 ونبين أنها كلها أخوات متضادات أو متشاكلات
 واعلم يا أخي أيديك الله وإيانا بروح منه بأن المذلة والألم نوعان : جسمانية
 وروحانية وهكذا حكم أخواتها

فأما المذات الجسمانية فهي الراحة التي تحس بها النفوس الحيوانية عند زوال
 الألم . وأما الألم التي تحس بها النفوس الحيوانية عند خروج المزاج عن
 الاعتدال من الامر الطبيعي الى أحد الطرفين من الزيادة والنقصان بسبب من

الاسباب فهي كثيرة لا يحصى عددها الا الله تعالى ولكن نذكر منها طرفاً لتعلم ماهية الام والذلة وكيفية حدوثها

فمن ذلك ماهية لذة الاكل والشرب . أقول : ان حرارة معدة الحيوانات ذات المعدة والقوانص فيها بمنزلة نار السراج المشتعلة بالفتيلة ، فإذا في الغذاء اشتعلت في رطوبات جرم المعدة فأقتضى واحتقرت تلك العصبات المنسوجة هناك كما يشتعل نار السراج في الفتيلة اذا في الدهن فعند ذلك تحس تلك النفوس بالألم فتنقض أجسادها في طلب الغذاء لتختلف على المعدة بدلاً مما قد فني وعوضاً عنه فإذا أوردت تلك المواد الى المعدة واشتعلت فيها تلك الحرارة النضيج فيسكن ذلك الهميب من جرم المعدة ويجد الحيوان عند ذلك راحة ولذة وبخسب شدة طيب تلك الحرارة وسكنها تكون لذة الاكل

وهكذا أيضاً حكم العطش من طبع حرارة الكبد فلا يزال الحيوان يجد لذة الاكل والشرب الى ان تستوفي الطبيعة حاجتها فعند ذلك تزول تلك الذلة وتسكن حتى انه ان زيد على مقدار الحاجة صارت الذلة ألمًا فيمسك عند ذلك الحيوان عن الاكل والشرب الى أن يستمرىء ما أكل ويهضم وتمر الى أطراف الجسد تلك المواد لتختلف ماحمل من هناك لأن الحيوان في دائم الاوقات في الذوبان والسيلان لا يقف لحظة ولا طرفة عين . يعلم حقيقة ما قلنا وصححة ما وصفنا أهل البصائر من الاطباء والطبعيين

واما الذلة التي يجدتها الحيوان من الجماع فان تلك المادة التي تسمى المني وهي زبدة الدم اذا كثرت في بدن الحيوان واجتمعت في الموضع المعدة لها وجدت الطبيعة عند ذلك تقلاً وتمددأً كما تجود عند اجتماع البول في المثانة والغائط في المعنى فتطلقها الارادة عند ذلك للبروز ، فهكذا حكم المني وقد جعلت الحكمة الاهمية والعنابة الربانية شهوة مركزة في جبلة الذكران للجماع مع الاناث من ابناء جنسها وكذلك في طباع الاناث الجماع مع الذكران ليكون منها التنااسل والنتاج ليبقى النسل في بقاء الاشخاص والصورة في الابيoli اذا كانت الاشخاص

لابقاء لها دائماً في عالم الكون والفساد اعمال يطول شرحها . وقد ذكرنا طرفاً منها في رسالةبعث والقيمة وطرفاً في رسالة العمل والمعلومات . فإذا خرجت تلك النعفة من بدن الحيوان الفحيل خف عن الطبيعة ما كان يمجده من الثقل ووجد الحيوان عند ذلك راحة ولذة

وأما اللذة والراحة التي يمجدها الحيوان عند السكون والهدوء والنوم فهي من أجل ان الحركة التي تسخن مزاج أبدانها وتخفف رطوبات العضلات والاعصاب المحركة للاعضاء فتضيغ عند ذلك عليها الحركة فإذا سكتت وتمددت وهدأت بودت أبدانها وتولدت من السكون برودة ومن البرودة رطوبة فلانت الاعصاب والاوتنار المحركة لتلك الاعصاب والعضلات وسهلت الحركة وهكذا أيضاً حكمها عند وضع أحماها وأنقاها تجد راحة لأن الحركة المفرطة والثقل يسخنان المزاج ويخرجنها من الاعتدال

وأما اللذة والراحة التي يمجدها الحيوان عند الحر والبرد فهو من أجل ان الحر اذا دام عليها سخن مزاج أبدانها وأخرجها من الاعتدال فيؤلمها بذلك فعند ذلك يطاب ما يصادها من برد الفلال والافياء والمواضع الباردة فإذا دامت هناك زماناً طويلاً أفرطت البرودة في أبدانها وخرجت من الاعتدال الى الجانب الآخر فعند ذلك تطلب الدفء والشمس والنيران وما يصاد البرودة

فقد تبين بما ذكرنا ان الحيوانات في دائم الاوقات تتفرج وتستريح تارة من ألم الحرارة الى ضده وتارة من ضده اليه ، وتبيّن أيضاً ان الالذات الجسمانية انما هي من خروج الالم فهو خروج من الاعتدال الى أحد العطرين اما الى زيادة او الى نقصان أو من حر الى برد أو من برد الى حر أو من حرارة الى سكون أو من سكون الى حرارة أو من جوع وعطاش الى شبع وري أو من شبع وري الى جوع وعطش . وعلى هذا المثال والقياس يوجد حكم سائر الالذات والآلام الجسمانية .

وذلك ان الذي تجده النفس من اللذة بالنظر الى محاسن الموجودات أو

بالاسماع باللغات والشم لروائح الطيبات واللمس للملامسات ذهي كاها تكون
بحسب مشاكلات المزاج الموققات، وألمها بحسب الحالات المتضادات وذلك ان
كل محسوس يخرج مزاج الحاس من الاعتدال فان الحاسة تتألم منه وتكرهه
وك كل محسوس يرد الحاس الى الاعتدال والمزاج الطبيعي فان الحاسة تلتذ به
وتحبه وتحن اليه

فإذا تألمت يا أخي ما ذكرنا علمنا وتبين لك بأن هذه الآلام والآذات
الجمانية إنما جعلت لنفس الحيوانات عند خروج مزاج أجسادها من الاعتدال
ورجوعها الى الاعتدال لكنها تدعوها تلك الآلام الى حفظ أجسادها وصيانتها
هيا كلها من الآفات العارضة لها وتحمّل تلك الآذات على طلب جر المنفعة اليها
أو دفع المضرّة عنها اذا كانت الاجساد أجساداً أمواناً لا تقدر على دفع مضرّة
عنها ولا جر منفعة اليها ولا تحترز من الاشياء المهمكة لها أو المحرجة لمزاجها
من الاعتدال

والدليل على صحة ماقلنا وحقيقة ما وصفنا ان الاجساد لا تقدر على دفع
مضرّة ولا جر منفعة مانرى من حالها عند مفارقة نفسها مستسلمة الى المهنّكـات
ما لاخفاء به من حال جنة الموتى

فاما الآذات والفرح والسرور التي تجده عند وجد أنها ومنافعها ومحبوباتها
وماتتجده من الشفقة والتحنّن على صغار تناجهها وما يعرض من الفم والهم عند
فقدانها أو ضرر ينالها فكل ذلك حيث النفس على صيانة الاجساد الى وقت معلوم
واما الشهوات المركوزات في جبلا الحيوانات فقد ذكرنا طرفاً من عملها في
رسالة الاخلاق ولكن نذكر هنا مالا بد من ذكره وذلك ان كل ما في كل
طبيعة جسد وجبلة كل مزاج من الشهوات المركوزة هي ما يوافق طباعها ويصالح
مزاجها وذلك ان الحيوانات الا كل المحنان لا يشتهي الحشائش الا عند الفرورة
وفقدان اللحم والطيور والحيوان الا كل للمعشب والحب لا يشتهي اللحم
ولا يلتذ به وهكذا الانسان لا يشتهي ولا يأكل الا ما يوافق طبعه ومزاجه

أو ماقد اعتاد كله على ممرايام والآوقات وأماشة العليل لما يضره فلا سباب
آخر يطول شرحها

فقد تبين ان الجوع والعطش بحسب الحاجة الى الطعام والشراب وان اللذة.
بحسب الكفاية والشهوة بحسب الموافقة لاذجاج والطبع وزيد أن نذكر في هذه
الرسالة الملقبة باللذة والآلام كون العلة في كراهية نفوس الحيوانات الموت
ومحبتها للحياة فنقول :

اعلم ان لمحبة الحيوانات الحياة وكراهيتها الموت علتين : احداهما ما يلحق
تفوسها من الوجع والآلام . والثانية ما في طباع الموجودات من المحبة والبقاء
وكراهيتها للفناء هو من أجل ان الباري تعالى لما كان هو علة الموجودات وسبب
الكائنات كما يتنا في رسالة المباديء وهو أبدى الوجود دائم البقاء صارت من
أجل ذلك في جملة الخليقة محبة البقاء وكراهية الفناء الذي هو ضد البقاء
ثم اعلم ان الموجودات نوعان كيات وجزئيات فالكليات تبتدئ من انماها
ثم الا دون فالا دون الى آخرها وهي تسعة مراتب اوطا وأولاها الباريء تعالى
الذي هو عالمها كاها ثم العقل ثم النفس ثم الطبيعة ثم الحيوي الاولى ثم الجسم
المطلق ثم الفلك ثم الاركان الاربعة ثم المولدات الثلاثة وهي آخرها كما يتنا في
رسالة المباديء

والامور الجزئية تبتدئ من اقتص الحالات ثم ترقي اولا فولا الى أن
تنتهى إلى أفضل الحالات كما يتنا في رسالة الماء ط الطلاقة ورسالة نشوء الاقتصاد
الجزئية ورسالةبعث والقيامة ورسالة الكوكب والنفساد فنأراد علم ذلك فايرجع
إلى هناك ليعلم صحة ما قلناه وحقيقة ما يتناه

﴿ فصل ﴾

(في مالعلمة في وصول الآلام والوجع الى النفوس الحيوانية)

دون سمائر النفوس التي في العالم)

فنقول : اعلم انا قد يتنا ماهية اللذة والآلام وكيفية احساس النفوس بهما

و زرید أن نذكر في هذا النصل مادلة والحكمة في دباط النفوس الجزئية بالاجساد الحيوانية ووصول الآلام والاواع الى النفوس الحيوانية دون سائر النفوس النباتية وال موجودات التي في العالم

فأعلم انه لما كانت النفوس الحيوانية من الامور الجزئية ولم يكن للنفوس الجزئية أن تبلغ الى أتم الحالات وأكمل المراتب إلا بأن تقرن بالاجسام الجزئية التي هي أجساد الحيوان وكانت الاجساد تعرض لها الآفات المفسدة قبل تمامها وكمال تقوتها ولم يكن للاجساد مقدرة على دفع تلك الاشياء المفسدة لها لان جواهر الاجسام عاجزة جاعلة ميتة ناقصة الحال متغيرة حسب بواجب الحكمة الاهية جعل لنفسها أن تلتحقها الآلام والاواع من الاشياء المفسدة لاجسادها كما تدعوها تلك الآلام وتخنثها تلك الاواع على دفع تلك الاشياء المفسدة لاجسادها وتخفظها من الآفات الممكنة وتصونها عن عوارض التلف الى أن تم تلك الاجساد وتکمل أيضاً تلك النفوس ثم يحيطها الموت الطبيعي ان شاءت النفوس أو أبت كما يجيء العطاق للولادة ان شاء الجنين أو أبى لان موت الجسد ولادة النفس كما بيننا في رسالة حكمة الموت ولو لم تعرض النفوس الآلام من الاشياء المفسدة لاجسادها اتھاونت بها وتركتها متعرضة للآفات وكانت تقصد أكثرها قبل تمامها وكمال تقوتها .

وذلك أن النفس الانسانية لم يكن نشوئها ولا تتميمها ولا تكميلها الا بتتوسط هذا الجسد المملوء من آثار الحكمة كما بيننا في رسالة تركيب الجسد ورسالة الحاس والمحسوس وقد بيننا ذلك في رسالة الانسان عالم صغير بواجب الحكمة الاهية ربطت بالاجساد البشرية وذلك أن النفس الانسانية لا تعرف حقائق المحسوسات ولا تتصور معاني المقولات ولا تقدر على عمل الصنائع ولا تتحلخ بالأخلاق والاعمال الحميدة الا بتتوسط هذا الجسد طول حياته الى آخر العمر كما قال تعالى : « والله أخرجكم من بطن أمهاتكم لا تعلمون شيئاً » وقال : « فاما بلغ أشدده واستوى اتبناه حكماً وعلمـاً » فلو لم يعرض للنفس الالم من الاشياء المفسدة

للهجس لكان الانسان مثلا اذا نام فاستغرق في نومه ثم مد يده ورجله فدخلتا في نار الى جنبه فاحترقنا ولم يكن يحس به حتى ينتبه من نومه فإذا هو بلا يدين ولا رجليين وكان يبقى طول عمره بلا آلة للخشى ولا اداة لاتخاذ الصنائع وعلى هذا القياس حكم نفوس سائر الحيوانات لو لم يكن يعرض لنفسها الالم من الاشياء المفسدة لاجسادها لتهافت بها وتركتها متعرضة للآفات والهلاك كما انه لو لم يكن يجعل لها شفقة على صغار اولادها وتحتمنا عليهما لتركتها وتهافت بها ولم تحتمل المشقة في تربيتها وكانت تهلك كلها قبل النعام وكان مصير ذلك سببا لانقطاع النسل ودثار الصورة من المادة وقيل لبعض الحكماء أى اولادك أحبت اليك فقال صغيرهم حتى يكبر وعليهم حتى يبرى، وغائبهم حتى يرجع . فإذاً بواجب الحكمة جعلت نفس ما يتحققها من الآلام لحفظ أجسادها من التلف وتحتها على حمايتها من عوارض الآفات والآلام

﴿ فصل ٢ ﴾

في ماهية الالم والذلة وكيفيتها

فنقول ان المذمات والآلام التي تحفظ أجسادها من التلف وتحتها على صياتها نوعان جسماني وروحيانى فالذمادات الجسمانية هي التي تمحى النفس عند الخروج من الالم، والآلام التي تحسها النفس عند خروج مزاج الاجساد عن الاعتدال الطبيعي الى حد الطرفين من الزيادة والنقصان بسبب من الاسباب هي كثيرة لا يحصى عددها مثل ذلك الجوع احد الالم تحس به النفس عند خلو المعدة من الطعام وذلك ان الحرارة الغريبة التي تنضح الطعام في المعدة اذا لم تجد هناك طعاما تكون مشتعلة فإذا اشتغلت في جرم المعدة فنيت رملوباتها المعدة هناك لمصالحها فإذا فنيت تلك الرطوبات افسد جرم المعدة فإذا أحسنت النفس بالآلام انتهض الجسد في طلب القوت ليزيل عنه الفساد وعن ذاتها الالم فإذا وصل ذلك الى المعدة رجمت تلك النار عن جرم الجسد واشتغلت عن ذلك الطعام وسكن

الالهاب عن جرم المعدة فتجد النفس لذلك راحه فتسمى تلك الراحه لذة وهكذا العطش فانه حرارة تلتهب في جرم الكبد ولا تسكن الا بشرب الماء فتحس النفس عند التهاب تلك الحرارة ألمًا وعند سكونها راحه فهاتان المخنان تحسان النفس الحيوانية على طلب مادة اجسادها لتخلف عليها بدل ما يتخلل منها اذا كانت ذات الجسد دائماً في الذوبان والسيلان من أسباب خارجه واسباب داخله ولو لم تعرض لنفسها الالم والاوجاع عند الجوع والعطش لما هضت اجسادها في طلب غذائها وفي مادة بقائها وكانت يبطئ اجسادها الذوبان قبل تناولها وكمالها . فاذا قد بان من الالم واللذة اى هي حث النفوس على ما يصلح الاجداد لان في صلاح الاجداد صلاح النفوس كما بينا قبل وهذه اللذة التي تجدها النفوس الحيوانية عند تناول الغذاء هي ايضاً تجدها النفوس النباتية وهي التي تحيثها على جذب الرطوبات الى أصول النبات والى اعلى فروعها فاذا لم تجد ذلك جفت اجسامها وهو موتها ولكن لا يعرض لنفسها الالم عند فقدان الغذاء كما يعرض للنفوس الحيوانية فن أجل هذا لم تجعل لها حيلة التنقل من مكان الى مكان في طلب الغذاء كما للحيوان ولا فراراً من المؤذيات لانه لا يليق بالحكمة الاطهية أن يجعل لها ألمًا وتنعمها حيلة الدفع واما النفوس الحيوانية لما جعلت لها حيلة الدفع عن اجسادها الاشياء المفسدة لها جعل لها ألم يحيثها على ذلك اما بالطلب اما بالهرب اما بالتحرز كما بينا في رسالة الحيوان

واما لذة الانتقام فهي ايضاً خروج من الالم وذلك ان الغضب نار وحرارة تشتعل في جرم القلب وهو شهوة الانتقام من المؤذي الذي أثار الغضب فان وصل الى الانتقام سكنت تلك الحرارة وخدمت نارها . وان لم يقدر على ذلك ولم يصل اليه صار الغضب حزناً ومصيبة مثال ذلك اذا قتل لاحد قتيل وقدت نار غضبه على القاتل شهوة القوة فان قتل القاتل سكنت تلك الحرارة وان قتله الموت صار حزناً ومصيبة لانه لا يعکن أن يؤخذ من الميت القوة وعلى هذا القياس .

سائر الشهوات ، نيران تشتعل في الاجساد وتحس النفوس آلامها
 ثم اعلم أن الاجساد كلها نيران بالقوة جامدة فإذا أصابتها نار بالفعل صارت
 نيراناً بالفعل . والدليل على ذلك أنها كلها يمكن أن تحرق بالنار فلو لم تكن من
 النار لما أمكن احرافها . وهكذا حكم ما كولانها وملبوساتها كانهانiran جامدة
 كونت من النار والهواء والماء والارض واليهما تستحبيل بعد مفارقة النفوس لها
 ومن أجل هذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أهل النار خلقوا ومن النار
 يأكلون وعلى النار يتقاتلون) وهذه حال الاجساد ورافقتها وما دمها كلها نيران
 جامدة اذا اشتعلت التهبت على الافئدة كما قال الله عز وجل « نار الله الموقدة التي
 تطلع على الافئدة أنها عليهم مؤصدة في عمد معدة » وهي آمال ماوالي وأجال
 قصار « لا يثن فيها أحقاباً لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا إلا حيناً وغافقاً »
 اشارة الى ما ذكرنا كلها نفيت جلودهم يعني أجسادهم بالليل بدلنا لهم جلوداً غيرها
 بدلوا بالكون ثانياً

* فصل *

اعلم يا أخي بأن الله عز وجل قد أكثر في القرآن مدح المؤمنين وذم
 الكافرين لأنهما خلتان ينتهيما بعد بعيد أحداهما مجمع الخير كله وفضيلة الانسانية
 فيها كلها وهي الاعيان والآخرى ضدها وهي الكفر وهو مجمع الشرور كلها
 وقد بينا في رسالة الناموس ورسالة المؤمنين معنى قولنا ما الاعيان ومن
 المؤمن ونذر في هذا الفصل ما الكفر ليعلم من الكافرون بالحقيقة فنقول :
 اعلم ان الكفر في لغة العرب الغطاء وهو شيء يعرض للنفس من جهة الجسد
 وذلك أنه اذا استقرت النفس في الجهة المقابلة تغطى عليها أمر ذاتها وذهب عليها
 معرفة جوهرها وتنسى مبدأها ولا تذكر من أمر معادها حتى تبلغ من جهتها
 الا تعلم بأن لها وجوداً خلواً من الجسد حتى تظن أنها جسم كايطن ويقول كثير
 من يتعاطى النظر في العلوم وهو قوله ان الانسان هو هذا الجسد الطويل

العریض العمیق المؤلف من اللحم والدم . ولا يدرؤن أن مع هذا الجسد
جوهراً آخر وهو المحرک له وهي النفس المطهرة به ومنه افعالها
فن لا يعرف جوهر النفس فهو لا يعرف شيئاً من الامور الروحانية ولا
يتصورها و اذا سمع ذكرها انكرها لشدة استغرافه في بحر الاهيولى وظلمات
الجهالات فهو لاء اذا سمعوا بذلك جهنم لا يتصورونها الا أمراً صناعياً وهو
أئمهم يظنون أن جهنم هي خندق مخمور كبير واسع مملوء من نيران تشتعل
ونتسب وان الله تعالى يأمر الملائكة قصداً منه وغيقاً على الكفار أن يأخذوهم
ويرموا بهم في ذلك الخندق

ثم أنه كلما احرقت أجسادهم وصارت خاماً ورماداً أعاد فيها الرطوبة والدم
حتى يشتعل من الرأس ثانياً كما اشتعل أول مرة

وهكذا يكون دأبهم أبداً وبمحاجون بقوله تعالى كلما نضجت جلودهم بدلهم
جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب ولا يدرؤن معنى قوله تعالى ولا تأوي إلى كتابه انهم
اذا سمعوا ان الله غفور رحيم حنان منان رءوف ودود وما شاكل ذلك من
آسمائه الحلى وتفكرروا فيها انكرت عليهم عقوتهم ما اعتقدوا فيه من الحقد
وفلة الرحمة خلقه فعند ذلك يتحيرون ويشككون فيما اخبرت به الانبياء عليهم
السلام اذا لا يعرفون شيئاً عن صفة جهنم وعذاب اهلها ولا يعرفون تأويلاً
كتبهم ولا معانى اشاراتهم ورموزاتهم ودقائق اسرارهم

فهكذا اذا سمعوا ذكر الجنة ونعمتها وسرور اهله ولذاته فلا يتصورونها
الاماور جسمانية شبه بساتين فيها اشجار وعليها ثمار وقصور بينها انهار وفي تلك
القصور حور وغلامان وولدان مردان على امثال ابناء الدنيا ونعم اهلها و اذا
سمعوا بأن اهل الجنة في جوار الرحمن حيث قال في مقعد صدق عند مليك مقتدر
وانهم يزورون رب العالمين فيرونـه وينظرونـ اليـه كما قال تعالى وجوه يومئذـ
ناضرة الى ربها ناظرة وان الملائكة يزورونـهم بالهدايا والتحف كما قال الله تعالى
« والملائكة يدخلونـ عليهم من كل بـاب » وما شـا كل هـذا من وصف اـهل الجـنة
(٦ -)

من شرب الشراب او مباشرة مع الابكار وانهم احياء لا يمرون وشبان لا يهرون
واصحاء لا يعرضون ولا يجوعون ولا يعطشون ويأكلون ويشربون ولا يبولون
ولا يتغوطون وما شاكل هذه من الصفات التي لا تليق بأجسام الطبيعة الكائنة
الفاسدة فضلا بالأشياء الروحانية

فإذا فكروا فيها تخروا ايضا فيما يعتقدون من امر الجنة ونعيها وحالات
أهلها فيشكرون ايضا في الجنة وما خبرت به الانبياء عليهم السلام من وصف
الجنة ونعيها وحالاتهم وما يقصر الوصف عنها فإذا ذهب عليهم معرفتها
وتغطى عليهم عالمها انكروها بقلوبهم وان كانوا لا يظرون منها بالسننهم مخافة
السيف والصلب كما قال الله تعالى « الذين يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة
وهم مستكبرون »

فهذا هو حقيقة الكفر والضلالة والجهالة وعمى البصر لأن هؤلاء
لا يؤمنون بظواهر الآيات والأخبار ولا يتفحصون عن حقائق أسرار كلام
الله وأسرار الاخبار النبوية حين قالوا وبينوا خملة ذلك حق وصدق لامر دع عليه
حسب ما اقتضى العقل حقيقة ذلك كما لا يفهم هؤلاء الظلة السكرفة أعادنا الله
وياك أيها الاخ من الكفر والنفاق والفسق والعصيان ورزنك ويانا اليمان
والغفران انه رءوف رحيم بالعباد

* فصل *

ثم اعلم وتيقن ولا تشک في ان جهنم هي عالم الكون والفساد الذي هي دون
ذلك القمر وان الجنة هي عالم الارواح وسعة السموات وان أهل جهنم هي
النفوس المتعلقة باجساد الحيوانات التي تناهها الالام والاواعي دون سائر
الموجودات التي في العالم

وان أهل الجنة هي النفوس الملوكية التي في عالم الانفاس وسعة السموات
في روح وريحان البريئة من الاواعي والالام والدليل على ذلك قوله تعالى انطلقوا

إلى ظل ذي ثلاث شعب اشاره إلى النفوس المتحدة بالاجسام ذي الطول والعرض
والعمق إلى دون فلك القمر

وذلك لأن تلك النفوس لما جنت هناك الجنائية التي ذكرت في قصة آدم عليه
السلام « وقيل اهبطوا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر
ومتع إلى حين » وقال فيها تحيون يعني في الأرض وفيها متواتن ومنها تخرجون
عند النفح في الصور.

وأنا قيل أن جهنم هي سبع طبقات لأن الأجسام التي دون فلك القمر سبعة
أنواع أربع منها هي الامم الممتتحيات التي هي الأركان الاربعة وهي
النار والهواء والماء والارض وثلاث هي المولدات الكائنات الفاسدات التي هي
المعادن والنبات والحيوان

ثم أعلم أن تلك النفوس لما أخرجت من الجنة عالم الأفلاك أهبطت إلى الأرض
عالم الكون والفساد الذي دون فلك القمر وهي سائكة في عميق هذه الأجساد
وغريقه في بحر الهيولي القابل للكون والفساد وغائصه في هياكل هذه المولدات
منقطعة فيها كما قال تعالى « وقطعنهم في الأرض إنما منهم الصالحون ومنهم دون
ذلك وقال « ومامن دابة في الأرض ولا ماء يطير بمحناحه إلا أمم أمثالكم »
وأنا قال لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم لأن كلها يجري في
عالم الكون والفساد فبدلائل هذه السبعة السيارة وأنا قال عليها تسعة عشر لأن
دلائلها لاظهر في عالم الكون والفساد إلا بغيرها في هذه البروج الاتنا عشر
شعلتها تكون تسعة عشر وهي التي بها يكون تقلب أحوال الدنيا وما تقتضيه
موجبات أحكامها في مواليده هذه الأجساد وما يدل عليها مما يصيبهم من الآلام
والاوجاع والاسقام والامراض والاحزان من الجوع والعطش والحر والبرد
والفقر والغنى والذل والعبودية والغموم والهموم ونوائب الحسدان وعداوة
الاقران وحد الجيران وجور السلطان ووساوس الشيطان ونكبات الزمان
ومصائب الاخوان وخوف الموت ووعيد ما بعد الموت المذكور في القرآن وما

شا كل هذه المصائب التي لا يحصى عددها التي هي النقوس المرهونة به مادامت مع هذه الاجساد

فإذا فكر العاقل الليبيب في حال النقوس المتجلدة وما يتحققها من الحزن والمصائب بتوسط هذه الاجساد وما يعرض لها من الآلام والآوجاع والمناحس كما يبنا قبل ، وتفكر أيضاً في حالات النقوس التي هي أهل الجنة وعلم الأفلاك الذين هم سكان السموات اذا سمع بأسمهم أحياه لا يموتون وشبان لا يهزمون وأغنياء لا يفتقرون وجيران لا يتحاسدون واخوان على سرر متقابلين متنعمين ملتفذين خالدون فيها آمنون لا يخافون ولا يحزنون فهو في روح وريحان ورضوان رغبت نفسه الى ما هناك وزهدت في الكون هاهنا

فكلما نظر بعين رأسه الى جسده في عالم الكون والفساد معدباً من أبناء جنسه استعاد بالله وسؤاله الخلاص والنجاة مما هو فيه من مشاركة أبناء الدنيا وكلما نظر بعين عقله الى نفسه وأبناء جنسه في عالم الافالك وما فيه من الروح والريحان تمنى الوصول الى هناك وسائل ربه الالحاد بهم كاسأل يوسف الصديق عليه السلام وكذلك ابراهيم عليه السلام وعند ذلك تصير الدنيا عليه سجنًا كما قال عليه الصلاة والسلام الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر ويكون عند ذلك من أصحاب الاعراف الذين هم أهل المعرفة كما وصفهم الله تعالى « ويبنهم حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلاب سيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون . واذا صرفت أبصارهم تلقوا أصحاب النار » يعني أهل الدنيا التي في عالم الكون والفساد « قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين » وهؤلاء الرجال الذين على الاعراف هم الذين مدحهم الله تعالى بقوله تعالى « رجال لان لهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة » وقال « تتجافي جنوبهم عن المضاجع » فهؤلاء هم أولياء الله الذين هم يؤمنون الموت لما قد تبين لهم ما بعد الموت من الوجود الحض والبقاء الدائم

والروح والريحان والنجاة من الالام والاجاع والاسقام التي كاها جهنم ونيران
واما من لا يعرف ما وصفنا له لا يعقل ما بين الله تعالى في كتابه على السنة
أنبيائه إلا هذه الدنيا التي كاها آلام جسدانية من الشهوات الجسمانية واللذات
الحيوانية فهو لا يرغب الا فيها ولا يتمنى إلا الخلو معها كما وصفهم الله تعالى
فقال «أيود أحدم لو يعمر الف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أذ يعمر»
فهؤلاء هم الكفار الذين تغطى عليهم الصفات الحقيقة والsecrets الخفية التي كلها
رموز أخرى وآية ثابتة للنفوس الناجية من نيران الهاوية . نجانا الله واياك أيها الاخ
ورزقنا وإياك الدخول في زمرة الملائكة

* (فصل)

(في كيفية وجدان اللذة والآلام معاً في وقت واحد)

فنقول : اعلم ان الانسان في دائم الاوقات لا يخلو من ألم ولذة جسمانية
وروحانية من عدة وجوه . مثال ذلك العاصي يرى معشوفه وهو على خيانة
فتسره رؤيته له ويلتذ بها وتغمده خيانته له وتوئمه كما قال :

فأیست بين جماله وفعاله فإذا الملاحة بالقباحة لاتقى

وكثير من يأكل طعاماً يشميه وله رائحة منكرة توذيه مثل الصحن
والماميame لساكن السواحل فهو يلتذ بأكله وتوئمه رائحته ومثل من يسمع
لحنآ طيبآ ونفحة لذيدة كغناء أبيات من الشعر فيها هجولة فانه يلتذ باسماع اللحن
اللطيف ويغمه هجوجه في وقت واحد ومثل من يسمع بموت مورث له تركته
فيغنم خبر موته ويسره ماورث ومثل من به جرب مؤذ يمكك فيجد له لذة
وغمآ في وقت واحد وألمين متضادين وراحة بينهما وكم هو يعمل عملاً متعبآ
أو صناعة شاقة يرجو عليها ثواباً جزيلاً وأجرة وافرة فهو يجد المآ من عمله
المتعب ولذة وفرحاً لما يرجو من ثوابه

وعلى هذا القياس حكم سائر الالام واللذات الجسمانية كما قال القائل :

ومن نكد الايام ان صروفها اذا سر منها جانب ساء جانب

أو مكن سكن عنه وجع العين وضرب ضرسه فانه يجد ألمًا وراحة في وقت واحد ومكن له خلق حسن وخلق سيء، فانه يجد من أحد هما راحة ومن الآخر ألمًا في وقت واحد ومثل من يرى صديقاً قد غاب دهرًا وأخبر بسوء حاله فيسره روئته ويغمه سوء حاله. أو كمثل من يضع احدى رجليه في ماء بارد والآخر في ماء مغلي واحد يديه في ماء فاتر فانه يجد لذة وألمًا في حالة واحدة ومثل من عمل عملاً حسناً يجو جزاء عليه وعملاً سيئاً يخاف عقوبة عليه فيكون متآملاً متلذذاً في وقت واحد وعلى هذا المثال اذا اعتبر أحوال الناس فلا يخلو من ألم يؤذيه وراحة من ألم قد زال عنه فيكون الانسان الواحد في وقت واحد متلذذاً متآملاً معاقباً مثاباً

وأنما ذكرنا هذه الاشارات وأوردنا هذه الامثلة من أجل ان كثيراً من يتكلم في علم النفس ويبحث عن ماهية جوهراها وكيفية تشخيصها يرى ويعتقد أنها أشخاص متباعدة كثيرة فأكثر ما يقوى رأي من ظن ان النفس أشخاص كثيرة ما يظهر من اختلاف أحواها وأفعالها وأخلاقها وآرائها وأعمالها وان بعضها متلذذة وبعضها متآملاً فكم بهذا الاعتبار انها أشخاص كثيرة منفصلة متباعدة كتبان الاشخاص الجسمانية المركبة ثم ناقض رأيه بقوله بأنها جواهر بسيطة كأنه لا يدرى مامعنى البسيطة ونحن قد أخبرنا بأنها نفس واحدة تجنبت أجناسها وتتنوع أنواعها وقد تشخصت بحسب اختصاصها بالاجناس الجسمانية وأنواعها وأشخاصها لأنها في ذاتها متكترة منفصلة متباعدة لأن اختلاف أفعالها بحسب استعمالها الاجسام المختلفة الاجناس والانواع والاشخاص كما بينا في رسالة تركيب الجسد

ان اختلاف أفعال نفس انسان واحد هو من أجل اختلاف أشكال اعضائه وفتوذ مفاصله وان نفس الانسان نفس واحدة وقد ظن كثير من أهل العلم ان للانسان الواحد ثلاث تقوس : شهوانية وغضبية وناظفة ونحن قد بينا بأن هذه

الاسماء تقع على نفس واحدة بحسب أفعالها المختلفة وذلك أنها اذا فعلت في الجسم الغذاء والنحو سميت نباتية وشهوانية وإذا فعلت الحس والحركة سميت حيوانية غضبية وإذا فعلت النعاق والتبييز والروبة والتفكير سميت ناطقة كما ان الرجل الواحد حداد نجgar بناء اذا كان يحس بها كلها ويعقلها

﴿فصل﴾

فنقول : لما فرغنا من ذكر الآلام واللذات الجمالية وبيننا أنها كلها هي راحة تجدها النفس عند رجوع الامزجة الى الاعتدال بعد خروجها من الاعتدال وإن الكلام هي احساس النفس بتغيير مزاج الجسد وخروجه عن الاعتدال العابي أو عضو من أعضائه عند ملاقة الاشياء المفسدة لها كما بينا في رسالة الحاس والمحسوس وقد بينا أيضاً علة كراهية الحيوان للموت وما الصلة في وصول الآلام والوجاع الى النفس الحيوانية دون سائر النفوس الجزئية التي في العالم بأسرها : نريد أن نذكر في هذا الفصل ما اللذات الروحانية التي تجدها النفس ب مجردتها وما آلامها التي تففرد بها دون الجسد التي عبرت عنها الشريعة النبوية بالثواب والعقاب فنقول :

اعلم أرشدك الله تعالى ان اللذات أربع أنواع : شهوانية طبيعية وحيوانية حسية وانسانية فكرية وملκية روحانية فاللذات الشهوانية الطبيعية هي التي تجدها النفس عند تناول الغذاء من الطعام والشراب وأما اللذات الحيوانية أيضاً فهي نوعان أحدهما ماتجدها النفس عند الائتمام وهي لذة الجماع والآخرى ماتجدها عند الانتقام وهي شهوة تهيج عند الغضب، والفكرية ماتجدها النفس من اللذة عند تصورها معاني المعلومات ومعرفتها بحقائق الموجودات والروحانية الملκية هي ماتجدها النفح من الراحة واللذة بمدحه فارقتها الجسد التي هي الروح والريحان فاللذة الشهوانية مشتركة بين الانسان والحيوان والنبات

والحيوانية الحسية مشتركة بين الإنسان والحيوان دون النبات
 والفكرية مشتركة بين الإنسان والملائكة دون الحيوان
 والملكية الروحانية مختصة بالنفوس المفارقة للأجسام الناجية من
 بشر الاهيوي
 فالنفوس النباتية لها لذات وليس لها ألم كما فعلنا قبل في رسالة كراهية
 الحيوان للموت
 والنفوس الملكية لها أيضاً لذة وليس لها ألم كما قد تقدم بيان ذلك لكن
 لها الخوف والاشفاق كما قال تعالى « يخافون ربهم من فوقهم » وقال تعالى « وهم
 من خشية ربهم مشفعون »
 فالنفوس الحيوانية لها لذة وألم جيماً ولكن لذاتها كالهاجسmania .
 فاما الانفس الإنسانية فلها كل اللذات والألام الجسمانية والروحانية جميعاً
 لذلك تحتاج أن نبين ونشرحها واحدة بعد واحدة لتتضح وتصور بحقائقها فنقول
 اعلم أن جميع اللذات التي تجدها النفس الإنسانية نوعان منه اما تتجدها بغير دها
 ومنها ما تتجدها بتوسط الجسد وهي سبعة أنواع
 أحدها المدركات بطريق النظر من محسن الألوان والأشكال والنقوش
 والتصاوير والاصباغ الطبيعية منها والصناعية جميعاً
 والثاني المدركات بطريق السمع من الاصوات والألحان والنعم والمدح
 والثناء وما شاكلها
 والثالث المدركات بطريق الذوق من الطعام الموافقة لشهواتها
 والرابع الممتوسات المقوية لاخلاط جسدها
 والخامس المشمومات الملاعة لزاج اخلاطه.
 والسادس لذة الجماع
 والسابع لذة الانتقام

فهذه كلها ذات تجدها النفس بتوسط الجسد مرئي احدها عند مباشرة
الحواس لها والآخر عند ذكرها بمدتها
مثال ذلك اذا رأى المرء وجهاً حسناً أو زينة من محسن الدنيا فإن النفس تجد
عند رؤيتها لها سروراً ولذة ثم اذا غابت عن رؤية العين بقيت رسوم تلك المحسن
مصورة في فكر النفس وكما لاحت هي ذاتها ونظرت الى جوهرها رأت تلك
الرسوم المصورة في فكرها فسرت بها والتذكرة تذكر تلك المحسنات
التي انطبعت فيها منها هذه الرسوم
وهكذا سائر المحسنات حكمها اذا تذكرتها النفس التذكرة وسرت بها من
غير شركة الجسد

وهكذا حكم اخدادها التي هي الالام وذلك ان الانسان اذا رأى منظراً
وحشياً أو صورة قبيحة أو سمع صوتاً هائلاً مفزعاً فانه يؤلمه رؤيته لها في وقته
واسماعها ويمد مغيبتها اذا تذكرها وفكرت فيها وليس التذكر والتفكير شيء
 سوى لمحات النفس ذاتها ونظرها الى جوهرها ورؤيتها رسوم تلك المحسنات
مطبوعة في ذاتها كما ينطبع نقش الفص في الشمع المختوم . وهذه الملاذ والالام
واذ كانت لا تصل الى النفس الا بتوسط الجسد فقد تجدها بعد غيبة المحسنات
عن مباشرة الحواس لها فيدل هذا على ان النفس لها لذة تجدها بعد مفارقة الجسد
أيضاً كما تجده لذة المحسنات بعد مفارقتها وغيبتها

﴿ فصل ﴾

في اللذات الروحانية

فتقول أما اللذات الروحانية التي تجدها النفس بمجردها فهي نوعان احدهما
ما تجدها وهي مفارقة للجسد والثانية ما تجدها وهي مقارنة له فالتي تجدها وهي
مفارة له نوعان أحدهما ما يرد عليها من خارج كما يبينا قبل هذا والآخر من ذاتها
والتي تجدها وهي مقارنة له فهي أربعة أنواع

فنهَا ما تجدها من اللذة والسرور والفرح عند تصورها حقائق الموجودات
من المحسوسات والمأكولات جميعاً

والأثنية ما تجدها عند اعتقادها الاراء الصحيحة ومذاهبها الجيدة
والثالثة ما تجدها عند عذوبة اخلاقها الكريمة وعاداتها الجميلة
والرابعة ما تجده من الفرح والسرور واللذة عند ذكر اعمالها الزكية
وأفعالها الخيرة

وهذه اللذات مشتركة بين الانسان وبين الملائكة واضدادها من الآلام
ومشتركة بين الانسان والشياطين كما سنبين بعد هذا الفصل
واما بيان ما يلحق النفوس من اللذة والآلم في اعتقاداتها وعما يرتكبها من افعالها
وأخلاقها وأعمالها فاعلم ان الانسان اذا كانت اعماله سيئة وأفعاله قبيحة فان
نفسه ابداً تكون مرتبة مرعوبة مضطربة متألمة كما ذكر الله تعالى في صفة المنافقين
فقال «يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فاحذرهم فإنهم الله» فإذا كانت اعمالهم
حدها وأفعالهم جميلة فان نفوسهم ابداً تكون ساكنة هادئة مستريحه
وهكذا اذا كانت اخلاق الانسان جميلة وسجاياه سهلة ومعاملاته طيبة ومخالطته
عذبة فان نفسه تكون ابداً في القلوب محبوبة ومن الغواصات آمنة . وان كانت
أخلاقه شريرة وطباعه وحشية وهمته سبعة يكون من يصحبه ابداً في عناء وهو
من نفسه في جهل وبلاء

فهكذا حكم الاعتقادات والاراء وذلك أن بعضها مؤلم لنفسه معتقدها
ومحير ومشكك كما قيل (شعراء)

ألم ترني مذ ثلاثين حجة اروح وأغدو دائم الحسرات
ومثل من يعتقد أن ربه قتله اليهود ، ومثل من يعتقد ان امامه مختلف من
خوف مخالفيه . ومثل من يعتقد أن رب العالمين خلق خلقاً وناصبهم العداوة
وهو ابليس وجنوده . ومثل من يعتقد ان رب العالمين حقود حنق يغتاظ على
الكافر والعصاة من خلقه . ومثل من يرى ويعتقد أن أمر العالم غير منتظم وان

مدبره و صانعه قد أهل أمر عالمه حتى يجري فيه أشياء على غير مراده و مشيئته .
ومثل من يعتقد ويرى ان رب العالمين الغفور الرحيم الودود البار الحسن الخنان
المنان الجواد الكريم الجليل يأمر الملائكة بأن يأخذوا الكفار والعصاة و يرمون
بهم في خندق من النار وكلما احترقت جلودهم و صاروا حناء و ماداً أعاد فيها الرطوبة
والحياة ليذوقوا العذاب

ومثل من يعتقد أنه يباشر في الجنة مع الابكار ويلتذ منها ويزيل البكارة ثم
تعود البكارة

ومثل من يعتقد ويرى أنه يشرب الشراب في الجنة ويكون باريه ساقيه .
ومثل من يعتقد أنه يتمتع في الجنة الطيور المشوية الحاصلة عنده فيتهاحصل بعد
تحنيه في الحال ثم يأكل منها حتى الشبع ثم بعد ذلك تطير الطيور كأنها في حال الحياة
ومثل من يعتقد أن الإنسان اذا مات بطلت نفسه وجودها

ومثل من لا يرجو الجنة الا بعد خراب السموات و طيها كطي السجل للكتب
ومثل من يعتقد أن الكواكب تتناهى و تنساقط في القيامة
ومثل من يعتقد أن أعمال الإنسان تجعل في كفتيين من كفني الميزان
ومثل من يعتقد سؤال منكر و نكير في القبر من جسد الميت

ومثل من يعتقد ويرى أن في الجحيم تنانين و ثعابين وأفاعي يأكلون الفساق
ويصيرون أحياء بعد ذلك وما شاكل هذه من الاعتقادات المؤلمة لنفس معتقديه
مع أن جميع ما نطق به الانبياء عليهم السلام من صفة الجنة ونعم أهلها وعذاب
النار والعقاب وأحوال القيامة كلها حق وصدق لامرية فيها ولكن ليس الامر كـ
يعتقد هؤلاء الظالمون الكفرة بل أمر وراء ذلك لا يعلم إلا الله والراشدون في العلم
وأما من يرى و يعتقد و يعلم أن للعالم بارئاً حكيمـا قادرـاً حـاجـاً جـوـادـاً كـريـماً غـافـورـاً
رحـيـماً وـاـنـهـ قـدـ حـكـمـ اـمـرـ عـالـمـ عـلـىـ أـحـسـنـ نـظـامـ وـرـتـبـ تـدـبـرـ اـخـلـيـةـ عـلـىـ أـتـنـ حـكـةـ
وـلـمـ يـتـرـكـ فـيـ خـلـلـ وـلـاـ تـخـفـيـ عـلـيـهـ خـافـيـةـ فـيـ الـأـرـضـ وـلـاـ فـيـ السـمـاءـ وـلـاـ يـرـىـ فـيـ خـلـقـ

الرجن من تفاوت فان نفسه أبداً ساكنة هادئة مستريحه من الألم والآراء الفاسدة
وأوجاع الاعتقادات الزائفة ومن وحشة ظلمات الجهالات المتراءكة وهو في راحة
من نفسه والخلق في راحة منه . ومن جهة في أمان لا يريد بأحد سوءاً ، ولا
يرى له عليهم فضلاً ولا يطالهم بحق ولا يشكوه من جفاء ولا يصيّبهم منه أذى
فهذه صفة أخوانك الكرام

فهل لك يا أخي أن ترغب في صحبتهم وتتبع منهاجمهم وتسير سيرتهم
وتتحلّق بأخلاقهم وتتظر في علومهم وسياساتهم لتعرف أسرارهم واعتقاداتهم
أو تحضر مجلسهم لتشمع كلامهم وأقوالهم أو تقرأ رسائلنا هذه لعلك توفق
لفهم معانٍ ما تضمنته وتنتبه لنفسك من نوم الغفلة وتنبيه خل من رقدة الجهالة
وتتفتح لها عين البصيرة فتحي حياة العلماء وتعيش عيش السعادة وتصعد إلى
ملائكة السماء

﴿فصل﴾

ثم اعلم ان من الآراء والاعتقادات ما هو مؤلم لنفوس معتقديه ومؤذن
لها ومنها ما هو مفرح ومسر وملذ لها كما بينا قبل هذا ولكن نضرب مثلاً لذلك
كما يتضح

(حكاية)

ذُكروا أنه كان رجل من أرباب النعم متدينًا ، وكان له ابن متجرًا بالسكر
وكان الرجل كارهًا لذلك منه .

فقال له يوماً يابني انته عن السكر حتى اعطيك شطرًا من مالي وعقاري وافرداً
داراً وزوجك بحسناً احدى بنات ارباب النعم

فقال ابنه يا أباً ماذا يكون؟ فقال تعيش فرحاً مسروراً ملتذاً أما بقيت
فقال ابنه إن كان الغرض هو هذا فهو حاصل لي . فقال له أبوه كيف ذلك .
قال لأنّي اذا سكرت وجدت في نفسي من الفرح واللذة والستور حتى اظن

معه ان ملك كسرى كاه لي وتخيل في نفسى من العظمة والجلال حتى ارى العصفور
مثلًا قدر البعير

فقال له ابوه ولكن اذا صحوت لا ترى لذلك حقيقة . قال اعود فأشرب
ثانيا حتى اسكر فأرى مثل ذلك

فهكذا القياس في حكم المعتقدين ببقاء النفس بعد مفارقتها الجسدية وجدان
لذاتهم لانه ان كان الغرض من الحياة في الدنيا ليس الا لاجل اللذة والفرح
والسرور والراحة بعد الموت كما قال تعالى « وترجون من الله ما لا يرجون »
بعد الموت الذي ليس هو شيء سوى مفارقتها الجسد كما بينا قبل هذا وقد بيننا
ايضا في رسالة حكمة الموت ولا ينقص هذا الاعتقاد من لذاتهم في الدنيا شيئاً

اما معتقدو فنائهم فانهم لا يخلو اما ان يكونوا من سعداء ابناء الدنيا او
من ابناء اشقيائهم فلو كانوا من ابناء سعادتهم فان هذا الرأى والاعتقاد يؤلم
تفوسهم ويؤذيها وذلك انهم كلما فكروا في الموت والفناء تنقص عليهم عيشهم
وأدخل الحزن على تفوسهم وتقص من لذاتهم في دنياهم لا لهم قد يقنووا بذاتها
وفنائهم ولا يرجون غيرها ولا يؤملون سواها وان كان هؤلاء المعتقدين بفناء
النفس من ابناء اشقياء الدنيا فهم يعيشون في غم وحزن طول اعمرهم في الدنيا
ويموتون اخره بمحسرة ومصيبة

ثم اعلم أن الاعتقادات الرديئة والآراء الفاسدة المؤلمة لنفوس معتقديهما
المؤذية لها كثيرة لا يمكن احصاؤها وبيان صفاتها ولكن نذكر الحمودة منها
ونصفها لتعرف ويتمسك بها وتحتنب سواها وقد بينا في رسالة النواميس
طريقاً من ذلك وفي رسالة اعتقاد اخوان الصفا ورسالة ماعية الامان وخاص المؤمنين
المحققين الذين وعدهم الله الجنة وشرحنا طريقتهم وأخلاقهم وآرائهم وعلومهم
وأعماهم في احدى وخمسين رسالة وبينا فيها صفاتهم وكيفية أحواهم لكن نذكر
جملة هاهنا منها بقول وجيز مختصر

وهو أن الإنسان العاقل يرى ويعتقد أن للعالم صانعاً بارئاً أحكماً فديها حباً عالماً وانه قد نظم أمر عالمه نظاماً محكمًا ورتب الموجودات ترتيباً متقدماً ولا يخفى عليه من أمر عالمه صغيره ولا كبيرة الا وهو يعلمها ويديرها تدريباً واحداً بحسب ما يليق بوحد واحد من الموجودات والكائنات وبحسب الاستعدادات الحاصلة من الكائنات وان مجري حكم عالمه بجميع خلائقه من الافلاك والبروج والكواكب والاركان والمولودات كجري حكم انسان واحد وحيوان واحد وان سريان قوى ملائكته في اطباقي سمواته وفضاء أفلاكه كسريان قوى نفس انسان واحد في جميع بدنـه وتفاصيل جــده وهذا قول مجــلــ قد شرحنا تقسيمه وبيناه في جميع رسائلـنا اجمعــ ولكنــ لا بدــ منــ أنــ يــاصــادــرهــ المــتــعــامــونــ فيــ أولــ الــامــرــ والمــبــتــدــؤــنــ بالــنــظــرــ فيــ هــذــاـ الشــأــنــ العــظــيمــ كــاـ يــاصــادــرونــ ســائــرــ العــلــومــ وــالــصــنــائــعــ ثــمــ فيــ آــخــرــ الــامــرــ يــعــرــفــونــ حــقــيقــتــهــ وــتــبــيــنــ لــهــمــ صــحــتــهــ

﴿فصل﴾

ثــمــ اعلمــ أــنــ غــرضــ اــفــارــ الــمــبــتــدــؤــنــ وــاعــتــقــادــ الــمــتــعــامــيــنــ فيــ مــبــداًــ كــلــ صــنــاعــةــ عــلــىــ تــحــقــيقــ أــصــوــهــاـ قــبــلــ مــعــرــفــتــهــمــ بــهــاـ تــقــلــيــداًــ هــوــ مــنــ أــجــلــ اــنــ لــاـ يــبــيــنــ ذــلــكــ الــاــبــعــدــ التــبــحــرــ فــيــهــ وــالــبــحــثــ وــالــكــشــفــ عــنــهــاـ

وــاعــلــمــ اــنــ كــاـ انــ الــمــتوــســطــيــنــ فــيــ كــلــ عــلــمــ وــصــنــاعــةــ لــاـ يــرــضــونــ بــالتــقــلــيــدــ اــذــ قــدــ يــعــكــنــهــمــ الــبــحــثــ وــالــكــشــفــ عــنــهــ بــالــبــرــاهــيــنــ فــهــ كــذــاـ اــيــضاـ يــنــبــغــيــ لــلــعــقــرــيــنــ بــكــتــبــ الــاــبــيــاءــ عــلــيــهــمــ الســلــامــ وــمــاـ فــيــهــاـ مــاـ اــســرــارــ وــالــاــشــارــاتــ الــمــكــنــونــةــ وــالــعــلــومــ الشــرــيفــةــ .ــ وــالــمــتــوــســطــوــنــ فــيــ الــعــلــومــ لــاـ يــرــضــونــ بــالتــقــلــيــدــ مــثــلــ الصــبــيــانــ وــالــفــســاءــ وــضــعــفــاءــ الــعــقــولــ بلــ يــحــبــ عــلــيــهــمــ الــبــحــثــ عــنــهــ وــالــكــشــفــ عــنــ الــاــســرــارــ وــالــاــشــارــاتــ

ذلكــ بــاـنــ لــيــســ غــرضــ الــاــنــبــيــاءــ عــلــيــهــمــ الســلــامــ فــيــاـ وــصــفــوــاـ مــنــ مــجــلســ الــجــنــانــ وــلــذــاتــ أــهــلــهــاـ هــوــ الــاــقــرــارــ بــالــلــاــســانــ حــســبــ بــلــ اــعــتــقــادــ وــلــاــ اــعــتــقــادــ حــســبــ بــلــ تــحــقــيقــ يــظــهــرــ لــهــمــ ،ــ بــلــ الغــرــضــ هــوــ التــصــورــ هــاـ بــمــحــقاـقــتــهــ كــيــاـ تــقــعــ الرــغــبةــ فــيــهــ وــالــطــلــبــ هــاـ لــاـنــ

الانسان لا يطلب مالا يرغب فيه ولا يرغب فيما لا يتحقق ولا يتحقق مالا يتصوره ولا يتصور الشيء الخفي الغائب الا بالوصف البليغ بالمحاسن فن أجل هذا اكثرا في القرآن من وصف محاسن الجنان وسرور أهلها ولذات نعيمها فتارة وصفها أوصافا جسمانية على قدر طاقة القوم مثل قوله تعالى «علي سرر موضوعة متكيئين عليها متقابلين يطوف عليهم ولدان مخلدون با كواب وأباريق» الآية . ذكر هذا وبين على قدر قبول افهمهم لا يعني أن هذه الاشياء ستوجد في الجنة على حالات حسانية بل ستوجد أشياء روحانية مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال تعالى ايضا «في سدر منضود وظاهر منضود وظل ممدود وماء مسكوب» وما شاكلها من أوصاف الامور الجسمانية وتارة وصفها بأوصاف روحانية على قدر فهم المتوسطين مثل قوله تعالى «في مقعد صدق عند مليك مقتدر» وقال «فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون» وقال «فيها ما تشهي الانفس وتلذ العيون» وقال «وجوه يوئذ ناضرة الى ربها ناظرة» وما شاكلها من الأوصاف الروحانية التي لا تليق بالاجسام الطبيعية، وتارة وصفها بأوصاف هي بين الروحانية والجسمانية مثل قوله تعالى «مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنها من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة لشاربين وأنهار من عسل مصفي وطعم فيها من كل المرات»

اما ترى يا أخي أنه قال مثل الجنة على سبيل التشبيه والتشبيه ليقرب من الفهم أصورها لانه يقصر الوصف عنها بحقائقها او انما خطاب كل طائفة من الناس بحسب عقولهم ومراتبهم في المعرف والفهم لأن دعوة الانبياء عليهم السلام عموم لخاص والعام جميعا ومن بينها من طبقات الناس وقد صرخ المسيح عليه السلام في وصف الجنان ونعم اهلها بأوصاف غير جسمانية فقال لاحوارين في وصيته لهم اذا فعلمتم مافعلت وما قلت لكم تكونون معي غدا في ملكوت السماء عند أبي وأبيكم

وترون ملائكته حول عرشه يسبحون بجمده ويقدسونه وانتم هناك متذدون
بجميع اللذات بلا كسل ولا شرب واننا صرح المسيح عليه السلام ولم يزل خطابه
كان مع قوم قد هذبتهم التوراة وكتب الانبياء عليهم السلام وكتب الحكماء
أيضاً وكانوا غير محتاجين الى الاشارات والتنبيهات بل كانوا متهيئين لصورها
مستعدين لقبو لها

فاما سيد الانبياء وخاتم المرسلين صلي الله عاليه وآله اتقى وبعثه في ذوم
أميّن من أهل البوادي غيره رتاضين بالعلوم ولا مقررين بالبحث والنشر ولا عارفين
بنعيم ملوكوت الدنيا فضلاً عن معرفة نعيم أهل السموات الذين هم ملوكوت
الأخلاق والآخرة وأهل الجنان فجعل أكثر صفة الجنان في كتابه جسمانية
ليقربها من فهم القوم ويسهل تصورها عليهم وترغب تقوتهم بها ونحن قد جعلنا
بحثتنا عن اسرار الكتب الالهية وبيننا في أكثر رسائلنا معنى أمراء النزيلات
النبوية وكشفنا عن أكثر الرموزات والاشارات وعن الموضوعات الناموسية
وذلك لأن خطابنا لا يكون الا مع أقوام عاداء فضلناه مارسوا اخوان
الصفاء ورسخوا في العلم وارتاضوا بالرياضيات الحكيمية المقرونة باسرار الكتب
الالهية واسارات الانبياء عليهم السلام

فإن كنت أيتها الأخ واحداً منهم فهم الى صحبة اخوان لك فضلاً، واصدقاء
كرماء علومهم حكيمية وآدابهم نبوية وسيرتهم ملوكية ولذاتهم روحانية وهممهم
الهنية وأترك صحبة اخوان الشياطين الذين لا يريدونك الا لجر منفعة الاجساد
أو لدفع المضرّة عنها ولكن يا أخي من المؤمنين الذين بعضهم أولياء بعض يأمرون
المعروف وينهون عن المنكر حتى تكون من الذين أشار إليهم بقوله:

« إن عبادي ليس لك عليهم سلطان » وتكون من الذين مدحهم الله تعالى

يقوله « الاخلاص يومئذ بعضهم بعض عدو الا المتقين »

وإذ قد فرغنا من ذكر اللذات والآلام الجسمانية التي تمجدها النفس بفارقتها

الجسد وما تجدها بعترتها وهي مع الجسد فتريه أن نذكر ما تجده بعد المفارقة
من اللذة والآلام التي هي جزاؤها وثوابها على ما عملت من شر وغرقان وإنكار
العبر عنه في الشريعة النبوية بالثواب والجزاء والعذاب الأليم

فصل

في كيفية وصول الـأَلام الى النفوس الشريرة بعد مفارقة
 أجسادها وكيف تكون من جنود الـبليس وحزب الشياطين
 فنقول اعلم ان الانسان العاقل اذا سمع أوامر الناموس ونواهيه ووعيده
 وزواجه ثم لم يأنم بحدوده ولم ينتقد لاحكامه، او سمع العلوم الحكيمية فلم يتم
 بواجهها ، ثم أهمل أمر نفسه وأعرض عن النظر في مصالحها بعد مفارقتها الجسد
 بل جعل أكثراً عنانته في اصلاح شأن هذا الجسد واهتمامه في تربيته واشتغل
 الليل والنهار بما يصلاح الجسد من المأكولات والمشروبات واللبس والمركب
 والمسكن وجمع المال والأثاث وزيادة الدنيا واستغرق في الشهوات الجسمانية
 وغاص في الأذات الجرمانية لا يفكّر في غيرها ولا يهمه سواها وتنى الخلود في الدنيا
 مع انه يتيقن بأنه لا يترك ها هنا وأفني عمره كله ساعيًّا ولا هيئاً الى الممات

من العذاب كما قال تعالى « لا يموت فيها ولا يحيى » فتبقى تلك النفوس عند ذلك تائهة هائمة بهمومها في طلب ما قد فاتها بما اعتادته من لذات هذه المحسوسات وقد منعت الوصول إليها والعود فعند ذلك تتمي وتنقول ببهمتها ياليتنازد فنعمل غير الذي كنا نعمل ياليتني كنت تراباً فهل لنا من شفاء فيشفعوا لنا ثم يقول الله سبحانه وlorدوا لعادوا لما نهوا عنه فعند ذلك تبقى بحسرتها وندامتها متألمة، بذاتها معدنة من سوء عاداتها، عميماء في جهالاتها دون فلك القمر سائحة في ثغر الأجسام المدطمة غريقة في بحر الهيولى هائمة هاوية في عالم الكون والفساد مع أبناء جنسها من الأمم الخالية إخوان الشياطين وجنود أبليس أجمعين كما ذكر الله تعالى « كلما دخلت أمة لعنت أختها » إلى آخر الآية وهي متلقون بابناء جنسها من النفوس المتجسدة بالوسوسة لها إلى ما في طباعها من شهوات هذه اللذات المحسوسات ضالين مضلين في جهنم خالدين كما ذكر الله تعالى « فككربوا فيها وغاوون » وذلك هو العقاب والعذاب الأليم والجزاء للنجو من الشريرة العاجلة والغافلة عن الحقائق والعلوم الشرعية

﴿ فصل ﴾

ماهية الشياطين وجنود أبليس أجمعين

اعلم أن النفوس المتجسدة الحية ملائكة بالقوة فإذا فارقت أجسادها كانت ملائكة بالفعل كما بينا في رسالة صفات المؤمنين المحققيين ورسالة البعث كذلك النفس المتجسدة الشريرة هي شياطين بالقوة فإذا فارقت أجسادها كانت شياطين بالفعل

في هذه النفوس الشيطانية بالفعل توسيع النفوس الشيطانية بالقوة لتخرجها إلى الفعل كما قال تعالى « شياطين الإنس والجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غروراً » فشياطين الإنس هي النفوس المتجسدة الشريرة آمنت بالآجساد وشياطين الجن هي النفوس الشريرة المفارقة للأجسام المتحجبة عن الأ بصار

ومثل وسوسه هذه النفوس المفارقة لهذه النفوس المتجمدة كمثل من قويت شهوته للطعام والشراب وضعفت حرارته الهاضمة عن نضجها فهو يشنئ ولا يستمرى، فعند ذلك تكون همه أن يرى الطعام والآكلين لينظر اليهم فيستريح عنها لضعف الآلة وبطلان فعل القوة، وكمثل من ضعفت آلة جماعه لا يقوم عليه فهمته أن يرى انفعالين لعله يقوى طبيعته وينهض آلة

وهذه حكم النفوس المفارقة ليست لها آلة تزال بها المذات المحسوسة فهي تحب وتتوسوس إلى أبناء جنسها من لها تلك الآلة على الفعل

فهكذا وسوسه النفومن الشريرة المبغضة اذا فارقت أجسادها تعلقت بأبناء جنسها من النفوس المتجمدة المبغضة الشريرة بالوسوسه لها إلى القتال والخصومات والعداوات والى هذه النفوس وأشار بقوله تعالى «من شر الوساوس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنّة والناس»

فهكذا حكم أبناء الدنيا يا أخي الجاهلين بأمر المعاد المشتغلين بالاجساد الغافلين عما بعد الموت المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم كما ذكر الله تعالى «ومن ورائهم يرث خالي يوم يبعثون» كما بينا في رسالة البعث والقيمة فاطلب من هناك

واذ قد فرغنا من ذكر الآلام الروحانية التي تصل إلى النفوس الشريرة بعد مفارقتها أجسادها التي كانت جنة لها فنريد أن نذكر المذات الروحانية التي تجدها النفوس الخيرة الفاضلة بعد مفارقتها أجسادها التي كانت كالسجين لها كما بيننا في رسالة كراهيّة الحياة والموت

ثم اعلم يا أخي أن المذلة والراحة والسرور والفرح والنعيم التي تجدها النفوس الخيرة الفاضلة الملكية بعد مفارقتها والجسد المعبّر عنها في الشريعة بالثواب والجزاء يقصر الوصف بحقائقها ولا يبلغ البشر كنه معرفتها لأنها روحانية أبدية سرمدية قال تعالى «فلا تعلم أقصى ما أخفي لهم من فرة أعين جراء بما كانوا

يعلمون» وقال عليه السلام فيها من اللذات ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا
خطر على قلب بشر من الروح والريحان
ولكن نذكر منها طرفاً ونشير إليها إشارة وهمية حسب ما جرت عادة
الأخوان الأصدقاء في ذلك ونضرب لذلك مثلاً شبه الرموز والإشارة والتبيه
كما يقرب من فهم المتفكر بن ويتصور في أفكار المربيدين فنقول
اعلم أنه كان في الأزمان الماضية فن من أولاد الملك شاباً ظريفاً حسن الوجه
كامل البنية تام الصورة جميل الأخلاق كريم الافعال عادل السيرة عشق جارية
حسناً من أقاربه من بنات الملوك فتزوجها وزفها كما يايق بأولاد الملك من
الكرمات وعاش معها زماناً طويلاً في عز سلطانه ونعم مملكته ولذة شبابه
ومسرور نعمته آمنين هادئين بلا تنفيص من عوارض الحدثان
ثم فرق الدهر بينهما بعوتها وزوال الفتى عن ملكه بغلبة عدو ظهر عليه
وأغرب عن بلاده وساح في الأرض على حالة الغرباء وافتقر وأصابه الذل والهرم
وضعف بدنه وذهبت فوته وكل بصره وقل سمعه وأصابه العرى والجوع
والعطش وتنى الموت مما هو فيه من المحن والبلوى والجهد والشدة فدخل خربة
ونام فيها على مزبلة ورماد يستريح بين وطأها فوجد راحة فنام فرأى في منامه
كأنه شاب طري كثيئه ما كان عليه في صباح وقد رجعت إليه قوه بدنه ونشاط
نفسه وأيام شبابه وكأنه على سرير في ملكه وعز سلطانه ونعم أئاته ومسرور
 أيامه اذ هو بتلك الجاريه كثيئتها يوم عشقها وزمان تزوجها بحسنها وجاهها
فعانقتها والتزمها شهوة ونال منها شهوته كما كان يدرك بدءاً وها على سرير الملك
يحملهما الريح حيث أرادا فن شدة ما وجد من المذلة والحرج اضطرب من نومه
وتحرك وانتبه فاذاهوفي تلك المخرابة وفي تلك المزبلة وكلاب حوله تنبع عليه
فإذا ترى أيها الاخ كم بين حال نفسك في ذلك المنام وما وجد من المذلة

والسرور والفرح وبين حالتها لما استيقظت من الغموم والاحزان والشدائد
والبلوى والجهد

فهكذا القياس بين حال النقوس الخيرة وكونها مع الاجساد وبين كونها مفارقة
للاجساد من اللذة والفرح والسرور وبالاضافة الى حالها مع الاجساد وما يلحقها
من الهموم والغموم والاحزان وال المصائب والشدائد بجاننا الله واياك وجميع اخواننا
من الم نيران جهنم عالم الكون والفساد وأوصلك وايانا الى نعيم الجنان عالم
الارواح والافلاك من مملكت السماء وجوار الملائكة المقربين مع النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين

(تمت رسالة الاَلام والمذمات ويتلوها رساله في بيان علل اختلاف المذمات)



الرسالة السابعة عشرة

مقدمة في الجيولوجيا

ف علل اختلاف العلاقات ورسم الخطوط والعيارات

وهي رسالة الحادمة والثلاثون من رسائلي أخوان الصفا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفني الله خير أمة يشركون

فصل

اعلم أبها الاخ البار الرحيم أيدك الله وإيانا بروح منه انه لما فرغنا من ذكر
اللذات والآلام الجسمانية والروحانية وذكر علة كراهةية الحيوان للموت نريد
أن نذكر في هذه الرسالة التي في آخر الطبيعتين بيان اختلاف علل اللغات فنقول :

ان معرفة علل اختلاف اللغات والكلام والاصوات ورسوم الخطوط والكتابات وكيفية مبادىء المذاهب واعتقادات الاراء والديانات وأصل تكوينها ومبادرتها وظهورها ومنتجتها وتزيينها ونحوها وكثرتها واختلاف اهلها فيها وآرائهم ومنهاجمهم ودنور قوم وكون آخرين منهم قرناً بعد قرن وأمة بعد أمة لاتكون الا بعد البيان والايضاح عن الاصل الذي تفرعت عنه هذه الامور التي ذكرناها والاخبار عن كيفية تركيبها وتحليلها وحركتها في مبادرتها وكونها بذاتها وعن اختلاف مغاربها وينبع عنها في سائر الاجسام وشدة يانها عن الحواس

وسرارها في الاجناس وآثارها للحواس وصفة حدوثها بسرعة وانتقال وخروجها بحركة واقفال وذهابها بعدم واضمحلال وكيفية وجودها في عالم الانسان وكيف كانت فيه في مبدئها وكيفيتها فيما دونه من الحيوان وغير الحيوان ، تؤديها الى حاسة السمع من جلتها ومن يحملها وكيفية حملها وما السبب الموصل لها الى الحاسة المتحققة بها ولم يدركها من الحواس غير هذه الحاسة وما العلة في ذلك وكيف يعرف الانسان بخاصة هذه الحاسة مفهومها وغير مفهومها بالبرهان

وهذه امور غامضة تحتاج فيها الى بحث دقيق والاخبار بها من غایات الامرار ونزيد أن نذكر منها في هذه الرسالة طرفاً بحسب التوفيق ليكون مدخل الى علم ذلك ومقدمة بين يديه ليسهل الباقي ويكون بأوجز قول يؤدي الى الفهم وأوضح دليل يسهل به العلم من غير تطويل يشتبه على قارئه ولا اسهاب يضجر راويه ونبأ من ذلك في ذكر الاصل والعلم في مبادئه فنقول :

اعلم ان هيولى الحكمة تتجدد من اراده الهيئة لانها هيولى قابلة لجتمع الاشياء وهي مادة معاوية وقوه فلكية وأسباب علوية وقوه عقلية متصلة بجوهر روحانية وأشخاص قوانين ، تربط بأفلاك دائرة وتتصل بكواكب سائرة وتشرق على نجوم طالعة وتضيء بأنوار ساطعة وترمي الى ما دونها أنوارها وتودع المصطفين في الاشخاص الانسانية أسرارها وتجعل فيهم وداع الخيرات وتحجعلهم مفاتيح البركات وذلك بما يخالف اليها ويعاقب عليها من اتصال وافتراق واختلاف واتفاق من غير خلل في نظام الابتداء ولا تنتهي عن تمام البلوغ والانباء وان تلك المادة الفاعلة لجتمع المكونات لا تدرك الا بطائق الحواس ولا يبلغ تناولها الا بالاتمس وكيف لا يكون ذلك كذلك وهو السبب الذي لانتقضى عجائب مادته ولا تفني مواد كيته فنقول :

اعلم يا أخي ان المعرفة لها والعلم بها درجة صعبه الارتفاع ومسافة بعيدة لا تنتهي وهي درجة العارفين ومقام المستبصرين الناظرين الى آثارها العارفين

بأخبارها من طريق العناية عن الحواس الحيوانية والطريق الجرمانية اذ كانت آثارها روحانية ومواردها نفسانية وعنها صدرت القوة المتصلة بالحكاء وهي روح القدس النازلة على الانبياء عليهم السلام بالوحى من السماء وعليها معمول العلماء وربما وردت أشياء كثيرة الاختلاف بعيدة الاختلاف متباعدة القوانين مختلفة الموازين

وذلك ان ما كان منها في هذا المكان الارضى والمركز السفلى تضعف الحواس عن ادراك معرفتها وتعجز المشاعر البشرية التي هي من اسباب الاهيولى عن بلوغ ادراكمها فاذا كانت الاشياء على هذا المثال منشئها وبهذا الترتيب ميدئوها وكانت القوة التي هي مادة المعرفة بالحس في العالم الانى وسبب القبول في الجسم المحبول يعجزان عن البلوغ ويضعفان عن الوصول وكانت مدة الزمانية التي هي سبب الحياة الانسانية تقصر عن الطاب وتفنى قبل بلوغ الارب وتضيق عن الاحاطة بمعرفة ذلك السبب

وادا كان الامر على ما وصفنا كان أول ما يقصده العاقل وتوخاه واعتمد عليه الفاضل وتحراه معرفة ماطا وعه عليه حسه وساعدته على قوله جوهر نفسه وتلقاه أيام مدته وأعمل فيه فكرته زادت فيه بصيرته فن لاحس فيه لامعرفة له ومن لامعرفة له لا جوهر له ومن لا جوهر له لا بلوغ له ومن لا بلوغ له لامقر له ومن لامقر له لا وجود له ومن لا وجود له فهو العدم

﴿ فصل ٢ ﴾

ثم اعلم ان الغرض من اتحاد المركبات كلها هو معرفة السبب الموجب لذاتها المنشىء لمباديه المؤلف لكييفياتها وكيف كان منها الابتداء والى اين تؤول العاقبة في الاتيه وكيف كان التئام التأليف واتفاق الاطياف بالكتلتين واذدواج التركيب وكيف يكون افتراق المجتمع وانفراد المزدوج وانهلال المعتقد والاتحاد منفردا ، وعدم وجودها، وتقاد اجزائهما بعد صحة وجودها ، وسلامة معهودها ووثاقة معقودها ، فاذا انت عالمته وتصورته وتبينته وتأملته بان لك اذا ساعدك

عليه حيث وأوصلك الى معرفة قبول جوهرة نفسك وتأملته تأمل التحقيق وبان لك كيفية التأليف والتركيب وافتراض اللطيف بالكتشيف الذين بهما وبصحة معرفتها، وجود مادتها واحداها مادة ارضية وقوة جسمية والآخرى صورة روحانية وشهوة ملكية فيها من قصة عجيبة ظريفة، من اجماع ما يلامع ما دنا وارتباط مالطف بها كثيف، حارت في ذلك عقول الحكاء وتاهت فيه اذهان العقلاء وانسنت الطرقات وانطممت العلامات وتعذر الدلالات إذ كان من المنكر في هذا العالم على من له حكمة ونظر أن يقرن العالم بالجاهل وأن يجمع بين الجوهر والحجر في مقر واحد اللهم إلا يكون أراد تعذيب العالم بالجاهل جزاء له بذنب عمله وجرم قدمه أو مقارنة الجوهر بالحجر وكونها في مكان واحد ليكون الحجر سرآ على الجوهر وواقيآ له وغطاء عليه وحجباً بين يديه لا أن يكون العالم والجاهل عنده في مقام واحد.

وكذلك الحجر والجوهر اذا كانا في مقام من جهة الصورة الجمالية والهيولى الجرمانية منعكسان في في الهيولي فانهما لا يرمان ما تحدبها بقيء الفتل والجوهر من المواد المضيئة والرتب العلوية، أعني العالم، والحجر عدم ذلك فاييس يقال بأنه عالم

ولما كان ذلك كذلك زالت الشبهة والانكار لوجود معرفة ذلك السبب الموجب الاجتماعي ووجب للطالب اذا طلب معرفة ذلك السبب ومن بعد وجود اجتماعها حصول افتراقها وجود أحد هما بجمة وعدم الآخر وتفرقته واذا عرفت ذلك باز لك الفرق بين الجم والعرض وادركت المراد والفرض وساين من ذلك ما رأى يعنيك على ذلك ويبلغك الى معرفة ما وصفت لك، إذ قد فرغنا من ذلك رجعنا الى الابانة عن تركيب الاوصوات واختلاف اللغات ومباديء الخطوط والكتابات واللغاظ والعبارات واستخراج الحروف والمؤلفات ومن اين تخرجت وعمن أحدثت وفي اى مكان وجدت والله ولـى التوفيق

❀ فصل ❀

ثم اعلم انه لما سرت القوة النفسانية في الجسم الذي هو العالم باسره بعد كونها لامريان لها ساكنة في حظيرة القدس في روضة الانس حيث سريان القوة العلوية فيها واسرارها عليها وكونها مرتبة بحيث ربها بارتها كما قال تعالى «ولقد عاتم النشأة الاولى» وهي التكون في وقت الابداء فاما امتلاء من الفضائل والخيرات وما بلغ اليها من الافاضة وكانت ذات فكر وتخيل فتفكرت ثم تخيلت ثم نظرت فارادت أن تكون ذا منه وتفصل وان تكون رياضة ونفاسة وان تكون مفيدة فبذا لها في ذلك التخيل الذي تخيلته والمثال الذي مثلته وابت السريان فيه والارتباط به من جسم العالم ومكنته الله تعالى من ذلك وجعله جسداً لها واراها خلاف ما ظنته فاما دارت افلاكه وسارت املاكه وزهرت كواكبها وبدت عجائبها اقبلت تمثل فيه ما كان مثلاً فيها وتخرجه من القوة الى الفعل ومن المعمول الى المحسوس الشيء بعده الشيء ثم أن جميع الموجودات وسائر المصنوعات لما بدت ووجدت في العالم وقع الاختلاف فيها والسؤال عنها من جهة ثلاثة أنواع يحصرها جنس واحد ذوق ذلك الترتيب الاول المترتب كان في النفس اولاً بالقوة والامور العقالية المحسوسة وهي صورة أنياب بسائل المركبات والموجودات بالترتيب والثاني هي الامور المحسوسة ثم البرهان يقتضي علتها وبين معاناتها ويعرف الناظر فيها والسائل عنها معرفة كيفيتها معقوله في غاية التجدد النفسي وكونها بعدها محسوسة في العالم الجسدي

فاما تفصيل ذلك فنقول اما الصورة العقلية فهي آثار العقل الكلى في النفس الكلى لقوتها منه وكونها بالقرب منه وهي أنوار مضيئة تخرج عن حد الوصف بالعبارة الجسامية من حيث التركيب اذ كانت في غاية البساطة والتجريد الى الامور المحسوسة فهي صورة في الهيولى تدركها الحواس بال مباشرة لها وتنفعها بخاصة القوة فيها

واما الامور المبرهنة فهي اشياء لاتدرك الا بعود العلم وصحة العقل وهي

أمور يكون مبدئها من أمور الالهية وأشخاص ملوكية تضطر العقول الى الاقرار بها والاذعان لصحتها والتمسك بعمرتها كما بين في كتب الهندسة وصحة الدليل على ما قد قال أهلها ان اشكال الاشياء لا يحيط باطرافها ولا تدرك اقدارها ولا ترى اقطارها ولا يمكن رؤيتها الا مدورة بأي شكل شكلت وأي مثال مثلت كما قال افليidis في كتابه ان مقدار ظلل أي نهاية، جسما كان أو سطحا أو خطأ فإنه يمكن أن يوجد منه داعماً ولا يفي أبداً بهذه حكمه لا تدركها الحواس ولا تتصورها الاوهام البة من غير تعريف

وقد تكلم افليidis أيضاً في مقدمات كتابه عن البرهان وقال ان البرهان مقدمات الحجة على تحقيق الخبر

فاما النزام فهو العلم بالعلوم بجمع ما ذكرنا، قال افليidis وإنما النقطة هي التي لا جزء لها والخط هو طول بلا عرض وطريقاً الخط نقطتان والخط المستقيم هو الموضوع في مقابلة كل واحدة من نقطي طريقه على سمت واحد فهذا يدل على ان النقطة وهي لا تتحقق الا بالبرهان ولا تعرف الا بالخبرة فقد تبين اذا ان الامور المبرهنة لا تدركها الحواس ولا تتصورها الاوهام ولكن البرهان الفضوري والحجية القاطعة يضطر ان العقل الى الاقرار بها لان البرهان ميزان العقل كما ان الكيل والوزن والذرع ميزان الحواس فاعرف ما ذكرنا وتحقق ما وصفنا وأدمن فيه فذكرك واعمل روتك فانك بذلك تزال غرضك فتبلغ مرادك وطلبتك

* فصل *

(في معرفة الاصوات الفلكية)

فنقول اعلم ان الاصوات هي الاعراض الخادنة من الجوادر والجواهر جنسان فاعلا ولطف قيل جواهر علوية ومادنا وكشف قيل جواهر سلفية وأصوات هي اعراض لا يكون حدودها الا عن الجوادر وحدودها لا يكون الامن

محرك يحركها تارة يطعن الصوت ويحصل بعمق الحاضرين وتارة يسكنها فيسكن
الصوت .

ولما كان ذلك كذلك وضح البرهان على أن أصل الحركة هو النفس وإن
الصوت منفعل من حركتها وسريان قواها في الأجسام
ولما كانت الأفلاك دائرات والكواكب والنجوم متحركات وجب أن يكون
هذا صوات ونغمات

ولما كانت مستوية في نظامها محفوظة عليها صورة تمامها وكاملها وجب أن
تكون حركاتها منفصلة واصواتها متصلة وأقسامها معتدلة ونغماتها لذيدة وألحانها
بديعة ومقاليتها تسبيحاً وتقديساً وتكبيراً وتهليلياً تفرح بها نفوس المستمعين
هذا والحادفين بها من الملائكة والنفوس التي تقدم عليها وتصعد إليها وتلك الحركات
والاصوات هي مكمال الدهور والازمان التي بها يحكم على عالمها بالبقاء من حيث
هي كما أن الاصوات اللذيدة واللائح المطربة والنغمات الحسنة في عالم الابدان
تفرح بها نفوس السامعين لها وتحسن إلى استماع ما كان لذيداً منها وتسر يقربها
وتسلي عنها الغموم وينجلي عنها الهموم ويكون منها سكونات فاصلة بين تلك
النغمات والحركات فتصير عند ذلك مكملاً لازماً وذرعاً له ومحاكية لحركات
الأشخاص الفلكية والاصوات الملكية ومناسبة لها وتلك هي الأصل في جميعها
وهذه فروعها وقد استمعتها النفوس وهي في عالم الكون والفرد فتذكرت بها عالم
الأفلاك ولذات النفوس التي هناك من فسحة الجنان وروضة الريحان ، وعلمت
انها في أحسن الاحوال وأطيب الالذات وأتم الاشكال وأدوم السرور لأن تلك
النغمات والاصوات هي اضعف هذه الالحان وهي أطيب لأن تلك أحسن ترتيبها
وأصح تأليفها وأجدد هنداماً وأقوم نظاماً وأصفى جوهراً ومناسبات حركاتها
أصح تأليفها

فإذا تخيلت النفوس من الجزئية التي في عالم الكون والفساد ما في عالم الأفلاك

وتفيد حقيقة ما وصفناها تشوّف عند ذلك إلى الصعود إلى هناك والاحراق بأبناء جنسها والوصول إلى حظيرة الفلك وروضة الانس
ولما بان لنا أن الفلك طبيعة خامسة وإنها ليست بمخالفة لهذه الأجسام التي دون فلك القمر في كل الصفات وذلك أن منها ما هو مضيء كالنار وهي الكواكب ومنها صقيل الوجه كوجه المرأة وهو جرم القمر ومنها ما يقبل النور والظلامة مثل الهواء وهو فلك القمر وفلك عطارد وهذه كلها أوصاف الأجسام الطبيعية تشاركها الأجسام الفلكية فقد بان بأن الفلك وإن كان طبيعة خامسة فليس بمخالف للأجسام الطبيعية في كل الصفات بل في بعض دون بعض وذلك أنه ليس بحار ولا بارد ولا رطب ولا يابس بل هو صلب أشد صلابة من الياقوت وأشرف من البلور وأصلق من المرأة وإنه يماس بعضه بعضاً ويصطك ويختنك ويطن كما يطعن النحاس ويكون لنفياته وأصواته مناسبات موقّفة والخان موزونة كما يبنا في رسالة الموسيقى باكثر من هذا البيان وأثنا عليه البرهان من صناعة العود وضرب الاوتار وما يستعمله أهل هذه الصناعة من النسبة وهي أصح نسبة تكون وأفضلها لأنها نسبة روحانية

فصل

ثم اعلم انه لو لم يكن حركات اشخاص الافلاك أصوات ونغمات ولا الملائكة
كلام ولا تسبيح ولا تقديس فليسوا هم اذا أحياء فهم أموات لان الصوت بالمعنى
أولى ولربما احتلك بعض الاحياء بعض فيحدث من بينها قرع في الهواء ولو
كان الفلك ومن فيه بغیر كلام ولا صوت ولا نطق لكان ما يكون تحته مثلا كلا
له وكان من يكون سا کنا بغیر حرکة

ولما كان هذا من الاصل في البداية وجب أن يكون ماتخذه مناسباً له لكن هو الاعلى زيادة عليه اذ كان هو الفاعل وهذا المنفعت وايهمها الاولى بالنطق والحركة والكلام والتسبيح والتكبير والتقديس والتمهيل أهل السماوات والافلاك أم أهل

الارض من عالم الانسان والحيوان والجمادات وايضاً أولى بالسمع والابصار والاذهان والافكار والخواطر والاذكار والعلم والعقل اهل السماوات أم اهل الارض فأهل السماوات هم المسبحون المستغفرون لمن في الارض لا يفترون عن التسبيح ولا يسكنون عن التقديس بالحان طيبة ونغمات لذبحة اذ من نغمات العيدان ونقر الاوتار والطنابير ومجاوبة المزامير في الميادين الفسحية والانبوبات القائمة وان تلك النغمات والاحان تذكر تلك النفوس البسيطة التي هناك سرور عالم الارواح ومحل الاشباح التي فوق فلك الافلاك التي جواهرها اشرف وألطف من جواهر عالم الافلاك الذي هو عالم النفوس ودار الحيوان الذي نعيمها كله روح وريحان في درجات الجنان ولذلك صارت النفوس الجزئية التي في عالم الكون والفساد اذا سمعت الاصوات الطيبة والنغمات لذبحة مثل قراءة الانجيل وتلاوة القرآن والحان الداودية والحان القراء في المجالس تذكرت رسوم الافلاك ومحل السماوات وتشوقت الى ما هناك ولذلك قالت الحكمة ان الموجودات والمعلومات هن التي تحاكي احوال الموجودات الاولى التي هي عللها وقوفهم ان الاشخاص الفلكية علل وآلات هذه الاشخاص التي في عالم الكون والفساد وان حركات تلك علة لحركات هذه وحركات هذه تحاكي حركات تلك فواجب ان تكون اصوات هذه ونغماتها تحاكي ما هو علة لها كحركات الصبيان اصوات آباءهم وأمهاتهم وحركاتهم في لعبهم فانهم يحاكون افعال الآباء والامهات وهكذا التلامذة يحاكون افعال الاستاذين وأكثر العقلاء والعلماء من الناس يعلمون ان الاشخاص الفلكية وحركاتها المنتظمة وأصواتها الموزونة على النسبة الفاضلة متقدمة الوجود على الحيوانات التي تحت فلك القمر وحركاتها علة لحركات هذه وان عالم النفوس متقدم الوجود على عالم الاجسام كما بينافي رسالة المباديء العقلية ولما وجد في عالم الكون والفساد حركات وأجسام ذات اصوات وحيوانات ناطقة

دل على ذلك ان في عالم السماوات أشخاص ناطقات ولطائف متجركة وان تلك الحركات نغمات متناسبات مفرحة لنفسها ومشوقة لها الى فوقها كما يوجد في طباع الصبيان اشتياق الى احوال الآباء والامهات وفي طباع المتعلمين والتلامذة اشتياق الى احوال الاستاذين وفي طباع الجنود والخدم اشتياق الى احوال الملوك والرؤساء . وفي طباع العقلاه والنضلاء اشتياق الى احوال الملائكة وتشبه بهم كما قيل في حد الفلسفة أنها تشبه بالله بحسب طاقة الانسان

وقد قيل أن في شاغورث سمع بصفاء جوهره وذكاء قبله نغمات حركات الافلاث وأصوات حركات الكواكب واستخرج بموجودة فكره أصوات نغمات الموسيقى وأوضاع أحانها المطربة وهو أول من تكلم في هذا العلم وخبر عن هذا السر من الحكماء ثم تيقوماكس وبطليموس وافقليس وغيرهم من الحكماء تصرفا في ذلك واتقووا كما ينبغي

وقد ذكرنا في هذا المعنى واستقصينا البيان باقامة الدلالة عليه في رسالة الموسيقى فقد بان بما ذكرنا وتحقق بما وصفنا ان السماوات عامرة بأهلها مسكنة ولسانها أصوات ونغمات والاصوات والنغمات والحركات التي هي اعراض تحدث من حركات الاجسام الحيوانية وذير الحيوانية اغا تظاهر وتبرز بحسب بروز تلك الاصوات في ذلك العالم

وهكذا أيضا تتبع هذه الحركات الجزئية تلك الحركات الكلية . وهذه حركات ناقصة وتلك حركات كاملة وهذه حركات فانية وتلك حركات باقية صالحة وتلك الحركات والاصوات والنغمات كلها مفهومة وهذه غير مفهومة وتلك مستوى وهذه غير مستوى

والعلة في ذلك صفاء هيولى تلك وكدر هيولى هذه ، وهيولى هذه فانية فاسدة وتلك باقية صالحة وتلك الحركات مكائل الدهور النفانية ، وهذه مكائل الاوقات الزمانية . وهذه مركبة وتلك بسيطة وهذه فيها اختلاف وتغيير وتلك لا اختلاف فيها ولا تغيير والنغمات المذهبة والاصوات الطيبة في هذا

العالم قليلة الوجود معدومة على الحال الا كثرا ينخصص بها الملوك والكتاب
ويتنافسون فيها ويكثر غير المخصوص بها لشرفها وجلالتها في النفوس
ولذلك صارت النفوس الجزئية اذا سمعت نفمة طيبة وصوتاً حسناً تنجذب
اليه وتصبو نحوه وتنتصب اليه اتساعها لقلته وكثرة اضداده من الاصوات المنكرة
وهكذا میاما الى الصورة الحسنة والاشخاص المایحة لقلتها وكثرة اضدادها
فلذلك صارت المستحسنات مرغوبا فيها محبوبة لكثره التنافس فيها او لقلة وجودها
فاما ذلك العلوي فكان روح وريحان ونفات الذىذة والحان طيبة وصور
حسان وهو مسكن الحور والولدان وبرور وخير معرى من الشوائب المتنفسة
والاخلاق الموحشة

فصل *

ثم اعلم ان من لدن فالك المحيط الى متهى ذلك القمر اصوات هرتفعة
وألحان مطربة ونغمات لذيدة ولغات مختلفة وحركات مؤلفة نادلة كاها
بالتبسيح والتهليل والتکبير والتحميد فقد بان لك بهذا الوصف معرفة
الاصوات الفلكية والحركات السماوية . وسنذكر بعد ذلك الاصوات الارضية
والنغمات السفلية

فصل

في معرفة اصول الاصوات الارضية

فتقول اعلم ان اصل الاصوات هوما حدث من تصادم الاجرام وحركات الاجسام والصوت قرع يحدث من الهواء اذا صدمت الاجسام بعضها ببعض

فتحدثت بين ذينك الجسمين حركة عرضية تسمى صوتاً بـأى حركة تحرك ولا يرى جسم صدمت ومن أى شيء كانت وهذه الأصوات تنقسم إلى حيوانية وغير حيوانية والحيوانية تنقسم أقساماً وتنفرق اجناساً على حسب اختلاف الحيوان في اجناسها وتبينها في صوتها . وستأتي على بيان ذلك في موضعه إن شاء الله والاصوات التي هي غير حيوانية ايضاً تنقسم قسمين وتوجد في نوادرتين وذلك أنها طبيعية وأالية فالطبيعة كصوت الرعد والريح والبرق وكهربوت الأجسام التي لا درواح فيها كالجمادات ومثل صوت الحديد والحجر والخشب وما اشبه ذلك . والآلية هي الأجسام الصناعية كصوت الطبل والبوق والزمر والوتر والمنافر وجيمع هذه طبيعية وأالية لا يحدث فيها صوت ولا يسمع لها حركة إلا من تصادم بعضها بعض وامتزاج بعضها بعض فإنه لولا أن الزاهر ينفع في الناي والمغنى يحرك الوتر والمنافر ينثر الحجر لم يوجد لذلك صوت ولا يسمع له حس.

وأما أصوات الرعد فقد قالت الحشوية أنه للملك يزجر السحاب ويسموه ويفرقه يميناً وشمالاً وإن الملائكة عن يمينه وشماله يسبحون بتسبيحه ويسكنون بسكناته . سبحانك هذا بهتان عظيم فلم يكن عند علماء هذه الطائفة الحشوية أكثر من هذا العمى ب بصيرتهم وفنه عقائهم وعقم جهالتهم

وقال غيرهم من يدعى معرفة علم الهيئة أنه يحدث من تصادم السحاب واصطدامه الغيوم وهذا خطأ لأن السحاب جسم متعدد من البخار يتضاعف من الأرض لطيفاً ثم يتلاطف من التمايم بعضه إلى بعض وهو جسم لا صوت له وقال آخرون هو الريح يخرق السحاب والريح إذا خرق السحاب فرقه وأنقطعه ولم يحدث من بينهما صوت

بقي القول في الصواب وهو أن يطلع البخار بلطافته حتى يتعاقب في عنان الهواء وهو على ضربين رطب وبابس فإذا اجتمعا وتكلتفا امتزجاً وتعاقداً فعقد البخار الرطب مع البخار اليابس بقوه كثافته وشدة رطوبته ولا يكون له منفذ إلا بشدة شديدة فيجتمع بقوته ويخترق الهواء بلطافته فيحدث منه ذلك الصوت
(٨-)

على قدر كثرته وقلته وربما طلب العلو فلم يكن له منفذ فانعكس البخار اليابس
فطلب السفل فقدح ناراً أو يحدث منه صوت هائل وهو الذي يسمى الصاعقة
كما يحدث من الزق المنفوخ اذا وقع عليه حجر ثقيل من شاهق وشقه وخرج
منه الهواء الذي كان فيه دفعه واحدة وحدث منه صوت هائل، وهو الذي يسمى
صاعقة يسمعه من بقرب تلك البقعة وربما يتحوال ذلك البخار فيصير ريحًا يدور
في جوف السحاب ويطلب الخروج منه ويسمع له دوي وقرقرة كما يسمع من
أجوف الحيوان والانسان من الريح التي تحدث في الجوف من جهة المأكول
الذى يحدث فيه

﴿فصل﴾

ثم اعلم انه لو لا العناية الالهية والسياسة الربانية ورحمه الله تعالى بخلقه ورأفته
بعباده بأن جعل كرة النسم عاليه عن كرة السحاب ، مرتفعة بعيدة من الأرض
بقدار الحاجة وجعل من شأن السحاب انه اذا انخرق طلب الصعود الى فوق
ومن شأن قرع الهواء اذا حدث أن تكون حركته الى فوق، ولو لا ذلك لكان
أصوات الرعد ولمعان البرق تضر بسامع الحيوان وأبصرها او لا هلا كتها كما يكون
ذلك في بعض الاحيان

وذلك ان السحاب اذا زاحم ودفع بعضه بعضاً حتى يتضطرط فينتقل من
قرب الأرض وتحدث منه الرعد وتتخرق السحب من أسفل فيحدث من ذلك
قرع في الهواء وتتدافع منحط في الأرض فيكون من ذلك صوت هائل يسمى
صاعقة وتقتل كثيراً من الحيوان الذي يقرب من ذلك المكان وربما أحرقت
بعض الاجسام الرخوة لأنها نار لطيفة

واما الاجسام الصلبة فانها قل ما تفعل فيها وقد ذكرنا طرفاً من هذافي رسالة
الآثار العلوية ولو لا خروجنا عما له قد صدنا لشرحنا ذلك شرعاً تماماً كاملاً
ثم اعلم انه كما لا يجوز في العقل أن يكون حيوان الا من ماسة أسباب

أو نكاح أجسام كذلك لأنوجد الأصوات إلا في الأجسام ولا تصور الأجسام
الآية بمحركات .

ثم ان الاصوات اعراض حادثة والجواهر أجسام حاملة لها فان زعم زاعم
او اعتراض معتبر فقال انه قد توجد أصوات في غير اجسام ومن غير حركات
الاجسام ، وذلك انه اذا تكلم متكلما في سفح جبل او صاح في قعر بئر او نهر
اجابه مجيب بمثل كلامه يسمع المتكلم جوابه من غير جسم ولا حركة جسم
وقد يرى أيضاً حيواناً يتكون من غير نتاج ولا نكاح مثل دود اخل
وسوس النمر وما يتكون من العفونات ومن الندوات وما أشبه ذلك.

فليعلم هذا المفترض وهذا القائل انه ليس القول كما زعم فإنه جاهم بهذه الاشياء وبهذه الاسباب الموجبة لخدوتها منها وكوئها عنها فغاط فيها رأي من موجوداتها وكان قليل المعرفة بعلماتها وانه لما سمع الصوت من الجبل والبئر ظن بأنه اجا به بجوابه ورد عليه بكلامه إما من حيوان لا يراه بشيء لا يعيشه أو اذ الجبل نطق بجوابه وقرر البئر رد كلامه فهذا تخيل من لاعقل له ولا معرفة عنه . فالصوت الذي يسمعه اما هو صوته والحركة التي بدت منه في الهواء وذاك انه صاح في سفح الجبل وقرر البئر الى جانب العائط نخرج من جوف المتكلم شكل كروي ونقش عرضي يأخذه الهواء الى أن يؤديه الى ذلك الموضع فيصادفه ما يمنعه من النفوذ والانتشار في رد راجعاً فيسمع منه ذلك الصوت وهو الصدى وسنأتي على شرح ذلك كما ينبغي في موضعه

* فصل *

واعلم أن الاصول في أصوات ذوات الأصوات ان معرفتها تكون بمعرفة
الطبائع الاربع التي هي الحرارة والبرودة والرطوبة والجفونه والاركان الاربعه
المعلومة وكيفية استعمالها بعضها الى بعض وامتزاج بعضها بعض في الزمان.
والاما كن وما يحدث منها في البقاع والمعادن . فن بحث عن ذلك بفکره ونافذ

بصيرته وجودة تأمله ونافب نظره علم ان الاركان الاربعة لها جهات أربع من الشرق والغرب والشمال والجنوب .

و هذه الجهات أربعة وهي الطالع والغارب و وتد تحت الارض و وتد و سط السماء . وهذه الاسباب الاربعة ممثلة على حدود أربعة ترجع الى سبب واحد . ولمعرفة هذه الحدود أقسام اذا سألكم عنها عرفوك اذا تصدّتم ارشدوكم فان الكائنات التي هي من استحالة هذه الاركان اربعة انواع : فنها حوادث الجو والتغيرات الاهوائية والكائنات منها مثل الرياح والامطار والرعد والبرق والثاج والهالات والشهب وذوات الاذناب واحمرار الشفق والثيران الحادثة في الافق

و منها الكائنات التي في باطن الارض كالبخارات المحتقن هناك والاهواء المنحصر وما يحدث من ازلازل والرجفات والخسف والهدأت وما قد احكته الطبيعة في باطن الارض وأسخنته بخارها وطبخته بنارها من مائع وجامد وكائن وفاسد مثل معادن الذهب والفضة والنحاس وال الحديد والرصاص والزيريق والكبريت والنقط والملح والشب والزاج وسائر المعديات الذائبة والجامدة وهذا علم معرفة كثيرة الفائدة

و قد ذكرنا طرقا في رسالة المعادن ومنها الكائنات على وجه الارض التي تسمى النامية وهي على ضربين نام بالقوية وهي سائر النبات ونام بالحياة وهو جسم الحيوان وكون جميع الحيوان على ضربين «نناث و تكوين » فالنناث من مماسة الاجسام الحيوانية بعضها البعض

و قد ذكرنا في رسالة الحيوانات المتكون منها بغير مماسة ما هو من امتزاج العابئ بعضها البعض وهو النكاح الاول وهو الاصل فإذا امتزجت الطيائمه ونکحت بعضها بعضاً نكاحاً طبيعياً أخذت القوة المتفعلة عن القوة الفاعلة بقدر هيولي ذلك المكان وما في هيئات ذلك الزمان مما يسهل قبوله فيحدث من بينهم حيوان

والدليل على ذلك أن مافيها طبيعة واحدة لا يحدث منه حيوان وسائر الأجسام الصلبة لا يوجد فيها حيوان لامتناع الهواء أن يتخللها وكل مكان لا يدخله الهواء لا يوجد فيه حيوان وإنما الهواء يجمع بين قوى الطبائع ويؤلف بينها وينحرّها حرّكة الاختلاط والامتزاج ويكون بها النّداوة والعفونـة والتحليل والتـركيب ويكون الحرارة فيليقـح ذلك المكان ويقبل العفونـة من الهواء ، فتتحـدـد الطبيـعـة بالطـبـيـعـة وتخـلـعـ القـوـقـانـ فيـكـونـ الـبـخـارـ الـحـارـ الـيـابـسـ كالـذـكـرـ وـالـبـارـدـ الرـطـبـ كالـأـنـثـىـ وـاجـمـاعـهـماـ كـالـنـكـاحـ فـيـحـدـثـ منـ بـاـيـمـ حـاـيـوـانـ

وقد ذكر الله تعالى ذلك في القرآن إذ يقول «وَأَرْسَانَ الْرِّيَاحِ لَوْاقِحٌ» ازيـاحـ هـاهـنـاـ فـاعـلـهـ وـالـأـصـلـ فـيـ هـذـهـ الـكـلـمـةـ مـوـضـوـعـهـاـ فـيـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ عـلـىـ ماـ اـجـمـعـ عـلـيـهـ النـحـوـيـوـنـ مـلـاقـحـ فـيـصـيـرـ هـاهـنـاـ عـلـىـ الـقـلـبـ وـالـتـبـدـيلـ ،ـ وـالـعـرـبـ تـقـلـبـ الشـىـءـ إـلـىـ الشـىـءـ وـتـبـدـلـ وـتـقـدـمـ إـذـ كـانـ الـمـعـنـىـ مـفـهـومـاـ وـكـانـ الـخـاطـابـ بـهـ يـفـهـمـ مـنـ الـخـاطـبـ وـالـدـلـيـلـ عـلـىـ أـنـهـ مـلـاقـحـ قـوـهـمـ فـيـ الـلـغـةـ لـقـحـتـ الـأـرـفـنـ وـالـنـخـلـةـ فـهـيـ لـاقـحـةـ وـالـجـمـعـ لـوـاقـحـ جـعـلـ لـفـظـةـ الـفـاعـلـ هـاهـنـاـ لـفـظـةـ الـمـفـعـولـ عـلـىـ الـقـلـبـ كـاـقـالـ نـعـالـيـ مـاءـ دـافـقـ وـأـنـاـهـوـ مـدـفـوقـ لـأـنـ الـرـبـاعـيـ الـذـيـ اـسـمـ الـفـاعـلـ مـنـ مـفـعـلـ وـالـثـلـاثـيـ الـذـيـ اـسـمـ الـمـفـعـولـ مـنـ فـعـيلـ وـقـدـ يـكـوـنـ الـفـعـيـلـ مـرـةـ لـلـفـاعـلـ وـمـرـةـ لـلـمـفـعـولـ وـالـمـعـنـىـ يـدـلـ عـلـيـهـ كـقـوـلـكـ قـتـيـلـ وـجـرـيـحـ وـصـرـيـعـ إـذـ أـرـدـتـ الـمـفـعـولـ وـكـرـيـمـ وـرـحـيمـ وـعـلـيـمـ إـذـ أـرـدـتـ الـفـاعـلـ وـكـذـاكـ تـجـدـهـاـ فـيـ حـكـمـ الـطـبـيـعـةـ اـنـ الـرـيـاحـ هـيـ الـمـاـقـحـةـ لـشـجـرـةـ وـغـيرـهـاـ فـقـدـ تـبـيـنـ إـذـاـ كـيـفـ يـكـوـنـ ذـلـكـ مـنـ الـمـاـزـجـةـ وـالـاـخـتـلاـطـ وـبـطـلـ إـنـ يـكـوـنـ مـنـ غـيرـ مـاـزـجـةـ وـقـوـلـنـاـ نـكـاحـ طـبـيـعـيـاـ أـنـاـهـوـ عـلـىـ الـجـازـ يـعـنـيـ بـهـ اـمـتـزـاجـ الـطـبـائـعـ بـعـضـهـاـ بـعـضـ فـقـدـ أـقـنـاـ الدـلـيـلـ عـلـىـ أـنـهـ لـأـحـيـوـانـ الـأـمـنـ نـكـاحـ وـلـأـصـوـتـ عـرـضـيـ الـأـمـنـ جـوـهـرـ ،ـ ثـمـ زـرـجـ عـلـىـ الـأـصـوـاتـ فـيـ الـأـصـوـاتـ

﴿ فـصـلـ ﴾

ثـمـ اـعـلـمـ إـنـ الـأـصـوـاتـ عـلـىـ ضـرـبـيـنـ مـفـهـومـةـ وـغـيرـمـفـهـومـةـ فـالـمـفـهـومـةـ هـيـ الـأـصـوـاتـ الـحـيـوـانـيـةـ وـغـيرـ الـمـفـهـومـةـ أـصـوـاتـ سـائـرـ الـأـجـسـامـ مـثـلـ الـحـجـرـ وـالـمـدـرـ وـسـائـرـ

المعدنيات ، والحيوانات أيضاً على ضربين : منطقية وغير منطقية فغير المنطقية هي أصوات الحيوانات غير الناطقة وهي نهات تسمى أصواتاً ولا تسمى منطقاً لأن النطق لا يكون الا في صوت يخرج من مخرج يمكن تقطيعه بالحروف التي اذا خرجت عن صفة الحروف امكن اللسان الصحيح نظمها وترتيبها وزنها فتخرج مفهومه باللغة المتعارفة بين أهلها فيكون بذلك النطق الامر والنهي والأخذ والاعطاء والبيع والشراء والتوكيل وما شاكل ذلك من الامور الخصوصة بالانسان دون الحيوان فهذا فرق ما بين الصوت والنطق

فاما مخارجها من سائر الحيوان فانها من الرئة الى الصدر ثم الى الحلق ، ثم الى الفم ثم يخرج من الفم شكل على قدر عظم الحيوان وقوه رئته وسعة شدقه وكلما اتسع الحلق وانقرج الفك ان وعذمت الرئة زاد صوت ذلك الحيوان على قدر قوته وضعفه

واما الاصوات الحادثة من الحيوان الذي لا رئة له مثل الزناير والجنادب والصرصار والجدجد وما اشبه ذلك من الحيوانات فانه يستقبل الهواء ناشراً جناحيه فتحماً فاه ويصدم الهواء فيحدث منه طنين ورنين يشبه صوتاً وأما الحيوان الاخر كالحييات والديدان وما يجري هذا المجرى فانه لا رئة له وما لا رئة له لا صوت له

واما الحيوان الانسي فأصواته على نوعين دالة وغير دالة فاما غير الدالة فهى صوت لا هجاء له ولا يتقطع بمحروف متميزة يفهم منها شيء مثل البكاء والضحك والسعال والانين وما اشبه ذلك وأما الدالة فهي كالكلام والاقوايل التي لها هجاء في أي لغة كانت وبأي لفظ قيأت

وكل هذه الاصوات مفهومها وغير مفهومها ، حيوانها وغير حيوانها ، انما هي قرع يحدث في الهواء من تصادم الاجرام وعصر حلقوم الحيوان . وذلك أن الهواء لشدة لطافته وصفاء جوهره وسرعة حركة اجزائه يتخلل الاجسام

كلها ويسرى فيها ويصل اليها ومحرك بعضها الى بعض فإذا صدم جسم جمما
 انسد ذلك الهواء من بينهما وتدافع وتوج الى جميع الجهات وحدث من حركته
 شكل كروي يتسع كا نفع القارورة من نفع الزجاج
 وكلما اتسع ذلك الشكل ضفت قوة ذلك الصوت الى أن يسكن . ومثال ذلك
 اذا رميت في الماء الهدادي ، الواقف في مكان واسع حجراً فيحدث في ذلك
 الماء دائرة من موضع وقع الحجر فلا تزال تتعش فوق سطح الماء وتتموج الى
 سائر الجهات وكلما اتسعت ضفت حركتها حتى تتلاشى وتذهب
 فن كان حاضراً في ذلك الموضع أو بالقرب منه من الحيوان سمع ذلك
 الصوت فبلغ ذلك التوج الذي جرى في الهواء الى مسامعه ودخل صاحبه وتحرك
 الهواء المستقر في عمق الاذنين بحسب القوة السامعة بذلك التوج والحركة
 التي تنتهي الى مؤخر الدماغ
 ثم يقف فلا يكون له مخرج فيؤديه الى الدماغ ثم يؤديه الدماغ الى القلب
 فيفهم القلب من هذه الحاسة ما أدىه اليه من ذلك الحادث . فان كان صوتاً
 مفهوماً يدل على معنى توجهت المعرفة بذلك وان كان غير مفهوم فانه لا بد ان
 يستدل بصفاء جوهره على ذلك الصوت ومن أى جوهر حدث وعن اي حركة
 عرض وهو يستدل على ذلك من ماهية الصوت وكيفية التوج والقرع والحركة
 الواثلة الى حاسة السمع

ومثال ذلك طنين الطاس فانه اذا سمعه الانسان قال هذا طنين الطاس حدث
 من قرع شيء آخر اصابه . أما من جهة حيوان أو حدوث شيء وقع عليه من
 غير قصد ولا تعمد

وكذلك صوت الحديد والذهب والفضة وغير ذلك فان أصواتها اذا حدثت
 تكون مختلفة بحسب اختلاف جواهرها وتبين طباعها من الصلابة والخواصة
 واللين والبيوسة ومثالها في ذلك مثال أصوات الحيوانات فكلها كان في نفسه
 أمثل ورئته أقوى كان صوته أعظم وأبعد مسافة في الهواء الشدة حركته

وكذلك ما كان من الجواهر المعدنية أشد صلابة وأكثر يبوسة كان أرفع مانيناً وأشد تصويباً فإذا اتفق أن يكون مصنوعاً لذلك والقصد منه التصويب والطين مثل الجلاجل والطرجمارات لاحصون التي تستعمل على الأسوار والثغور فإن أصواتها ومانينها يمكن في الهواء على قدر اتساع تلك الأولى وضيقها وصوت النحاس خفيف صاف ليسه وصلابته وقوه الحرارة فيه ولا يمكن أن تتحذى من الرصاص آلة الطين والتصويب كالتتحذى من النحاس. والحاديده إذا خالط النحاس كان له أيضاً تصويباً وطنين والذهب له صوت يتحذى به يشبه طبيعته وله طين يسير وهو معتدل الحرارة لين الطبيعة قد تساوت فيه أجزاء مبادئه والذرة دون ذلك وهي أخف من الذهب وأحسن صوتاً منه إذا ذرت . كذلك الرصاص لا صوت له أصوات النحاس والحاديده وذلك لعدة الأجزاء الأرضية عليه وكثافة جسمه وصوته يشاكل صوت الحجر وما ينتمي لها. وعلى هذا المثال وجد منطق الإنسان على الاعتدال لا بالجهير الخارج عن الحد كصوت الأسد وصوت الفرس ونهر الماء وما شاكل ذلك ولا صامت كصوت السمك ولا خفيف كخفوت أصوات كثير من الحيوانات لكنه متوسط بين ذلك

ومن أراد أن يكون له صوت طويل يمكنه في الهواء فليتعمد ذلك ويجتهد
في جم الهواء حتى يكون ارساله بحسب ما اجتمع فيه فيدرك بذلك ما يريد

ما اعتدلت طبيعة الذهب وكأن أشة في الجماد، الذي قررنا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

و كذلك الانسان اشرف الحيوانات المتحركة بالحياة. ولأنهات أصوات.

منها ما تأثر أشد صلابة وأكثر اجتماعاً ولا طبيعة لها كثافة الاصوات.

إذا فرغ انقرع كالاج والابنوس وما شاكلها . وما كان يتخال حسماً ضعيف

جسم يحدث في الهواء من قوة حركة المرك وكون ذلك الصوت عن المصوت وما هو مجبول عليه من طبيعته . وبحسب قوله يكون اتصال ذلك الحادث في الهواء بـ تمام الحيوان من الانسان وغيره فالانسان اذا سمع صوت الخشب والخديد والماء والريح امكنه ان يخبر عن صوت كل واحد منها وينسبه الى ما حدث له وخرج منه . والحيوان لا يعرف ذلك ولا يمكنه ان يعبر عنه ويفصل كما عبر الانسان بقوه النطاق والبيان عماسمع . وبهذا فضل الانسان على غيره من الحيوان . وكذلك يجري حاله في حاسة السمع فانه من جهة الهواء يتصل به ذلك ويخبر عن كل رائحة بما هي به وينسبها الى الذى فاحت منه وكذلك يخبر عن حاسة اللمس اذا لمست الاجسام وعرفت الحاسة ما كان وطبعا وياسا وحارا وباردا ولينا وخشنا وما شاكل ذلك

واما حاسة البصر فانما تحتاج في معرفة محسوساتها الى حواس اخر لا هما ربما كذلك محسوساتها مثل ما ترى الكبير صغيراً بعد ما ينبعها وينتهي من المرافة والصغير كبيراً في الأرض الواسعة والمستوى معوجاً كالجذاف في الماء وما شاكل ذلك

﴿فصل﴾

ثم اعلم أن منتهى كل حاسة الى القلب مقرها ، وعند هذه موئلها او بكل حاسة محسوسة مختصة بها ، معمولة لها ، لا تتمدها ولا تتعرض لها . واما فالبصر مختص بالنظر والاذن مختص بالسمع والقلم مختص بالذوق والانف مختص بالشم وكل حاسة من هذه الحواس تؤدي محسوساتها الى القلب ويفهم منها حاسة القلب ثم ان قوة حاسة القلب اذا ادركت من الحواس شيئاً وقبلته منها أدتها الى العقل ليدركه

ولو لا قوة حاسة القلب لبطلت هذه الحواس كما أن لا كنه الذي يولده كذلك لا يمكنه أن يتصور السماء ولا موضعها من الجهات لأنهم في جهة فتوبيدها

الحسنة الناظرة الى حسنة القلب المناسبة لها لأن حسنة البصر تؤدي آثار محسوساتها الى قوة عافية مناسبة لها حافظة لما يؤدي اليها ولذلك قال تعالى «فانها لا تعمي الا بصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور» وقد يبني في رسالة الحسن والمحسوس شيئاً من هذا بغير هذا الشرح

ثم اعلم ان القلب في الجسد مصور على صورة الانسان ولذلك صار افضل الاعضاء التي في اجسام الحيوان وذلك ان له بصيرة يبصر بها ما غاب من حسنة النظر من خارج وله سامع يدرك بها الاصوات ويؤدي الى حسنة السمع ما يدرك به اوله حسنة الاعس فهو يتשוק الى محسوساتها اذا فقدها مثل ما يشتق العاشق عن ابنته معشوقه والتزامه

وكذلك الا كنه لا يتصور بقلبه صور الاشياء لأن حسنة البصر لم تؤدي الى الحسنة المختصة بالقلب شيئاً فتبقى تلك الحسنة فارغة معطلة مغلقة الباب لا يطرقها طارق فيكون لها به معرفة . ولكل حسنة من هذه الحواس مدركات بالذات ومدركات بالعرض وهي لا تخطيء في المدركات بالعرض

مثل ذلك البصر فان المبصرات له بالذات هي: الانوار والضياء والظلم فاما ادراكها الالوان فان ذلك بتوسط النور والضياء . وأما سائر الاجسام وسطوحها وأشكالها وأوضاعها وأبعادها وحركاتها فهي بتوسط الالوان لازم كل جسم للون له لا يرى ولا يدرك البنتة والحواسات التي له بالذات لا واسطة بينها وبينه في ادراكها لانه لا يحتاج البصر في ادراك الضياء والنور الى شيء آخر ولا في ادراك الغلة أيضاً وصار بينه وبين النظر الى الالوان واسطة واحدة وهي النور وصار بينه وبين ادراكه كيفية الاجسام وأسبابها النور والالوان ، وكما كثرت الوسائل بينه وبين النظر كان اخططاً فيه اكثراً واحتاجت الحسنة فيه الى دليل آخر يتحقق نظرها ويصدق خبرها

من ذلك المراب فانه آخذ من لون الماء بياضه ومن الضياء اشرافه سار فيه النظر وحال بعد فيما بين النظر وبينه عن الحكم عليه بما هو به فظنه ماء . فاما

جاءه لم يجده شيئاً وكالمجزاف الذي هو غائب في الماء فان البصر لا يدركه الا معوجاً لأنَّه قد زاد فيما بينه وبينه واسطة أخرى وهي الماء وكذلك ما يكون في الماء من الاشياء فان البصر لا يدركها على ما هي به

وكذلك حال الشيء البعيد فان الوسائل بينه وبين البصر كثيرة وهي الضياء والهواء وكلما بعد ازداد في الصغر والتلاشى في البصر الى أن يغيب وأما حاسة السمع فانها لا تدرك وقامت على ذلك لانه ليس بينها وبين محسوساتها الا واسطة واحدة وهي الهواء وأما يكون خطؤها بحسب غالباً الهواء ورقتها وذلك انه ربما كانت الريح عاصفة والهواء متحركاً حرقة شديدة فيصوت الصوت في مكان قريب من المامع فلا يسمع من شدة حرقة الهواء وهيجانه فتكون حرقة ذلك الصوت يسيرة في شدة حرقة الهواء وهيجانه فيضعف عن الوصول الى الحاسة الشامعة

واذا كان الهواء ساكناً وصل ذلك الصوت الى الحاسة اذا كان في مكان يمكن ان يتصل به ذلك التموج والحركة الحادنة في الهواء

فاما اذا كانت المسافة بعيدة فانها لا تدركه وتلاشى تلك الحركة وتندذ قبل وصولها اليها

وهكذا حاسة الشم فانها تدرك من ذلك بحسب غالباً الهواء ورقتها وسكنها وحركتها وذلك اذ كان الهواء غليظاً فانه قل ما تجد الروائح في الجهات وقل ما تسرى فيه، واذا كان صافياً رقيناً والمسافة قرينة فانها تتصل بعشام الحاضرين واذا بعدت تفرق تلك الروائح في الجهات ولم يدرك شيء منها، وأما قبول الهواء للاصوات والروائح فاني أشرحه لك بعون الله

﴿فصل﴾

ثم اعلم أنَّ جميع الجواهر تختلف في أنواعها وتتبادر في عناصرها وتركيبها وكل جوهر هيولياني يكون العطف جوهراً وأشد روحانية وأعم خاصية وانه

يكون لقبول الصورة وحمل الاعراض أسرع اتفالا وأسهل قبولا من غيره
مثال ذلك الماء العذب لما كان الطف حوراً من الماء المالح وأصنف صار
لقبول الطعام والاصباغ أكثر قبولاً . ولا بد انه لا يحيواناً كثرا مترابطا ومخالطة
وأكثير تفهماً وصلاحاً وبذلك صار حياة الاجسام ومادة الحيوان والنبات
وهكذا لما كان الضياء الطفل من الهواء صار قوله الالوان والاشكال
أسرع اتفالا وأشد روحانية وبساطة والطف سرياناً.

وكذلك جوهر النفس الطفل وأشد روحانية من جوهر النور والضياء
والدليل على ذلك قوله رسومسائر المحسوسات والمعقولات جميعها . فلهما تین العلتین
صار الانسان يقدر بالقوة المتخيلة أن يتخيّل ويتوهم ما لا يقدر عليه بالقوى الحاسة
لان هذه روحانية وتلك جسمانية ولأنهما تدرك سائر محسوساتها في الجواهر
الجسمانية من خارج والقوة المتخيلة إنما تتخيّلها وتصورها في ذاتها والدليل على
ما قلنا أفعال الصناع البشريين

وذلك أن كل صانع يبتديء ويفكر ويتخيّل ويتصور في وهمه صورة
مصنوعة بلا حاجة الى شيء خارج عنه فإذا أراد اظهار ما في نفسه الى الفعل محمد
الى هيولي ما ، في مكان ما ، في زمان ما ، فيتصور فيه ما كان متصوراً في ذاته بادوات
ما وحركاته ما

وذلك ان كل حيوان لا يصر فهو لا يتخيّل الالوان العرضية والاجسام
المجوهرية . وما لاسمع له لا يتصور ولا يتخيّل الا صوات الكلام ولا يتوجه
الاقاظ المنطقية

فاما الانسان الصحيح التركيب ، السالم الحواس فانه لما كان يفهم الكلام
صار يكتبه أن يتخيّل المعنى اذا وصفت . و الغرض من الكلام تأدیة المعنى
وكل كلام لامعنى له فلا فائدة للسامع منه والكلام به وكل ، معنى لا يمكن أن
يعبر عنه بلفظ ما في لغة ما فلا سبيل الى معرفته وكل حيوان ناطق لا يحسن أن يعبر
عما في نفسه فهو كالعدم الزائل والجاد الصامت

﴿ فصل ٤ ﴾

ثُمَّ اتَّلَمَ الْمَعْنَى فِي الْكَلَامِ كَالْأَرْوَاحِ، وَالْفَاظُهَا أَجْسَادٌ لِهَا، فَلَا سَبِيلٌ إِلَى قِيَامِ الْأَرْوَاحِ إِلَّا بِالْأَجْسَادِ، وَالْكَلَامُ ضَرِّيَّانٌ: مُفِيدٌ وَغَيْرُ مُفِيدٍ وَالْفَائِدَةُ وَاقِعَةٌ فِي الْأَخْبَارِ مِنْ جَهَةِ الْمُجَهُولِ وَالْمُجَهُولُ هُوَ الْخَبَرُ عَنْهُ وَالْخَبَرُ دَالٌّ وَغَيْرُ دَالٍّ وَالْخَبَرُ هُوَ كُلُّ قَوْلٍ جَازَ أَصْدِيقَ قَائِلِهِ فِيهِ وَتَكْذِيَّهُ لِغَيْبِتِهِ عَنِ الْعِيَانِ أَوْ لِمُضِيِّهِ عَنِ الزَّمَانِ وَوَصْفُهُ أَنَّهُ مَسْمُوعٌ مِنْ قَائِلِهِ مُثْلُ مُخْبَرٍ أَنَّ مَدِينَةَ كَذَا عَامَرَةٌ بِأَهْلِهَا وَإِنْ فَلَانًا الَّذِي مَاتَ كَانَ مِنْ أَهْرَاهِ وَصَفْتِهِ كَذَا فَقَدْ جَازَ لِمَنْ يَسْمَعُهُ أَنْ يَصْدِقُهُ وَأَنْ يَكْذِبُهُ لِغَيْبِهِ مَا ذَكَرَهُ مِنْ أَمْرِ الْمَدِينَةِ عَنِ الْعِيَانِ وَغَيْبِيَّ الْمَائِتِ فِي الزَّمَانِ وَأَيْضًا فَإِنَّ الْأَخْبَارَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ إِمَّا عَنِ مَاضٍ مِنَ الزَّمَانِ أَوْ عَنِ غَائِبٍ عَنِ الْعِيَانِ أَوْ عَنْ مَوْجُودٍ فِي زَمَانٍ وَمَكَانٍ وَامْتِحَانٍ ذَلِكَ بِكَانٍ وَيَكُونُ وَكَائِنٍ فَكَانَ الزَّمَانُ مَاضٌ وَيَكُونُ لِزَمَانٍ آتٍ وَكَائِنٌ لَا هُوَ مَوْجُودٌ فِي الْحَالِ وَكُلُّ هَذِهِ الْأَقْسَامِ تَدْخُلُهَا الْمُوجَبَةُ وَالسَّالِبَةُ وَالْمَوْضِعُ وَالْمَحْمُولُ. وَهَذِهِ أَقْسَامُ الْخَبَرِ وَهُوَ أَيْضًا غَيْرُ خَارِجٍ مِنْ مَعْنَى ثَلَاثَةِ وَاجِبٍ وَجَائزٍ وَمُمْتَنَعٍ فَالْوَاجِبُ وَالْمُمْتَنَعُ مَعْرُوفٌ وَفَانِ مُسْتَغْنِيَانِ عَنِ الدَّلَالَةِ عَلَى أَحْوَاهِهَا فِي الصِّحَّةِ وَالْفَسَادِ

مَثَلُ ذَلِكَ إِذَا سَمِعَ رَجُلٌ قَائِلًا يَقُولُ الْأَرْضُ تَحْتَ وَالسَّمَاءُ فَوْقَى فَإِنَّهُ لَا يَدْكُنُ فِي صَدْقَةٍ وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى اقْتَامَةِ دَلِيلٍ عَلَى ذَلِكَ وَهَذَا وَإِنْ كَانَ كَلَامًا مُسْتَقِيمًا لَا يَسْتَغْنِي عَنِ الدَّلِيلِ عَلَى كَذِبِهِ فَإِنَّهُ مَا لَا يَقُعُ مِنْهُ فَائِدَةٌ وَلَا فَائِدَةٌ أَيْضًا فِي تَوْلِهِ وَلَا فِي سَمَاعِ ذَلِكَ وَلَا يَعْدُ هَذَا مِنَ الْمُنْكَرِ بِهِ فَضْيَلَةٌ بَلْ رِبْعًا مِنْ هِجْوَهُ قَوْلُهُ

وَكَذَلِكَ لَوْ سَمِعَ قَائِلًا يَقُولُ أَنِّي تَدْحَتَ الْجَبَلُ وَخَضَتَ النَّارُ وَرَأَيْتَ شَجَرَةً عَلَى سَطْحِ الْبَحْرِ نَابِتَةً فَإِنَّهُ لَا يَشْكُ فِي كَذِبِهِ وَبِطَلَانِ قَوْلِهِ فَهَذَا الْقَسْمُ الْمُمْتَنَعُ وَأَمَّا الْجَائزُ أَنْ يَكُونَ صَدَقَةً وَأَنْ يَكُونَ كَذِبًا فَهُوَ الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَطَّلَبَ الدَّلِيلُ عَلَيْهِ وَالْفَائِدَةُ وَاقِعَةٌ فِيهِ وَبِهِ يَسْتَفِيدُ السَّامِعُ وَعَنْهُ يَسْأَلُ السَّائِلُ وَالْمَعْنَى الَّذِي بِهِ يَوْصِلُ إِلَى عِلْمِ الْحَقِيقَةِ مَا كَانَ عِنْدَ الْأَخْبَارِ مُمْكِنًا أَنْ يَكُونَ صَدَقَةً وَكَذِبَةً

وهو ان يكون متيقناً عند من باعه عنه الكذب والصدق يقيناً ويعلم ان ذلك ثابت بمحض ثبات عليه نظر أهل العقول لمعرفة من أخبر بعماره المدينة أو حال الميت بما وصف به الخبر عنه فقد صار كذب الخبر منفياً وعند من تقدمت عنه صححته . وكذلك ما حكمت عليه العقول وقضت به البراهين عند العارفين فانهم يعرفون ما غاب كعلم ما حضر ويصير الدليل والبرهان كالمثال لان المثال صورة الخبر عنها المدلول بصفاتها على معنى الخبر فاعلم بذلك

﴿ فصل ﴾

في معرفة أصل الصوت وعن الاجرام التي في الابداء
دون فلك القمر قبل خلق الانسان والحيوان

فتقول معولين على الله تعالى بأنه لما خلق الله السموات عشائنة واتقناها بصنعته ورتبها بحكمته وجعل الارض بساداً تحتها وخلق الهواء فسحة فيها بين السماء والارض ثم ارسله يميناً وشمالاً على وجه الارض ويسرى على البحار ويسير كما يوجهاً كان كالارواح السارية في الاجسام فأقام الهواء على تلك الحال والسريان في الجهات الأربع يخاطب البحار بالتراب ويمزج الطياب بعضها ببعض كما ذكر اولاً في هذه الرسالة فتحدث بحركته أنواع الاصوات والصفير والطنين ومجاوبة الجبال وأصوات أمواج البحار وهبوب الرياح في الغلوات والقفوار ف تكونت المعادن في البقاع الخصوصة بكونها فيها وانعقد البحار وارتقت الانداء وتراكمت الغيوم وارتقت الى آخر كرة النسيم وتعلقت تحت كرة الزهرير وعصرها وهييج الاثير واستولت الكواكب المائية فأرسلت الامطار على وجه الارض وحقها الهواء وسرى عليها وأشرفت الكواكب بأنوارها ولاحظتها الشمس وسررت فيها قوة النفس النامية وكان أول ما ابتدأ على وجه الارض بالنمو والزيادة على سطحها صورة النبات وقامت على تلك الحال والارض ليس فيها الا البحار والجبال والنبات والاشجار على ما ذكره بعض العلماء ثلاثة آلاف سنة وارتفاع

هب عليها والاصوات الهوائية تحيي بعضها بعضاً والنفس سارية في الهواء متصلة بقوة النور والضياء تدبر الامور الجسانية وتؤلف الطبائع الجرمانية وروحانيات الكواكب متصلة بعالم الهواء فهم سكان الارض قبل آدم عليه السلام فلما تمت هذه المدة المتقدمة بهذه الصفة وابتدا الدور الجديد وأراد الله انشاء الفتاة الثانية وابراز الصورة الانسانية خلق آدم وحواء من الطين واسكناها الجنة الموصوفة وهي الياقوت في ناحية المشرق وكان من امرها ما كان وقد ذكر هذه القصة من أوطاها الى آخرها رجل من أهل فارس عالم بمحاسب النجوم بكتاب بين فيه هذه الامور ولو كان هذا مقصداً واياه ما اردنا لذكرنا منه طرفاً ولكننا نشير الى بعض ذلك فلما فطر آدم وسواه ونفع فيه من روحه وأسجد له ملائكته وكان ظهور آدم وحواء بعد كون الحيوان وعمارة الارض وظهور الاقوات فيها على تمام اجناسها واستئفاء انواعها وكان ظهور الحيوان بعد ظهور النبات وانباطه على وجه الارض وعلوه عليها وكان أول بروز النبات بحداء برج السنبلة وكان في وسط السماء والحيوان بحداء الثور وأدم وحواء بحداء الجوزاء من ارض المشرق ولذلك قيل للجوزاء ذات جسدتين وكانت البداية من العمل وقد حل فيه زحل وهو هابط فصار المركز مهيأ من الطين وكذا كثرة مظاهره وصار ثقباً ينزل بزنة صارت الجبال راسيات مستقرة وكان أول معدن انعقد في بطん الارض الاسر بمثل ذلك صارت الارض مقر الثقل ومستقر الكثائق من اجل زحل وكونه في ذلك التقدير بخشيشة الله تعالى فقام آدم وحواء والحيوان مدة ماذكر في الكتاب من غير مساسة ولا تئام ثم اهتم الله تعالى عطارد صاحب المنطق النطاق ونقطت حواء وعلم الله آدم الاسماء كاتها فصار يعرفها بليقى على كل جنس وشكل ونوع وشخيص من النبات والمعادن والحيوان وجميع المرئيات الاسماء والصفات ثم لم يزال على ذلك حتى اكل من الشجرة واهبطا من الجنة الى الارض مسخوطاً عليهما فاقاما في الارض مدة معلومة وكانت مسائر الحيوانات يأكلان من ثمر الاشجار ويشربان

من ماء العيون والانهار الى أن سلم الحبل الدور الى الثور اذ هو أحد منافع الدنيا
وسبب العماره وهو بيت الزهرة وكانت حسنة الحال مستحبة في مسيرها صاعدة
في أوجها مشرةً أنوارها وكان في هذا الحداجتاع آدم وحواء وما سببها خلقت
منه وكان ذلك ابتداء الفسل وحرى حال الحبل على ما ذكرنا في رسالة مسقط
النطفة فلما كثرت أولادهما تولى آدم تعليمهم وتأديبهم وتهذيبهم وعلمهم كيفية
الحرث والزرع وازدواج الذكور والإناث وعمرروا العالم وعيّنوا الحيوانات وما
تصنعها بعضها البعض وما يطاب من منافعها فاقتدوا بها في أفعالهم وأيد الله تعالى
آدم عليه السلام بروحه واهامه لما تاب عليه بما يكون له به صالح ولذرته فلاح
وأقام على ذلك مدة ما أراد الله تعالى ، ثم نقله الى رحمة وخلفه من خلفه في
ذرته وأولاده ولم يزل الامر على ذلك وبنو آدم مع والدهم يتکامون بالسريانية
وقال بعضهم بالنبطية وفيهم بعض عن بعض المعاني وما قصدوا وأرادوا .
ووصفووا كل شيء بصفته الا أنها لم تكن الحروف مجتمعة بعضها الى بعض ولا
مؤلفة بالكتابة وإنما كان آدم عليه السلام يعلمهم تلك الأسماء تلقيناً وتعريفاً
كما يعلم الأشياء ويعرف من لا علم له بالكتابة والهجاء ولذلك يقال من لا يكتب
ولا يقرأ أمي وكان الخلق يحفظون تلك الأسماء والصفات عن السلف الى أن سلم
الدور الثور الى الجوزاء وظهرت الكتابة من أجل انه بيت عطارد وشرف الرأس
وهي بوط الذنب وصارت الحروف في ذلك أربعة وعشرين حرفاً وهي الكتابة
اليونانية لأنها قسم لكل برج حرفين فصارت أربعة وعشرين حرفاً فقيدت
تلك الالفاظ وكتبت الأسماء بالحروف على لغة أهل ذلك العصر
فانظر إليها الاخ الى هذه الحكمة الصحيحة والصنعة المحكمة المنقنة كيف تأتي

بكل شيء في وقته المقدر وزمانه الميسر

وانظر كيف مرت هذه القوى التي هي الاصوات واللغات أولاً في عالم
السماءات ثم في حركات الهواء ثم في حركات النبات ثم في اجسام الحيوان ثم في
عالم الانسان

فالصوت في الحيوان يسمى بأسماء مختلفة . مثل قول القائل : صهيل الفرس ، ونعيق الحمار ، ونباح الكلب ، وخوار الثور ، وزئير الأسد ، ونعيق الغراب وغير ذلك

وأما الصوت المخصوص به الإنسان فإنه يقال له كلام ولاحظ متكلماً كقول القائل فلان يتكلم بالعربية والفارسية والرومية وغير ذلك وسنأتي على شرحه وبيانه ونفرق بين الصوت والكلام

* فصل *

في الفرق بين الصوت والكلام

اعلم يا أخي أن الكلام هو صوت معمور مقطعة دالة على معانٍ مفهومة من مخارج مختلفة وأبعد مخارج الحروف أقصى الحلق وهو مما يلي أعلى الصدر والصوت من الجسم في الرئة بيت الهواء كما أن أصل الصوت في المام الكبير الذي هو بمنزلة إنسان كبير، الهواء فيما دون فلك القمر والنفس في عالم الأفلак ، ولذلك توجد في الإنسان الذي هو عالم صغير في الرئة وفي قواه تقدير معانٍ ما يدل عليه الصوت وكذلك الحركات والاصوات التي دون فلك القمر إنما هي مثلاً ودلائل على تلك الاصوات الفاضلة والحركات المنتظمة وتلك أرواح وهذه أجساد وأصل الاصوات في الرئة هواء يصعد إلى أن يصل إلى الحق فيديره الإنسان على حسب مخارجيه فإن خرج على حروف مقطعة مؤلفة عرف معناه وعلم خبره وإن خرج على غير حروف لم يفهم كان كالهاق والرغاء والسعال وما أشبه ذلك فإن رده الإنسان إلى مخرجيه المعلوم في حروف مفهومة يسمى كلاماً ونطقاً بأي لغة كانت على حسب الموافقة ومساعدة الطبيعة لكل قوم في اتساع حروفهم وسهولة تصرفهم في مخارج كلامهم وخفته لغاتهم بحسب مزاج طبائعهم وأهويتهم بلذاتهم وأغذيتهم وما أوجبت لهم دلائل مواليتهم وما تولامهم من الكوابك في وضع أصل تلك اللغة في الابتداء الوضعي والمنهج الشرعي وما تفرع من ذلك الأصل وما ينقسم من ذلك النوع

ثم اعلم أن أصل الاختلاف في اللغات إنما هو لما كثرت أولاد بنى آدم وانتشروا في جهات الارض وزلت كل طائفة منهم اقليلها من أقاليمها وقطراً من أقطارها من الرابع المسكنون تولى كل قوم في وقت نزولهم ذلك الاقليم كوكب من الكواكب السبعة المدبرات فعقد لهم عقداً نشأ عليه صغير همومات عليه كيبر هم

ثم اعلم ان الكلام الدال على المعاني مخصوص به عالم الانسان وهو النطق التام بأي حروف كتب والحيوان لا يشرك الانسان فيه من الجهات المنطقية والعبارات المنطقية لكن من جهة الحركة الحيوانية والآلة الجسمانية وال الحاجة فيها الى ذلك لأنك تجد كثيراً من الحيوانات تزيد بأصواتها دفع المضار وجذب المنافع تارة لانفسها وتارة لأولادها مثل صياح البهائم اذا احتاجت الى الاكل ومنت منه والى شرب الماء وزيادة عنه . ومثل استدعاء اولادها وما غاب عنها وماما كل ذلك من الطيور التي تحاكى الانسان ومحاكاة القرد للانسان في جميع افعاله وأكثر اعماله

فهذه الاشياء لما يريد الحيوان التغريب والتوصيت والصياحة ومن أجلها فإنه لا يقال لها معانٌ عامية وإنما يقال لها ارادات طبيعية فأجساد الحيوانات محبولة عليها وإنما استدعاؤها ايها بالتصويم في بعض الاوقات اذا عدمتها وحيل بينها وبين ما تزيد وقل ما يكون دالاً بأصواتها على الامر الاعم ولا معنى لها ولا يعرف المراد منها ولا القصد كصياح الطيور في أكثر أوقاتها منها ما يصوت بالليل ومنها ما يصوت بالنهار وكذلك الحيوانات أكثرها ولكن المراد بها منها كماها اجتماع الجنس وقيام الشكل الى الشكل وبحسب ما في كل شخص من اشخاصها من قوة الحرارة الغرائزية وحركة النفس الحيوانية فان كل شخص أكثر حرارة وأقوى حركة وأجبي تفاساً كان أكثر صوتاً وأدوم كلاماً في عموم الاوقات وما كان دون ذلك كان بحسب ما فيه وما هو محبول عليه

وبالجملة ان الصوت الحادث بحركة نفسانية حيوانية فهو مخصوص به الحيوان وأما ما يسمع من الاصوات من غير الحيوان فانما يقال له فرع ووقع وطنين وصغير وزمير ونقر ودق وقرفة كصوت البوق وضرب الدف والطبول والدبادب وما شاكل ذلك

فهذه المثالات لهذه الاصوات مخصوصة بما يحدث من حركات الاجساد الصامتة التي لا يحدث صوت وحس عنها الا بحرك من غير جنسها يفرغها ويتنفسها ويقرع بعضها ببعض فالحركة اما بعمد وقصد كالانسان فيما يتحده من هذه الآلات للتوصيت بالحركة او كحيوان يحدث ذلك بغير قصد كاحتكاك الدابة بالباب ودفعها لللاناء وغيره فيحدث من تلك الحركة وذلك الدفع صوت او من حركة الرياح والهواء للاجساد والنبات والاشجار وخفيف اوراقها واحتكاك قضبانها وسلوك الهواء بينها وسريانه بين الحيطان والبنيان وخرقه منافذ الجبال والغدران والكهوف فيحدث منه أنواع الصفير والتوصيت وما يحدث من اصوات حوادث الجو ما قد ذكرناه مثل ما يحدث من حركات المياه اذا انحدرت وتداوغلت من أعلى الجبال الى بطون الاودية ومثل اصوات الدواليب والارحية والطواحين والمجازيف وجريان السفن في البحر وجرى العجل في البر وكل ماء اذا تحرك او تصرف فيه الحركة ظهر منه الصوت وفرع الهواء فهذه كلها اصوات فا كان منها عن أجسام الحيوان قيل اصوات ونغمات وما كان منها عن حركة الهواء قيل صفير وزمير وما كان عن حركة الماء قيل دوي وخرير وأمواج وما كان من المعدنيات والاحجار والخشب قيل وقع وطنين ونقرة وما شاكل ذلك. وما كان من جهة الانسان قيل كلام ولفظ ومنطق بالجملة وعند التفصيل والتقطيع فكثرة الالوان والفنون مثل كلام الخطيب وانشاد الشعر وقراءة القرآن وما شاكل ذلك وينسب بذلك الكلام الى المعنى المقصود اليه به فقد باز بما ذكرنا الفرق بين الصوت الحيواني والكلام الانساني وما يحدث من حركة الهواء وما يظهر من أجسام النبات والمعادن . واذا تأملت ذلك وميزته

بفكيرتك وأعملت فيه روينك ، رأيت تلك الحركات وسمعت تلك الأصوات والنغمات والمجاوبات وتبينت از العبارات كاها تأدية عن النقوس الجزئية بما أدمتها **النفس الكلية**

وكل ذلك الحركات الكلية العرضية أصلها الحركة الذاتية وهذه أعراضها وتلك جواهرها وهذه فانية وتلك الحركات باقية لأن مركز هذنسلي ومقر تلك علوى وهذه منها فاضلة ومنها غير فاضلة وتلك فاضلة كاها وبعض هذه حي وبعضها ميت وتلك كاها حية وبعض هذه متكلمة ناطقة وبعضها مصوتة وتلك ناطقة كاها وبعض هذه أصواتها مفهومة وبعضها أصواتها غير مفهومة وتلك أصواتها كاها مفهومة وبعض هذه الأصوات دال وبعضها غير دال وتلك كاها دالة ومعانى هذه الأصوات مضمنة في حروفها وتلك كلها معانى وأهل هذه يحتاجون الى من يكشف لهم معاناتها ويدفعهم على مرأيمها وأولئك لا يحتاجون الى ذلك وهؤلاء يضجرون من الكلام ويملون وأولئك لا يضجرون وهؤلاء أكثرهم غير طيبين النغمة وللذيني الصوت ولاحسن الكلام . وأولئك كلهم طيبون النغمة ذوي الحنان لذيند وبعض هذه الأصوات معكوس يشبه أصوات أهل جهنم وزفير وشهيقهم كنعيق الكلاب ونهيق الحمار وزعقات البويم وصياح السباع وما يحدث في القلوب من الوحشة والنفور والفزع والرعب وما تضجر منه النقوس وما شاكل هذه الأصوات والمصوتات

ثم اعلم ان كل صوت يسمع فاما يخرج عن هيئة الجسم الذي يصوته بحسب قوته وصفاته طبيعته وغلوظها ونحتاج لها الى بيان ووضوح برهان ونحن نذكره
بشرح مبين

»» فصل »»

ثم اعلم ان اختلاف الناس في كلامهم ولغاتهم على حسب اختلافهم في أجسادهم وتركيباتهم وأصل الاختلاف في اللغات هو اختلاف خارج الحروف ونقاصها

عن ناديه ما يؤديه البلبل من ها و قد زعم بعضهم أن فساد الكلام من فساد التركيب و فساد المزاج وليس هو كما زعم وأنا هو من اختلاف مخارج الحروف في قوتها و ضعفها وهو فساد في اللسان يقلب ويعدل الحروف عن مخارجها ولو كان من فساد المزاج ل كانت اللغة كلها في حرف واحد من مخرج واحد وكانت ترجم الى الاستواء عند صلاح المزاج كما يحدث بالفصيح الكلام ، و ضعف الصوت من فساد المزاج و غلبة بعض الطبائع اذا عاد الى الامر السالم عاد كلامه الى المعهود منه اولاً واللغة ليست كذلك والناس فيها مختلفون وغير متفقين في الحروف التي يقع الخطأ فيها والعدول بها عن استواها الى خلافها وهي اعراض كثيرة تختص باللسان و تعرض فتفسد الكلام وهي زمانة لازمة مثل الخلسة والفاءة والفتحة والعقلة والحلكة والرثة واللغة وما أشبه ذلك

و اذا كان الكلام يثقل على الرجل قبل في لسانه خلسة اذا أدخل بعض حروف العرب في بعض حروف العجم قبل في لسانه لكنه اذا عجز عن مراعاة الكلام قبل في لسانه عقلة والحلكة اما هي تقصان آلة المنطق وعجزها عن أداء المفظ حتى لا يعرف معناه الا القليل وهو قريب من كلام البهائم والخرس و نحو ذلك

فصل في المعاني

فاما افهم المعاني فانها تفهم من الكل من اللسان والتصحاء، وأنا يتفاصل الناس في البلاغة وهو عند الحشوية والعمام والنساء والصبيان حسن الصوت وحلابة المنطق وصفاء الكلام

وليس كل من حسن صوته وصفة كلامه كان بلبيغاً في ابادة المعنى واقامة الدليل والمحجة في ازالة الشبهة عن النفس الساهية وانتباه الجاهل عن رقادته واصحاء السكران من سكرته بالذكر والمواعظة فان صاحب النغمة الطيبة والكلام الصافي ربما استعمل ذلك في الاغاني والمالهي وسبب كل ذلك محنة المذمات الدنيمة والشهوات الحسية وما يتضمن

الكلام من السخف والمجون وأمثاله فان معانيها لا حقيقة لها والكلام بها
اما هو تصوير وهذيان لاحق باصوات الحيوان والجانين والسكارى والصبيان
والنسوان ومن لا عقل لهم

وأصل المعانى انها المقالات المدلول بصحتها في الاخبار بهاء عن معرفة حقائقها
ومقاصدها وحد المعنى انه هو كل كثرة دلت على حقيقة وارشدت الى منفعة
ويكون وجودها في الاخبار بها صدقاً والقول عليها حقاً والاخبار على اربعة
أقسام خبر واستخبار وأمر ونهي
وقد جعلها قوم ستة وآخر وعشرون وأصلها بهذه الاربعة فثلاثة منها مالا يدخله
الصدق والكذب وواحد منها يدخله الصدق والكذب وهو الخبر ويوجد في
ذلك السالبة والوجبة والممكن والممتنع

﴿فصل﴾

ثم اعلم ان جميع هذه المعانى وما يتراقبها من مدح أو ذم ويدخلها من صدق
وكذب وبلاجة وحصر فلابد من أن يقع على مسمى باسم من مدح أو ذم وكل
مسمى باسم فيه مدح من سائر المعانى فهو واقع بين اثنين متضادين : عدل بين
حاسى جور فالعلم واقع بين امرتين إما علم ما لا يجب أو جهل ما يجب فصار العدل
بين حاستين افراط وتغريب

وعلى هذا المثال الفهم عدل بين الاعتراف بما لا يمكن وانكار ما يمكن
والباب أيضاً عدل بين الحصر عن التفهم والتراخي عن التوهم والزم عدل
بين التهور والجبن ، والجود عدل بين التفتيت والتبذير والشجاعة عدل بين
الاقدام والاحجام

وعلى هذا المثال يقع كل اسم من اسماء القصد والحازم وكل وصف يستحق
به صاحبه المدح وبما زانه ما يستحق عليه الذم
واعلم أن حقيقة مطالب معنى العدل باز تصرف في فنون المسميات وتقسم

في وجوه العبارات وذلك ان القصد هو الذي لا يجوزي مادونه ولا ينفع ما فوقه فهو راجع الى معنى العدل الذي ماقص عنده كان ضعفاً وما زاد عليه كان اسرافاً وكذلك الحزم أيضاً مالم يعل الى احدى حاشيته اللتين احداهما الفشل والآخر التهور ، وكذلك الحماء الذي طرفة الفتور والقحة وكل يرجم من العدل الى انتهاض بين ازدياد على حدة وانتقاد ويتول الى انباط منه وتقريط وافراط فن طلب العدل في جميع الصفات وجده متوسطاً بين صدرين احداهما يتطرق دونه الى بخس ونقسان والاخر يتطرق فوقه الى افراط وعدوان والعدل في الطلب هو مالم يعل الى الاخلاص في المسألة ولا الى الابتهاج والخضوع . والامر لا يكون مهينا والكريم لا يكون لجوجا

ولهذا قيل القنوع خير من الخضوع والعدل في السياسة مالم يعل الى عبوس موحش ولا ملق مدحش فان العبوس يشن المودة ويزيل ما في القلب من صفاء الحبة والملق يذهب برونق المرأة

ولهذا قيل من كثـر ملـقه لم يـعرف وـده ، والـعدل فيـ الـبلاغـة مـالـم يـقصـر عن درـكـ الـبغـية ، واصـابةـ المعـنى وـقصدـ الغـرض . الاـ تـرى انـ الـهـذـارـ فيـ المـنـطـقـ بـعـدـ بـلوـغـ الغـاـيـةـ لاـ يـحـتـاجـ اليـهـ وـلوـ كـانـ الـبـلـاغـةـ هـيـ الـبـلـاغـةـ هـيـ غـاـيـاتـ المـعـانـيـ لـكـانـ الـعـامـ كـلـهـ بـلـاغـهـ خـاصـهـ وـعـامـهـ لـأـنـهـ مـاـ مـنـ أـحـدـ إـلـاـ وـهـوـ إـذـاـ بـرـ عـمـاـ فـيـ نـفـسـهـ بـلـاغـ غـرـضـهـ فـيـ اـفـهـامـ السـامـعـ عـنـهـ مـاـ يـرـيدـهـ مـنـهـ عـلـىـ حـسـبـ اـسـتـطـاعـتـهـ وـمـاـ سـاعـدـهـ عـلـيـهـ آـلـاـتـهـ . وـأـنـاـ الـبـلـاغـةـ هـيـ التـوـصـلـ إـلـىـ اـفـهـامـ الـمـعـنىـ بـأـوـجـ مـقـالـ وـأـبـلـغـ كـلـامـ لـيـعـرـفـ بـهـ الـمـرـادـ بـاسـهـلـ الـمـسـالـكـ وـأـقـرـبـ الـطـرـقـ بـوـاضـعـ الـبـيـانـ وـصـادـقـ الـمـقـالـ وـالـإـيجـازـ فـيـ ذـلـكـ مـاـ بـلـغـتـ غـاـيـاتـهـ بـيـسـيرـ الـنـفـذـ . وـالـأـطـنـابـ مـاـ بـلـغـتـ غـاـيـاتـهـ بـالـتـطـوـيلـ فـصـارـتـ الـبـلـاغـةـ حـيـنـئـذـ التـوـسـطـ بـيـنـ الـحـالـتـيـنـ وـالـتـوـصـلـ إـلـىـ اـدـرـاكـ الـغاـيـةـ مـنـ أـقـرـبـ الـطـرـقـ . وـقـيـلـ الـبـلـاغـةـ مـعـرـفـةـ مـوـاضـعـ الـمـفـاـصـلـ الـمـطلـوـبـةـ بـالـقـاـظـ . نـهـوـمـةـ وـالـبـلـاغـ هـوـ الـذـيـ لـاـ يـؤـيـ سـامـعـهـ مـنـ سـوـءـ اـفـهـامـهـ وـالـفـهـيمـ الـذـيـ لـاـ يـأـتـيـ بـسـوـءـ ذـمـ

من يريد افهمه بتقصير عن البلاغة في خطابه أوكتابه فيخرج بفهمه وصفاء ذهنه
تمكح الحجب الحائمة بينه وبين المعنى الذي يتدرك على الفهم لأنه مجرده
من تلك الشوائب الموقعة له عن البيان والإيضاح. والبلاغة في اللغة من بالغتها في
كذا وكذا وهي مشتقة من المبالغة يقال بلغت أبلغ بلغاً فاصدر منه بلاغة
فانا بالغ ونقول أبلغ الكلام وبلغتها الى فلان أي أديته اليه
واعلم أن المعانى تنطق بها أفواه السوقه والعوام في الأسواق والطرق
ولكن قل من يحسن العبارة عنها وربما اراد المعنى فعبر عن غيره وهو يظن أنه
قد عبر عنه والمعنى هي الاصول وهي الاعتقاد الذي أول ما يتصور في النفس
واللفاظ هيولى لها والمعنى كالنفوس واللفاظ كالاجسام والمعنى كالارواح
والحروف كالأبدان

* فصل *

ثم اعلم ان الهيولي اذا قبلت آثار النفس قبولاً تاماً ظهرت أفعال النفس في
الغرض والمراد مضيئة بهيئتها وان عجزت عن القبول كانت دون ذلك وكذلك
اللفاظ ان قبلت التأدية عن المعنى ببلاغة فهمت المعنى ولاحظ دلائلها بغير
تطويل ولا اسهاب وان عجزت اللفاظ عن تلك التأدية احتاجت الى التطويل
والتطويل ذهاب البلاغة والتقصير هو ضعف الدلالة والحججة وفي الناس من محول
في قلبه المعنى الصحيح فيعبر عنه باللفظ الريث فيحيله عن معناه وان لم يردا الاحالة
ولكنه عجز في اللفظ فيصير اللفظ غير مؤد عن المعنى لا لمجرد المعنى ولكن
عجز اللفظ كما أن الطبيعة تفعل أشياء فتعجز عنها الهيولي القابلة فتنقص عن
الكلام لا لعجز الطبيعة بل لعجز الهيولي فتأمل هذا الكلام فإنه من الامرار
المجيبة والرموز الدقيقة والمعانى الغامضة وفيه غرض غامض

وأنت أيها الاخ ينبغي لك أن تراجع نفسك النائمة الساهية فانتبه من نوم
خلفتك وانعم النظر في جميع ما قلناه وافهم جمجم ما يلينا من الاشارات والرموز
ولا تظن بما ظن السوء لأن افشاء سر الربوبية كفر

﴿ فصل ﴾

في كيفية ادراك القوة السامعة للاصوات

فنتقول اعلم ان الاوصوات نوعان حيوانية وغير حيوانية فغير الحيوانية قسمان طبيعية وآلية فالطبيعية كالاصوات من الحجر والحديد والصفر والخشب والرعد والريح وخرير الماء وسائر الاجسام التي لا روح فيها من الجمادات. والآلية كصوت البوق والطبل والدف والمزمار والاوتداد وما شاكلها . والحيوانية أيضاً نوعان منطقية وغير منطقية فغير المنطقية اصوات سائر الحيوان التي ليست بناطقة

وأما المنطقية فهي اصوات الناس منها دالة ومنها غير دالة فغير الدالة الضجيج والبكاء والانين والاصوات التي لا هجاء لها
وأما الدالة فهي الكلام والتقول الذي له هجاء . وكل هذه الاوصوات إنما هو قرع يحدث في الهواء عن تصادم الاجرام

وذلك أن الهواء بشدة لطافته وخفة جوهره وصفاء طبعه وسرعة حركة أجزائه يتخلل الاجسام كاها فاذا صدم جسم جسما آخر انسل ذلك الهواء وتدافع الى جميع الجهات وحدث منه شكل كما ذكرنا أولاً فيصل بمسام الحيوان فاما كيفية ادراك الحاسة السامعة لاصوات الحيواني وغير الحيواني وتمييزها لكل واحد منها كما تعيز القوة الذائقة طعم الاشياء وتخبر الذائقة عن كل شيء بما يخصه من طعمه وكذلك القوة الشامة

فاما الذائقة ذهي أكثر فأثراً من الشامة وآذن الحاسة السامعة فان قواها في تمييزها الاوصوات بعضها من بعض أشرف وأشرف والحسنة اللامسة أشرف من الجبيم واختلف العلماء في حاسة النثار وحاسة السمع أيها أشرف وأشرف . فقال بعضهم حاسة السمع أشرف وكان برهان من قال ذلك ان محسوسات السمع كلها روحانية وان النفس بطريق السمع تدرك من هو غائب بالمكان والزمان وان محسوسات البصر كلها جسمانية لأنها لا تدرك الا ما كان حاضراً في ذلك

الوقت وقال ان السمع أدق تمييزاً من البصر اذ يعرف جودة الذوق وجودة الحس والكلام الموزون والنغمات المختلفة والفرق بين السقيم والصحيح والمستوى والمنزحف وصوت الطير من صوت الكلب وصوت الحمار من صوت الجمل وأصوات الاصدقاء من أصوات الاعداء وما يحدث من أصوات الاجسام التي لا روح فيها وأصوات الناس على اختلافهم وأشكال كلامهم فتخبر عن كل صوت بما هو دأبه وتنسبه الى الذي بدا منه ولا يحتاج الى البصر في ذلك وفي ادراكه والبصر يخطئه في أكثر مدركاته فانه ربما يرى الصنير كبيراً والكبير صغيراً والبعيد قريباً والقريب بعيداً والمحرك ساكناً والساكن متحركاً . فصح بهذا القول ان السمع ألطف وأشرف من البصر ولنعم ما قيل :

الشمس تستصغر الاجسام جتنها فالذنب للعين لا للشمس في الصغر فاذا كان كذلك كانت الحواس الحس الموجودة في الانسان المستوى البنية التام الخلقة مناسبة لطبعائم الحس في جسم العالم الذي هو الانسان الكبير خاصة اللمس مناسبة لطبيعة الارض لأن الانسان يحس بحجمه كله وحاسة الذوق التي هي للسان مناسبة لطبيعة الماء اذ بالمائة والرطوبة التي في اللسان والفهم تدرك طعوم الاشياء وسنترحها اذا انتهتى بنا القول الى تفصيل ذلك وبيانه . وحاسة الشم مناسبة لطبيعة الهواء لأن القوة الكامنة هوائية وهي المستنشقة للهواء وبه تدرك روائح الاشياء والحسنة الباصرة مناسبة لطبيعة النار اذ بها وبالنور تدرك محسوساتها والحسنة السامعة مناسبة لطبيعة الفلك الذي هو مسكن الملائكة الذين شعارهم وشغفهم ليتهم ومهارهم وكلامهم كله تقدير وتبسيط وتحليل ويبلند بعضهم ببعض ويقوم لهم في ذلك العالم العلوى مقام الغداء الجماعي في العالم السفلي

وذلك ان حاسة السمع محسوساتها كثيرة وروحانية . ولذلك قيل ان في بناغورس الحكيم سمع بصفاء طبيعته وصفاء جوهره نعمات الافلاك وانه استخرج الآلة التي تسمى العود وانه اول من الف الاخان ومن بعده من الحكماء الذين افتدوا

بـه وبيان لهم حقيقة ما وصفه فصدق قوله وتابعوه واتسعوا في فعل ذلك كل بقدر
ما اتسع له زمانه وساعدته عليه إمكاناته

* فصل *

ثم اذ لکل صوت صفة روحانية تختص به خلاف صوت آخر فأن الهواء من شرف جوهره ولطافة عنصره يحمل کل صوت بهيئته وصيغته ويحفظها لثلا يختلط بعضها ببعض فيفسد هيئاتها الى ان يبلغها الى اقصى غياتها عند القوة السامعة لتوبيها الى القوة المفكرة ذلك تقدير العزيز العايم الذى جعل لكم السمع والابصار والافئدة قليل ماتشكون فان قال قائل ما العلة الى اوجبت للهواء هذه الفضيلة الشرفية والحركة الخفيفة فنقول لقد سألت عن امر يجب السؤال عنه اذ كان من اکثر الفوائد فيجب ان تعلم ان جسم الهواء لطيف شريف وهو متوسط بين الطرفين فاهو فوقه ألطف منه وهو النور والضياء وما دونه أکثث وهو الماء والتراب وما كان الهواء أصفى من الماء وألطف وأشرف جوهراً وأخف حركة صار النور يسري فيه ويصبغه بصبغته ويودعه روحانيته لانه قد قاربه وجانسه بما فيه من اللطافة وما كان النور والضياء أصله ومبدأه من أشرف الجواهر الغالية صار له اتصال بالنفوس والارواح وصارت سارية فيه وهو المعراج الذي تعرج به الارواح وتنزل به النفوس الى عالم الكون والفرد ومجاورة الاجساد وما كان للهواء هذه الفضيلة صار يحيط بكل شيء صورته تامة ويحيطه حتى يبلغه الى الحال المتضمن به بحسب ما جعله فيه باريته جلت قدرته بمحكمته ليكون بذلك اتقان الصنعة واحكام الخلقة فلذلك صارت تدر کما يماهي به اذا كانت الحاسة سالمة والاداة كاملة

وهكذا حاسة الشم تقبل من الهواء ما يحمله من الروائح فانه يحفظها ويتبعد
الاحاطة بما يعرض من الروائح عن كثير من الاجناس ثم تؤديها الى حاسة الشم
فتخبرها عن كل رائحة بما هي باو عما فاحت عنه ولذلك قيل عالم الارواح روح ريحان

ونهايات وألحان. وكذلك النور يحفظ الألوان على الأجسام ولا يخالط بعضها ببعض وتدركها القوة بما هي به اذا كانت الحاسة سالمة ثم انه متى حدث ببعض الحواس حادث أوجب تغير ادراك الحاسة فليس ذلك لفساد في الهواء والضياء ولكن لفساد المزاج واضطراب البنية فإذا كانت الحاسة سالمة وجاءتها الاشياء بخلاف ما تعمد فليس ذلك لفساد فيها لكن للحادث الذي حدث في الهواء والضياء وذلك ان الهواء يتغير ويتقدر والضياء يظلم ولذلك صار البصر لا يدرك بعد مغيب الشمس ما كان يدركه وقت طلوعها وكذلك السمع لا يدرك من الاصوات في وقت هيجان الريح وحركة الهواء ما كان يدرك من ذلك في وقت سكون الهواء وهدوء الرياح

﴿فصل﴾

ثم ان مادون فلك القمر لطيف وكثيف يجري عليه التغير والاستحالة وذلك ان النار تستحيل فتصير هواء والهواء يستحيل فيصير تراباً والتراب يستحيل فيصير ماء والماء يستحيل فيصير هواء والهواء يستحيل فيصير نوراً فالنار صار اوطناً يتصل بالهواء وآخرها يتصل بالنور وأول طرف الهواء متصل بالماء وآخره متصل بالنار وأول الماء متصل بالتراب وآخره متصل بالهواء فمن جهة حارفه الاعلى يتصل بما فوقه وبطرفه الادنى يتصل بmadone ويستحيل اليه فانظر يا أخي كيف أوجبت الحركة التغير والاستحالة والزوال والانتقال من حال الى حال في الموجودات الطبيعية والعلة في ذلك هو جراء النفوس بما كسبت وعقولتها بما جنت لأن عالم الأرواح لا تغير فيه ولا تبدل ولا زوال ولا انتقال .

ثم اعلم ان كيفية ادراك الحاسة السامعة بجميع اصوات ما في العالم من الانس وسائر الحيوان والنبات والرياح والاشجار وما شاكل ذلك من كل شيء له صوت وحركة ينقسم عددها الى ثلاثة اقسام : أحدها حي والآخر ميت والثالث

لأحي ولامت وكلام الإنسان وصوت الحيوان حي ذو حركات نفسانية وصوت الحجر والخشب والآهيد والنحاس وما شاكلها ميت والقسم الثالث لأحي ولا ميت مثل صوت الهواء اذا تدافع وتصدم بعضه ببعضًا وحدث منه الصفير والزفير وصوت تدافع الماء في التلاليم وأمواج البحار وجريان الأنهار وصوت زفير النار فان هذه لا يقال لها حية كما يقال للإنسان والحيوان انه حي ذو حركة يقصد لفرض زناله بحركته ولا يقال انها ميتة كموت الحجر والخشب لأنها تحرك بالاتفاق لا بالقصد ولأنها نقوى بحركة الهواء ومرة تذكرها وكذلك الماء والنار ثم يجمع هذه الاوصوات كلها شيء واحد وهو هيولاها ولو لاها لما كانت فأما كيفية الاوصوات التي تعلم الإنسان انها صدرت عن أجسام حية فهو أن يكون صوتها الى حاسة سمعه بسرعة وخففة وينجد لنفسه التي تفهمها وتقبلها بسرعة الاخبار عنها بما هي به ، بخلاف تلك الاوصوات الصادرة عن الاجرام المائية التي لا يوصل اليها الا بالفكرة والرؤية

وأيضا فان الإنسان يأنس باوصوات الحية اذا كان في فلوات بعيدة في موضع منقطع عن العمران فيستوحش ، فإذا سمع نباح كلب أو صوت انس استأنس وقويت نفسه وعلم انه بقرب عمران وبخلاف ذلك اذا سمع صوت الوحش يخاف منه على نفسه ، وأيضا صوت هبوب الرياح العواصف وجريان الاودية وأمواج البحار واهتزاز الاشجار ووقع الاحجار اذا سمعها الانسان الفريد الوحيد في الموضع النائي عن الناس استوحش منها غاية الاستيحاش

ولذلك قيل ان في الفلوات والقفار جبالاً تقطع وتنكسر وتخر فيسمع منها اوصوات مرتفعة فإذا سمع الانسان ذلك يستوحش ولا يأنس بها

وقيل ايضاً ان النار والهواء والماء لا يحكم عليها بموت ولا حياة وهي وإن كانت مادة للحياة والحركة فان ذلك يكون باجتماعها بقوة طبيعية وحركة نفسانية بشيئة آلهية واما اذا تفردت كل منها بذاته فلا يقال لها حية ولا ميتة ولكن كل واحد منها ذات طرفين طرف متصل بالحياة وطرف متصل بالموت وهو متوسط

بين ذلك فالتراب طرفه الاعلى وما لطف منه متصل بالماء فهو ذو حياة بما يخرجه
ويبرزه من النبات الذي به حياة الحيوان وطرفه الآخر هو ما كشف منه مثل
الجبال والصخور والسباخ فانها أموات لا تقبل الماء ولا تخض به ولا يكون منها
نبات ولا ينفع بها حيوان والظرف المتصل بالماء يقال له عمران والذي بعد من الماء
يقال له خراب وهو بالموت أشبهه من طرفه العامر

والماء أيضاً ذو طرفين طرفه الاعلى متصل بالهواء وهو بالحياة أشبهه وطرفه
الادنى متصل بالتراب والتراب لا حياة فيه ولا حرارة له فالطرف المتصل
بالتراب بالموت أشبهه والطرف المتصل بالهواء بالحياة أشبهه والهواء طرفه
الادنى متصل بالماء والماء بالموت أشبهه لأن الماء بما صار جامداً تقليلاً وإذا جد صار
موتاً وكانت منه صخور وجاد وهو بالموت أشبهه وطرفه الاعلى متصل بالنار والنار
بالحياة أشبهه

والنار أيضاً ذات طرفين طرف منها متصل بالهواء وطرف منها متصل بالنور
والضياء وذلك ان النار اذا قدحت خرجت من احتكاك الاجسام بمحوث ذلك
الفرع في الهواء اذا بربت مع الهواء اتصلت بالاجسام النباتية والحيوانية
فاكتها وأحرقتها وزالت بروابتها واضمحلت باضمحلالها فيقال خدت النار
وانطفيء السراج فصار هذا الطرف أشبه بالموت وهذا طرف آخر يطلب العلوأبداً
متصل بالاشراق والنور والضياء وهذا الطرف لاتصاله بالنور ومثاكلته ايام
بالحياة أشبه

و كذلك آخر المعادن متصل بأول النبات وأخر النبات متصل بأول الحيوان
وآخر الحيوان متصل بأول عالم الانسان وأخر الانسان متصل بأول مرتبة الملائكة
وكذلك آخر التراب متصل بأول مرتبة الماء وأخر الماء متصل بأول مرتبة الهواء
وآخر الهواء متصل بأول مرتبة النار وأخر النار متصل بأول مرتبة الضياء
كذلك محدث من الاوصوات بجري على هذا المثال فصوت الاحجار يشبه

أصوات النبات لأن النحاس اذا خاطط بالحديد وجمع بينها كان له طنين كظنين العيدان ، وذلك ان العود نبات صنعه الناس وحرّكه وصارت له نفمة ظاهرة ناطقة معبّرة عما في افكار النفوس

و كذلك صوت نقرات الاجراس وطنين النحاس وليس للحجر الغير المعدني مثل ذلك فالطرف الاعلى من أصوات النبات نغمات العيدان وما شا كلها وهي لاحقة باصوات الحيوان وكلام الانسان والطرف الآخر الادنى المتصل باصوات الحجارة الموات كصوت الدف ودوي الاوتاد في الارض وما شا كلها والطرف الاعلى من أصوات الاحجار المعدنية كما قلنا هو صوت النحاس وما كان له طنين وزمير وهو اللاحق باصوات النبات مثل العيدان والطنابير وما شا كل ذلك .

والطرف الادنى من أصوات الحيوان لاحق بصوت النبات مثل أصوات البهائم الخرس التي لا يتبين لها صوت يمكن تقطيعه ووزنه مثل النباق والحيوانات التي لا صفات لها لاحقة بالتجادرات والموات .

والطرف الاعلى لاحق بكلام الناس مثل كلام الفصحاء من الطيور والهزار داستان والبلبل وما شا كل ذلك مما حسن صوته من الحيوان والانسان أيضاً كلامه ذو طرفين طرفه الادنى متصل بالحيوان مثل الفباء والثغث والإشغ و ما شا كل ذلك

والطرف الاعلى منه متصل بعنفاض الائكة مثل كلام الفصحاء والبلغاء وذوى النبات والاخنان المطربة مثل نغمات داود عليه السلام والقراء والملحنين في المساجد وقراءة المزامير مثل اصوات قراءة التوراة في الكنائس والبيع والقرآن في المساجد والخطباء على المنابر والرهبان في الصوامع وما شا كل ذلك ولكل صوت من هذه الاصوات عند الحاسة السامحة كافية و מהية فاهية صوت الانسان انه غرض مفهوم دال على معنى فتح الحاجة القوة المفكرة الى ان تفكريه

وتفتش عن معناه وأصوات الحيوانات غير مفهومة لكن القوة المفكرة تقضي عليها أنها ماصوت لا لحاجة وما أرادت به الا سبب أكل وشرب ونكافحة وهذه الاقسام من الصوت مختصة بالاجسام الحية فاما صوت الحجارة والخشب فان القوة المفكرة لا تقضي عليها بأنها مابدلت لغرض ولاقصد إلا أن تكون آلة لحركة الانسان مثل البوق والزمر والعود وماشاك كل ذلك وأنها تنسبها الى الحركة التي كانت هي السبب في تصويمها مثل بوقي ومزماري وعود وصفار وماشاك كل ذلك وكل هذه أصوات انسانية أو دعيمها النفس الجزئية هذه الاشكال النباتية بالصناعة التي اخذتها حيلة للمعاش والكسب .

وأما صوت هبوب الرياح والرعد وخرير الماء اذا انحدر من علو الى أسفل واضطراب موج البحر واهتزاز الاشجار فان القوة المفكرة لا تعبأ بذلك ولا تذكر فيه وإنما تغير على الحاسة السامعة شبه الخوار ولا حاجة اليه وربما ضجر الانسان منه وتأذى من مداومة سماعه وإذا فرغنا من ذكر ماهية الاصوات وكيفية حدوثها وكيف تدركها القوة السامعة فلنذكر ما يبين هذه الحاسة وبين ما تدركه هذه الاصوات من المناسبة والمشاكلا والمحاسن والمطابقة

* فصل *

فنقول : اعلم ان ادراك الحاسة السامعة لصوت الحجر والجواهر المعدنية والجمادات الغير النامية والживة كنمو النبات وخوار الحيوانات فهذا لما بينها وبين تلك من المناسبات والمحاسن من جهة الجسمية والطبيعة الارضية وذلك ان جسم الانسان مائل الى التراب وأما ادراكه لأصوات الخشب وكل ما يصوت ويتحرك من النبات والاشجار فلا جل المناسبة بينه وبين ذلك وذلك ان الانسان يشارك النبات في التزو والزيادة والكبر بعد الصغر

وأما ادراكه أصوات الحيوان ومعرفته بها واخباره عنها فلما يبنه وبين
الحيوان من المناسبة وذلك أن الانسان مشارك للحيوان في الحياة والحس والنفس
الحيوانية جارية بينهم متصل ببعضها بعض أكثر اتصالاً من النفس الذاتية بين
النبات والحيوان، وذلك أن الانسان يشارك النبات من جهة واحدة وهي التو
خشب ويشارك الحيوان من جهات كثيرة وهي التو والثبوة والاكل والشرب
والنفخ والحس والألم والذلة والامور الحيوانية والانسان أنها تتميز عن
الحيوان بالنطق والتغيير والقوة العاقلة وفيما إن بعض الحيوانات فكراً وتميزاً
وهي النحل والغزل

واما ادراكه أصوات الهواء والنار فلما يبنه وبينها من المناسبة لانه مهوى
منها كما ذكرنا في رسالة الاهيولى والصورة

واعلم يا أخي انه لو لا المناسبة التي بين الحيوان الحي وبين الجمادات الميتة
لما كان يدرك من المعرفة بها والاحاطة بخبرها قليلاً ولا كثيراً . فان قال قائل لم
لا يعرف الصبي الصغير هذه الاشياء على حقيقتها وبينه وبينها النسبة موجودة
فيما ان ذلك لعجز في الاهيولى عن القبول لالغلط من الخالق تعالى « ذلك تقدير
العزيز العالم » يخافق ما يشاء كما يشاء بلا اعراض عليه وبمحكم ما يريد بلا غرض
جل جلاله

﴿ فصل ﴾

في اختلاف الاصوات في الصغر والكبر

فقول : اعلم ان حدوث الاصوات يكون من تصادم الاجسام ببعضها بعض
فقول ان كل جسمين تصادما برفق لا يسمع لها صوت لأن الهواء ينسلي من بينهما
قليلاً قليلاً فلا يحدث صوتاً وأما يحدث الصوت من تصادم الاجسام اذا كانت
صدمة بسرعة فينضغط الهواء عند ذلك وتتدافع امواجه وتنمو حركته
إلى الجهات التي بسرعة فيحدث الصوت ويسمع كما يبينا فيما تقدم ، والاجسام
(١٠ -)

الكبار العظام اذا تصادمت يكون اصطدامها اعظم من اصوات ما دونها لان تموح هواها اكثرا . وكل جسمين من جوهر واحد متدارهما واحد وشكلاهما واحد اذا تصادما معاً فان صوتاهما يكونا متساوين فان كان أحمس فاذ صوتاهما يكونا املس من السطوح المشتركة والهواء المشترك بينهما املس . والاجسام الصلبة الم gioفة كالاوانى وغيرها والطربجارات اذا نقرت طلت زمانا طويلا لان الهواء يتعدد في جوفها ويصدم في حافاتها ويتموح في اقطارها وما كان منها أوسع كان صوته اعظم لان الهواء يتموح فيها ويصدم في مروره مسافة بعيدة والحيوانات الكبيرة الرئة الطوال الحلقايم الواسعة المنابر والاشداق تكون جهيره الا صوات لانها تستنشق الهواء كثيراً وترسله بشدة . فقد تبين عاذ كرنا ان علة عظم الصوت انما هو بحسب عظم الجسم المصوت وشدة صدمة الهواء وكثرة تموجه في الجهات . وان اعظم الا صوات صوت الرعد وقد يتنا علة حدوثه فيما تقدم في رسالة الآثار العلوية . وأما اصوات الرياح وشدة حدوثها فليست شيئاً سوى تموح الهواء شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً وفوفقاً وتحتها فإذا صدم بحركته وبجريانه الجبال والحيطان والأشجار والنبات وتخللها حدثت من ذلك فنون الا صوات والدوبي والطنين مختلفة الانواع كل ذلك بحسب كبر الاجسام المصدومة وصغرها وتجويتها لعل يطول شرحها

فاما اصوات المياه في جريانها وحدوثها وتصادمها بالاجسام فان الهواء ببطافة جوهره ومریان عنصره يتخللها كاها ويكون حدوث تلك الا صوات وفنون انواعها بحسب تلك الاسباب التي ذكرنا في أمر الرياح

واما اصوات الحيوانات من ذوات الرئات واختلاف انواعها وفنون اقسامها بحسب تلك الاقسام والاسباب التي ذكرناها من أمر الرياح وبحسب طول اعنافها وقصرها وسعة حلاقيهم وتركيب حناجرها وشدة استنشاقها للهواء وقوه ارسال أنفاسها من أفواهها ومناخيرها وكل ذلك لاسباب وعلل يطول شرحها

وأما أصوات الحيوانات التي لارئتها كالزانابير والجراد والصرافر وآشباها فأنها تحرك الهواء بجناحين لها سرعة وخففة فتحدث من ذلك أصوات مختلفة كما يحدث من تحريك الأوتار والميدان وتكون فنونها متباينة وأنواعها مختلفة وصغرها وكبها يحسب لطائفها، أعني أحجامها، وغلظتها وطولها وقصرها وكبها وصغرها وسرعة تحريكها لها

وأما الحيوانات الخرس كالسمك والسلحف وما شاكلها فأنها صمت لأنها ليست لها رئة ولا جناحان فلا يكون لها أصوات

وأما أصوات الجوادر المعدنية كالمحديد والنحاس والزجاج والحجارة وما شاكلها فإن اختلاف الأصوات يكون بحسب يبسها وصلابتها وكية مقاديرها من الصغر والكبر والطول والقصر والسعنة والضيق

وأما أصوات النبات فيحسب صلابتها ورخاؤها وما يتخذ منها بالصناعة من الآلات المصنوعة كما قدمنا ذكره، وكذلك حال ما يتخذ منها مثل ذلك من الجوادر المعدنية واختلافها في الأصوات والطنين وما يبدو عنها من أنواع النغمات والأصوات كصوت الطبل والبوق والدف والسرناي والزمر فهو مختلف بحسب أشكالها فإن كل صوت انما يبدو مناسباً للجسم الذي يكون منه وبحسب صفاء جوهره وكدره الذي يكون متخدناً منه وكب أحجامه وصغرها وطولها وقصرها وسعنة أجوانها وضيق ثقبها ودقة أوتارها وغلظتها وبحسب تحريك المحرك لها والمصوت بها.

ومنها وسائل بين الإنسان والهواء في التصوير مثل البوق والزمر والصفارة وجميع ما يجعله الإنسان في فيه ويرسل فيه الهواء من جوفه بقوة أنفاسه ومنها الوسائل بين الآلة والصوت من حركة الإنسان كصوت الطبل وقرة الدف وما أشبه ذلك فإنه يكون من هذه الآلة صوتاً بالفم فإنه يكون متداً مستطليلاً مجتمع الأجزاء لا سكون فيه إلا أن يسكن الصوت مرة واحدة وأما الأصوات بحركة اليدين فإن بين أجزائهما سكونات ودقة في أثر دقة

ونقرة تعقب نقرة كما يدنا في رسالة الموسيقى وهذه الاوصوات اعني صوت الزمر والبوق تشبه اصوات الاحجار والمعادن اذا تقره المحرك كان له دوي وطنين يمكث في الهواء ممتدًا لا ينقطع الى ان يسكن لا تقطيع فيه من اصوات الحيوانات مثل اصوات الزناير وما شاكلها

فاما اصوات ذوات الاوتار وما يستعمل منها في انواع الاغاني بحركات اليدين موازية لحركة المسان والايقاع ، مستوى اللحن ، صحيح الوزن وما كان يخالف ذلك كان مناسباً لاصوات الطيور الثقال الطبع كالاوز وما جانهم او كلام التقليل الكلام من الناس ، ويكون ذلك لفساد الحركة وبعدها من النسبة الفاضلة كما عجزت هيولى الانسان عن قبول ما جعل فيها وعجزها باظهارها ايام من القوة الى الفعل وكان ذلك عجزاً من المصنوع لامن الصانع كما ان صانع العود اذا احک صنعته وشد اوتاره وأصلاح مضماره وأخذته من لا يعرف الصناعة ولا يحسن العمل به فنقره فإنه لا يأتی من تصویته مثل ما يأتي به العارف يعلم وصنعته ولا ينسب ذلك الى فساد في الآلة والى فساد من الصانع واما ينسب الى عجز المحرك فاذا رأيت آلة العود مفردة والاوتار مقطعة وحركة الحادق بالصناعة لم تساعدك على ما يريد باظهار صناعته فليس ذلك منسوبا الى عجزه فيه ولكن الى عجز الآلة ونقصانها عن تمام فن كل الوجهين الصانع بريء من العجز اذا كانت صنعة الاشياء على النسبة الفاضلة وقصده في صنعته الاتقان والاحکام واما حدث النقص والفساد من جهة الهيولي كما ان المعلم اثما غرضه أن يعلم تلميذه ما يحسنه حتى يكون حاذقا فيه فيكون مثله وحافظا لعلمه فاذا لم يقبل المتعلم منه وأخذ الفاظاً مستوية فاحتدا عن وجهها فليس ذلك منسوبا الى المعلم لكن الى عجز المتعلم عن البلوغ الى ما لا يعلمه الاستاذ دفعه واحدة لا بالتدريج ليعرف الشيء بعد الشيء

﴿فصل﴾

في السكون والحركة

فنقول اعلم أن الحركة هي النقلة من مكان إلى مكان في زمان ذان وضدها السكون وهو الوقف والثبات في مكان واحد بين زمانين والحركة تكون سريعة وبطيئة فالسريعة هي التي يقطع المتحرك بها مسافة طويلة في زمان قصير والبطيئة هي التي يقطع المتحرك بها مسافة قصيرة في زمان طويل وعلى هذا المثال تعتبر الحركات والتحركات

ثم اعلم ان الحركات تنقسم من جهة الكيفية الى ثمانية أنواع كل نوعين منها متقابلين من جنس المضاف فنها الكبير والصغير والسرع والبطيء والدقيق والغليظ والنقيل والخفيف

فاما الكبير والصغير من الا صوات فان المثال فيها أصوات طبول الكبار والصغراء

وذلك ان اصوات طبول المراكب اذا أضيفت الى اصوات اللهو كانت كبيرة واذا أضيفت الى اصوات طبول الكوس كانت صغيرة واذا أضيف صوت طبول الكوس الى صوت الرعد كان صغيراً

وعلى هذا المثال تعتبر الا صوات في الصغر والكبير باضافة بعضها الى بعض وهي التي تكون ازمان السكونات ما بين تراهن او حركات اصغرية بالإضافة الى غيرها والمثال على ذلك اصوات مداد القصارين ومعارق الحدادين فنها سريعة بالإضافة الى اصوات مداد الرذازين والخصاصين وهذه بطبيعة بالإضافة الى اليها وأما بالإضافة الى اصوات مجازيف الملحنين فهي سريعة

وعلى هذا المثال تعتبر سرعة الا صوات وبطؤها باضافة بعضها الى بعض وأما الدقيق والغليظ من الا صوات فباضافة بعضها الى بعض كاهوات نفحة الزير باضافتها الى نفحة اليم ونفحة المثنى الى المثلث وأما بالعكس فان صوت اليم بالإضافة الى المثلث غليظ وكذلك المثلث الى المثنى والمثنى الى الزير

ومن وجه آخر فان صوت كل وتر على غليظ بالإضافة الى مادونه أى وتر كان ، فعلى هذا القياس تعتبر حدة الصوت وغالظها بالإضافة بعضها الى بعض وأما الجهر الخفيف من الاصوات فيحسب قوة الحركة وضعفها والمثال في ذلك صوت العليل السقيم بالقياس الى صوت الصحيح المعاف وصوت العليل الى من هو أضعف منه وأقسم حتى يكون أجهر الاصوات من الناس ما كان في غاية الصحة وسلامة الحواس واستواء الآلة، وانخفاض عن ما كان في الغاية بخلاف هذه الصفة لما به من ضعف القوة وقلة الحركة وفساد الجملة وغير ذلك .

»فصل«

في معرفة قسمة الاصوات من جهة الكمية

فنقول الاصوات من جهة الكمية نوعان متصلة ومنفصلة فالمتصلة هي التي بين ازمان حركاتها في النقرات زمان سكون محسوس مثل نقرات الأوتار وايقاع القضبان .

وأما المتصلة من الاصوات مثل أصوات المزامير والنایات والدوايب ونحو ذلك كما ذكرنا في فصل قبل هذا والاصوات المنفصلة تنقسم نوعان حادة وغليظة فاكان من النایات والمزامير أوسع تجويفاً وتقاباً كان صوته أغلظ وما كان أضيق تجويفاً كان صوته أحد

ومن جهة أخرى أيضاً ما كان من الثقب الى موضع النفخ أقرب كانت نعمته أحد وما كان أبعد كان أغلف

وهكذا تنقسم الاصوات المتصلة أيضاً على هذا المثال غليظة وحادة وقد يبيننا في رسالة الموسيقى ذلك

واما معرفة طبائع الاصوات وائلاتها واختلافها بحسب مانبينها ها هنا نقول ان الاصوات الحادة والغليظة يتضادان فإذا جمع بينهما على نسبة تأليفية اختلفت

وامتزجت والتحدت وصارت كلاما موزونا ونظما مؤتلفا فعند ذلك يستلذه السامع
وتسر به الارواح وتأنس به النفوس
واذا كانت على غير هذه النسبة تنافرت وتبينت ولم تألف ولم يستلذها
السامع بل ينفر منها ويشمئز والاصوات الغليظة باردة وهي رطبة وتنقسم قسمين
ضارة ونافعة
فاما الضار فهو الذي اذا ورد على السامع يعوقه وهي الاصوات الخارجبة
عن الاعتدال

وقد استعمل الحكاء اليونانيون آلة لذلك كانوا يستعملونها عند ملاقات
الاعداء وهي صوت بلازعيق والاصوات المعتدلة المناسبة تعدل مزاج الاختلاط
الحرارة والكموسات اليابسة فهذه تابعة لها

والاصوات الغليظة التي يحدث منها فساد المزاج باردة باista لانه ما جاء منها
ماء يحيى الحيوانات الصغار مثل فراخ الطيور والاطفال من الصبيان والاصوات
المناسبة باردة رطبة والاصوات الحادة حارة فاكان منها على غير النسبة المعتدلة
أفسد المزاج وأحرق الطبيعة وما كان منها على النسبة الفاضلة والاعتدال أصلح
المزاج ولطف البرودة فالقسم الاول حار يابس والقسم الثاني حار لين
وقد اخذ الحكاء بهذه الاصوات ميزانا يعرفون به طبائعها على النسبة
الفاضلة بحد الاعتدال وهي الآلة التي تسمى العود وقد ذكرنا كيفية بنيتها وعمل
يه في رسالة الموسيقى.

﴿فصل﴾

(في معرفة الاصوات من جهة طبيعة الانسان والحيوانات واختلافهم فيها)
فنقول : اعلم ان امزجة الابدان كثيرة الفنون وطبائع الحيوانات كثيرة
الانواع ولكل مزاج وطبيعة نغمة مشاكلا وحن ملائمه لا يخصى عددها الا
الله تعالى والدليل على ذلك انك اذا تأملت وجدت لكل امة من الناس أحانا
ونغمات وأصواتاً يستلذونها ويفرحون بها لا يستلذها غيرهم ولا يسر بها سواهم

وذلك لا خلاف لغاتهم وتبادر أمزاجتهم وطبعاتهم وما جرت به العادات والأخلاق وهكذا يجري في أصحاب لغة واحدة : أقوام يستلدون أحاناً ونفهات وأصواتاً لا يستلذها غيرهم من لغتهم وهكذا ربما تجد إنساناً واحداً يستلذ وقتاً لحساً ما ويعاوه وقتاً آخر

وهكذا تجد حكمهم في مأكولاتهم ومشروباتهم ومسموماتهم وملبوساتهم وسائر الانواع من الملاذ والزينة كل ذلك بحسب تغيير أمزاجتهم واختلاف طبائعهم وما جرت به عاداتهم وما تولاتهم من الاسباب الفلكية والاحكام السماوية في أوقات مواليدم ومساقط نظفهم

وكذلك تجد الحيوانات ربما استلذت بعض الاصوات وأنست بها وجاءت الى الموضع التي تكون فيها فان بعض صيادي الطيور ومتخذني آلة الصفير يصفرون ويحاكون بها صوتاً لبعض أنواع الطيور فتجمعت اليه وتدور حوله فربما تقع في شباكهم

وكذلك ما يستعمله الجالون من الحداة والنفهات التي اذا سمعتها الجال في ظلمة الليل آذت بها ونشطرت للسير والمشى وخفت عليها الاتصال ، ويستعمل مثل ذلك رعاة الاغنام والمواشي والظليل عند رودها الماء أنواع الصفير ، ويستعملون غناه آخر عند حاب ألبانها ، وكل ذلك بحسب مناسبات تقع في الطياع واتفاقات في المواليد والاصوات الحسان المعتدلة ، تستلذها مسامع الحيوان وتتأنس بها الارواح وتسكن اليها النفوس . والاصوات اخارجه عن الاعتدال عند الحيوانات كلها بالعكس من ذلك وكل جنس من أنواع الحيوان فاما يأنس ويسر بما كان من نفهات جنسه وينجتمع به ويألفه بحسب ما جرت عادته والفت طباعه ، وينفر من صوت آخر يكون من جنس غيره ولم تخبر عادته بسماعه ولا لفته ، وكذلك جميع الأمم من أصناف الناس

واذ قد فرغنا من ذكر اختلاف الاصوات وبيانها وصفاتها وحركاتها والمنفصل منها والمنصل ، والفرق بين اصوات الحيوان وكلام الانسان وأصوات

الأشجار والمعادن وكيفية أصواتها ومصواتها وما يكون منها بالقصد الاول وغير القصد وأصوات النار والهواء والماء والحركات الصغار والكبار ، الخفيف والجibir ، وذبابها ومضارها ومنافعها ، وكيفية حمل الهواء لها وقبول الحاسة العامة لها ، وكيفية اختصاصها بها دون سائر المحسوسات ، وما بين الانسان والاصوات في ادراكه لها من الوسائل والمناسبات ، وذكر علل هذه الاشياء ومعمولاتها وجوائزها وأعراضها وبدايتهما في الاصول ، وكونها في شكل واحد فيما علا ، ووجودها في اشكال كثيرة فيما دنى ، واتفاقها في الاصول ، واختلافها في الفروع ، وتشكلها بأشكال الاجسام البدنية عنها ، والآلة المتخذة لها والحاجة الداعية اليها ، والمعنى الموضوعة عليها والحقائق المضمنة فيها ، وما من مفهوم لا يحتاج سامعه الى من يعرفه لوضوحه وتمامه ، وما يحتاج السامع الى من يفهمه اياه لاتفاقه وكمانه

واذ قد أتينا على كثير مما يحتاج اليه في هذا الباب ، فلابد من ذكر الاختلاف اللغات من جهة الحروف والكتبات وكيف كان مبدؤها ومن أين كان منشؤها ، والعملة في اختلافها وأوزانها ، واقرداد كل أمة بشكل منها محظى سواها ، وبلغة غيرها ، ونوضح ذلك ايضاً يكون ذلك به الاندلاع على ما أردت منه وسألت عنه

» فصل »

في معرفة بداية الحروف

فتقول : اعلم ان الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام الذي هو أبو البشر ومبدئه جعله ناطقاً متكلماً فصيحاً ميزاً بالقوة الناطقة والروح الشريفة والقوة العافية القدسية وجعل صورته أحسن الصور وشكله أفضل الأشكال ، وطبعته أصنف الطبائع الأرضية ، ومزاجه أعدل الامزجة مما هو خارج عنده ، وجعله سيد الحيوانات كلها وملائكة عاليها وأميرها ورئيسها فيها ، وما كدأياها وألزمها طاعته ،

والسجود له طوعاً وكرهاً كما قال تعالى لاملائكة «أني جاعل في الأرض خليفة» فلما جعله بهذا المثال فليس من الحكمة أن يكون صامتاً كالجماد ولا سكوتاً كالحيوان الذي لا ينطق ، بل فائماً ناطقاً متكلماً معلماً مفهماً عافلاً حكيمًا لأنه سبحانه وتعالى تفتح فيه من روح قدسه وأيديه بكلمته وعلمه الأسماء كلامها وصفات الأشياء كلها ، وجعل له العقل العاقل لها والمحيط بمعرفتها ، وأخرج سائر الموجودات من المعادن والنبات والحيوان إليه ليديرها ويسوق إليه منافعها ويدلها على ما يكون به صلاحها وبقاوتها وتزايدها ونعاوتها وسلامتها من الآفات ويوضع كل شيء منها في موضعه ويوفيه قسطه من حفظ النظام وبلغ التمام ، وجمع له هذه الأشياء كلها صغيرها وكبیرها ، جليلها وحقيرها في تسعة علامات بأشكال مختلفة مسمية بأسماء قد جمعت أسماء جمیم الموجودات وانعقدت بها المعانی كلها كما اجتمعت أجزاء الحساب كلها والأعداد بأسرها في التسعة الأعداد التي من واحد إلى تسعة وكذلك وجودها في العالم العلوی على هذه النسبة وهذه الحروف هي التي عالمها الله سبحانه وتعالى آدم عليه السلام وهي التي يستعملها أهل الهند على هذه الصفة (٩٨٧٦٥٤٣٢١)

وقد كان بهذه الحروف يعرف أسماء الأشياء كلها وصفاتها على ما هي عليه وبه موجودة من أشكالها وهياستها ، ولم يزل كذلك إلى أن كثر أولاده وتكلمه بالسريانية وتشكل الفناء بشكل اوجب التغير والاستحالة بعد مضي آدم عليه السلام ، ولم يكن يكتب في زمانه كتابات أو يخاطب بقلم ، وإنما كان تاقفين بالفاظ وكلام يحفظ لقلة العدد ، ولأنه ما كان في الأرض من العالم الانساني أكثر من بيت واحد والكلام بينهم فيما يحتاجون إليه فقط ، ولم يكن لهم حدث في ماضي ولا حاجة بهم إليه ولا بقية من آثار من كان قبلهم في كتاب ولا طومار . ولأن كلام الملائكة لا يكتب في الأجسام الطبيعية وإنما هو لغواها الجواهر الفسائية وكما أن الناس في هذا الوقت لا يحتاج الرجل منهم هو وأهل بيته أن يكتبوا جميع ما يحتاجون إليه ولا أن يثبتوا جميع ما في يومهم من كتاب يذكرون فيه كل

ما عندهم من مأكول ومشروب وما ينفع به ، وإنما حاجتهم إلى علم أسماء ذلك ،
فهم يعلمون ذلك أولادهم حتى يعرفوه وينشأوا عليه بأى لحظ كان
ثم ذهب السلف وبقي الخلف وترقو في الأقاليم وقطعوا في الأرض وذهبوا
في الاطراف فأوجبت الحكمة الاطهية والعناية الربانية تقدير تلك الأسماء والالفاظ
والحروف بصناعة الكتابة ولو لا ذلك لبعد من الحاق ما كان يستعمل السلف
التي كانت حاجتهم إليها ولما كان الناس يحبون بينهم وبين ما يحتاجون إليه من ذلك
بالكذب . وكانوا لا يعلمون أخبار من كان معهم في الأرض إذا غابوا عنهم
بالمكان لأن الرسول لا يذكره حفظ جميع ما في قلب مرسله
فاما كان ذلك كذلك كذا ظهر الله تعالى صناعة الكتابة فزادوا فيها وعرفوها
ومهروا فيها وفوهها واعتادوها وبعث الله فيهم من الانبياء عليهم السلام وأقام
فيهم من الحكماء من أظهر فيهم الصنائع وكثرت بينهم الصناع والمتعلمون والعلماء
والاستاذون ، وعمرت الأرض وانتقلت أخبار بعضهم إلى بعض ولم تزل الحروف
تزيد ويظهر الشيء بعد الشيء وصناعة الكتابة تسع وتفرع إلى أن كمل عدد
الحروف ثمانية وعشرين حرفاً ثم وقفت على هذا العدد ولم تزد على ذلك
وذلك أن هذا العدد من الأعداد التامة والأعداد التامة أفضل من الأعداد
الازائدة والناقصة وذلك أن هذا العدد عزيز الوجود وأنه يوجد منها في
كل مرتبة من مراتب الأعداد عدد واحد لا غير كالستة في الواحد وثمانية وعشرين
في العشرات وأربع مئة وستة وسبعين في المئات وثمانية آلاف ومئة وثمانية
وعشرين في الآلاف ، وأيضاً أن هذا العدد يمكن أن يقسم بالسوية مرة أو مرتين
وكانت صناعة الكتابة في اللغة العربية خاتمة الكتابات ونعام عدد الحروف
كما أن شريعة الإسلام آخر الشرائع كما ورد عليه الصلاة والسلام خاتم النبيين
وأصحاب الشرائع وعلى شريعته تقوم القيمة

» فصل »

ثم أعلم أن الحكم واضح الخط العربي انتهى فيما وضعته من ذلك آثار حكمة

الله تعالى وكأن حكمها فاضلا ، وقيل إن الحكمة هي التشبه بالله بحسب طاقة البشر ومعنى هذه الحكمة أن يكون الرجل حكما في مصنوعاته متحققاً في معلوماته خبيراً في أفعاله ذكر ذلك على وجوب الحكمة في العالم لتكون حروف (أب تث) وهي حروف الجمل مشتملة على كل الأشياء مطابقة للإعداد الموجودات في الأصل وما يتفرع منه ويحدث عنه مما لا يحصى ذلك إلا الله تعالى

هن الموجودات التي عدتها ثمانية وعشرون في العالم الكبير منازل القمر فانها ثمانية وعشرون منزلة أربعة عشر فوق الأرض وأربعة عشر تحت الأرض وهي في موضع المرين واليسار ، منها أربعة عشر في البروج الشمالية وأربعة عشر في الجنوبيّة من البروج

وكذلك يوجد في جسم الإنسان أعضاء مشاكلاً بهذه العدة لازالغة التامة لغة العرب والكلام النصيحة كلام العرب وما سوا ذلك ناتج فالملاعة العربية في اللغات مثل صورة الإنسان في الحيوان

ولما كان خروج صورة الإنسان آخر صور الحيوانية كذلك كانت اللغة العربية تمام اللغة الإنسانية وختام صناعة الكتابة ولم يحدث بعددها شيء يناسبها ولا يزيد عليها ولا ينفعها وفي كل أمة وبكل اقليم وجزيرة وموضع أهل خط وحروف وكتابات وعلماء ، يجمعها كهذا وهذه العناية والعشرون حرفاً ، ولو لا خوف الاطالة لا تهمنا على ذكر كثير من اللغات وكتابات أهلها وأعداد حروفهم مثل ما يوجد في اللغة السريانية والعبرانية واليونانية والرومية وما يتفرع منها ويتكون عنها في سائر الاجناس والآدم من بنى آدم

ثم إن لم أن أصل هذه الحروف كها والخطوط بأجمعها خطاباً لأناث لها ومن بينها ومنها وعنها تركت هذه الحروف حتى بلغت إلى نهاياتها كمدوث الانس كلهم من الشخصين اللذين هما آدم وحواء عليهما السلام وكذلك العالم بأسره ، السموات ومن فيها والارض ومن عليها من جوهرين ، وها السابق والتالي أو البسيط والمركّب وهو العقل والنفس والله تعالى مبدعهما وهو

الواحد المنزه عن جميع ماحدث منها المتعالي بكبريائه عنهم و ذلك من الخط المستقيم الذي هو قطر الدائرة والخط المقوس الذي هو محيطها فأول الحروف هو الخط المستقيم الذي هو الألف والثاني الباء وبازائه في العالم العلوي السابق وهو العقل والناتم هو النفس.

وذلك أن النفس مرتبة تحت العقل ومن بينها كان حدوث الأشياء كلها في العالم السفلي مثل آدم وحواء فهـا الأبوان الذكر والأنثى، والأنثى مرتبة تحت الذكر ومن بينها كان العالم وكذلك الحيوانات كلها وأشكال النبات لأنخرج عن هذا الحد والشكل وصورة الإنسان شبه الخط المستقيم وصورة الحيوانات شبه الخط المقوس والنبات والحيوان مرتبان تحت الإنسان.

وهكذا عالم الأفلاك وسكان السموات، اشكالها مستقيمة وصورها كاملة فهم الخط المستقيم وما دون فلك القمر منزلة الخط الموج وهكذا يوجد في الاعداد التاسئة من الواحد والاثنين فالواحد كالخط المستقيم والاثنان كالمعنى وما أصل الاعداد وينبئها وعنهم يكون تزايدتها ونهايتها

* فصل *

ثم اعلم ان لسان الانسان اذا كان متحركا الى جهة كل حرف من هذه الحروف الحانية والعشرين يخرج من تلك الجهة ولا يعدل به الى غيرها ولا يخاط بعضها ببعض ولا يحيطها بما هي به في اللفظ فهو لسان صحيح وكلام صحيح من جهة بيان الحروف ووضعها على ماهي به في أي كتابة كانت وبأي لغة اتفقت كان الكلام بها ، وأصح الكتابات وأتمها وأحسنت ما كانت على النسبة الفاضلة في وضعها ومقادير حروفها بعضها من بعض

وقد ذكرنا من هذا الفن مارفاً في رسالة الموسيقى ويختصر هذا المكان شـٰء
من ذلك بعينه ليكون دلالة على ما قاله أهل صناعة الـكتابـة في لغة العرب إذ
كانت عام الـآلاتـاتـ .

وليس بنا حاجة في وقتنا الى كتابة غيرها ولا الى لغة سواها غير انا نكتب
الاحاطة بجميع العلوم ومعرفةسائر اللغات وتعلم سائر انواع الكتب.
ولذلك وضعنا لهم هذه الرسالة لتكون مهدبة لنفسهم مؤدية لاخلاقهم
وجملتها مقتضيات ومدخل ومارقات الى سائر المعلومات والمصنوعات من
المعقولات والمحسوسات

ولما كانت اللغة العربية والكتابة مخروفة التامة يحتاج اليها قراءة كتاب الله تعالى الذي ختم بنزوله كتب الانبياء عليهم السلام وذكر فيه ما كان وما يكون الى يوم الوقت المعلوم، فانه لا يحجب أن يكتب الا بالخطوطة وأقوامها وأئمها وكلامها ولا يحجب أن يكتب بالخطوطة النافذة التي ليست بموزونة ولا معندة لئلا يتصحّف على قارئه ويكثر الخطأ والاجن وزلل فيه عند القراءة

قال المحرر الحاذق المهندس المستنصر في تصحيح كتابة العربية ينبغي لمن يريد أن يكون جيداً خطأً صحيح الكتابة أن يجعل له أصلاً يبني عليه خطوطه ومثال ذلك أن يبتدئ بـ «في خط الالف» باي قدر شاء ويجعل غالظه مناسباً لطوله وهو المثُل ويجعل طوله قطر دائرة ما ثم يبني سائر الحروف مناسباً لطول الالف ويلاحظ تلك الدائرة التي الالف مناسب لقطرها فيجعل الباء وأختيه كل واحدة طولاً ما ولطول الالف ورؤوسها إلى فوق من طوها مثل هذا

ويمجمل الجيم واختيئها كل واحدة مدمتها من فوق نصف الألف وتفويسه
إلى أسفل نصف محيط الدائرة إلى الألف مناسب لقطرها مثل هذا (ج خ)
ثم ي يجعل الدال والذال كل واحدة منها ربع محيط الدائرة مقوسا مثل هذا
(ذ)

ثم يجعل الراء والزاي كل واحدة ربع تقويس الدائرة مثل هذا (رز)
 ثم يجعل السين والشين رأس كل واحد الى فوق عن الالف ومدتها الى أسفل
 نصف محبيط الدائرة المقدم ذكرها مثل هذا (س ش)
 ويجعل الصاد والضاد حاول كل واحد الى فوق عن الالف ومدتها الى أسفل
 نصف محبيط الدائرة المقدم ذكرها مثل هذا (ص ض)
 ويجعل الطاء والظاء كل واحدة مدتها الى فوق بطول الالف وفتحتها مثل عن
 الالف وروءوها الى فوق بطول الالف مثل هذا (ط ظ)
 ويجعل العين والغين كل واحدة تقويسة ربع الدائرة المذكورة مدتها الى
 خلف نصف الدائرة مثل هذا (ع غ)

وعلى هذا المثال باقي الحروف فاجعل هذا دستورك في الكتابة

* فصل *

في اذ الكلام صنعة منطقية
 فنقول ان المصنوعات كلها ، حكمة متقدمة يقتضي الحكمة ومنها صنعة
 الكلام والاقواع

وذلك ان أحكم الكلام ما كان أبينه وأبلغه وأنقن البلاغة ما كان أفصحها
 وأحسن الفصاححة ما كان موزوناً متفقاً وأصح الموزونات من الأشعار ما كان
 غير منزحف والمزحف من الأشعار هو الذي حروفه السواكن متحركة ومتحركة
 ساكنة والمستوى ما كان منفق التأليف

والمثال في ذلك الطويل والمديد والبسيط فانها مركبة من ثمانية مقاطع كا
 ذكره العروضيون فالطوويل

فهو ان فاعيان ° فعواون فاعيان ° وكذا المشرع الثاني وهذه الثانية الاجزاء مركبة من اثني عشر سبباً وثمانية
 أوتاد وجلتها ثمانية وأربعون حرفاً عشرون منها سواكن وثمانية وعشرون
 متحركات .

والمصراع منه أربعة وعشرون حرفاً عشرة سواكن وأربعة عشر متخرفات
ونصف المصراع الذي هو ربع البيت اثناء عشر حرفاً خمسة منها سواكن وسبعين
متخرفات ونسبة سواكن حروف ربها الى متخرفاتها كنسبة سواكن نصفها
الى متخرفاتها ونسبة سواكن نصفها الى متخرفاتها كنسبة سواكن حروفها كلها
الى متخرفاتها كلها

وهكذا تجد حكم الواقر والكامل فان كل واحد منها مركب من ستة مقاطع
وهي هذه

مفاعيلن مفاعيلن متفاعلن متفاعلن

ست مرات فنسبة سواكن نصف حروفه الى متخرفاتها كنسبة حروفه كلها
السواكن الى متخرفاتها كلها وعلى هذا المثال يوجد كل بيت من الشعر اذا سلم
من الزحف منصفاً كان أو مربعاً أو مسدساً أو كذلك حكم الازمان التي يينها
وقد وضعت لها دوائر وعلامات لتبيين ذلك للناظرين فيها والمتأملين لها في
كتب العروض فاستدل بهذه المقدمة على ما وصفته لك فنقول

اعلم ان الوقوف على ما تضمنته هذه الصناعة الكلامية والانفاظ المنطقية
يكون بها انتباه للنقوص الساهية والا درواح اللاهية الغريقية في بحر الهيولى وأسر
الطبيعة وقيد الالف والعادة

ومن أمثل ذلك أيضاً صناعة الكتابة التي هي أشرف الصناعات وبها
يفتخر الوزراء وأهل الادب في مجالس الملوك والرؤساء مع كثرة أنواعها وفنون
فروعها وما اختلف فيه الام من اللغات وأشكال الكتابات وفنون التأليفات
مثل ما لاهل الهند وهي الحروف التي أخرجت مع آدم عليه السلام من الجنة
وبها يعرف أسماء جميع الموجودات

واما كون عدد حروفها تسعة حسب ما يبينا ورسمنا قبل هذا ، وذلك لمناسبة
الافلاك التسعة الحاوية لمجموع الموجودات بأسرها ، ثم تفرعت بعد ذلك

واختص بها أهل الهند دون سواهم من الأمم ، لأن آدم عليه السلام كان هناك
لما هبط من الجنة

والسريانية لغة وها حروف وكتابه وصناعة ونسبة تجتمع عاليها الحروف ،
وها أسماء تختص بها موافقة للغتهم ، وهكذا أيضاً لارومية لغة وكتابة أخرى
بشكل موافق لكلامهم ولسانهم ، وهكذا لليونانيين ولاهل فارس وغيرهم
من الأمم أجناس من اللغات وفنون من العبارات ولكن أصل الحروف كلها
في أي لغة كانت وبأى نقش صورت وإن كثرت وتتنوعت هو الخط المستقيم
الذي هو قطر الدائرة والخط المقوس الذي هو محيط الدائرة كما ذكرنا قبلاً
وأما سائر الحروف ، فربكة منها ، ولو تأملت عند انفكاك الحروف العربية
وجدت بعضها خطأ مستقيماً كالالف وبعضها مدورة كالقاف والميم وبعضها مقوساً
كالحاء والخاء ، وعلى هذا المثال توجد كتابات سائر الأمم الذين ذكرناهم وغيرهم
من لم نذكرهم وقد استغفينا بذلك الأصل المشهور المعروف عند الجمهور عن
ذكر من سواهم لطول الشرح

﴿ فصل بـ ﴾

ثُمَّ أعلم أن صناعة الكتابة ذات طرفيين طرف كأنه البداية وطرف كأنه النهاية
فالطرف الأول هو الكلام والنطاق بالحروف التسعة التي يستعملها أهل
الهند إلى وقتنا هذا

والطرف الآخر الذي هو النهاية فهي الحروف الثانية والعشرون التي هي
حروف اللغة العربية وما سوى ذلك فهو بين هذين الطرفين
وأنا مثل الحروف كمثل شجرة نبت وترعرعت وترعرعت فروعها وكثرت
أوراقها وثمارها وتقسمها الأقوام فأخذ كل قوم بحسب ما اتفق لهم في أصول
مواليدهم وبحسب اجهزتهم رئيسهم وما أعمل فيه فكريته وانتجه فريحته وأوجنته
رويته بتأييد ربه تعالى وأهله فیأخذ صور هذه الحروف فيلقي عليها أسماء من
ذاته فإن كان حكيمًا فبتأييد الله له وأهله وإن كان نبياً مرسلاً كان بوحى الله
(١١ - م)

الى وكلامه من وراء حجاب عظمته او بوجيه على السنة ملائكته ونقدها بصورة أخرى من الكتابة وينطق بلغة أخرى غير اللغة الأولى وينسخ الأسماء من اللغة الأولى إلى اللغة الثانية

فإذا تم ذلك له ونطق به وكل الصناعة النطقية وقيدها بمحروف الكتابة وضم الأشكال إلى أشكالها والخطوط إلى أمثلتها ، ثم عرفها أقرب الناس إليه وأكرمه لهم لديه فيصطدح عليها هو وأهل بيته وعشيرته ثم أهل مدینته وبعد ذلك أهل بقعته ثم أهل أقاليمه ثم تنتشر في العالم وينشأ عليها الصغير ويأنس بها الكبير من تلك الأمة وينقل الشريعة والملة من اللغة الأولى إلى الثانية ويجدد الأحكام والأوامر والنواهي والصلوة وأحكام الشريعة إلى تلك اللغة التي نطق بها والامة التي أرسل إليها

وكل حكيم من الحكام أو ملك من الملوك اذا أراد نقل علم أو حكمة أو دين أو شريعة من لغة الى لغة أو من أمة الى أمة فانه يتهم بذلك له بتوفيق الله تعالى ووجب مولده وسعادته حتى يتمكن من ذلك ويقدر عليه مثل ما فعل سليمان عليه السلام لما أتااه الله الملك وجعل له القوة والقدرة كيف نقل العلوم والحكمة من جميع اللغات حين قهر ملوكها وذلل رؤسائها الى اللغة العربية وكذلك فعل ملك الروم فانه لما غاب اليونان وقهرهم نقل علومهم وحكمهم من اللغة اليونانية الى اللغة الرومية

وكذلك فعل ملوك يونان عن غلبوا عليهم فلذلك اختلفت اللغات وتبينت الآراء والديانات وكان ذلك لعامل وأسباب يطول شرحها وكل ذلك بأمر فلكية وأحكام محاوية ومشيئة الهيبة ذلك تقدير العزيز العليم

﴿فصل﴾

ثم اعلم أن لكل أهل ملة وشريعة كتاب باسم ونهي وحلال وحرام وقضايا واحكام وصناعة من الكلام والكتابة والاحزان واللغات وفيهم من هو عارف بكلية ذلك ومنهم دونه في المعرفة ومنهم من قد عدم صناعة الكتابة الا انه

طارف بالاماء والسميات وينطق بحرف الاسماء ولا يعرف صورها ولا يحسن أن يخطها بيده ولا ان يؤلف بينها بنظره ويأخذ جميع ما يلقى اليه تلقيناً وربما تجده جيد الخط قليل المعرفة ولا يحسن سوى الخط المسطور من غير تصورو يكون منفعة ذلك لغيره لا له

ومنهم من يكون جيد المعرفة قليل النسيان ففترضه ان يعرف الاشياء التي يحتاج اليها مخافة ان ينساها ويستظهر منها ماتندعو حاجته اليه، وكذلك كان آدم عليه السلام في البداية بهذه الصفة يحفظ أسماء الحروف ويتكلم باللغة وينطق بالمعنى ويدل عليه ولم يخط بيده بقلم ماشاء الله ، يقى على ذلك الى أن أظهر الله تعالى صناعة الكتابة ، في الوقت الذي قدره والزمان الذي يسره والخلق لا تدرى بصناعة الكتابة لطفاً منه بخلقه ورأفة بعباده

واعلم بأن لهم من الحاجة الى ذلك مالاغنى عنه ولا بد لهم منه فصار يحدث في وقت كل قرآن ويعجب كل زمان نوع ، من أنواع الكلمة ايات وجنس من اجناس اللغات والخطوط والعبارات ويحدث في ذلك من كل امة وكل لغة انواع الكلام والنظم واللحان والنغمات وأشياء كثيرة لا يخصيها الا الله عز وجل

ثم اعلم انه قيل ان أول من نطق باللغة العربية كان يعرب بن سام ثم لم تزل تنسع مع الزمان وتزايده على كثرة العرب وانتشارهم في الارض بحسب اتفاقات تقع لهم في مواليتهم وبقاعهم وأمزجمهم وطبائعهم وأبدائهم وأهولتهم حتى صارت أنواعاً كثيرة وصار لكل قبيلة من قبائل العرب لغة يعرفون بها وكلام ينسب اليهم ويتميرون به عن غيرهم ، واختلفوا في أسماء الاشياء حتى صار الشيء الواحد من الموجودات له في لغة العرب أسماء كثيرة يعرف بها ويشار اليه بها كلها ولذلك صار علم اللغة العربية من العلوم الكبار وصار الناس من الحاجة اليه بحيث لا يسعهم تركه بل يجب عليهم عالمه ولا ينبغي الجهل بشئ منه وذلك من حكمة الباري تعالى انه خلق الموجودات والقى عليها الاماء والصفات وجعل لها في كل طائفة وفي كل لغة أسماء تعرف بها ويشار بها اليها خلاف ما في لغة أخرى

ولو تآمّلت واعتبرت لغات العرب لرأيتها من المعجائب الطريفة والحكمة الشريفه فانظر كيف اختلفوا في كثير من كلامهم وماهم محتاجون اليه من أسماء ماً كوطهم ومشروبهم وقد جمعتهم لغة واحدة وشريعة واحدة حتى ان القراء اختلفوا في قرائتهم وتباينوا في روایاتهم وكذلك تمجد في اللغات غير اللغة العربية أكثر والامر فيها أصعب ، وعلى هذا المثال في الآراء والديانات أيضاً حتى ان كثيراً من العرب الذين يسكنون البراري البعيدة من العمزان من يجري في لغته أسماء كثيرة لا يعرفها من باقي العرب أكثرهم ولا يعرفها العرب الحاضرة الا بعد البيان والايضاح ويحتاج فيه الى معرفة اشتقاتها حتى تتصور له ثم يسمى ذلك الشيء بذلك الاسم كل ذلك لعلل وأسباب يطول شرحها

وكذلك اختلفت المذاهب والآراء والديانات والاعتقادات فيما بين أهل دين واحد لافتراقهم في موضوعاتهم واختلاف لغاتهم وأهوية بلادهم وتبادر مواليدتهم وتصور رؤسائهم وعلمائهم وأساتذتهم الذين مختلفون فيما بينهم طلباً لرياسات الدنيا . وقد قيل في المثل خالف تذكر لانه لوم يقع بين رؤساء علمائهم الاختلاف لم تكن لهم رياضة وكانوا شرعاً سواء لأن أكثرهم متتفقون في الاصول مختلفون في الفروع

مثاله انهم مقررون كلهم بتوحيد الله ووصف الباري تعالى بما يليق به من الصفات ومقررون بالنبي المبعوث اليهم متمسكون بالكتاب المنزّل من جهة الرسول المرسل اليهم وقررون بامتحاب الشريعة مختلفون في الروايات عنه والمعنى التي وسائلتها رجال أخذوها منه فرواها كل من أخذ بلسانه لأن النبي صلى الله عليه وآله من معجزاته وفضلاته انه كان يخاطب كل قوم بما يفهمون به بحسب ما هي عليه من حيث ثم وبحسب ما يتصورونه في نفوسهم وتدركه عقولهم فلذلك اختلفت الروايات وكثرت مذاهب الديانات واحتلقو في خليفة الرسول عليه الصلاة والسلام وكان ذلك من أكبر أسباب الخلاف في الامة الى حيث انها

وأيضاً فان أصحاب الجدل والمناظرات ومن يطلب المنافسة في الرياسة اخترعوا من أنفسهم في الديانات والشائع أشياء كثيرة لم يأت بها الرسول عليه السلام وما أمر بها ، وابتدعوها وقالوا للعوام من الناس هذه سنة الرسول عليه السلام وسيرته وحسنوا ذلك لانفسهم حتى ظنوا ان ما قد ابتدعوه حقيقة وان النبي عليه السلام أمر به وأحدثوا في الاحكام والقضايا أشياء كثيرة بارائهم وقياسهم وعدلوا بذلك عن كتاب ربهم وسنة نبيهم عليه السلام واستكروا عن أهل الذكر الذين بينهم ، وقد أمروا أن يسألوهم عمما أشكل عليهم وظنوا بسخافة عقولهم ان الله قد ترك أمر الشريعة وفرائض الديانة ناقصة حتى يحتاج هؤلاء الى أن يبينوه بارائهم الفاسدة وقياساتهم الكاذبة واجتهدوا بالباطل وبخترعوه وابتدعوه من ذواتهم وكيف يكون ذلك وهو يقول تعالى « مافرطنا في الكتاب من شيء » وقال « تبياناً لكل شيء » واما فعلوا ذلك طلباً للرياسة كما بينا آنما ، وأوقعوا الخلاف والمنازعة في الامة فهم بهم دون الشريعة ويجهلون من لا يعلم انهم ينصرونها

وبهذه الاسباب تفرقت الامة وتحزبت ووتعت بينها العداوة والبغضاء أبداً وصاروا الى الفتن والاحروب واستحل بعضهم دماء بعض فان اتعظ بعض من يعرف الحق من العلماء وخاطب رؤساءهم في ذلك وخوفهم وأرهبهم من عذابه عدلوا الى العوام وقالوا لهم هذا فلان وينزرون به العوام وينسبون اليه من القول مالم تأت به شريعة ولا لله عاقل . ولا يتمكن ذلك العالم أن يبين للعوام كيف جرى الامر في الشريعة وينبهون على فساد ما تم عليه لما قد غالب عاليهم **من العصبية التي الفوها ونشروا عليها وأخذها خلف عن سلف**

ولما رأى رؤساءهم ذلك وأن العلماء قد اشأزوا من العوام وجعلوا ذلك سوقاً لهم عندهم وأوهموهم ان ذلك اقطاع منهم عن الحجۃ والقيام بآيرادها وان سكونهم وتخفيتهم إنما هو بطلان مامعهم ، وان الحق ما هو الا ما جمعنا عليه نحن الان فلايزال ذلك دأبهم والرؤساء الجهل فيهم يتزايدون في كل يوم

وأختلافهم يزيد واحتياجاتهم ومناظر ائمهم تكثر وجداً لهم ينتشر حتى ينسخوا أحكام الشريعة وينزروا كتاب الله بتفسيرهم له بخلاف ما هو به كما قال « يحرفون الكلام عن مواضعه » وفي أصل أمرهم قد حولوا الشريعة من حيث لا يشعرون وأولوا أخبار النبي عليه السلام بتاويلات اخترعوا بها من تلقاء نفوسهم ما نزل الله بها من سلطان وقلبو المماني وتكلموا بها على ما يريدون مما يقوى رياستهم ويقبح أهل العلم عند العوام وذلك دأبهم يتوارثونه ابن عن أبي وخلف عن سلف وكابر عن كابر إلى أن يشاء الله أهلاً لهم ويقضى بانفراطهم وفنائهم. ولم يزل هؤلاء الذين هم رؤساء العوام أعداء للحق في كل بلد وقرية فكم أني قتلته ووصى جحده وعالم شردوه ، وهم بأفعالهم كانوا السبب في نسخ الشرائع وتجديدها في سالف الدهور إلى أن يتم موعد الله تعالى بقوله « إن يشاء يذهبكم ويات بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز » و « العاقبة للمنتفين » « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون إن في هذا بلاغاً لقوم عابدين »

فهذه العلة هي السبب في اختلاف الآراء والمذاهب وإذا كان كذلك يجب على طالب الحق والراغب في النجاة أن يطلب ما يقربه إلى ربه ويخلاصه من بحر الاختلاف والخروج من سجون أهل الخلاف وما الذي ينبغي له أن يعمل حتى يتخلص من هذه الورطة وينتهي من هذه الرقدة ويستيقظ من هذه الغفلة وينظر في أيام حياته قبل دنو وفاته فأن الأمل مدة ممدودة وللأعمال أيام معدودة وأجال محدودة وإنما خلق الإنسان في الدنيا ليكون متوجهاً إلى ربه تعالى مستعداً لمقابلته بعمله لانه ينفذ من غير أن يستأذن فأن كان معه زاد وجده كما قال تعالى « وما قدموا لا تقسم من خير تجدهون عند الله » فأنه الزاد وإن لم يكن معه زاد كان من يقول « ياليتنا نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل » والله تعالى يقول « قد خسروا أنفسهم » ووبخ قوماً فقال لهم « ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة » أي صغاراً من الزاد وقال « أفحسبتم إنما خلقناكم

عَنَّا وَأَنْتُمُ الْيَنَا لَا تَرْجِعُونَ » وَقَالَ تَعَالَى « وَوَفَيتْ كُلَّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ » وَآيَاتٌ كَثِيرَةٌ فِي الْقُرْآنِ تَدْلِي إِلَى أَنَّ الْدِيَانَاتِ وَالشَّرَائِعِ وَوَظَائِفِ الْعِبَادَاتِ أَنَّهَا جَعَلَهَا اللَّهُ طَرَفَاتٍ وَمَسَالِكَ لِكَاهِ الْعَبْدِ إِلَى رَحْمَةِ خَالِقِهِ وَعِيشَى الْقَاصِدِ بِهَا طَالِبًا جَنَّتَهُ وَالْقَرَارِ بِمَحْوِارِهِ

وَإِنْ غَفَلَ عَنْ مَصَاحِلِهِ وَأَعْرَضَ عَنْ مَقَاصِدِهِ وَتَرَكَ طَرِيقَ الْحَقِّ وَأَهْلَهُ وَالدِّينِ الَّذِي لَا اخْتِلَافَ فِيهِ ، وَأَنْفَمَ إِلَى أَهْلِ الْخَلَافِ وَالشَّقَاقِ وَإِلَى طَالِبِي الرِّيَاسَةِ مِنَ الْعَوَامِ وَاسْتَحْسَنَ نَسْقَ الْكَلَامِ وَزَخْرَفَ الْقَوْلِ مِنْ يَرِيدُ الْعُلُوِّ وَالرِّيَاسَةَ فِي دِينِ اللَّهِ تَعَالَى تَشَهِّدًا بِرَسُولِهِ الَّذِي أَرْسَلَهُ وَبَنِيهِ الَّذِي بَعَثَهُ وَهُوَ يَوْمُ النَّاسِ إِنَّهُ دُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الدِّينِ وَالشَّرِيعَةِ وَإِنَّهُ بِرَأْيِهِ وَقِيَاسِهِ وَاجْتِهَادِهِ قَدْ أَفَاقَ مَعْوِجَهَا وَأَبَانَ مَعْجَمَهَا ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْمَيِّلِ وَالْانْضَامِ إِلَى هُؤُلَاءِ ، كَانَ ذَلِكَ سَبَبُ بُوَارِهِ وَهَلَاكَهُ وَبَعْدَهُ عَنْ جَوَارِ اللَّهِ وَقَرْبِهِ وَقَرْنَ بِالشَّيَاطِينِ أَعْدَاءِ اللَّهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى (وَمَنْ يَعْشَ عَنْ ذَكْرِ الرَّحْمَنِ تَقْبِضُهُ شَيْطَانٌ فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ) فَهَكُذَا يَكُونُ حَالُهُ مَعَ عَالَمِهِ وَغَيْرِهِ ، تَرَاهُ جَمِيعُ الْعَوَامِ حَالَهُ شَقِيقَةً وَكَلَامَهُ وَتَهْذِيهُ وَالْفَاظَهُ بَعِيدَةٌ مِنْ حَيْثُ لَا يُشَعِّرُ لَأَنَّهُ إِذَا حَلَّ بِقُولِهِ وَخَرَمَ بِرَأْيِهِ فَقَدْ عَبَدَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى (إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ هُنَّ وَارِدُونَ) وَقَالَ تَعَالَى (إِنَّ الَّذِينَ يَضْلُلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ هُنَّ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسوا يَوْمَ الْحِسَابِ) فَعَلَيْكِ أَيُّهَا الْأَخْيَرُ بِأَهْلِ الْعِلْمِ وَمَوَاضِيبِ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ الذِّكْرِ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ الْمَصْوُوبِينَ لِنَهَاةِ الْخَلَقِ فَقَدْ قِيلَ أَسْتَعْيَنَا فِي كُلِّ صُنْعَةٍ بِأَعْلَمِهَا

ثُمَّ أَعْلَمُ بِأَنَّ أَهْلَ الذِّكْرِ فِي بَعْضِ الْوِجُوهِ هُوَ الْعُقْلُ الَّذِي يَذَكُرُ النَّفْسَ مَا غَابَ عَنْهَا مِنْ أَمْرٍ عَالَمَهَا الرُّوحَانِيُّ وَمَحْلَهَا النُّورَانِيُّ وَيَحْرُضُهَا عَلَى الْمَتَاجِرِ الرَّابِحَةِ وَيَحْتَشِي عَلَى الْأَعْمَالِ الصَّالِحةِ وَإِنَّ النَّفْسَ مَنْ عَدَلَتْ عَنْهُ وَخَالَفَتْهُ وَتَرَكَتْ وَصِيَّةَ رَبِّهَا وَمَا أَمْرَ مَوْلَاهَا وَاقْبَلَتْ عَلَى الطَّبِيعَةِ وَمَالَتْ إِلَى إِسْتَحْسَانِهَا وَطَلَبَ الرِّيَاسَةِ وَالْعُلُوِّ وَالْتَّعَصُّبِ وَالتَّعَدُّى أَصَابَهَا مَثِيلُ مَا أَصَابَ الْمَقْعُدَ وَالْأَعْمَى الَّذِينَ خَالَنَا وَصِيَّةَ صاحبِ الْبَسْطَانِ

حـكـيـاـة

ذكر فيما يروى من الأمثال أنه في بلاد الهند رجالان أعمى ومقدم اصطحبهما في حارق فعبرتا بستانًا فلما أتاهما إليه فرآهَا صاحب البستان وشاهد فقرها ومسكتها فرجهما وقال لها ماتقولان في أن أدخلكم بستانى هذا فتاوى يان إليه وتناولان منه بحسب الحاجة ما يكفيكما مما آتاكما فلا تولعا بالثار ففسداها فقالا وكيف نؤذيك في بستانك ونحن على مأوى من الزمانة وسو الحال: أحدهما أعمى والآخر مقعد وأى حيلة لنا في تناول شيء من الثمار وهي على رؤوس الأشجار فقال صاحب البستان لها ادخلنا ذلك المكان وتبوا مكاناً منه وأوصى بهما الناطور الموكل بالبستان وقال له احفظها وأحسن إليها وأهتما من ثرة هذا البستان ما يكون فيه صلاح شأنهما فقال سمعاً وطاعة ومضى صاحب البستان لشأنه وأقاما على ذلك مدة والناطور يتبعدهما بما فيه كفاية لها وابنعت الثمار وأثمرت وحسنت فقال المقعد يوماً لا أعمى ويحك إنك صحيح الرجلين وإن في هذه الأشجار التي في هذا البستان أنواعاً من الثمرات وأجناساً من الطيبات وهذا الناطور لا يحمل اليانا من هذا الجيد شيئاً فما الحيلة في تناول ذلك فقال الأعمى قد شوقي إلى ما ذكرت وإنك ترى وتعان من هذه الطيبات وأصناف الثمرات فما الحيلة في ذلك فلم يزلا يفكرا ز ويعلمان الروية أن قال المقعد للأعمى ويحك أنا صحيح العين أرى ما غاب عنك فأحملني على كتفك لاطوف بك في البستان فكلما رأيت ثرة مليحة طيبة قلت لك قدمي عمنة ويسرة وتطاول وتقاصر فأقطعها لك فأكل منها وأطعمك وما اعتذر وصول يدي إليه افتربه بعصابك إلى أن يقع فتشيله ييدك أنت ول يكن ذلك إذا غفل الناطور

فقال الأعمى نعم مارأيت وأنا أفعل ذلك غداً فلما كان الغد ذهب الناطور في حوالجها وأغلق باب البستان فركب المقعد عنق الأعمى وطاف به البستان فأفسدا فيه ذلك اليوم ما قدرها عليه ووصل المقعد إليه ثم رجعا إلى موضعها ورثدا فلما جاء الناطور لم يخف عليه ما حدث في البستان من فساد الثمار وما كان

غير عليه منها في أشجار معلومة أراد قطافها ليهدىها إلى بعض رؤساء الناحية فلم يجده على الشجرة بقاء اليهـا وسألهـا هل دخل ذلك البستان أحد في غيـرى فقالـا لهـ ما ندرـي فقالـ الاعـمى تـرى حـالـي أـنـي لـأـبـصـرـ وـقـالـ المـقـعدـ وـأـنـاـ كـنـتـ نـائـمـاـ فـصـدـ ذـهـنـ النـاطـورـ . فـلـماـ كـانـ النـذـ خـرـجـ النـادـورـ عـلـىـ الرـسـمـ فـقـامـ وـفـعـلاـ أـقـبـحـ مـنـ فـعـلـهـمـاـ الـأـوـلـ وـعـادـ النـادـورـ وـرـأـيـ الـفـسـادـ قـدـ تـضـاعـفـ عـمـاـ كـانـ بـالـأـمـسـ ذـخـافـ الـمـلـامـةـ مـنـ صـاحـبـ الـبـسـانـ وـانـهـ يـوـلـ اـمـلـكـ تـبـعـ ثـمـارـيـ أوـ لـسـتـ تـحـفـظـهـاـ فـقـالـ كـيـفـ أـعـمـلـ حـتـىـ أـلـمـ مـنـ الـذـيـ يـصـبـ هـذـاـ الـبـسـانـ وـمـنـ يـفـعـلـ ذـلـكـ فـيـ الـبـسـانـ فـلـماـ كـانـ مـنـ الـغـدـ اوـهـمـهـمـاـ أـنـهـ قـدـ خـرـجـ لـعـادـتـهـ وـاسـتـرـ بـيـضـ حـيـطـانـ الـبـسـانـ فـقـامـاـ إـلـىـ مـاـ قـدـ عـولـاـ عـلـيـهـ مـنـ الـفـسـادـ وـارـتـكـابـ الـمـخـلـوـرـ فـلـماـ رـأـهـاـ النـاطـورـ عـلـمـ أـزـ الـفـسـادـ مـنـ جـهـهـمـاـ وـكـانـ رـجـلـاـ حـاجـاـ رـحـيـاـ لـطـيفـاـ فـتـرـكـهـمـاـ حـيـنـ رـأـيـ مـاـ يـعـلـمـهـ وـقـبـيـحـ مـاـ يـصـنـعـهـ إـلـىـ أـزـ عـادـاـ إـلـىـ مـكـنـهـمـاـ فـأـقـبـلـ عـلـيـهـمـاـ وـقـالـ لـهـاـ وـيـكـاـ ماـ الـذـيـ اـسـتـحقـ بـهـ صـاحـبـ الـبـسـانـ مـاـ فـعـلـهـمـاـ مـنـ هـذـاـ الـعـبـثـ وـالـفـسـادـ فـيـ الـبـسـانـ فـبـهـتـاـ فـقـالـ النـادـورـ أـنـيـ نـظـرـتـ يـكـاـ وـقـدـ قـتـ أـيـهـاـ اـمـقـعدـ فـيـ كـنـفـ عـنـ الـاعـمىـ وـمـشـيـ بـكـ تـحـتـ الشـجـرـةـ فـاـ وـصـاتـ إـلـيـهـ أـخـذـتـهـ يـدـكـ وـمـاـلـمـ تـصـلـ إـلـيـهـ ضـربـتـهـ بـعـصـاـكـ فـلـماـ سـمـعـهـ ذـلـكـ تـحـقـقـ كـلـاهـاـ أـنـهـ قـدـ رـأـهـ فـقـالـ لـهـ قـدـ فـعـلـنـاـ ذـلـكـ فـلـاـ تـخـبـرـ بـهـ صـاحـبـ الـبـسـانـ فـاـنـاـ تـوـبـ عـلـيـ يـدـيـكـ وـلـاـ نـعـاـدـ فـقـبـلـ مـنـهـمـاـ وـأـبـلـ النـادـورـ يـعـظـهـمـاـ وـقـالـ أـنـاـ آـتـيـكـاـ بـكـلـاـ تـرـيدـاـزـ مـنـ الـقـارـ وـالـفـواـكـهـ وـمـنـ حـيـثـ لـأـضـرـ بـيـسـانـ صـاحـبـيـ وـلـاـ أـضـرـ بـهـ وـلـاـ أـرـتـكـبـ مـاـ نـهـيـ عـنـهـ لـئـلاـ تـأـكـلـ الـأـلـاـ مـنـ حـلـةـ فـقـالـ سـمـعـاـ وـطـاعـةـ وـرـكـاـهـ حـنـىـ غـابـ النـاطـورـ وـعـادـ إـلـىـ مـاـ كـانـ عـاـيـهـ بـلـ أـقـبـحـ فـرـجـ النـادـورـ وـرـأـيـ أـثـرـ فـسـادـهـ فـأـعـادـ عـلـيـهـ النـصـيـحةـ وـوـظـاهـرـهـاـ وـخـوـفـهـمـاـ بـالـلـهـ تـعـالـىـ فـلـمـ يـقـبـلـ وـارـتـكـبـاـ مـاـ نـهـيـهـ عـنـهـ فـاقـقـ دـخـولـ صـاحـبـ الـبـسـانـ إـلـيـهـ ذـلـكـ الـيـومـ فـلـمـ يـجـدـ النـاطـورـ بـدـاـ مـنـ اـعـلـامـهـ بـعـاـ كـانـ مـنـ أـمـرـ الـاعـمىـ وـالـمـقـعدـ فـقـالـ صـاحـبـ الـبـسـانـ قـدـ كـنـتـ أـقـدـرـ أـنـ يـرـكـبـ المـقـعدـ ظـهـرـ الـاعـمىـ وـيـطـوـفـ بـهـ فـيـ الـبـسـانـ فـيـ سـدـانـ عـلـىـ الـمـعـيشـةـ

فقال له الناطور هكذا عملا وقد نهيتهم ما انتهيا، فقال صاحب البستان انهم قد استحقوا العقوبة بما فعلا من قبيح ما ارتكباه ، ثم أمر عبيده وأعوانه أن يعاقبو المبعد والاعمى أشد العقوبة وان يخرجوهم من البستان الى البرية لا يجدان فيها معتصما ولا ماجعا حتى يأكمها الوحش ويهللكلهم الجوع والمطش ففعل بهما ذلك وأخرجوا من البستان ورمي بهما في البرية كما فعل بآدم وحواء عليهم السلام لما ذاقا الشجرة

نقيره—فأعلم أيها الاخ أنه اذا ضربت حكماء الهند هذا المثل فاذك الا لا لهم شبهوا النفس بالمقعد وذلك لأنها لا تعيش الا باـ لـ الجسدانية وبـ هذه الـ آلة تتمكن من الطاعة والمعصية وشبهوا الجسد بالاعمى وذلك انه ينقاد حيثما تقوده النفس ويأمر لما تأمره به وشبهوا البستان بدار الدنيا والغار بطيبيات الدنيا من الشهوات وصاحب البستان هو الله تعالى وشبهوا الناطور بالعقل الذي هو يدل على المنافع ويأمر بالعدل والاحسان وينهى عن الفحشاء والمنكر والعدوان، وهو ينصح النفس ويدلها على ما يكون لها به من الصلاح والسلامة في الدين والدنيا جميعا وأخذ الاشياء من حيث يحب فإذا لم تقبل النفس منه وعدلت الى الشهوات الحسانية والمحاسن الطبيعية والملاذ الجرمانية التي يكون بها صلاح الجسم وحسن حاله في الدنيا ، فبدلك تكون اماتتها وخسران آخرتها وتخييط بها سينثات ما عملت في البستان، وقبائح ما اكتسبته في الدنيا وتكون من تناول الشهوات غافلة عن مصلحتها متردية في ضلالتها حتى تأتيها ملائكة الله الغلاظ الشداد وزبانيته وجنوده وخرجها من دار الدنيا بالـ كـ رـهـ وـ الـ جـ بـ اـ رـ فـ عـ نـدـ ذـ لـ كـ تـ قـ دـ عـ لـ مـ اـ عـ مـ لـ اـ عـ وـ لـ مـ يـ حـ زـ نـ وـ نـ فـ اـ حـ ذـ رـ اـ يـ هـ اـ لـ اـ خـ اـ نـ لـ اـ تـ نـ لـ دـ نـ يـ هـ اـ لـ اـ دـ اـ بـ اـ هـ . وقد خسرت الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين وعند نزع النفس يأتيها الخبر وينجني الله الذين اتقوا عذابـ هـمـ لاـ يـ عـ سـ هـمـ السـ وـ لـ اـ هـ مـ يـ حـ زـ نـ وـ نـ فـ اـ حـ ذـ رـ اـ يـ هـ اـ لـ اـ خـ اـ نـ لـ اـ تـ نـ لـ دـ نـ يـ هـ اـ لـ اـ دـ اـ بـ اـ هـ

والعقل فالمما يؤديك الى ربك ويؤديك على الاعمال الصالحة التي يكون لك بها الدرجة العليا والوصول الى الجنة المأوى في مقام الكرام حيث لا تحتاج الى جسدك الفاني ولا تذوق الموت ولا يصل اليك الالم ولا يجديك السقم ولا تبتلي بعفارفة الاحباب وبعباينة الاصحاب ولا يلحقك غم الفقر ولا ذلة القهر ولا ضيق القبر ولا كرب الاشتياق وتكون في حظيرة القدس وروضة الانس امناً من المصائب والنكسات وحوادث الزمان ولا رى الا ما تمحب وتوثر وتأمن من النوايب الزمانية وما يدفع اليه أهل الدنيا من الكدر والنصب والتعب والعناء والجوع والسفه ونكد الزمان وجور السلطان وحسد الحيوان وما هو موجود بين أهل الديانات والمقالات من العدواوات والمباغضات والملائفات وما يستحل بعضه من بعض من سفك الدماء وأخذ الاموال ومتلك الحرث

فإذا تأملت في أمور الدنيا وجدتـها كدار قد ملأـتـ أجناس حيوانات تمادي
بعضـها بعضا عداوة طبيعية مرـكـوزـة في الجـبـلـة كـعـداـوة الـبـومـ والـقـرـبـانـ وـعـداـوة
الـكـابـ والـسـنـاـنـيـرـ وهي تـهـرـ بعضـها على بعضـ وـتـحـسـدـ بعضـها بـعـضـاـ كـغـلـبـةـ السـبـاعـ
وـالـكـلـابـ ، وكـاـ يـفـعـلـ المـلـوـكـ وـالـمـسـلـاطـيـنـ لـمـ دـوـنـهـمـ اـذـاـ غـلـبـواـ عـاـيـهـمـ وـأـخـذـواـ
أـمـواـهمـ وـكـاـ يـفـعـلـ الـكـلـابـ بـالـسـنـاـنـيـرـ الـتـىـ تـخـالـفـهاـ فـيـ الصـورـةـ اـذـاـ وـصـلتـ إـلـيـهـاـ
وـقـدـرـتـ عـلـيـهـاـ حـسـداـ هـاـ عـلـيـ ماـ تـأـكـلـهـ منـ دـورـ النـاسـ وـمـنـ الدـعـةـ وـالـرـفـاهـةـ الـتـىـ
هـيـ فـيـهاـ وـمـحـبـةـ النـاسـ هـاـ وـاـكـرـامـهـمـ إـلـيـهـاـ

فهكذا أمور الدنيا وأهلها الاشرار أعداء الاخيار والفقراء أعداء الاغنياء
يتمونن لهم المصائب وإذا قدموا على شيء من مواهبهم أخذوه ونهبواه وكذلك
أهل الشرائع المختلفة يقتل بعضهم بعضاً ويعلن بعضهم بعضاً كا يفعل النواصب
والروافض والجبرية والقدرة والخوارج والاشاعرة وغير ذلك وكذلك في الملة
العبرانية مثل العينية والسموية ، وفي الملة السريانية كالنسطورية واليعقوبية وما
يذهبها من الخلاف . وكذلك في الملة الصابئية . وكذلك تجد المختلفين في اللغات

يُسْتَوْحِشُ بعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ وَيُنْقَلُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مَا لَمْ يَأْلِفْهُ مِنْ لُغَةٍ وَهَذَا
لَا يَخْتَفِي عَلَى مَنْ تَأْمُلُهُ وَتَفْكُرُ فِيهِ
ثُمَّ أَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَصْلَحُ بَيْنَ أَهْلِ الْدِيَانَاتِ وَلَا يَؤْلِفُ بَيْنَ الْمُتَعَادِيَاتِ وَلَا تُزِيلُ
مِنَ النُّفُوسِ الْعَدَاوَاتِ وَالْاِحْقَادُ الطَّبِيعِيَّةُ إِلَّا الْمُعْرِفَةُ بِالْحَقِّ الَّذِي يُجْمِعُهُمْ عَلَى كُلِّهِ
الْتَّقْوَى وَيَدْعُوُهُمْ إِلَى سَبِيلِ اللَّهِ تَعَالَى كَمَا قَالَ سَبِيلَهُ وَتَعَالَى «وَإِذْ كَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ أَذْكَرْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنَعْمَتِهِ أَخْوَانًا» وَقَالَ تَعَالَى
لِرَسُولِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ «لَوْ أَنْفَقْتُ مَا فِي الْأَرْضِ جِيمِعًا مَا أَلْفَتُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنْ
اللَّهُ أَلْفَ بَيْنَهُمْ» وَقَالَ تَعَالَى «أَخْوَانًا عَلَى سُرِّ مُتَقَابَلَيْنِ» وَقَالَ تَعَالَى يَحْبُّونَ مِنْ
هَاجَرُ إِلَيْهِمْ» وَقَالَ تَعَالَى «قُلْ هَذِهِ سَبِيلُ ادْعَوْنَا اللَّهُ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي»
فَنَرَأَى نَفْسَهُ مُعَادِيَةً لِطَائِفَةٍ مِنَ الظَّوَافِ حَنْقَ عَلَيْهَا فَهُوَ لَا يَزِدُّ رَعْيَ الْحَقِّ فِي قَلْبِهِ
وَلَمْ يَخُالِطْ الْهُدَى بِهِ

﴿ فَصَل ﴾

ثُمَّ أَعْلَمُ أَنَّ الدِّينَ وَالشَّرِيعَةَ فِي أَزْمَانِ النَّبِيِّ الْمَبْعُوتُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى قَوْمِهِ هَا
مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَلَا يَكُونُ فِيهِمَا اخْتِلَافٌ وَلَا تَبَاغِضٌ وَلَا عَدَاوَةٌ وَيَكُونُ رَأْيُ
الْمُؤْمِنِينَ فِي زَمَانِهِ رَأْيًا وَاحِدًا وَتَكُونُ مُحِبَّةٌ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ خَالِصَةٌ لَا تُشَوِّهُ
كَدُورَةٌ وَيَكُونُونَ مُطْمَئِنِينَ مُسَاعِدِينَ عَلَى إِقَامَةِ الدِّينِ وَمُجَاهِدِي الْكَافِرِينَ وَأَنَّهُمْ
مُجَاهِدُهُمُ الْكُفَّارُ لَا لِعِدَاوَةٍ مِنْهُمْ لِلْكُفَّارِ إِلَّا لِيَرْدُوُهُمْ إِلَى الْحَقِّ لِيَكُونُ الْمُسْلِمُونَ
فَارْغَيُ الْبَالِ مِنْ كِيدِهِمْ وَنَهِيَّهُمْ وَيَقْنَعُوُهُمْ مِنَ الْكُفَّارِ بِالْجَزِيرَةِ أَنَّهُمْ لَمْ يَقْبِلُوَا الدِّينَ
لَانَّهُمْ لَا يَأْمُنُوُهُمْ أَنْ تَرْكُوُهُمْ وَلَمْ يَطْلُبُوُهُمْ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ بِالْجَزِيرَةِ فَقَدْ قِيلَ فِي
الْمُثْلِ أَنَّ الرُّومَ أَنَّهُمْ لَمْ تَغْزَلُوهُمْ فَهَذَا سَبِيلُ قَتْلِهِمُ الْكُفَّارُ وَالْأَفْلَيْشُ لَهُمْ رَغْبَةٌ فِي سُفَكِ
الدِّمَاءِ وَاتْلَافِ النُّفُوسِ وَخَرَابِ الْدِيَارِ وَبَارِغَمِهِمْ بِمُجْرِيِ ذَلِكَ عَلَى أَبْدَانِهِمْ
ضَرُورَةٌ لِمَا أَعْلَمْتُكَ لَأَنَّ ظَاهِرَهُمْ فَعْلَمَ مِنْ فَعْلِ الْأَشْرَارِ الَّذِينَ لَا رَأْفَةَ لَهُمْ وَلَا رَحْمَةٌ
وَلَذِكَّرَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَرْسَلَ قَتْلَ الْمُشْرِكِينَ أَرْسَلَ

إِلَيْهِم مِنْ يَنْذِرُهُمْ وَيَحْذِرُهُمْ وَيَبْيَنُ لَهُمْ فَسَادَ مَا هُمْ فِيهِ وَيَدْعُوهُمْ إِلَى مَاءِهِ مِنَ الْحَقِّ
كَمَا أَمْرَ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ : أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكُمْ بِالْحَكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادَهُمْ
بِالْأَيْمَنِ هِيَ أَحْسَنُ وَأَمْرُهُ بِالْمَلَاطِفَةِ فَقَالَ تَعَالَى : وَقُولُوا لَهُمْ قُوْلًا سَدِيدًا وَقُلْ لَهُمْ
قُوْلًا مَعْرُوفًا .

وَقَالَ لَمَوْيٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِمَا أَرْسَلَهُ وَوَهْرَوْنَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ إِلَى فَرْعَوْنَ
فَقُولُوا لَهُ قُوْلًا إِيمَانًا لِمَلِكِهِ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى فَفَعَلَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَلِكَ فَمَا أَبْوَا
وَاسْتَكَبَرُوا وَقَالُوا لَا نُرُضِي بِدِينِكُمْ وَكَانُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَمْرُهُمْ عَلَى بَذَلِ
الْجَزِيرَةِ بَعْدَ أَنْ تَخْبِرِي عَالِمَهُمْ أَحْكَامَنَا وَيُكَفِّرُوا أَذْيَتِهِمْ عَنَا لِيَكُونَ اذْلَالًا لَهُمْ
لَئِلَا يَحْدُثُوا أَنفُسَهُمْ بِغَلَبِهِمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَيُكَوِّنُ ذَلِكَ كَالْفَدْعَةِ وَالْمَذَلَّةِ فَإِنْ
أَبْوَا الْجَزِيرَةِ . فَعِنْدَ ذَلِكَ أَمْرُهُمْ بِقَتَالِهِمْ وَأَمْرُ أَصْحَابِهِ أَنْ لَا يَبْدُوا حَتَّى يَبْدُوُهُمْ
وَإِذَا ظَفَرُوا بِهِمْ أَنْ لَا يَقْتُلُوا أَسِيرًا حَتَّى يُرَضُّوا عَلَيْهِ الدِّينُ وَالْإِسْلَامُ فَإِنْ أَبْيَ أَرْزَمَ
الْجَزِيرَةَ فَإِنْ أَبْيَ قُتْلَ .

وَإِذَا مَلَكُوا دَارَ الْكُفَّرِ وَوَضَعُتُ الْحَرَبُ أَوْ زَارَهَا أَمْرُهُمْ أَنْ لَا يَقْتُلُوا شِيخًا
كَبِيرًا وَلَا صَبِيًّا صَغِيرًا وَلَا امْرَأَ إِلَّا إِنْ يَقْاتِلُوا وَلَا رَاهِبًا وَلَا قَسِيسًا وَلَا شَهَادَةَ
وَلَا مَطْرَانًا وَلَا جَاثِلِيقًا وَلَا مِنْ يَكُونُ مِنْ خَدْمِ الْبَيْمِ وَالْكَنَائِسِ كُلُّ ذَلِكَ رَأْفَةٌ
عَلَيْهِمْ وَرَحْمَةٌ عَلَيْهِمْ

فَإِنْ أَبْيَ وَاسْتَكَبَرَ وَنَاصَبَ الْمَعْدُواةَ أَمْرٌ بِجَهَادِهِ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدُ
الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ

أَلَا تَرَى أَيُّهَا الْأَخْرَى إِلَى هَذِهِ الرَّأْفَةِ أَنَّهُ لَمْ يَأْمِرْهُ بِقَتَالِهِمْ إِلَّا بَعْدَ اِنْذِرَاهُمْ
وَتَذَكَّرَهُمْ وَالْمَلَاطِفَةُ بِهِمْ وَذَلِكَ سَنَةُ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلُوا مِنْ قَبْلِ وَلَنْ تَجِدَ لَسْنَةُ اللَّهِ
تَبْدِيلًا كَمَا قَالَ تَعَالَى سَنَةً مِنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رَسُلِنَا وَقَالَ مَا مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَّ
فِيهَا نَذِيرٌ وَآيَاتٌ كَثِيرَةٌ فِي الْقُرْآنِ فِي هَذَا الْمَعْنَى
فَإِذَا دَامَ هَذَا الْخَلَافُ وَاقِعًا فِي الْأَرَاءِ وَالْمَذاهِبِ فَإِنَّ الْمَعْدُواةَ بَيْنَهَا قَائِمَةٌ
وَالْحَرَبُ لَا تَنْطَفِي نَارُهَا لَانَّ كُلَّ وَاحِدٍ يَقِيمُ الْحَجَةَ وَالْدَلِيلَ بِرَأْيِهِ وَقِيلَصَهُ عَلَى

صححة مذهبها وبطلان مذهب غيره ولا يبالي أن يكذب على الله تعالى ورسوله
ويتخطىهما لرضى نفسه وتعجيز مذمته
وكذلك السلطان الذي اذا رأى في أحد رعيته أو بعض سكان مدینته من له
نعمه حال رغب فيها وحسده عليها وطلبها عليها الحجج حتى يوقع به ويأخذ ذلك
الفرض اليسير الحقير في جنب ماملكه الله تعالى من ذلك البائس ويجعله فقيراً
مسكيناً متغيراً مفيناً وربما مد عليه الضرب وطالبه عاليس في وسعه فقتله
وكذلك اذا علم ان رجلاً له امرأة نظيفة أو جارية حسنة حسدها عليها ولا يزال
يتحيل الى ان يفسدتها عليه فان صح له مراده والا عدل عن افسادها الى ادعائها
في النزوج ولا يزال يراسلها في ذلك الى ان يطرح بينها وبين زوجها الشروق ففرق
بينها ويأخذها لنفسه كما حكي عن داود النبي عليه السلام بامرأة اوريا بن حنان
كيف قدمه أمام النبأوت حتى قتل وتروج بأمراته.

وأيضاً ذكرت المرأة أم سليمان وكان الاصل في ذلك الهوا والحسد
الغالب ومثل ما فعله حكيم بن هشام المعروف بابي جهل برسول الله ﷺ وقد
علم أنه رسول الله ﷺ ولكن حمله على فعله الحسد وود انه لو كان النبي
المبعوث ، كذلك أبو هلب وجاءه من قريش وبني عبد المطلب الذين خالفوا
رسول الله ﷺ وناصبوه العداوة والبغضاء
وهكذا جرت أحوال الامم السالفة في الايام الخالية والادوار الماضية ولم
ترز الامم على هذه الصفة التي ذكرنا

﴿فصل﴾

ثم اعلم ان الاختلاف ينقسم قسمين محمود ومذموم فالمحمود منه كاختلاف
القراء وما جرى مجرراً من اختلاف الفقهاء في روایاتهم اذا لم يختلفوا في المعانى
ولم يزيلا الالفاظ من مواضعها ولم يبدلواها تبديلاً مع اعتقادهم على صدق الخبرين
لهم بان ذلك من صاحب الشريعة

وإذا صع لهم ذلك كان اختلافهم منفعة لأن في العرب من يخالف بعضها ببعض
في كثير من اللغة العربية
وأما الاختلاف المذموم فهو ما كان منه في المذاهب والآراء فإذا زال الخلاف
ظهر دين الاسلام على جميع الاديان واللغة العربية على جميع اللغات ويكون الدين
واحداً كما قال الله تعالى :

« هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره
المشركون » واظهار دين النبي عليه السلام على جميع الاديان ولغته على سائر اللغات من
أجل ان القرآن أكرم فرآن ازله الله تعالى وأشرف كتاب أحكمه وانه لا يقدر
أحد من الامم على اختلافهم في لغاتهم أن يحييهم عما هو به من اللغة العربية الى
لغة غيرها لانه لا يمكن أن ينقل البينة الى لغة على ماعو به من الاختصار والابساط
وهذا لاختفاء به ولا يكون اجتماع الناس على واحدة واحده الاعجادة المجاهدين
المحققين لا هل الباطل وان يكون الخادمون في الناموس أمران بالمعروف فاعلين له
والناهين عن المنكر متهمون عنه الدين لانا خذهم في الله لومة لا م وأرجو أن يبلغنا
الله ذلك الزمان انه عليه يسر .

ثم اعلم انه انا وقع الخلاف في الشريعة بعد خروج النبي عليه السلام من
الدنيا لما تنازعوا فيما بينهم لطلب الرئاسة والمنزلة وكان منهم ما كان الى ان جرى
ما جرى من هتك حرمة النبوة وقتل آل بيت الرسالة واهباط الوحي وما فعله
ابن زياد بكراهة وما كان من الفتنة التي شملت أهل الشريعة الحمدية والعصبة
الهاشمية من قتل بعضهم بعضاً .

فلذلك كثرت الآراء والمذاهب فتقال قوم لم يجر ذلك كله الا بقضاء الله
وقدره ولعمري ان الامر كما قالوا لكن انا قصد القائلين بذلك براءة نفوسهم
فيما عملوا فائهم انا فعلوا ذلك على مسامعه ربهم وانه اذا عمه فقد اراده وادا كان
ذلك كذلك فلا ذنب لهم ولا وزر ولا لوم ولا وبال

﴿فصل﴾

ان هذا الرأي يجرأ الانسان على فعل الممكية وارتكاب الفاحشة وانما يستخرج
 هذا الرأي في الناس أصحاب الكبائر من الذنوب لما علموا أن ذنوبهم اذا ظهرت
 وانتشرت في العالم بعد ذهاب أيامهم وانقراض دولهم يكثر لعنهم وسبهم وشتمهم
 فإذا جرى ذلك كان في العالم من يكتظ هذا الرأي منهم فيذب ذلك عنهم ويقول
 من يسمع هذا منه أمسك فاز كل شيء انما كان بقضاء الله وقدره وحكمه عليهم
 وان ما حكمه الله تعالى لا يقدر أحد على دفعه فيكون هذا تسلينا لما سمع من
 ذكرهم وأفعالهم وأعمالهم وقبائح ما أتواه من أفعالهم فوسوسوا لجهال الناس والنساء
 خصوصاً أن ما يفعلونه انما هو محکوم عليهم به لا يمكنهم دفعه فعملوا هذا الاعتقاد
 مذهبياً وأقدموا على المعاصي بهذه الحجة وأن رد واحد تو لهم قيل له أنت كافر
 فدري فيقول إنما قضاء الله تعالى وقدره يمكن أن يحترز منه ولم يعلموا ما القضاء
 والقدر ولم يطابوا عليه من أهله ونشاء على ذلك الصغير واعتاده الكبير والى
 حيث انتهينا هو مذهب أكثر العوام وبعض من عنده انه متغير وإنما ذكرت
 ذكرت هذا بحسب ما أوجبه ذكره في هذا الفصل

ثم اعلم أن أصل العداوة في الدنيا والدين الحسد كما قال الله تعالى ألم يحسدون
 الناس على ما آتاهم الله من فضله وقال تعالى ومن شر حسد اذا حسد فالحسد يخرب
 الديار ويقع الفتن ويورث البغضـاء والخذل والغصب والتعدى والقلم والجور
 وما شاكل ذلك وهو أيضاً من أكبر الاسباب في اختلاف الآراء والمذاهب
 وذلك اذا اتخذ رجل مذهباً ومال الناس اليه ورغباً فيما عنده فيراه آخر من
 أبناء جنسه فيحسده ويحبه فكره ويحمل رأيه الى أن ينتح له من المخرج
 والكلام ما يفسد به ما أورده ولا يزال يطعن عليه ويسعى في فساده ويأخذ
 في أصله ووضعه فهذا يكون سبب الاختلاف وتكثر المذاهب مع اعتمادهم على
 صدق صاحب الشريعة الذي أنزل عليه القرآن
 واذا صح ذلك لهم كان في اختلافهم منفعة لأن في العرب كثير من يخالف

بعضهم في كثير من اللغة العربية وأنا أراد الله تعالى افهام الكل والافصاح عما
يهم الحاجة اليه من أمر الدين والدنيا

وكان النبي ﷺ يحب السائل من أمنته بلغته ويكتبه ويكتمه بسانه ، فاما
غيرهم فانه يكتبهم صلي الله عليه وسلم بكلامهم وأنا بعث اليهم وأقام فيهم واعتهم
وأرشدهم وسهل عليهم الانفاظ وضرب لهم المعاني وأخذهم بالملائفة حتى فهموا
الدين وتعلموا القرآن بسان فصيح لا يخطئ فيه ولا يغيره ولا يبدله اذا كان
صحيح الحفظ متقن التلقين . ولذلك ما يقال في الصلاة وفي الحج من التلبية
والاحرام والدعاء والابتهاال الى الله تعالى يقال فيه ولا يفهم ما سوى ذلك
ثم اعلم ان مثل الامة اذا تركت وصية نبيها واختلفت من اعده واعتمدت
على رأيها وأرادت أن تملك عليها ملكاً وتتصبّ فيما بينها خليفة بغير معرفة
من الرسول ولا وصية منه ولا أرشاد ورأى في اجتماعها منفعة لها وصلاحاً
لامورها من غير نص ولا اشارة فتلها كما يذكّر مثل الغربان والبزاء فيما قيل في
أمثال الهند ان الغربان كان عليهم ملكاً منهم وكان بهم رحمة واليهم محسناً وان ذلك
الغراب مات واختلفوا من جهة من يكونه عليهم من بعده وتحاسدوا وآخافوا
أن تقع بينهم العدواة.

فقال بعضهم لبعض تعالوا حتى نجتهد في الرأي ونجتمع العلماء وأهل الفضل
فيينا ونعقد مجلساً للمشاورة فيمن يصلح لهذا الامر وفيمن ينبغي أن يكون ملكاً
عليها فاجتمعوا وتشاوروا وقالوا لا نرضى بأحد من أهل الملك الذي كان فينا
مخافة أن يعتقد ويظن أن الملك اعانا الله وارتنا من أبيه وأقاربه فيسومنا سوء
العذاب . وإذا كنا نحن نتولى اقامته من تقيمه كنا نحن أصحاب الملة عليه والاحسان عليه
قال أحدهم وإذا كان الامر على هذا فعليكم باهل الورع والدين فان صاحب
الورع والدين لا يكاد يهجم على الامور الدنيوية ولا يرغب في الدنيا .
(١٢-)

فقالوا له كيف لنا بذلك فقال لهم طوفوا واطلبو من هذه صفتة فانكم أن تظفروا به قدموه وكان بالقرب منهم باز قد كبر وخرف وضعفت قوته عن الصيد وأنخل جسمه وتناثر ريشه من فلة المعيشة وتمذر القوة فبلغه خبر الغربان وما أجمعوا عليه فبرز من وكراه الى حيث مرهم عليه وأقبل يكثـر التهليل والتسبيح ويظهر التخضـع والتورع فاقتربـت الطيور تعايرـ على رأسه فلا يولـم بها ولا يعشـى اليـها فـلما رأـته الغربـان على تلك الحال ظنـوا أنه يـفعل ذلك صـلاحـا وديـانـة فـاجـتمع بعضـهم الى بعضـ وقالـوا ماـنـزـى في جـمـاعـةـ الطـيـورـ مثلـ هـذـاـ الـبـازـيـ وـمـاهـوـ عـلـيـهـ مـنـ الـدـيـانـةـ وـالـزـهـدـ فـهـلـمـواـ بـنـانـوـهـ عـلـيـنـاـ فـأـتـوـاـ إـلـيـهـ وـأـخـبـرـوـهـ بـمـاـ عـزـمـواـ عـلـيـهـ فـانـقـبـسـ منـ ذـلـكـ وـأـرـاهـمـ مـنـ تـقـسـهـ الزـهـادـةـ فـيـمـاـ عـزـمـواـ عـلـيـهـ فـلـمـ يـزـالـوـ بـهـ حـتـىـ قـبـلـ مـنـهـمـ فـصـارـ خـلـيـفـةـ فـيـهـمـ وـمـلـكـاـ عـلـيـهـمـ فـقـالـ فـيـ تـقـسـهـ كـنـتـ تـحـذـرـونـ مـنـ الـبـلـاءـ وـمـاـ أـرـاهـ إـلـاـ وـقـدـ وـقـعـ بـكـ.

فـلـمـ تـمـكـنـ مـنـهـمـ وـقـوىـ عـلـيـهـمـ بـمـاـ كـانـواـ يـأـتـونـهـ مـنـ الرـزـقـ وـيـجـمـلـونـ لـهـ مـنـ الـأـجـرـةـ عـلـىـ ذـلـكـ قـوـيـ جـسـمـهـ وـبـنـتـ رـيشـهـ وـعـادـتـ إـلـيـهـ صـحـتـهـ أـقـبـلـ يـخـرـجـ كـلـ يـوـمـ عـدـةـ مـنـ الغـربـانـ فـيـخـرـجـ عـيـونـهـ وـيـأـكـلـ أـدـمـقـتـهـ وـيـطـرـحـ مـاـسـوـىـ ذـلـكـ مـنـ أـجـسـادـهـ فـأـقـامـ فـيـهـ مـدـدـةـ فـلـمـ دـنـتـ وـفـاتـهـ اـعـتـمـدـ عـلـىـ بـعـضـ أـبـنـاءـ جـنـسـهـ فـلـكـ عـلـيـهـمـ فـكـانـ أـشـدـمـهـ وـأـعـظـمـ بـلـيةـ وـأـكـبـرـ رـزـيـةـ فـقـاتـ الـغـربـانـ بـعـضـهـاـ بـعـضـ بـأـسـ مـاـصـنـعـنـاـ بـأـنـفـسـنـاـ وـقـدـ أـخـطـأـنـاـ ،ـ فـنـدـمـوـاـ مـنـ حـيـثـ لـمـ تـنـفـعـهـمـ النـدـامـةـ وـكـانـ ذـلـكـ سـبـبـ الـخـافـ وـالـنـازـعـةـ

فـنـفـكـرـ أـيـهـاـ الـاخـ فـيـ هـذـاـ المـثـلـ وـاعـتـبـرـهـ فـيـ أـحـوـالـ مـنـ مـضـىـ وـلـاـ تـفـلـ هـذـهـ الـاـشـارـاتـ وـإـيـالـكـ وـأـفـهـارـ المـخـالـفـةـ وـالـعـدـاوـةـ وـالـدـخـولـ فـيـمـاـ دـخـلـ فـيـهـ أـهـلـ الـخـلـافـ فـتـهـلـكـ بـهـلـاـ كـهـمـ وـيـصـبـيـكـ مـاـأـصـابـ الـعـقـقـ حـيـثـ وـاقـعـ الـحـامـ فـيـ ذـلـكـ الـوقـتـ وـنـحـنـ نـذـكـرـ هـاـهـنـاـ مـاـجـرـيـ بـيـنـهـاـ

* فـصـلـ *

يـقـالـ أـنـ جـمـاعـةـ الـحـامـ الـبـرـيـ كـانـ تـطـيرـ فـيـ اـهـلـهـ لـطـلـبـ الرـعـىـ فـرـآـهـاـ عـقـعـقـ

وقال في نقـه مـالي لا أـكون مـعها فـلعلـها تـعـفى إـلى مـوضـع يـكـون بـه مـعـاش
فـصار فـي جـلـتها وـانتـهـوا إـلـى مـوضـع أـقـبـح مـرـاح مـن الـأـرـض وـكان سـبـق إـلـيـه صـيـاد
فـنـصـب شـبـا كـه وـدـفـن فـخـاخـه وـمـارـح فـيـها جـبـوـبا كـثـيرـة وـكـمـن فـي مـوضـع لـايـرـى
فـقـال الحـام بـعـضـه إـلـى بـعـضـن نـفـسـي إـلـى مـكـان وـقـال بـعـضـهـا بـل نـزـل فـي هـذـا المـوضـع
وـاـخـلـقـت وـتـنـازـعـت فـيـها حـتـى تـضـارـبـت وـتـحـارـبـت وـلـم تـزـل ذـلـك حـتـى تـقـطـعـت
إـلـى تـلـك الـأـرـض وـرـأـت تـلـك الـحـبـوب فـأـقـبـلت الجـمـاعـة عـلـى التـقـاطـهـا فـأـطـبـقـ الصـيـاد
عـلـيـها شـبـا كـه فـهـبـطـنـ فـيـها جـمـيعـا فـأـخـذـهـا الصـيـاد وـأـهـلـكـهـا عـن آخرـهـا وـهـلـكـ
الـعـقـقـ مـعـ الـحـامـاتـ جـمـيعـاـ وـإـيـاكـ وـالـمـكـانـ الـذـي تـكـوـنـ فـيـهـ المـنـازـعـةـ وـالـخـلـافـ وـانـ
جـرـى وـأـنـتـ فـيـهـ فـاـخـرـ جـ وـابـعـدـ عـنـهـ وـإـيـاكـ وـالـظـلـمـ وـالـتـعـدىـ عـلـىـ منـ هـوـ دـونـكـ
فـانـكـ اـنـ فـعـلتـ ذـلـكـ أـصـابـكـ مـاـ أـصـابـ الذـئـبـ الـذـي جـارـ عـلـىـ الثـعـالـبـ وـغـصـبـهـا
وـأـرـادـ قـتـلـهـا وـقـطـعـ أـرـزـاقـهـا

فصل

وقد قيل في أمثال الهند ان ثعالب خرجت في طلب ماناً كل فرأت جلاميتاً ففرحت به وقلن قد وجدنا ما نعيش به دهراً ولكننا تخوف أن يضرب بعضاً بعضاً ولا ندع قويينا يغلب ضعيفنا ويجب أن نؤمر علينا في قسمة هذا الرزق من هو أقوى منا ليعطي كل واحد منا حقه ويأخذ لنفسه قسمة كالواحد منا ، فرضوا بذلك .

فبينما هم كذلك اذ مر بالشعال ذئب فقلن هذا ذئب قد جاءنا وهو قوى
أمين وكان أبوه ما كا في بعض الا زمان وكان محسنا علينا وقد دعونا في ذلك عليه
وهو لنا رضي فخاطبوه في ذلك وعرضوا عليه ما أرادوه فأجابهم اليه بعد
مراودات كثيرة وقال لهم ستتجدون كما تجرون وتولى أمرهم وقسم في ذلك اليوم
بعض ذلك بينهم بالعدل فلما كان الليل تفكر الذئب في نفسه فقال ان في قسمة
هذا الجمل على هذه الشعالي عجزاً وسخافة رأي وما ينفعني في أن أفعل ذلك لاني

ذو قوة وليس لهم قدرة وهذا رزق ساقه الله الى وخصي به دونه فما الذي
يدعوني الى اطعامها ايها والله يقسم لهم غيره وأنا أدخله لنفسى

فليا كان من الغد أصاب الجوع جماعة الثعالب فاجتمعوا عليه فدفع اليها
نصف الجمل فقسمه بينها كما فعل بالأسن وقال لا تعودن الى بعد يومكم هذا فلا
رزق لكن عندي وان عادتم جرى عليكم من مكروره فعند ذلك علمت الثعالب
انها وقعت في بلية فقال بعضها لبعض ان صاحبنا هذا خبيث فاجر ونراه يربى
خلمنا والتعدي علينا لانه ذو قوة وقد علم انه ليس فينا من يقوى عليه وقد طمع
في الفوز بأرزاقنا وقال بعضهم لعله انما حمله على ذلك ما كان فيه من الضرر وله
اذا شبع منه قسم الباقي علينا وفي هذا اليوم يشبع فان جنة الجمل عظيمة وتلك
الساعة يرجع الى خلق الكرام فقد قيل في المثل لامروءة لضعفه ولا ضيافة
عند جائع ولا بد لنا من معاودته ومخاطبته

فليا كان من الغداة أتاه جماعة الثعالب وقلن يا جمدة إننا جعلناك أميراً
عليينا وولياً حتى لا يظلم بعضاً بعضاً ورجونا في فعلنا ذلك عدلك وفي أول يوم
عدلت بيننا في أول ولاتك وأطعمتنا في مرؤتك ثم أتيناك أمس فدفعتنا اليها
النصف مما دفعت في اليوم الاول وأتبعته باليأس مما لنا عندك دفعه واحدة
وأغلقت القول علينا فانصرفنا عنك وقد ظللت بك خيراً فكن عند ظلتنا بك
ولا تقصد ظلمنا ونحن ضعاف وقد أصابنا الجوع الشديد وقد رزقنا الله تعالى
هذا الرزق فكل منه ما يكفيك وأطعمتنا منه وتصدق علينا ان الله يجزى
المتصدقين ولا يضيع أجر المحسنين فأبى عليها وردها وزاد في الغلظ لها وايأسها
من كل خير لها عنده

فليا لم تجده حيلة اجتمعوا وقلن كيف نعمل في أمر هذا الغادر الجائع فاجتمعوا
آراءهن على أن يرفعن أمرهن الى الأسد اذا ذه هو أقوى منه وهو ملك السبع
كلها وأن يقصصن عليه فصتن من أوطاها الى آخرها وجعلن له الجمل جعلا على

اهلاً كه ثم يذهب كل واحد من هذه الثعالب بعد ذلك في طلب رزقه من ربها
كما وعد وله الفضل علينا. فاجتمعنا على ذلك وحضرت عند الأسد وقصت عليه
القصة وتظلمت من الذئب فاغتناظ الأسد منه وأصرّها أن تسير بين يديه فأتوه
ووجدوه باركاً على جثة الجمل يأكلها فقبض الأسد عليه فقطعه قطعة قطعة
ومزقه ورد جثة الجمل على الثعالب وخلى بينه وبينهن ولذلك قيل مامن طامة
الا وفوقها طامة

﴿ فصل ﴾

ثم أعلم ان السلطان الجائر قصير العمر لأن الله قاصم كل جبار عنيد ومهلك
كل مارد ومعتد، وهو منصف المظلوم من الظالم فانه جلت قدرته يقول في بعض
الكتب المنزلة إليها السلطان إنما جعلتك خليفي في أرضي والقيت عليك استيا
من استيائي وما كتبت رقاب عبادي وبسطت يديك في بلادي لتنصف المظلوم
من الظالم . فإذا كنت أنت الظالم وتعذيت على الضعفاء من خلقي والمساكين
من عبادي ، وصررت أنت الظالم وهم المظلومون ، فأنا ملك الملوك وسلطان
السلطانين ، وأنا آخذ الحق منك . ثم أذن للمهلكين في اهلاً كه وتخليلك في
العذاب الأليم

ثم أعلم انك ان أقبلت على شهوات الدنيا وملاذها وانتررت بما فيها من
الطيبات ومحاسن المرئيات واشتغلت بها عما لاك فيه صلاح ونجاح في دار المعاد
يوشك أن يؤتيك ما أصاب رجلاً اجتاز في طريق كان يسلكه في نهر جرار
ينحدر من جبال وعليه جسر يعبر عليه الناس

وانه لما صار على ظهر الجسر وقف ينظر الى جريان الماء فبينا هو كذلك اذ
نظر الى سمكة كبيرة من أحسن أجناس السمك فقال في نفسه ما انصرف في يومي
هذا الى يبني بأحسن من هذه السمكة فأشوبها وأجمع عليها أهلي وأولادي
وأكل منها أكلة طيبة ولكن أخشع من جريان الماء ان يحول بيني وبين السمكة

ثم قويت شهوته ورأت مقام السملكة بمحبت يراها وقويت طبيعته فيأخذها فنزع ثيابه ورمى بنفسه وغاص وراءها الى أن قبض على السملكة باحدى يديه وفرح بظفره بها واشتعل عن السباحة مخافة أن تفات السملكة منه فغلبه الماء لشدة جريانه فحزنه عن الموضع الذي نزل منه وأشرف على الهاكمة وشح على السملكة ان يفلتها وينجو بنفسه فلم يزل ذلك حاله وهو يروم الخلاص بنفسه مع السملكة حتى حدره الماء الى جرف عظيم ينصب الى وحده تحت الارض فغاص به فأناته عامر النهر وكان يسكن ذلك الموضع . فقال ما تفعل في هذا المكان الذي لا يقع فيه أحد الا غرق وهلاك

فقال أنا الذي تركت الطريق الواضح والمحجة اللاحقة الى فيها النجاة والسلامة ووافت في هذه المهلكة من أجل لذة يسيرة وشهوة حتيرة . فقال له هل أخليت ما في يدك ونجوت بنفسك . فقال الطمع مني في السلامه والنوز بما كنت حدثت به نفسى . فقال انك جاهمل وما أرى أحداً أولى منك بالفرق فوضع يده على رأسه فغرقه . فإذا تذكرت يا أخي في هذه الامثال والاشارات وقرأت على اخواننا أيدم الله، كان ذلك ذكرى لك ولقومك ونوعذ بالله ان تكون من تطبق عليه هذه القصة ولا أحد من اخواننا ولكن اتباعاً لقول الله تعالى حيث يقول لرسوله «فذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين»

﴿فصل﴾

وقد حكى أن بعض ملوك الهند لما دنت وفاته وكان مسلماً قد أحضر ولدأله قد كان أهلاً للملك بعده ولم يكن له ولد سواه وقد علمه شيئاً من الحكمة وعرفه شيئاً من سياسة الملك

قال له يابني أوصيك بتنقى الله وطاعته وخشيته ومرافنته في أمر دنياك عشر خصال تنتفع بها في الآخرة وأوها وأولاها الاقرار بالتوحيد والابتهاج بالدعاء والتضرع بالليل والنهار . والثانية الاقرار برسله وتصديقه وقبوله منهم .

والثالثة التصديق بالكتب المنزلة من عنده عليهم . والرابعة حفظ الناموس وسياسة الناس . والخامسة التواضع لله وترك الفخر . وال السادسة ترك الظلم والجور فان من ظلم عباد الله كان الله تعالى خصمه ومن كان الله خصم فهو مخذول لامحالة . والسابعة ترك مخالطة النساء والاجماع معهن والاصفاء الى قوطن فانها تفسد عقول الرجال اذا اصفوها اليهن . والثامنة ترك شرب المسكر فانه عدو العقل والعقل خليفة الله الباطن فن سلط على خليفة الله عدوه دمره الله وذهب عقله بدخول عدوه عليه فاذا ذهب العقل فلا دين ولا علم ولا مرؤة ولا حياء ولا مراقبة ومن عدم هذه الخصال كان موته صلاحاً عاماً . والتاسعة الكرم والسخاء وسماحة النفس والتفضل على سائر الناس صديق أم عدو فانه خلق يشرف صاحبه . والعشرة صدق القول وأداء الأمانة الى البر والفاجر . وعليك يابني بعشر خصال أخرى تتفعل في دنياك وترى بها الخير والبر والبركة وزيادة الرزق أو لها حسن الخلق . وثانية احسن الادب وثالثها صدق الوعد والوفاء بالعهد . ورابعها العفو عن القدرة . وخامسها اصطانع الرجال وترك الحسد . وسادسها ان تحرض على ان لا يكون لك عدو وان كان لك عدو فيكون احسانك اليه عقوتك له فان الله يكفيك مؤونته ويمكنك من ناصيته . وسابعها ترك التغريط فيما لديك من وديعة الله عندك وان لا تفعل الا ما يقر بك اليه . وثامنها ان تكون مسؤلتك غالبة لشهواتك . وتاسعها ان لا تؤثر دنياك على آخرتك فان الله سبحانه اذا علم منك ذلك آتاك الدنيا فانه يقال ان الله عز وجل أوحى الى الدنيا يادنيا من خدمك فاستخدميه ومن خدمي فاخدميه . وعاشرها ترك النظر فيما لا يعنيك وان لا تشتبك الا بما يشغلك الله تعالى به وعليك يابني بعشر خصال أخرى يصلح الله تعالى بها ملكك وينبت بها سلطانك :أو لها أن تكون متقدداً لا هل مملكتك حتى لا يغيب عنك شيء من أمور صغيرهم وكبيرهم بل يكون عالمك محيطاً بمجموع أعمالهم والثانية أن تقابل كل واحد من رعيتك على قدر عمله والثالثة أن يكون عدوك شاملاً لهم والرابعة أن لا تجور عليهم والخامسة أن لا تسوى بين علائمه وجهاتهم في العطية والمنزلة والسادسة أن

تولى عليهم من قبلك الأخيار والاحرار واياك أن تولي عليهم العبيدين والوفة وأولادك الذي

ثم اعلم أن أعمالك ولاتك إليك منسوبة أن عدلوا قبل عدل السلطان وأن جاروا قبل جار السلطان والسابعة أن لا تستعمل من أصحاب الرأي والمشورة من هو مخالف لك في دينك فإنه لا ينصحك وإن نصحك في أول مرة غشك في أخرى والثامنة أن يكون وزيرك أرفع أهل زمانك درجة في الدين والدنيا جميعاً ويكون من الأخيار فقد قيل أن من لا أصل له فلا فرع له ومن لا فرع له لا ثمرة له وكل شجرة لا ثمرة لها فالنار أولى بها والتاسعة النصاف المظلوم من الظالم ومنع القوى من التعدى على الضعيف والعشرة رد الحق إلى أهله والانتصار لهم فإذا كملت تلك هذه الخصال الثلاثون رجوت لك كل الأمور في الدين والدنيا والملك والسلطان واستوجبت أن تكون ملكاً عادلاً فتنازل بذلك الحفظة من الله تعالى وحسن العاقبة في المعاد والمنقلب إليه

فتأمل أيها الأخ هذه الوصية وتذربها وانظر شفقة هذا الملك العادل على ونده كيف رضى له ما كان يرضى لنفسه فهكذا يجب على الحكيم أن يوصى تلامذته وعلى النبي أن ينصح أمهاته ومن يخلفه فيهم مقامه وخلافته من بعده وكان مما أوصى هذا الملك رعيته ما يأتى ذكره في هذا الفصل

﴿فصل﴾

ويتأتى انه لما فرغ من وصية ولده الذي أهله للملك بعده جمع علماء أهل مملكته وأولى الفضل والشرف فيهم من أهل المنازل والرتب الذين هم أصحابه وأسبابه فقال أيها العلماء الذين كانوا ولاة أمرى وأهل سرى وبطانتى قد كنتم لي نصائح ومحظيات وحسنت طاعتكم لي بنية صادقة، وكانت أسلوبكم بشكري ودعائى وحسن الثناء على ناطقة، وكانت لكم مكرماً ولحقكم عارفاً وعليكم مشفقاً والى جماعتكم محسناً فكونوا لهذا الغلام مثل ما كنتم لي يكن لكم مثل ما كنتم لكم ثم قال لجمعهم اتقوا الله وأصلحوا ذات بيتكم وأطيعوا ولاتكم واياكم والخلاف والنفاق

والعداوة والمنازعة والمجادلة في أدیانكم وآرائكم ومذاهبكم فان في ترك ذلك صلاحا لكم ولا ننسكم وجمع شملكم ودعاة لقلوبكم ودفعا عن بلادكم ولا يطمع فيكم عدوكم مادمتم على ذلك وان رأيتم ما هو خير لكم واستبدلتم به ما دو شر لكم فعند ذلك يطمع فيكم عدوكم وتخرب بلادكم وتكون نفقتكم في ذلك أموالكم وأنفسكم وربما لا يكون لكم فوة بذلك فتهلكوا عن بكرة أبيكم ولا تتعادوا في المذهب ولا تتلاعنوا فتهاكلوا عن بكرة أبيكم واعلموا أن في اجتماع الكلمة وترك الخلاف بركة إن أقبل عليهما وحصناً من التمجأ إليها فإن القضيدين إذا جمعا وكانا ضعيفين وضم اليهما من جندهما أضعف عديدة حتى تكون قبضة فإنه يسر كسرها وإذا فرقت كسرت باهون سعي وقد علمتم الذي عاهدتموني عليه وما وصيتكم به في أمر هذا الغلام الذي بيني وبينكم فاياكم والتغيير عليه وتنقض العهد له فليس المنكوت عليه بأسوء حال من الناكل فعاليكم بالسمع والطاعة وأوفوا له بوعده لكم وتو له بحق الله لكم وعموا له فيه ما بدأتم ثم الله لكم أفضل أموركم ويحسن حالكم على يديه فهذا هو ملوككم وأخذ بعضه ودعوه وأشهد ببعضهم بذلك على بعض وأشهد الله تعالى عليهم ولحقته سكرة الموت واعتقل لسانه وضعف جنانه وهرق جبينه واعتنقه ولده وفاقت روحه وحزن عليه أهل مملكته ثم قضى الله فيمن بعده بما أحبه وتصرفت بهم الأحوال . وإنما ذكرت ذلك ذلك لملك تنبيه من نوم الغفلة ورقدة الجهالة وتكون هذه الرسالة تذكرة لك ولجميع من وقف عليها وعساها تكون تذكرة لمن نذكر وعبرة لمن اعتبر وفلك الله تعالى وابانا وجميع أخواننا السداد انحر وف بالعباد

تمت رسالة علل اختلاف اللغات بحاجتها وصلى الله على سيدنا محمد وآل وسلمه

الرسالة الأولى

صـفـهـ النـفـسـاـنـيـاتـ الـعـقـلـيـاتـ

في مباديء الموجودات المقلية على رأي الفيشاغور بين
وهي الرسالة الثانية والثلاثون من رسائل أخوان الصفا

بـسـمـ اللـهـ الرـحـمـنـ الرـحـيمـ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آله خير أما يشركون
»فصل«

اعلم أيها الاخ اذا قد فرغنا من بيان علل اختلاف اللغات والكلام والاصوات
ورسوم الخطوط والكتابات وكيفية مباديء المذاهب والاعتقادات والآراء
والديانات وختمنا الكلام في الطبيعيات عند ختمنا تلك الرسالة . ونزيد الان
أن نشرح في القسمة الثالثة من النفسيات العقليات حسبما وعدنا في صدر كتابنا
ونذكر فيها ما يتعلق بتلك الرسائل على التوالي . منها هذه الرسالة الاولى في
مباديء الموجودات

فنتقول على رأي فيشاغور ث الحكيم الذي هو أول من تکام في علم العدد
وطبيعته ، قال : ان طبيعة الموجودات بحسب طبيعة العدد ، فن عرف العدد
وأحكامه وطبيعته وأجناسه وأنواعه وخواصه ، أمكنه أن يعرف كمية أجناس
الموجودات وأنواعها وما الحكمة في كيائتها على ما هي عليه الآن ولم يكن

أكثُر من ذلك ولا أقل منه ؟ . وذلك أن الباري تعالى لما كان هو مبدع علة الموجودات وخلق المخلوقات ومخترعها وهو واحد بالحقيقة من جميع الوجوه ، لم يكن من الحكمة أن تكون الأشياء كلها شيئاً واحداً من جميع الجهات ولا متنبأة من جميع الوجوه ، بل يجب أن تكون الأشياء كاهواً واحداً بالهيولى كثيرة بالصورة ولم يكن أيضاً من الحكمة أن تكون الأشياء كلها ثنائية وثلاثية ورباعية وخمسية وسداسية ، وما زاد على ذلك بالفَّا ما بلغ بل كان الحكم والاتفاق أن تكون على ما هي عليه الآن بحسب الأعداد والمقادير ، وكان ذلك هو في غاية الحكمة والاتفاق وذلك أن من الأشياء ما هي ثنائية . ومنها ما هي ثلاثة ورباعية وخمسية ومدسانات وسبعينات ومئتان وستعشرات وما زاد على ذلك بالفَّا ما بلغ فالأشياء الثنائية مثل الهيولي والصورة والجوهر والعرض والعلة والعلول والبسيط والمركب واللطيف والكتيف والمشف وغير المشف والمظلم والمنير والمحرك والساكن والعالي السافل والحار والبارد والرطب والبايس والخفيف والتقييل والضار والنافع والخير والشر والصواب والخطأ والحق والباطل والذكر والأنبياء . وبجملة من كل زوجين اثنين كما قال الله تعالى : « ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون »

وأما الأشياء الثلاثية فمثل الأبعاد الثلاثة التي هي الطول والعرض والعمق ، ومثل المقادير الثلاثة التي هي الخط والسطح والجسم ، ومثل الأزمان الثلاثة التي هي الماضي والحاضر والمستقبل ، ومثل العناصر الثلاثة ، التي هي الممكן والممتنع والواجب ، ومثل الأمور الثلاثة التي منها رياضية وطبيعية والهبية ، وبجملة كل أمر ذي وسط وطرفين

وأما الأشياء الرابعة فمثل الطائع الأربع التي هي الحرارة والبرودة والبيوسة ، ومثل الأركان الأربع التي هي النار والهواء والماء والارض ومثل الاختلاط الأربع التي هي الصفراء والدم والباغم والسوداء ، ومثل الأزمان الأربع التي هي الربيع والصيف والخريف والشتاء ، ومثل الجهات الأربع التي هي المشرق والمغرب

والشمال والجنوب ، والاوتد الاربعة التي هي الطالع والغارب ووتد الارض ووتد وسط السماء . ومراتب الاعداد التي هي الاَحاد والعشرات والمئون والالوف وعلى هذا القياس اذا اعتربت وجدت اشياء كثيرة مخمسات ومسدسات وسبعينات بالغا ما بلغ وقد توغلت المسعدة في الكشف عن الاشياء السباعية فظهر لهم منها اشياء عجيبة فشغفوا بها وأطلبوا في ذكرها وأغفلوا ما سوى ذلك من المعدودات وكذلك أيضاً الثنوية أطلبوا في الكشف عن الموجودات الثنائية فظهر لهم منها اشياء عجيبة فشغفوا بها وأغفلوا ما سوى ذلك من الموجودات ، وهكذا النصارى في التثلث والثلاث ، وهكذا الطبيعيون أطلبوا في الطبائع الاربع والربعات من الامور

وهكذا الخرمية أطلبوا في المخمسات من الامور ، وأهل الهند أيضاً أطلبوا في المتسعاً من أمور العدد والمعدودات فأما الفيشاغوريون فأعطوا كل ذي حق حتى قالوا ان الموجودات يحسب طبيعة العدد يعنيون أن الاشياء الموجودة منها ما هو اثنان اثنان ومنها ما هو ثلاثة ثلاثة وأربعة أربعة وخمسة خمسة وهكذا بالغا ما بلغ وقالوا إن الواحد أصل العدد ومشهور ومن الواحد يتتألف العدد قليلاً وكثيره وأزواجه وأفراده وصحيحه وكسوره ، فالواحد هو علة العدد كما أن البارى جلت أسماؤه عن الموجودات وموجدها ومرتبها ومتقنهـا ومتهمها ومكلـها ، وكما أن الواحد لا جزء له ولا مثل ، كذلك أن البارى جل ثناؤه لا شريك له ولا شبه ولا مثل ، وكما أن الواحد موجود في جميع الاعداد محـيط بها ، كذلك ان البارى جل ثناؤه شاهـد على كل موجود محـيط به ، وكما أن الواحد يعطـى اسمـه لـكل عدد وـمقدار ، كذلك البارى جـل ثنـاؤه يـعطي الـوجود لـكل موجود ، وكما أنه بـقاء الـواحد بـقاء الـعدد ، كذلك بـقاء الـبارى جـل ثنـاؤه بـقاء الـموجودـات وـدوامـها وكـما أنـ بالـواحد بـعد كل عدد وـمقدار كذلك علمـ الـبارى تعالى محـيط بكل شـيء شـاهـد وـغـائب

وقالوا كما أن من تكرار الواحد فهو العدد وزياده، كذلك من فيض الباري وجوده نشأة الخلائق وعماها وكما أنها الاثنين هو أول عدد نشأ من تكرار الواحد، كذلك العقل هو أول موجود فاض من وجود الباري عزوجل، وكما أن الثلاثة تربت بعد الاثنين كذلك النفس تربت بعد العقل، وكما أن الاربعة تربت بعد الثلاثة، كذلك الاهيوي تربت بعد النفس، وكما أن الحسنة تربت بعد الاربعة كذلك الطبيعة تربت بعد الاهيوي، وكما أن السيدة تربت بعد الحسنة كذلك الجسم ترب بعد الطبيعة، وكما أن السبعة تربت بعد السيدة كذلك الافلاك تربت بعد وجود الجسم، وكما أن الثناء تربت بعد السبعة كذلك الاركان تربت بعد الفلك، وكما ان التسعة تربت بعد الثناء، كذلك المولدات تربت بعد الاركان، وكما ان التسعة آخر مرتبة الاحد، كذلك المولدات آخر مرتبة الموجودات السكانيات، وهي المعادن والنبات والحيوان، فالمعادن كالعشرات والنبات كالثعين، والحيوان كالالوف والمزاج كالواحد، وقالوا: العدد كله أزواج وأفراد وصحيح وكسور، فراتب الموجودات التي في عالم الارواح بطبعية الافراد أشبه، وراتب الموجودات التي في عالم الاجداد بطبعية الازواج أشبه وراتب الموجودات التي في عالم الكون والفساد بطبعية الاعداد الكسور أشبه

﴿فصل﴾

اعلم أيديك الله وايانا بروح منه أن الوجود متقدم على البقاء والبقاء متقدم على التمام وال تمام متقدم على الكمال، لأن كل كامل تام وكل تام باق وكل باق موجود . ولكن ليس كل موجود باقياً ولا كل باق تماماً ولا كل تام كاملاً: وذلك أن الباري جلت أسماؤه الذي هو علة الموجودات ومبدعها ومبجهها ومتهمها ومكلها أول فيض فاض منه الوجود ثم البقاء ثم الكمال . وقد بيننا في رسالة التي ذكرنا فيها خواص العدد الفرق بين التمام والكمال فاعرفه من هناك إن شاء الله .

﴿فصل﴾

انه ينبغي لمن يريد النظر في مبادىء الموجودات ليعرفها على حقيقةها أن يقدم أولاً النظر في مبادىء الأمور المحسوسة ليروض بها عقله ويقوى بها فهمه على النظر في مبادىء الامور المعقولة ، لأن معرفة الأمور المحسوسة أقرب من فهم المبتدئين وأسهل على المتعلمين فنقول :

ان الجسم أحد الموجودات المحسوسة وهو جوهر مركب من جوهرين بسيطتين معموقتين أحدهما يقال له الاهيوي والآخر يقال له الصورة ، فالاهيوي هو جوهر قابل للصورة والصورة هي التي بها الشيء ماهو . مثال ذلك : الحديد هيوي لـكل مايعلم منه كالسكين والسيف والمنشار وغير ذلك ، فالسكين إنما هي اسم للصورة وكذلك السيف والفأس لأن الحديد في كاـها واحد والصورة مختلفة ، واختلاف الأسماء بسبب اختلاف الصور ، وكذلك أيضاً الخشب فإنه هيوي لـكل مايعلم منه كالباب والسرير والكرسي

وليس كل هيوي تقبل كل صورة لأن الخشب لا يقبل صورة القيس ولا الشقة تقبل صورة الكرسي ولا الاهيوي تقبل أي صورة تقدمت ، لأن التعان لا يقبل صورة الشقة ولا الغزل يقبل صورة القميص . لكن القطع أول ما يتقبل صورة الغزل وبتوسيط صورة الغزل يقبل صورة الشقة ثم صورة القميص . وهكذا الطعام أول ما يتقبل صورة الدقيق ثم صورة العجينة ثم صورة الخبز

وعلى هذا المثال يكون قبول الاهيوي للصور المختلفة ، الأول فالأخير على الترتيب . وذلك أن الاهيوي الأولى أول ما يقبل صورة الجسم الذي هو الطول والعرض والعمق ، ثم بتتوسيط الجسم تقبل سائر الصور من التدوير والتثليث والتزييف وما شاكل ذلك . والاهيوي يقال على أربع جهات ، فأقربها إلى الحس هيوي الصناعة مثل الخشب والحديد والقطن بحسب ما يبينا ، فإن كل صانع لا بد له من هيوي يعمل فيه ومنه صناعته . والثاني هيوي الطبيعة وهي النار والهواء والماء والارض ، وذلك أن كل شيء تعلمه الطبيعة التي تحت فلك القمر من

الموجودات فان هذه الاركان الاربعة هيولى ها . والثالث هيولى الكل أعني الجسم المطلق الذي يعم الاًفلاك والكائنات أجمع . والرابع الهيولى الاول وهو جوهر قابل للصورة ، فأول صورة قبل هي الطول والعرض والعمق وكان بذلك جسما مطلقاً . وهذه الهيولي من المبادئ الاولى المعقولة

وذلك أن هذه الهيولي أول معلول النفس والنفس أول معلول العقل والعقل أول معلول الباري تعالى وان الباري تعالى علة كل موجود ومبعده ومتفرقه ومتضمنه ومكمله على النظام والترتيب الاشرف فالاشرف ، وترتيب الموجودات عنه كترتيب العدد عن الواحد الذي قبل الاثنين كما بينا في الرسالة التي ذكرنا فيها خواص العدد . فالعقل هو أول موجود أو جده الباري تعالى وأبعده من غير واسطة ثم أو جد النفس بواسطه العقل ثم أو جد الهيولي ، وذلك أن العقل جوهر روحي فاض من الباري عز وجل وهو باق تام كامل والنفس جوهرة روحانية فاضت من العقل وهي باقيه تامة غير كاملة والهيولي الاول جوهر روحاني فاض من النفس وهو باق غير تام ولا كامل

﴿فصل﴾

اعلم أن علة وجود العقل هو وجود الباري عز وجل وفيضه الذي فاض منه وعلة بقاء العقل هو إمداد الباري عز وجل له بالوجود والفيض الذي فاض أولا وعلة تمامية العقل هي قبول ذلك الفيض والفضائل واستمداده من الباري تعالى وعلة كمال العقل هي افاضه ذلك الفيض والفضائل على النفس بما استفاده من الباري عز وجل فيبقاء العقل إذاً علة لوجود النفس ، وتمامية العقل علة لبقاء النفس ، وكاله علة لتمامية النفس ، وبقاء النفس علة لوجود الهيولي ، وتمامية النفس علة لبقاء الهيولي . فـ كملت النفس تمت الهيولي ، وهذا هو الغرض الاقصى في رباط النفس بالهيولي . ومن أجل هذا دوران الفلك وتكوين الكائنات لتكميل النفس بافثار فضائلها في الهيولي ، وتم الهيولي بقبول ذلك . ولو لم يكن هذا هكذا لـ كان دوران الفلك عبثاً

واعلم يا أخي أن العقل إنما قبل فيض الباري تعالى وفضائله التي هي البقاء والثبات والكلال دفعه واحدة بلازمان ولا حرارة ولا نصب لقربه من الباري عزوجل وشدة روحانيته . فاما النفس فانه لما كان وجودها من الباري جل ثناؤه بتوسط العقل صارت درتبتها دون العقل وصارت ناقصة في قبول الفضائل ولا أنها أيضاً تارة تتوجه نحو العقل ل تستمد منه الخير والفضائل ، وتارة تقبل على الهيولي لمدتها بذلك الخير والفضائل . فاذا هي توجهت نحو العقل ل تستمد منه الخير اشتغلت عن إفادتها الهيولي ذلك الخير واذا هي أقبات على الهيولي لمدتها بذلك الفيض اشتغلت عن العقل وقبول فضائله

ولما كانت الهيولي ناقصة المرتبة عن تمام فضائل النفس وغير راغبة في فيضها احتاجت النفس إلى ان تقبل عليها أقباتاً شديداً وتعنى باصلاحها عناء تامة فتتعب ويتحققها العناء والشقاء في ذلك :

ولولا ان الباري عزوجل بفضله ورحمته أيدتها بالعقل وأعانتها على تخلصها هلكت النفس في بحر الهيولي ، كما قال الله تعالى « ولو لا فضل الله عليكم ورحمته ما زكي منكم من أحد أبداً وأما العقل فليس يناله في تأييده النفس وفيه عليها فضائله ، تعب ولا نصب لأن النفس جوهرة روحانية سهلة القبول تطلب فضائل العقل وترغب في خيراته وهي حية بالذات علامه بالقوة فعالة بالطبع قادرة صانعة بالعرض وأما الهيولي فلبعدها من الباري - تعالى ذكره - صارت ناقصة المرتبة عادمة الفضائل غير طالبة لفيض النفس ولا راغبة في فضائلها ولا علامه ولا مفيدة ولا حية ، بل قابلة حسب . فمن أجل هذا يتحقق النفس التعب والعناء والجهد والشقاء في تدبرها الهيولي وتنميها لها ، ولا راحة للنفس الا اذا توجهت نحو العقل وتعلقت به وانحدرت معه . وسنشرح كيف يكون هذا فيما بعد ان شاء الله .

﴿فصل﴾

في سؤالات عن المباديء

كيف سريان الوجود في الموجودات — كيف سريان البقاء في الباقيات —
كيف سريان الدوام في الدائمات — كيف سريان التمام في التامات — كيف
سريان الكمال في الكاملات — كيف سريان الحياة في الاحياء — كيف سريان
العلم في ذوي العلم — كيف سريان القدرة في ذوي القدرة — كيف سريان
الرياسة في ذوي الرياسة — كيف سريان الروبيبة في ذوي الارباب — كيف
سريان الكثرة من الوحدة المضفة .

وقال بعضهم ولنعم ما قبل : —

يامنير العالم الحسى بالعقل المنير أنت بدي الشكل مازلت على مر الدهور
لم يزل في عالمك العالم من قبل الظهور متقن الصنعة كالصورة في وهم الضمير
ثم أظهرت إلى الوجدان إظهار البصير جلة أبدعها إبداع خلاق قادر

﴿فصل﴾

في المباديء الروحانية والجسمانية معاً ومراتبها

اعلم أيها الاخ البار الرحيم ، أيديك الله واياانا روح منه وأن أول شيء اخترعه
الله جل ثناؤه وأوجده ،جوهر بسيط روحي في غاية التمام والكمال والفضل ،فيه
صور جميع الاشياء يسمى العقل الفعال ، وأن من ذلك الجوهر فاض جوهر آخر
دونه في الرتبة يسمى الرتبة الكلية ، وانبعاث من النفس جوهر آخر يسمى
الهيولي الاولى ، وأن الهيولي الاولى قبل المقدار الذي هو الطول والعرض
والعمق ، فصارت بذلك جسما مطلقاً وهو الهيولي الثانية .

ثم ان الجسم قبل الشكل الكروي ،الذي هو أفضل الاشكال ،فكان من ذلك
عالم الافلاك والكواكب ماصفي منه ولطف ،الاول فالاول من لدن الفلك المحيط
الى منتهى فلك القمر ، وهي تسع ابراج منها في جوف بعض : فادناه الى المركز
(١٣)

فلك القمر ، وأبعدها وأعلاها الفلك المحيط ويسمى أيضاً الفلك المامل لــ كل الذى هو الطف الافلاك جوهرأً وأبسطها جسماً ، ثم دونه فلك الكواكب الثابتة ثم دونه فلك زحل ، ثم دونه فلك المشترى ، ثم دونه فلك المريخ ، ثم دونه فلك الشمس ، ثم دونه فلك الزهرة ، ثم دونه فلك عطارد ، ثم دونه فلك القمر ، ثم دون فلك القمر الاركان الاربعة الى هي النار والهواء والماء والارض : فالارض هي المركز وهي أغلظ الاجسام جوهرأً وــ كثفها جرمــا.

ولما ترتب هذه الاــ كــر بعضها في جوف بعض كما أراد باريــها جل ثناــوه وكــا اقتضــت حكمــته ، من لطيف نظامــها وحسن ترتــيبــها ودارــت الاــ فــلاــكــ بــارــاجــها وــكــواــكــهاــ علىــ الــارــكانــ الــارــبــعــةــ وــتــعــاقــبــ عــلــيــهــاــ اللــيلــ وــالــنــهــارــ وــالــشــتــاءــ وــالــصــيفــ وــالــحــرــ وــالــبــرــدــ وــاــخــتــاطــ بــعــضــهاــ بــعــضــ فــامــتــرــجــ الــلــطــيــفــ مــنــهــاــ بــالــكــثــيــفــ وــالــثــقــيــلــ بــالــخــفــيــفــ وــالــحــارــ بــالــبــارــدــ وــالــرــطــبــ بــالــبــابــســ ، تــركــبتــ مــنــهــاــ عــلــيــ طــولــ الزــمــانــ أــنــوــاعــ التــراــكــيــبــ إــلــىــ هــىــ المــعــادــنــ وــالــنبــاتــ وــالــحــيــوانــ :

فالمعدن هو كل ما انــقــدــ في باطن الارض وقعر البحار وجوف الجبال من البخارــاتــ المتــحــلــلةــ وــالــدــخــانــاتــ المتــصــاعــدــةــ وــالــرــطــوــبــاتــ المــخــتــقــةــ فيــ المــغــارــاتــ ، وــالــاهــوــيــةــ وــالــتــرــاــيــةــ عــلــيــهاــ أــغــلــبــ .

وــأــمــاــ النــبــاتــ فــهــوــ كــلــ مــاــ نــجــمــ عــلــيــ وــجــهــ الــارــضــ مــنــ العــشــبــ وــالــكــلــاــ وــالــحــشــائــشــ وــالــبــقــولــ وــالــزــرــوــعــ وــالــاشــجــارــ ، وــالــمــائــيــةــ عــلــيــهاــ أــغــلــبــ .

وــأــمــاــ الــحــيــوانــ فــهــوــ كــلــ جــســمــ يــتــحــرــكــ وــيــحــســ وــيــنــتــقــلــ مــنــ مــكــانــ إــلــىــ مــكــانــ بــعــتــهــ وــالــهــوــيــةــ عــلــيــهــ أــغــلــبــ .

فالمعدن أــشــرــفــ تــركــيــباــ منــ الــارــكانــ ، وــالــنــبــاتــ أــشــرــفــ تــركــيــباــ منــ المــعــادــنــ وــالــحــيــوانــ أــشــرــفــ تــركــيــباــ منــ النــبــاتــ ، وــالــإــنــســانــ أــشــرــفــ تــركــيــباــ منــ جــمــيعــ الــحــيــوانــ ، وــالــنــارــيــةــ عــلــيــهــ أــغــلــبــ .

وقد اجتمع في تركــيبــ الانــسانــ جــمــيعــ معــانــيــ الــمــوــجــودــاتــ مــنــ الــبــاســائــطــ

والمركبات التي تقدم ذكرها ، لأن الإنسان مركب من جسد غاية في جسماني ومن نفس بسيطة روحانية .

فإن أجل هذا سمت الحكمة الإنسان عالماً صغيراً والعالم إنساناً كبيراً فالإنسان
إذا ما هو عرف نفسه بالحقيقة من غرائب تركيب جسده ولطيف بنية هيكله وفنون
تصاريف قوى النفس فيه وأوالهاز افعاعها به ومنه من الصنائع الحكمة والمهن المتقدمة
تهيأ له أن يقيس عليها جميع معاني المحسوسات ويستدل بها على جميع معاني
المعقولات من العالمين جميعاً

فينبغى لنا أية الـأخـيـدـكـ اللهـ وـاـيـاـنـاـ بـرـوحـ مـنـهـ - إـذـاـ كـنـاـ عـازـمـينـ عـلـىـ
عـرـفـةـ حـقـائـقـ الـمـوـجـودـاتـ - أـنـ بـتـدـىـءـ أـوـ لـاـ بـعـرـفـةـ أـنـفـسـنـاـ إـذـهـىـ أـقـرـبـ الـأـشـيـاءـ
الـيـنـاـ، ثـمـ بـعـدـ ذـلـكـ بـعـرـفـةـ سـائـرـ الـأـشـيـاءـ لـاـنـهـ قـبـيـحـ بـنـاـ أـنـ نـدـعـىـ حـقـائـقـ الـأـشـيـاءـ
وـلـاـ بـعـرـفـ أـنـفـسـنـاـ.

فصل

اعلم أيها الاخ البار الرحيم أيدك الله وابيانا بروح منه أن النفس الكلية إنما هي قوة روحانية فاخت من العقل باذن الباري جل ثناؤه كما ذكرنا قبل وان لها قوتين اثنتين ساريتين في جميع الاجسام من لدن فلك المحيط الى منتهى مركز الارض كسريان ضوء الشمس في جميع أجزاء الهواء : فاحـدى قوتيها علامـة ، والـاخـرى فـعـالـة ، فـهـى بـقـوـتـها الفـعـالـة تـفـعـلـ الـاجـسـام وـتـكـلـلـها بـما تـفـقـشـ فيها من الصور والاشـكـال والـاطـيـات والـزـيـنة والـجـمـال بالـوـانـ الـاصـبـاغـ ، وبالـقـوـةـ العـلـامـةـ تـكـلـلـ ذاتـها بـما يـظـهـرـ من فـضـائـلـها من حدـ القـوـةـ الى حدـ الفـعـلـ من العـلـومـ الحـقـيقـيـةـ والـاخـلـاقـ الجـمـيلـةـ والـآرـاءـ الصـحـيـحةـ والـأـعـمـالـ الصـالـحةـ والـعـنـائـعـ الـحـكـمةـ والمـهنـ المتـقـنةـ بـحـبـ قـبـولـ شـخـصـ تـأـثـيرـاتـها بـصفـاءـ جـوـهـرـهـ وـلـطـافـةـ جـرـمهـ

فصل

واعلم أيها الاخ البار الرحيم أيدك الله وإيانا بروح منه أن النفس جوهرها

لا يبدي وقوها لاتفاقى وأفعالها لانقطاع ، لأن مادتها من العقل بالتأييد لها داعم
وقيوها منه الفيض سرداً متصل .

وهكذا تأييد الباري تعالى للعقل داعاً وأبداً وفيضه متصل وقبول العقل
لذلك متصل داعم لأن فضائل الباري تعالى لاتفاقى وعطياً به لانقطاعه وفيضه لا يتناهى
لأنه ينبوع الخبرات ، مبدأ البركات ، ومعدن الجود وسبب كل موجود . فله الحمد
والثناء ، والشكر والعطاء

﴿فصل﴾

واعلم أيها الاخ البار الرحيم أبدك الله وإيانا بروح منه أن النفس الكلية
رتبتها فوق الفلك الحبيط وقوها سارية في جميع أجزاء الفلك وأشخاصه بالتدبر
والصناعع والحكم ، وفي كل ما يحوى الفلك من سائر الاجسام ، وإن لها في كل
شخص من أشخاص الفلك قوة مختصة به مدبرة له مظيرة منه أفعالها وإن تلك
القوة تسمى نسماً جزئية لذلك الشخص . مثال ذلك القوة المختصة بجرم زحل
المدبرة له المظيرة منه وبه أفعالها يسمى نفس زحل
وهكذا القوة المختصة بجرم المشترى المدبرة له المظيرة به ومنه أفعالها يسمى
نفس المشترى .

وعلى هذا المثال والقياس سائر القوى المختصة بكوكب كوكب وجرم جرم
من أحجام الفلك وأشخاصه المدبرة لها المظيرة بها ومنها أفعالها تسمى نفوساً لها
وهذا هو حقيقة ما قد رمز إليه في الكتب الالهية أنهم الملائكة والملائكة
الاعلى وجندهم الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

وهذا هو حقيقة ما قاله الحكماء وال فلاسفة في تفصيل النفوس الجزئية في
عالم الأفلاك والاركان المسمون الروحانيين الموكلين بحفظ العالم وتدير الخلائق
بادارة الأفلاك وجريان الكواكب وتصارييف الدهور وتغيير الزمان ومراعاة
الاركان وتنمية النبات والحيوان وحفظهما

﴿فصل﴾

اعلم أيها الاخ البار الرحيم أيدك الله وابانا بروح منه أن للنفس الكلية التي هي فوق الفلك الححيط قوة مختصة سارية في جميع الاجسام التي دون فلك القمر وهي مدبرة، لها متصرفة فيها، مظيرة بها.

ومنها أفعاها ويسعها الفلاسفة والاطباء طبيعة الكون والفساد، ويسعها الناموس ملكا من الملائكة، وهي نفس واحدة ولهما قوى كثيرة منبثقة في جميع أقسام الحيوان والنبات والمعادن والاركان الاربعة من لدن فلك القمر الى منتهى مرکز الارض .

وما من جنس ولا نوع ولا شخص من هذه الموجودات الا وهذه النفس قوة مختصة به مدبرة له مظيرة به، ومنها أفعاها، وأن تلك القوة تسمى نفساً جزئية لذلك الشخص

﴿فصل﴾

اعلم أن أول قوة لهذه النفس في هذه الاركان التي هي النار والهواء والماء والارض، هي الحرارة والبرودة والارمادية والبيروسة وان أول افعال هذه القوى في هذه الاسطعقات هو التحرير والتسكنين والتبريد والتسيخين والتحليل والتجميد والتصعيد والقطير والخلط والمزج والتأليف والتركيب والتصوير والتنقيش والتصبیغ وما شاكلها . وكل ذلك بفعل هذه القوى في هذه الاسطعقات بمعاونته قوى الاشخاص الفلكية لها باذن الله تعالى . مثال ذلك تحرير كلها لركن النار لتسخين العالم بمعاونته قوة الشمس لها دأعاً وتسكينها لركن الارض بمعاونته قوة زحل لها دأعاً، وتحليلها لركن الماء بالسيلان بمعاونته قوة المشترى لها دأعاً، وتنطيفها لركن الهواء بمعاونته قوة المريخ لها دأعاً، وتنقديتها لركن البخار الرطب بمعاونته قوة الزهرة لها دأعاً، وتعزيز مجدها لركن البخار اليابس بالبخار الارطب بمعاونته قوة عطارد لها دأعاً، وامدادها للولدات بركن العصارات بمعاونته ركن قوة القمر لها دأعاً.

» فصل «

واعلم أيها الأخ البار الرحيم ، أيدك الله وإيانا بروح منه ، إن أول فعل هذه القوي أعني الحرارة والبرودة والرطوبة والبيوسة في تكوين المعادن صنعة الزئبق والكبريت : وذلك أن الرطوبات المختلفة في باطن الأجسام الأرضية والبخارات المحتبسة فيها إذا تعاقب عليها حر الصيف وحرارة المعادن لطفت وخفت وتصاعدت علواً إلى سقوف تلك الأهوية والمغارات وتعلقت هناك زماناً فإذا تعاقب عليها برد الشتاء غلظت وجدت وتقاطرت راجعة إلى أسفل تلك الأهوية والمغارات واحتللت ببرية تلك البقاع ومكثت هناك زماناً طويلاً . وحرارة المعادن دائمًا تعمل في إضاجها وطبخها وتصفيفها فتصير تلك الرطوبة المائية ، بما يختلف بها من الأجزاء الترابية وما تأخذ من ثقلها وغلظتها بطول الوقت وانضاج الحرارة لها ، زئبقياً رطباً نقيلاً . وتصير تلك الأجزاء الترابية التي في أسفل المعادن بما يمازجها من الرطوبة الدهنية وانضاج الحرارة لها كبريتاً محترقاً . فإذا احتللت الزئبق والكبريت مرة ثانية وعازجاً - والتدير بحاله - ترك من امتزاجها أجناس الجوادر المعدنية وأنواعها : مثال ذلك في تركيب الجوادر الذائبة أن الزئبق إذا كان صافياً والكبريت إذا كان نقياً واحتلطا جميعاً احتلاماً سوياً وشرب الكبريت رطوبة الزئبق كما شرب التراب نداوة الماء واتحدت أجزاؤها على الاعتدال وكان مقدارها متناسبين وحرارة المعادن تتضجهما على اعتدال ولم يعرض لها عارض من البرد والييس ، قبل انضاجها ، انعقد من ذلك على طول الزمان الذهب الابريز . فأن عرض لها البرد قبل النضج انعقد فصار فضة بيضاء ، فأن عرض لها الييس من فرط الحرارة صاراً خامساً يابساً ، وإن عرض لها البرد قبل أن تنحدر أجزاء الكبريت بأجزاء الزئبق صاراً من ذلك رصاصاً قليعاً ، وإن عرض لها البرد قبل النضج وكانت أجزاء الكبريت أكثر صاراً حديداً وعلى هذا القياس مختلف سائر أجناس الجوادر المعدنية يسبب العوارض التي

تعرض لها من كثرة الرثيق والكبريت وقلتها أو فرط الحرارة والبرودة قبل وفـت نضجـهمـا والخروـج عن الاعـتدـال وما شـاكـل ذلك

﴿ فصل ﴾

واعلم أيـها الأخـ الـبارـ الـرحـيمـ ، أـيدـكـ اللهـ وـإـيـانـاـ بـروحـ منهـ ، أـنـ الـبـارـيـ جـلـ ثنـاؤـهـ قدـ أـيدـ النـفـسـ النـبـاتـيةـ بـسـبعـ قـوـىـ فـعـالـةـ : وـهـىـ القـوـىـ الجـاذـبـةـ وـالـقـوـةـ المـاسـكـةـ وـالـقـوـةـ الـهـاضـمـةـ وـالـقـوـةـ الدـافـعـةـ وـالـقـوـةـ الـغـاذـيـةـ وـالـقـوـةـ الـمـصـورـةـ وـالـقـوـةـ النـامـيـةـ ، وـأـنـهـ تـفـعـلـ بـكـلـ قـوـةـ مـنـ هـذـهـ فـعـلـاـ خـلـافـ مـاـ تـفـعـلـ بـقـوـةـ أـخـرىـ . فـأـوـلـ فـعـلـهـاـ فيـ تـكـوـينـ الـنبـاتـ هوـ جـذـبـهـاـ عـصـارـاتـ الـأـرـكـانـ الـأـرـبـعـةـ الـتـيـ هـىـ الـأـرـضـ وـأـمـاءـ وـأـهـوـاءـ وـالـنـارـ وـمـصـبـهـاـ لـطـائـفـهـاـ وـمـاـ فـيـهـاـ مـنـ الـأـجـزـاءـ الـمـشـاكـلـةـ لـكـلـ نـوـعـ مـنـ أـنـوـاعـ الـنـبـاتـ ثـمـ اـمـسـاـكـهـاـ هـاـ بـالـقـوـةـ الـمـاسـكـةـ إـثـلـاـ تـسـيلـ وـتـحـلـلـ وـتـعـكـسـ رـاجـعـةـ ، ثـمـ تـضـيـجـهـاـ هـاـ بـالـقـوـةـ الـهـاضـمـةـ لـتـحـيلـهـاـ إـلـىـ ذـائـهاـ ، ثـمـ دـفـعـهـاـ هـاـ بـالـقـوـةـ الـهـاضـمـةـ لـتـحـيلـهـاـ إـلـىـ ذـائـهاـ ، ثـمـ دـفـعـهـاـ هـاـ بـالـقـوـةـ الـدـافـعـةـ إـلـىـ اـقـطـارـهـاـ ، ثـمـ تـغـذـيـهـاـ بـالـقـوـةـ الـغـاذـيـةـ ، ثـمـ التـفـوـ وـالـزـيـادـةـ فـيـهـاـ بـالـقـوـةـ النـامـيـةـ ، ثـمـ التـصـوـرـهـاـ بـأـنـوـاعـ الـأـشـكـالـ وـالـأـصـبـاغـ بـالـقـوـةـ الـمـصـورـةـ . مـثـالـ ذـلـكـ أـنـ الـقـوـةـ الـجـاذـبـةـ إـذـ اـمـتـصـتـ نـدـاوـةـ التـرـابـ بـعـرـوقـ الـنـبـاتـ وـجـذـبـهـاـ كـلـ يـمـضـ الحـجـامـ الدـمـ بـالـحـجـمـةـ أـوـ كـلـ عـصـ النـارـ الـدـهـنـ بـالـفـتـيـلـ اـنـجـذـبـتـ مـعـهـاـ الـأـجـزـاءـ التـرـابـيـةـ لـشـدـةـ اـنـجـادـهـاـ بـهـاـ ، فـإـذـ حـصـتـ تـلـكـ الـمـادـةـ فـيـ عـرـوقـ الـنـبـاتـ اـنـضـجـتـهـاـ الـقـوـةـ الـهـاضـمـةـ ، وـصـيرـتـهـاـ مـشـاكـلـةـ لـجـرمـ الـعـرـوقـ وـتـنـاوـلـهـاـ الـقـوـةـ الـغـاذـيـةـ وـأـزـقـتـ بـكـلـ شـكـلـ مـنـ تـلـكـ الـأـعـضـاءـ وـالـمـفـاـصـلـ مـاـ يـلـاـهـ الـقـوـةـ الـمـصـورـةـ وـزـادـتـ النـامـيـةـ فـيـ اـقـطـارـهـاـ طـولـاـ وـعـرـضاـ وـعـمـقاـ ، وـمـاـ فـضـلـتـ مـنـ تـلـكـ الـمـادـةـ وـلـطـفتـ وـرـقـتـ دـفـعـهـاـ الـقـوـةـ الـدـافـعـةـ إـلـىـ فـوـقـ فـيـ أـصـوـلـ الـنـبـاتـ وـقـضـبـاهـاـ وـفـرـوعـهـاـ وـأـغـصـانـهـاـ . وـجـذـبـهـاـ الـجـاذـبـةـ إـلـىـ مـاـهـنـاكـ ، وـأـمـسـكـهـاـ الـمـاسـكـةـ كـيـلاـ تـسـيلـ رـاجـعـةـ إـلـىـ أـسـفلـ . ثـمـ اـنـ الـقـوـةـ الـهـاضـمـةـ طـبـخـتـهـاـ مـرـةـ ثـانـيـةـ وـصـيرـتـهـاـ مـشـاكـلـةـ لـجـرمـ الـأـصـوـلـ وـالـفـرـوعـ وـالـأـغـصـانـ ، وـمـادـهـاـ هـاـ فـزـادـتـ فـيـ اـقـطـارـهـاـ طـولـاـ وـعـرـضاـ وـعـمـقاـ . وـمـاـ ثـقـلتـ مـنـ تـلـكـ الـمـادـةـ وـلـطـفتـ وـرـقـتـ دـفـعـهـاـ الـدـافـعـةـ إـلـىـ أـعـلـىـ الـفـرـوعـ وـالـأـغـصـانـ ، وـجـذـبـهـاـ

الحادية الى هناك . وأمسكتها الماسكة ، ثم ان القوة الهاضمة طبختها مرة ثالثة وصبرتها مشاكلاً لجرم الورق والنور والزهر وأكام الحب والثمر وما شاكل ذلك ، ومادة لها وزادت في أحاطتها طولاً وعرضًا وعمقًا . وما لفقت من تلك المادة ورقة صبرتها مادة لاحب والثمر وأمسكتها الماسكة هناك . ثم ان القوة الهاضمة طبختها مرة رابعة وأنضجتها ولطفتها وميزت منها اللطيف من الكثيف ، والغليظ من الدقيق وصبرت الغايظ والكثيف مادة لجرم القشر والنوى وزادت في أحاطتها طولاً وعرضًا وعمقًا وصبرت اللطيف والدقيق مادة للحب والحب والثمر وهي الدقيق والشريح والدهن والدبس والطعم واللون والأنحة

فإذا تناول الحيوان لب النبات ليتفذى به وحصلت تلك المادة في المعدة ، فأول فعل هذه القوى فيها فعل القوة الهاضمة بالحرارة الغريزية ثم تصفيرها في المعى وجذب الكيموس الى الكبد ، ثم تنفيذها مرة أخرى ثم تمييز الاختلاط بعضها من بعض وهي الدم والبلغم والمرتان . ثم دفعها الى الاعضاء والأوعية المعدة لقوتها ثم تقسيط الدم على الاعضاء والمفاصل بالأوراد ثم تغذيته لكل عضو بما يشاكه من تلك المادة ، ثم التمو والزيادة في أحاطتها طولاً وعرضًا وعمقًا . ثم استخراج النطفة من جميع أجزاء بدن الفحل عند حركة الجماع وهي زيادة الدم ، ثم نقلها الى رحم الأنثى بالآلات المعدة لذلك .

وأما فعل هذه التوى في تركيب جسد الانسان عند حصول النطفة في الرحم وتديرها لها تسعة أشهر حالاً بعد حال الى أن تستتم بنية الجسد و تستكمل هناك . صورته فقد شرحناها في رسالة أخرى غير هذه .

فإذا تمت له المدة المقدرة التي قدرها الباري جل ثناؤه نقااته قوة النفس الحيوانية الحساسة باذن الله تعالى من ذلك المكان الى فسحة هذه الدار استئنف به تدبير آخر الى تمام أربع سنين . ثم ترد القوة الناطقة المعبرة لا سماء المحسوسات و تستأنف به تدبيراً آخر الى تمام خمس عشرة سنة . ثم ترد القوة العاقلة المميزة لمعاني المحسوسات و تستأنف به تدبيراً آخر الى تمام ثلاثين سنة . ثم ترد القوة

الحكمة المستبصرة لمعنى المقولات و تستأنف به تدبرها آخر تمام الأربعين سنة .
 ثم ترد القوة الملكية المؤيدة و تستأنف به تدبرها آخر إلى عام خمسين سنة .
 ثم تردد القوة الناموسية الممهدة للمعاد المفارقة للهوى و تستأنف به تدبرها آخر إلى آخر
 العمر . فإن تكون النفس قد تمت واستكملت قبل مفارقة الجسد نزلت قوة المراج
 فرقت بها إلى الملايين و تستأنف تدبرها آخر . وإن لم تكون النفس قد تمت
 واستكملت قبل مفارقة الجسد ردت إلى أسفل سافلين ، ثم استئنف بها التدبر من
 الرأس كما ذكر الله تعالى فقال « لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه
 أسفل سافلين إلا الذين آمنوا و عملوا الصالحات فلهم أجر غير مندون فايكون بذلك
 بعد بالدين أليس الله بأحكم الحاكمين » وقال تعالى « كما بدأنانا أول خلق نعيده
 وعدا علينا إنا كنا فاعلين » وقال سبحانه « ثم لنكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى
 ومنكم من يردد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً »

» مسألة «

أتري ماذا يقول ويعتقد من ينظر في مبادئ ، الأشياء ويتكلم عاليها هل
 اخترعت كالماء اختراعاً في غاية تمام والكمال والفضل ثم تناقصت وردد بعضها أم
 اخترعت كالماء في غاية النقص ثم زادت وكمت وتمت وتفاضل بعضها على بعض ؟
 أم بعضها هكذا وبعضها هكذا ؟

» فصل «

واعلم يا أخي أيديك الله وايانا بروح منه أن الله تعالى لما كان تام الوجود
 كامل الفضائل عالما بالكائنات قبل كونها قادرًا على ايجادها متى شاء ، لم يكن من
 الحكمة أن يحيي تلك الفضائل في ذاته فلا يوجد بها ولا يغيبها . فإذاً بواجب
 الحكمة أفرض الجود والفضائل منه كما يفيض من عين الشمس النور والضياء ،
 ودام ذلك الفيض منه متصلة متواترًا غير منقطع فيسمى أول ذلك الفيض العقل
 الفعال وهو جوهر روحي نور محض في غاية تمام والكمال والفضائل ،
 وفيه صور جمجم الأشياء ، كما تكون في فكر العالم صور المعلومات . وفاض من

العقل الفعال فيض آخر دونه في الرتبة يسمى العقل المتفعل وهي النفس الكلية وهي جوهرة روحانية بسيطة قابلة للصور والفضائل من العقل الفعال على الترتيب والنظام ، كما يقبل التلميذ من الاستاذ التعليم

وفاض من النفس أيضاً فيض آخر دونها في الرتبة يسمى الهيولي الأولى ، وهي جوهرة بسيطة روحانية قابلة من النفس من الصور والأشكال بالزمان شيئاً بعد شيء . فأول صورة ثبات الهيولي الطول والعرض والعمق ، فكانت بذلك جسماً مطلقاً وهو الهيولي الثانية ووقف الفيض عند وجود الجسم ولم يفتش منه جوهر آخر لنقصان رتبته عن الجواهر الروحانية ونماذج جوهره وبمده من العلة الاولى . ولما دام الفيض من الباري تعالى على العقل ، ومن العقل على النفس عطفت النفس على الجسم فصورت فيه الصور والأشكال والاصباغ لتنتمي بالفضائل والمحاسن بحسب ما يعکن من قبول الجسم وصفاء جوهره .

فأول صورة عملت النفس في الجسم الشكل الكري الذي هو أفضل الاشكال كلها وحركته بالحركة الدورية التي هي أفضل الحركات ورتبته بعضها في جوف بعض من لدن الفلك المحيط الى منتهي مركز الارض وهي أحد عشرة كرة ، فصار الكل علماً واحداً ممتداً نظاماً كلياً واحداً ، وصارت الارض ألغاظاً لاجسام كلها وأشدتها ظلمة لبعدها من الفلك المحيط ، وصار الفلك المحيط ألطاف الاجسام كلها وأشدتها روحانية وأشفها نوراً لقربها من الهيولي الاولى التي هي جوهر بسيط معقول . وصارت الهيولي أقصى رتبة من العقل والنفس بعدها من الباري

جل وعز

وذلك ان الهيولي هي جوهرة بسيطة روحانية معقوله غير علامة ولا فعالة بل قابلة آثار النفس بالزمان منتعلاً لها . وأما النفس فأنها جوهرة بسيطة روحانية علامة بالقوة فعالة بالطبع قابلة فضائل العقل بالزمان فعالة في الهيولي بالتجريح لها بالزمان ، وأما العقل فإنه جوهر بسيط روحي أبغض من النفس وأشرف منها قابل لتأييد الباري تعالى ، علام بالفعل مؤيد للنفس بالزمان . وأما الباري

تعالى فهو مبدع الجميع و خالق الكل . فالإبداع لا يشبه المبدع ، وكذلك الخالق لا يشبه المخلوق ، والفاعل لا يشبه المفعول بوجه من الوجوه و سبب من الأسباب فتبارك الله رب العالمين وأرحم الرحيم

فانتبه أَيُّهَا الْأَخِي مِنْ نُومِ الْغَفْلَةِ وَرُفْقَدَةِ الْجَهَالَةِ قَبْلَ أَنْ يَنْفُخَ فِي الصُّورِ وَتَقُولَ
يَاحْسَرْتِي عَلَى مَا فَرَطْتُ وَيَنْادِيَ الْمَنَادِيَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ أَلَا عَلَى أَلَا تَذَكَّرْ فَلَانْ وَشَقِيقْ
فَلَانْ ! وَاجْتَهَدْ أَنْ تَكُونَ مِنَ السَّعْدَاءِ الَّذِينَ هُمْ مِنْ أَصْحَابِ الْمَيْنِ وَتَكُونَ فِي
سَدْرِ مَخْضُودْ وَمَلْحِ مَنْضُودْ . وَاجْتَهَدْ أَلَا تَكُونَ مِنَ الْأَشْقِيَاءِ الَّذِينَ هُمْ أَصْحَابِ
الشَّمَالِ فِي سَوْمِ وَحْيَمْ وَظَلَّ مِنْ يَحْمُومَ لَا بَارِدَ وَلَا كَرِيمَ وَاعْتَصَمَ بِحَبْلِ اللَّهِ الْمَتِينِ
وَاجْتَنَبَ الشَّيْطَانَ الرَّجِيمَ عَسَى أَنْ تَصِيرَ مِنَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ، وَلَا تَصِيرَ
مِنَ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الْأَضَالِّينَ

وَفَقَكَ اللَّهُ أَيُّهَا الْأَخِي الْبَارِ الرَّحِيمُ وَجَمِيعُ اخْوَانَنَا لِلسَّدَادِ ، اهْرُؤُوفُ بِالْعِبَادِ

* تَعْتَ رسالَةَ مبادِيِّ الْمُوجُودَاتِ الْعُقْلَيَّةِ عَلَى رَأْيِ الْفَيَاثَاغُورِيِّينَ

وَيَنْلُوها رسالَةَ المبادِيِّ الْعُقْلَيَّةِ عَلَى رَأْيِ اخْوَانَ الصَّفَا *



رسالة الثانية

صورة النهايات المعقّلات

في المبادئ المقلية عليه رأى أخوان الصفاء

وهي رسالة الثانية والثلاثين، رسائل أخوان الصفا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفىهم الله خيراً أما بشركون

فصل

اعلم يا أخي ، أيدك الله وإيانا بروح منه ، أنه قد بحث الفلاسفة والعلماء والحكماء في مبادئ الموجودات عن أصول الكائنات فسنج لقوم منهم غير ماسنح للآخرين ، وذلك أنه سنج لقوم من الثنوية الامور المثنوية ، ولقوم من النصارى الامور الثلاثية ، ولقوم من الطبيعين الامور الرباعية ، ولقوم آخرين السادسية ، ولقوم من الخرمية الامور الخامسة ، ولقوم آخرين الامور السادسية ، ولقوم آخرين الامور السباعية ، ولقوم آخرين من الموسقيين الامور الثمانية . ولقوم آخرين من الهند الاءور التساعية وأذنابت كل طائفة في ذكر ماسنح لها وشغفت به وأغفقات ماسوى ذلك . فاما الحكماء الفيتاونوربون فأعطوا كل ذي حق حقه : اذ قالوا إن الموجودات ، بحسب طبيعة العدد كاسندين طرفا منه في هذه الرسالة ، وهذا مذهب إخواننا أيدهم الله وبمحب رأيهم في وضع الاشياء مواضعها وترتيبهم حق مراتبها على الجرى الطبيعي والنظام الاطي

فصل

في معنى قول الفيٹاغوریین إن الموجودات بحسب طبيعة العدد
اعلم يا أخي أيديك الله وإيانا روح منه لأن فيٹاغورث كان رجلا حكماً موحداً
من أهل حران وكان شديد العناية بالنظر في علم العدد وكيفية نشوئه، كثير البحث
عنه وعن خواصه ومراتبه ونظامه، وكان يقول : إن في معرفة العدد وكيفية
نشوئه من الواحد الذي قبل الاثنين معرفة وحدانية الله عز وجل وفي معرفة
خواص الأعداد وكيفية ترتيبها ونظامها معرفة موجودات البارى تعالى وعلم مختبر عاته
وكيفية نظامها وترتيبها، وإن علم العدد مرکوز في النفس يحتاج إلى أدنى تأمل
ويشير من التذکار حتى يستبين ويعرف بلا دليل

فصل

في مراتب الموجودات ونظام المخترعات وأنها مطابقة لمراتب الأعداد المفردات
المتتاليات عن الواحد ، وأن الكل يحتاج إلى الواحد . وعلى رأي الأخوان أن
الواحد وما بعده يحتاج إلى غيره ، وهو العاد

فصل

اعلم يا أخي أيديك الله وإيانا بروح منه أن الله جل ثناؤه لما أبدع الموجودات واخترع الخلوقات نظمها ورتبتها في الوجود كراتب الأعداد عن الواحد لتكون كثیرتها دالة على وحدانيته وترتيبها ونظامها دالان على إتقان حكمته في صنعها، ولتكون أيضاً نسبتها إلى الذي هو خالقها ومبدعها كنسبة الأعداد إلى الواحد الذي قبل الاثنين الذي هو أصلها ومبدؤها ومنشأها كما بينا في رسالة الارضاطيقي: وذلك أن الباري جل ثناؤه لما كان واحداً بالحقيقة من جميع الوجوه والمعانى لم يجز أن يكون المخلوق المخترع واحداً بالحقيقة ، بل وجـد أن يكون واحداً متکثراً متشوياً مزدوجاً ، وذلك أن الباري جل ثناؤه أول ما بدأ بفعل واحد مفعولاً واحداً متتجداً بفعله الذي هو علة العلل ، فلم يكن واحداً بالحقيقة بل فيه

مثنوية . فلذلك قالوا إنه أوجد وأخترع أشياء مثنوية مزدوجة وجعلها قوانين
الموجودات وأصول الكائنات

فن ذلك ما قالت الحكمة الفلسفية : الاهيوي والصورة ، ومنهم من قال
النور والظلمة ، ومنهم من قال : الجوهر والعرض ، ومنهم من قال : الخير والشر
ومنهم من قال : الابيات والنفي ، ومنهم من قال : الإيجاب والسلب ، ومنهم
من قال : الروحاني والجسماني ، ومنهم من قال : اللوح والقلم ، ومنهم من قال :
الفيض والعقل ، ومنهم من قال : الحبة والفلبة ، ومنهم من قال : الحركة
والسكون ، ومنهم من قال : الوجود والمعدم ، ومنهم من قال : النفس والروح
ومنهم من قال : الكون والفساد ، ومنهم من قال : الدنيا والآخرة ، ومنهم من
قال العلة والمعلول ، ومنهم من قال المبدأ والمعاد ، ومنهم من قال القبض والباء
وعلى هذا القياس توجد أشياء كثيرة طبيعية مزدوجة أو متضادة كالمتحرك
والساكن والظاهر والباطن والعلمي والأسفلي والخارج والداخل والطيف الكثيف
والحار والبارد والرطب والجاف والرائد والنافق والجاد والنامي والنافق
والصامت والذكر والأنثى من كل زوجين اثنين .

وهكذا توجد تصاريف أحوال الموجودات من الحيوان والنبات كالحياة
والموت والنوم واليقظة والمرض والصحة والألم واللذة والبؤس والنعمة والسرور
والغنة والحزن والفرح والصلاح والفساد والفساد والنفع والخير والشر والسعادة
والمنجسة والأدبار والأقبال .

وهكذا توجد أحكام الأمر والوضعية والشرعية كالأمر والنهي والوعيد
والوعيد والترغيب والترهيب والطاعة والمعصية والمدح والذم والعقاب والثواب
والحلال والحرام والحدود والاحكام والصواب والخطأ والحسن والقبيح والصدق
والكذب والحق والباطل .

وعلى هذه الأمور توجد الأمور المثنوية المزدوجة المتضادة . وبالجملة من
كل زوجين اثنين

واعلم يا أخي أنه لما لم يكن من الممكنة أن تكون إلا مور الموجودة كماها مثنوية مزدوجة جعل بعضها مثلثات وبعضاً منها مربعات وخمسمات وسداسات وسبعينات وما زاد بالغماً ما يبلغ كاسنذ كر منها طرفاً بعد هذا الفصل إن شاء الله واعلم يا أخي أن الموجودات كلها نوعان لا أقل ولا أكثر كليات وجزئيات حسب . فالكليات تسع مراتب محفوظ نظامها ثابتة أعيانها وهي كتسعة آحاد أو لها الباري الواحد الفرد جل ثناؤه ، ثم العقل ذو القوتين ثم النفس ذات الثلاثة الالقاب ، ثم الحيولي الأولى ذات الأربع الاضافات ، ثم الطبيعة ذات الخمسة الاسماء ، ثم الجسم ذو الست الجهات ، ثم الفلك ذو السبع المدبرات ، ثم الاركان ذات المعاشرة المزاجات ثم المكونات ذات التسعة الانواع

﴿فصل﴾

واعلم ان الباري جل ثناؤه هو أول الموجودات كما ان الواحد هو قبل كل الاعداد . وكما ان الواحد هو نشوء الاعداد كذلك الباري موجود الموجودات وكما ان الاثنين أول الاعداد والاعداد ترتبت عن الواحد ، كذلك العقل أول موجود أبدعه الباري جل وعلا واخترعه ، فنه غريزي ومكتسب دليل على رتبته في الموجودات . وكما أن الثلاثة ترتبت بعد الاثنين ، كذلك النفس ترتبت في الوجود بعد العقل وصارت أنواعها ثلاثة نباتية وحيوانية ونادقة لتكون دالة على رتبتها في الموجودات له ، ثم أوجد الباري جل ثناؤه الحيولي ، كما ترتبت الأربع بعد الثلاثة

ومن أجل هذا قيل إن الحيولي أربعة أذرع : هيولي الصناعة . وهيولي الطبيعة . وهيولي الكل ، والحيولي الاولى لتكون هذه الأربع الاركان دالة على مرتبتها في الموجودات . ثم الطبيعة ترتبت بعد الـ هيولي كما أن الخمسة ترتبت بعد الأربع .

ومن أجل هذا قيل إن الطيائع خمس : إحداها طبيعة الفلك ، وأربع تحيط الفلك ، ثم ترتب الجسم بعد الطبيعة كما ترتبت الستة بعد الخمسة .

ومن أجل هذا قيل إن الجسم له ست جهات . ثم ترك الفلك من الجسم وترتب بعده كأ ترتب السبعة بعد السنة .

ومن أجل هذا صار أمر الفلك يجري على سبعة كواكب مدبرات ليكون دلالة على رتبته في الموجودات . ثم ترتب الاركان في جوف الفلك كأ ترتب الماءة بعد السبعة .

ومن أجل هذا قيل أنها ذات ثمانية مزاجات . فالارض باردة يابسة ، والماء بارد رطب ، والهواء حار رطب ، والنار حارة يابسة لتكون هذه المائية الاوصاف دالة على رتبتها في الموجودات . ثم تولدت المولدات الثلاثة الاجناس ذات التسعة الانواع لتكون دالة على مرتبتها في الموجودات الكليات وهي آخرها كلها ، كأن التسعة آخر مرتبة الاحد وهي الكائنات المولدات من الاركان الاربعة التي هي الامهات : وهي المعادن والنبات والحيوان . والمعادن ثلاثة أنواع : ترابية لاتذوب ولا تخترق كالزجاجات والكحول ، وحجرية ذوب ولا تخترق كالذهب والفضة والنحاس وما شاكلها ، ومائية ذوب وتحترق كالكبريت والقير وغيرها . والحيوان ثلاثة أنواع : منه ما يلد ويضع ومنه ما يبيض ويحضن ومنه ما يتكون من العفونات . والنبات ثلاثة أنواع : منها ما يفرس كالاشجار ، ومنها ما يزرع كالحبوب ، ومنها ما ينبت كالحشائش والكلاد

فقد تبين بما ذكرنا أن الموجودات الكليات هي هذه التسعة المراتب التي ذكرناها وشرحناها . وأما الأمور الجزيئات فداخلة في هذه الكليات التي تقدم ذكرها . وأما الأمور الموجودات المثلثات فان من الموجودات الثلاثة الحيواني والصورة والمركب منها ، والجواهر والاعراض والمؤلف منها ، والروحاني والجماني والمجموع منها ، ومثل المقادير الثالثة التي هي الخطوط والسطوح والاجسام ، ومثل الابعاد الثالثة التي هي الطول والعرض والعمق ، والازمان الثلاثة التي هي الماضي والحاضر والمستقبل ، والحركات الثلاث من الوسط والى الوسط وعلى الوسط . والأعداد الثلاثة التام والزائد والناقص ، والعناصر الثلاثة

الى هي الممکن والواجب والممتنع . وتقاسیم الاوتاد والزوائل وما يلي الوتد ، والمكونات الثلاثة : المعادن والنبات والحيوان . وباجملة كل أمر ذي واسطة او طرفيين

ولما كانت الاربعة من الاعداد تالية للثلاثة وجب أن تكون أشياء رباعية للمثلثات في الوجود : فجعل الباري جل ثناؤه أشياء مربعات تاليات لها في الوجود .

ففيها الاركان الاربعة التي هي النار والهواء والماء والارض، والطبايع الاربع وهي البرودة والبيوسة والرماوية والحرارة ، والاختلاط الاربعة الصفراء والسوداء والدم والبلغم ، والرياح الاربع الصبا والدبور والجرميا والتيمن ، والجهات الاربع المشرق والمغرب والشمال والجنوب ، والاوتداد الاربعة الطالع والغارب والرابع والعشر ، والازمان الاربعة الربيع والصيف والخريف والشتاء ، وأيام العمر أربعة فصول : أيام الصبا وأيام الشباب وأيام الكهولة وأيام الشيخوخة ، ومراتب الاعداد اربع : أحد عشرات ومئات وألوف .

وعلى هذا القياس اذا تأمل وجد كثيراً من مربعات وخمسمات وسدسات وسبعينات ومئتين ومتسعين وعشرين ، وما زاد بذلك ما يبلغ من المئات والألوف وعشرين الآلوف ومئات الآلوف وألوف الآلوف .

وباجملة مامن عدد من الاعداد الا وقد خلق الباري جل ثناؤه جنـآ من الموجودات مطابقاً لذاته العـدد ، قل أو أكثر ونريد أن نبين من ذلك طرقاً ليكون دليلاً على ما قلنا وحقيقة لما ذكرنا :

أما المسدسات من الموجودات فاولها في طبيعة الافلاك وأقسام البروج وحالات الكواكب وذاك أن البروج الاثنى عشر : ستة منها ذكور وستة منها أناث وستة هاربة وستة ليلية وستة شمالية وستة جنوبيـة وستة مستقيمة الطلوع وستة معوجة الطلوع وستة من حيز الشمس وستة من حيز القدر وستة تطلع بالنهار وستة تطلع بالليل وستة ترى أنها فوق الأرض وستة لا ترى فهي تحت الأرض
(١٤ -)

وأما الاحوال ست التي لا يكواكب فهي أن تكون في أو جاتها أو حضيضاها
او شرفها او هبوطها او مع رأس جوزها او مع الذنب فهى ست احوال
واما ستة أخرى ، فهي أن يكن مقتنات أو متقابلات أو مربعات
أو مثلثات أو مسدسات أو سوافط لا ينظر بعضها إلى بعض

وأما المسدسات من الامور التي تحت الفلك فهى الجهات ست التي تنسب
إلى الأجسام والستة الأخرى التي وضعت لمقادير الأوزان من الصنحات والأذرع
والماكابيل والارطال كل ذلك بفعل ستة إذا كانت هي أول العدد التام

وأما السبعات من الامور الموجودة فتركنا ذكرها إذ كان قوم من أهل العلم
قد شغفوا بها وأطنبوا في ذكرها وهي معروفة موجودة في أيدي أهل العلم .

وأما المئنتين فقد ذكرنا طرقا منها في رسالة الموسيقى لا يحتاج إلى إعادته
وأما المئسعتين من الامور فقد شغف بها أيضاً قوم من أهل الهندوا كثروا
من ذكرها ، وأيضاً رجل من أهل العلم يعرف بالكيال قد شغف بها وأكثر
من ذكرها في كتب له معروفة موجودة في أيدي أهل العلم

وقد ذكرنا أيضاً طرقا منها في بعض رسائلنا وفي فصل من هذه الرسالة مما
تقدم وقلنا ان الموجودات الكليات تسع وراثب خشب لا أقل ولا أكثر مطابقة
النسم الواحد المتفق بين الامم كلها على وضعها لتكون الامور الوضعية مطابقة
مراتبها للامور الطبيعية التي هي ليست من صنع البشر بل صنعة خالق حكيم
سبحانه وبحمده

وأما الموجودات الخمس فالكواكب الخمسة المتحيرة : زحل والمشترى
والاريخت والزهرة وعطارد وإنما سميت متحيرة لأن لها رجوعا واستقامة . وليس
للسolars ولا للقمر رجوع ولا استقامة

والاجسام الطبيعية الخمسة التي هي جسم الفلك والاربعه الاarkan التي دونه
من النار والهواء والارض والماء .

والخمسة الاجناس من الحيوان هي : الانسان والطير والسائح والماء ذو

الرجاين وذو الاربع والذى ينساب على بطنه .

والحواس الخمس الموجودة في الحيوان التام الخلقه وهي السمع والبصر والشم والذوق واللمس

والخمسة الاجزاء الموجودة في النبات وهى الأصل والعروق والورق والزهر والثمر .

والخمسة الاشكال الفاضلة المذكورة في كتاب أقليدس وهى الشكل الناري ذو الاربعة السطوح المثلثات . والشكل الارضي ذو السطوح المربعات والشكل المائى ذو المائة السطوح المثلثات والشكل الهوائى ذو العشرين قاعدة مثليات والشكل الفلكي ذو الاثنى عشر قاعدة مخمسات

والخمسة النسب الفاضلة الموسيقية وهى المثل والجزء والمثل والاجزاء والضعف والضعف والجزء والضعف الاجزاء .

والخمسة أولو العزم من الرسل : نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وعليهم الصلاة والسلام .

والخمسة الايام الملقب اسماؤها بالعدد في جمیم اللغات وهى بالعربيۃ: الاحد والاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس . وبالفارسیة مثلها يک شنبه دوشنبه سه شنبه جهار شنبه بیچ شنبه

والخمسة الايام المشرفة من جملة أيام السنة الفارسية في آخر أيام ما واسماؤها بالفارسیة أهند کاه اسپیدکاه هشت کاه استورست کاه .

ففي کون هذه الموجودات على هذه الاعداد المخصوصة دلالة لمن كان له عقل

راجح وفهم دقيق وفطنة بان الله تعالى ملائكة هم صفوته من خلقه وخيرته من بريته اليهم تقع الاشارة بهذه الموجودات المقدمات المخصوصات ، خاصة لهم لحفظ علمه وجعلهم سكان سموااته ومدبری افلاکه ومسیری کواکبه ومربي نبات أرضه ورعاة حیواناته . منهم السفراء بينه وبين أنبيائه من بنی آدم فنهم يقع الوحي والنبوات

وهم ينزلون بالبركات من السموات ، ويعرجون باعمال بنى آدم وباروا حبهم واليهم أشار في أكثر أحكام الشريعة ومفروضات سنتها مثل الصلوات الخمس والزكاة الخمس والطهارة الخمس وشرائط اليمان الخمس وبنى الاسلام على خمس وفضله من أهل بيت النبوة خمسة . ومراتي منبر النبوات خمس . وفرائض الحج خمسة . وال ايام المعدودات بعى وعرفات خمسة . والحروف المستعملة في أوائل سور القرآن من واحد الى خمسة

وكل هذه المخمسات إشارات ودلالات على خمسة من الملائكة مع كل واحد منهم خمسة آلاف من الملائكة الى خمسين ألفا الى خمسة مائة ألف ، وما زاد بالغما مبالغ . واليهم أشار في عدة آيات من سور القرآن مثل قوله « تنزل الملائكة والروح » . « وما نزل الا بأمر ربك » وقوله تعالى « وما منا إلا له مقام معلوم وانا لنجن الصافون وانا لنجن المسبحون » والى الخمسة الفاضلة من الملائكة أشار النبي صلى الله عليه وسلم بقوله « حدثني جبريل عليه السلام عن ميكائيل عن اسرافيل عن اللوح عن القلم » فقد تبين مما ذكرنا معنى قول الحكماء الفيتاغوريين أن الموجودات بحسب طبيعة العدد

﴿ فصل ﴾

في بيان نضد العالم وأنه كرى الشكل

اعلم يا أخي أن الباري تعالى لما أبدع الموجودات واخترع المخترعات رتبها ونظمها وجمعها كلها في فلك واحد محيط بها من كل الجهات كما ذكر سبحانه وتعالى بقوله « وكل في فلك يسبحون »

﴿ فصل ﴾

اعلم أن الفلك المحيط كرى الشكل مستدير مجوف وسائر الافلاك في جوفه مستديرات محيط بعضها ببعض كحلقة البيض والبصل وهي احدى عشرة أجرة ، والشمس هي في أوسط الأجرة : خمس من فوق اكترها وخمس من دون اكترها

فالي فوق اكربها اكرة المريخ ثم اكرة المشتري ثم اكرة زحل ثم اكرة الكواكب الثابتة ثم اكرة المحيط والي دون اكرتها اكرة الزهرة ثم اكرة عطارد ثم اكرة القمر ثم اكرة الاهواء ثم اكرة الارض التي هي المركز وهي ليست محبوبة ولكن متداخلة لكثرة المغارات والكهوف والاهوية ، وأما الكوكب فانه اكريات مصممات مستديرات كما بين في الجسطي بقياس هندسى

واعلم يا أخي أن الباري جل ثناؤه، جعل شكل العالم كريبا لأن هذا الشكل أفضل الاشكال الخمسة من المثلثات والربعات والمخروطات وغيرها ، وهو أيضاً أوسعها مساحة وأسرعها حركة وأبعدها من الآفات وأقطاره متساوية ومركزه في وسطه ، ويمكنه أن يدور في مكانه ولا يناس غيره إلا على نقطة وأجزاء متقاربة، ويمكنه أن يتحرك مستديراً مستقيماً ولا يمكن أن توجد هذه الخصال والصفات في غيره . وقسم الفلك اثنى عشر قسماً لأن هذا العدد زائدة أجزاءه أكثر من كله ، فقد تبين مما ذكرنا أن هذا الشكل الكري أفضل الاشكال وأن الباري عز وجل يفعل الأحْمَم والأَقْنَم فننجز من هاتين المقدمتين أن شكل العالم مستدير، وإنما اقتضت الحكمة الالهية والعناية الربانية أن جعل الباري جل ثناؤه شكل العالم كريباً مستديراً والأفلاك والكواكب كذلك لما تبين من فضل هذا الشكل على سائر الاشكال الخمسة، وجعل أيضاً حركات الكواكب والأفلاك كريمة مستدية؛ وذلك أن كل كوكب من السبعة يدور في فلك صغير يسمى أفالك التداوير ، وتلك الأفلاك الخارجية المرافق تدور في سطح فلك البروج المحيط بسائر الأفلاك، وهذا الفلك المحيط أيضاً يدور حول الارض في كل أربع وعشرين ساعة دورة واحدة من المشرق الى المغرب فوق الارض ، ومن المغرب الى المشرق تحت الأرض مثل الدولاب

فلو لم تكون الارض والفلك وكواكب كريات مستديرات لما استوى هذا الدوران ولما استمرت حركات كواكبه على ما ذكرنا وبيننا في هذا الوصف . واد قد تبين مما ذكرنا أن العالم كري الشكل مستدير فنريد أن نبين أيضاً أن تصارييف أموره

الجزئيات أيضًا مستديرة : فن ذلك أن الأرض بما عليها من البحار والجبال والبراري والأنهار والمعمران والطرباب أكرة واحدة ، والهواء المحيط بها من جسم جوابها وفلك القمر محيط بالهواء . كذلك ان شكل الجبال على بسيط الأرض كل واحدة قطعة قوس من محيط الدائرة ، وكذلك شكل الأنهر والأودية ومحيط الأقاليم كل واحد قطعة قوس من محيط الدائرة . وهكذا حكم جريان مياه الأنهر فإنها تتدفق من الأنهر في جريانها نحو البحار وتسقى القرى والسوادات وينصب البافى إلى البحار ويختلط بعثاها الماحنة ، ثم يصير بخاراً ويرتفع في الهواء ، ويتراكب ويتكون ويشير غيوماً وسحاباً تسوقها أزيجاً إلى رؤوس الجبال والبراري والقفار فتمطر هناك وتسلل منها أودية وأنهار وتجري نحو البحار راجعة من الرأس ويكون منها البخار والغيوم مثل ما كان عام أول ، دولاً يدور . و « ذلك تقدير العزيز العليم » وهكذا حكم النبات والحيوان والمعادن فإنها تتكون من هذه الأركان وتنشأ وتم وتكميل ثم تقدس وتبلل وتصير تراباً كما كانت بديلاً . ثم إن الله تعالى ينشئ منها ما يشاء كما بدأ أولاً يعيده مرة أخرى دولاً يدور . وكذلك إذا نظرت وتأملت واعتبرت وجدت أكثر ثمار الأشجار وحبوب النبات وبذورها وأوراقها مستديرات الاشكال أو كريات أو خروطات قريبة من الاستدارة .

وهكذا الشتب التي في أبدان الحيوان إلى الاستدارة أقرب ما تكون . وهكذا أشكال أواتي الناس وأدوات الصناع وأرجنتهم ودواليهم وأبارهم والكيزان والغضائر والقدور والقادح والقصاع والخواتم والقلانس والمعائم والحلبي والتيجان أقرب إلى التدوير

فاعلم ذلك أنها الأخ وتفكر فيه أعنك الله على المعرفة بمحقائق الأشياء عنه ولطفه . وصلى الله على النبي الخاتم وعلى الوصي القائم ، وعلى أولاده وبنيه وعترته آباء الأمة المهتدين وأمراء المؤمنين الموحدين وسلم تسليماً . وحسبنا الله ونعم الوكيل .

* تمت رسالة المبادي العقلية وتلتها رسالة في معنى قول الحكماء : أن العالم
انسان كبير *

الرسالة الثالثة

مقدمة في علم النفس العقليات

في مبني قول الحكماء أن العالم انسان كبير

﴿وَهِيَ الرِّسْالَةُ الْرَّابِعَةُ وَالثَّلَاثُونُ مِنْ رِسَالَاتِ إِخْرَاجِ الصَّفَا﴾



الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . آللله خير أما يشركون

﴿ فصل ﴾

اعلم أيها الاخ البار الرحيم أيدك الله وإيانا بروح منه إنما قد فرغنا من ذكر مراتب المباديء العقلية على رأي اخوان الصفاء وبيننا فيها بكلام مشبع أن الوجود متقدم على البقاء، والبقاء متقدم على النام، والنام متقدم على الكمال وزريد الآن أن نذكر في هذه الرسالة معنى قول الحكماء ان العالم انسان كبير فنتقول

اعلم ان قول الحكماء ان العالم انسان كبير وقوطهم ان الانسان عالم صغير يجب
أن نشرح معناه لنقف على حقيقته ، معنى ذلك أن العالم له جسم ونفس يعنون
به الفلك المحيط وما يحوي من سائر الموجودات من الجواهر والأعراض ، وان
حكم جسمه بجميع أجزاءه البسيطة والمركبة والولادة مجرى جسم انسان
واحد أو حيوان واحد بجميع أعضاء بدنـه المختلفة الصور المفتنـة الاشكال ، وان
حكم نفسه بجميع قواها السارية في أجزاء جسمـه المحركة المدبرة لاجناس الموجودـات
وأنواعـها وأشخاصـها ، كحكم نفس انسان واحد أو حيوان واحد السارية في جميع

اعضاء بدنـه و مفاصـل جـسدهـ المـحرـكة المـدـبرـة لـعـضـو عـضـو و حـاسـة حـاسـة من بـدـنـه .
و ذـكـر قـول الله تـعـالـى « مـا خـلـقـكـم وـلا بـعـثـكـم إـلـى كـنـفـس وـاحـدة » وـاـذـا قـلـنـاـنـحـنـ في
رـسـائـلـنـاـ: الـجـسـمـ الـكـلـيـ فـانـمـاـ نـعـنـىـ بـهـ جـسـمـ الـعـالـمـ بـأـسـرـهـ ، وـاـذـا قـلـنـاـ النـفـسـ الـكـلـيـ
فـانـمـاـ نـعـنـىـ بـهـ نـفـسـ الـعـالـمـ بـأـسـرـهـ ، وـاـذـا قـلـنـاـ الـعـقـلـ الـكـلـيـ فـانـمـاـ نـعـنـىـ بـهـ الـقـوـةـ
الـاـهـمـيـةـ الـمـؤـيـدـةـ لـلـنـفـسـ الـكـلـيـةـ ، وـاـذـا قـلـنـاـ الـطـبـيـعـةـ الـكـلـيـةـ فـانـمـاـ نـعـنـىـ بـهـ هـافـوـةـ النـفـسـ
الـكـلـيـةـ السـارـيـةـ فيـ جـيـعـ الـاجـسـامـ الـمـحـرـكـةـ الـمـدـبـرـةـ طـاـ المـظـهـرـ بـهـ وـمـنـهـ أـفـعـاـهـاـ
وـآـثـارـهـ ، وـاـذـا قـلـنـاـ الـهـيـوـيـ فـانـمـاـ نـعـنـىـ بـهـ الـجـوـهـرـ الـذـيـ لـهـ دـاـوـلـ اوـ عـرـضـ وـعـمـقـ
فـهـوـ بـهـ جـسـمـ مـطـلـقـ ، وـاـذـا قـلـنـاـ الـاجـسـامـ الـبـسيـطـةـ فـانـمـاـ نـعـنـىـ بـهـ الـاـفـلـاكـ
وـالـكـوـاـكـبـ وـالـارـكـانـ الـاـرـبـعـةـ الـتـيـ هـيـ النـارـ وـاـهـوـاءـ وـمـاءـ وـالـاـرـضـ ، وـاـذـا قـلـنـاـ
الـنـفـسـ الـبـسيـطـةـ فـانـمـاـ نـعـنـىـ بـهـ قـوـىـ النـفـسـ الـكـلـيـةـ الـمـحـرـكـةـ الـمـدـبـرـةـ طـهـ الـاجـسـامـ
الـسـارـيـةـ فـيـهـاـ وـهـذـهـ الـقـوـىـ نـسـيـمـهـاـ الـمـلـائـكـةـ الـرـوـحـانـيـنـ فـيـ رـسـائـلـنـاـ ، وـاـذـا قـلـنـاـ
الـاجـسـامـ الـمـوـلـدـةـ فـانـمـاـ نـعـنـىـ بـهـ اـنـوـاعـ الـحـيـوـانـ وـالـنـبـاتـ وـالـمـعـادـنـ ، وـاـذـا قـلـنـاـ الـنـفـسـ
الـحـيـوـانـيـةـ وـالـنـبـاتـيـةـ وـالـمـعـدـنـيـةـ فـانـمـاـ نـعـنـىـ بـهـ قـوـىـ النـفـسـ الـبـسيـطـةـ الـمـحـرـكـةـ الـمـدـبـرـةـ
طـهـ الـاجـسـامـ الـمـوـلـدـةـ السـارـيـةـ فـيـهـاـ الـمـظـهـرـ بـهـ وـمـنـهـ أـفـعـاـهـاـ
فـاـذـا قـلـنـاـ الـاجـسـامـ الـجـزـئـيـةـ فـانـمـاـ نـعـنـىـ بـهـ اـشـخـاـصـ الـحـيـوـانـاتـ وـالـنـبـاتـ وـالـمـعـادـنـ
وـغـيـرـهـاـ مـنـ الـمـصـنـوعـاتـ عـلـىـ أـيـدـيـ الـبـشـرـ وـغـيـرـهـمـ مـنـ الـحـيـوـانـ
وـاـذـا قـلـنـاـ الـنـفـسـ الـجـزـئـيـةـ الـمـتـحـرـكـةـ فـانـمـاـ نـعـنـىـ بـهـ قـوـىـ النـفـوسـ الـحـيـوـانـيـةـ وـالـنـبـاتـيـةـ
وـالـمـعـدـنـيـةـ السـارـيـةـ فـيـ الـاجـسـامـ الـجـزـئـيـةـ الـمـحـرـكـةـ الـمـدـبـرـةـ طـاـ المـظـهـرـ بـهـ وـمـنـهـ أـفـعـاـهـاـ
واـحدـاـ وـاـحدـاـ مـنـ الـاشـخـاـصـ الـمـوـجـودـةـ تـحـتـ فـلـكـ الـقـوـرـ ، فـقـدـ بـاـنـ بـهـذـاـ أـنـ مـجـرـىـ
حـكـمـ الـعـالـمـ وـمـجـارـىـ أـمـورـهـ بـجـمـيعـ الـاجـسـامـ الـمـوـجـودـةـ فـيـهـ مـعـ اـخـتـلـافـ صـورـهـاـ
وـافـتـنـانـ أـشـكـالـهـاـ وـتـغـيـيرـ أـعـرـاضـهـاـ يـجـرـىـ مـجـرـىـ جـسـمـ الـأـنـسـانـ الـوـاحـدـ مـنـ النـاسـ
أـوـ الـحـيـوـانـ الـوـاحـدـ بـجـمـيعـ أـجـزـائـهـ الـمـخـلـفـةـ الـصـورـ وـمـفـاـصـلـهـ الـمـفـتـنـةـ الـاـشـكـالـ وـهـيـئـتـهـ
الـمـنـتـابـةـ الـاـعـرـاضـ ، وـاـذـا حـكـمـ سـرـيـانـ قـوـىـ نـفـسـ الـعـالـمـ فـيـ جـيـعـ أـجـزـاءـ جـسـمـهـ حـكـمـ
سـرـيـانـ قـوـىـ نـفـسـ اـنـسـانـ وـاـحـدـ فـيـ جـيـمـ أـجـزـاءـ بـدـنـهـ وـمـفـاـصـلـ جـسـدـهـ

﴿فصل﴾

واعلم أيها الاخ البار الرحيم أيدك الله وايا نا بروح منه ان العالم الذي سميته
انساناً كبيراً في أجزاءه ومجاري أمره أمثلة وتشبيهات دلالات على مجاري
أحكام العالم الذي هو انسان صغير ف يريد أن نذكر من تلك الامثلة طرفاً ليكون
أقرب لفهم المتعلمين ومن يريد أن يفهم حكم العالم ومجاري أمره في فروع
الموجودات التي في العالم من أصولها، تلك الاصول من أصول آخر قبلها الى
أن تنتهي الى أصل يجمعها كلها كمثل شجرة واحدة لها عروق وأغصان وعليها
فروع وفضبان وعلى تلك الفروع والفضبان أوراق وتحتها نور ونوار لها لون
وطعم ورائحة ، ومن وجہ آخر مجاري حكم الموجودات التي في العالم - فروعها
من أصولها وأصولها من أصول آخر الى أن تنتهي كلها الى أصل واحد كجري
حكم جنس الاجناس الذي تحته أنواع تسمى جنس المضاف ، وتحتها أنواع تسمى
أنواع المضاف وتحت تلك الانواع أشخاص كثيرة مختلفة الصور والأشكال
والاهيئات والاعراض لا يحصى عددها الا الله عز وجل ومن وجہ آخر مثل هذه
الموجودات الجنسية والنوعية والشخصية مع جنس الاجناس كمثل قبيلة لها
شعوب ، وشعوبها يطعون ، ولبطونها أخاذ ، ولا نفاذها عهمائر وطاعشائر وأقارب
ومن وجہ آخر مجاري حكم العالم في جميع موجوداته كجري حكم شريعة واحدة
فيها مفروضات كثيرة ولذلك المفروضات سبعة مختلفة ، ولذلك السنن أحكام متباعدة
ولذلك الاحكام حدود متغيرة يجمعها كلها دين واحد لاهله مذاهب مختلفة
ولكل أهل مذهب مقالات متغيرة ، وتحت كل قلة أقوال كثيرة مفتنة . ومن
وجہ آخر حكم العالم ومجاري أمره من فنون تركيب أفلام كهواختلاف حركات
كواكبها واستحالة بعض أركانه الى بعض وتولد اختلاف الكائنات المختلفة
الاشكال وافتتان اجناس ذاته وفنون جواهر معدنه وسريان قوى النفس الكلية
في هذه الاجسام وتحريكها إليها وتدبرها لها وبها ومنها كجري حكم دكان لصانع

واحد وله فيه أدوات وألات مختلفة الصور وله بها ومنها أفعال وحركات مفتنة ومصنوعاتها مختلفات الصور والأشكال والهيئات وقوة نفسه سارية فيها كلها وحكمه جار عليها بحسب ما يليق بوحد واحد منها . ومن وجه آخر مجاري أحكام الموجودات الجسمانية في العالم مع اختلاف صورها وأعراضها ومنافعها للنفس الكلية كجري حكم دار فيها بيوت وخزائن ، وفي تلك الخزائن آلات وأواني وأثاث لرب الدار وله فيها أهل خدم وغلمان وحكمه جار فيها وفيهم جميعاً وتدبره لهم منظم على اتقن ما تقتضيه السياسة الربانية والعناية الالهية . ومن وجه آخر حكم العالم الذي هو انسان كبير ومجاري اموره في الاجسام الكليات والبساط المولدات والمركبات الجزيئات وارتباط بعضها ببعض واحاطة بعضها ببعض من تركيب افلاته ونظام كواكبه ومقداره اجرامها وترتيب اركانه واستحالاتها وقرار معادنه واختلاف جواهرها وانواع نباته وثبات اصواتها وحركات حيوانه وتصرفها لمعايشها ومربان قوى النس الكلية من اداتها الى آخرها يحكم مدينة حوطها اسوار وفي داخلها محل وحانات ونواح ، فيها شوارع وطرقات واسواق في خلاطها منازل ودور فيها بيوت وخزائن فيها اموال وأمتعة وأثاث وألات وحوائج يملكونها كلها ملوك واحد له في تلك المدينة جيوش ورعيه وغلمان وحاشية خدم وأتباع وحكمه جار في رؤسائه جنده وأشراف مدینته وتناء بلده، وحكم اوئل الرؤساء والاشراف وتناء (١) جار في اتباعهم وحكم اتباعهم فيمن دونهم الى آخره ، وان ذلك الملك يسوس تلك المدينة وأهلها على احسنها من مراعاة امورهم واحداً واحداً صغيرهم وكبيرهم أو لهم وآخرهم لا يخل بوحد منها فبكذا يجري حكم النفس الكلية في جميع أجزاء العالم من الافلاك والكواكب والاركان والمولدات والمركبات والمصنوعات على أيدي البشر كجريان حكم ذلك الملك على تلك المدينة .

(١) تنأ تنوء بالمكان أقام به فهو ثاني والجمع تناء

وكذلك يسري حكمها في الأنفس البسيطة والجنسية والنوعية والشخصية في تصريفها لها وتحريكها وتدبرها للموجودات الجسمانية وأجناسها وأنواعها وأشخاصها صغيرها وكثيرها وأوطها وأآخرها وظاهرها وباطنها.

ثم أعلم أن مثل النفس الكلية كجنس الاجناس والأنفس البسيطة كالأنواع لها . والأنفس التي دونها كنوع الأنواع ، والأنفس الجزئية كالأشخاص مرتبة بعضها تحت بعض كترتيب العدد .

فالنفس الكلية كالواحد ، والبسيطة كالحاد والجنسية كالعشرات والنوعية كالمئات والأنفس الجزئية الشخصية كالألوان — وهي التي تختص بتدبر جزئيات الأجسام والأنفس النوعية مؤيدة لها . والجنسية مؤيدة للنوعية والنفوس البسيطة مؤيدة للجنسية .

والنفس الكلية التي هي نفس العالم مؤيدة للنفوس البسيطة والعقل الذي مoid لـ النفس الكلية ، والباري — جل ثناؤه — مؤيد للعقل الذي فهو مبدعها كلها ومدبر لها من غير مجازة لها ولا مباشرة فتبارك الله أحسن الخالقين .

ثم أعلم أيها الأخ كأن في تلك المدينة رجالاً ونساءً وأمشايخ وشباناً وصبياناً فنهم أخيار وأشرار وعلماء وجهال ومصلح ومنسد ، وأقوام مختلفون الطابع والأخلاق والآراء والاعمال والعادات فهكذا في العالم الكبير نفوس كثيرة بسيطة كافية وجزئية مختلفات الحالات : فنها نفوس علامات خيرة فاضلة ، ومنها نفوس علامات شريرة رذلة . ومنها جاهلة شريرة ومنها جاهلة غير شريرة .

فالنفوس العلامات الخيرية الفاضلة هي أجناس الملائكة وصالحو المؤمنين والعلماء من الجن والانسان ، والعلامة الشريرة مردة الشياطين وسحررة الجن والفراعنة والدجالون من الناس ، والجاهلة الشريرة أنفس السباع الضاربة والجهال الاشرار من الناس ، والجاهلة غير الشريرة أنفس بعض الحيوانات السليمة كالغنم والحمام وغيرها من الحيوان

﴿ فصل ﴾

ان أجساد بعض الحيوانات حبوس لنفوسها ومطامير لها وبعضها صراط يجذبون عليه وبعضها، يرثى الى يوم يبعثون . وبعضها أعراف لها ، هي عليها واقفون .

وقد بينا هذه المعانى في رسالة أخرى . وكما أن لا هل تلك المدينة فيها مساجد وبيع وصلوات ولا هل العلم والدين فيها مجالس وجماعات وأعياد وصلوات فهكذا مجرى في فضاء الاًفلاك وسعة السموات للملائكة جموع وتسابيح ودعوات كما ذكر الله تعالى « يسبحون الليل والنهار لا يفترون » وقال الله تعالى « وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم » وكما أن في تلك المدينة لا هلها فيها حبoses ومطامير ، عليها شرط وأعوان ، فهكذا في العالم الكبير للنفوس الشريرة جهنم ونيران وهاوية عليها ملائكة غلاظ شداد — وهو عالم الكون والفساد

ثم اعلم أيها الاخ أنه ليس كل نفس وردت الى عالم الكون والفساد تكون محبوسة فيه ، كما أنه ليس كل من دخل الحبس يكون محبوساً فيه بل ربما دخل الحبس من يقصد إنزال المحبوسين منه ، كما أنه قد يدخل بلاد الروم من يستنقذ أسارى المسلمين ، وإنما وردت النفوس النبوية الى عالم الكون والفساد لاستنقاذ هذه النفوس المحبوسة في حبس الطبيعة الغريبة في بحر الظيوبي الأسىرة في الشهوات الجسمانية

وكما أن المحبوس اذا اتبع من دخل الحبس لا خراج له خرج ونجا ، كذلك من اتبع الانبياء في شرائعهم وسننهم ومناهجهم نجا وتخلاص من جهنم وخرج من عالم الكون والفساد ونجا وفاز ولو كان بعد حين ، كما روى عن النبي عليه السلام أنه قال « لا يزال يخرج من النار قوم بعد قوم من أممٍ بعد ما دخلوها حتى لا يبقى في النار أحدٌ ممن قال لا إله إلا الله مخلصاً في دار الدنيا » وذلك قول الله تعالى

« واز منكم الا واردها كان على ربكم حماً مقضياً ثم نجى الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيَا» وكما أذ في تلك المدينة لا ملها جناناً وميادين وأهاراً وبساتين وفيها مجالس لزفة النفوس وبرحة وسرور ولذة ونعم
فهي كذا في فضاء الافلاك وسعة السوات لاهاتها فيها فسحة وجنان وروح
وريحان ونسمة ورضاوان ، كما ذكر في التوراة والانجيل والقرآن من وصف الجنان.
ففهم يا أخي هذه الارشادات والتبيهات واتبه من نوم الغفلة ورقده
الجهالة وقد روى في الخبر أن أرواح الشهداء في حوصل دير خضر تسحر في الجنان
بالنهار على رؤوس أشجارها وأهارها وأزهارها وتتأوي بالليل إلى قناديل معلقة
تحت العرش وذلك قول الله تعالى « ولا تحيطون الذين قتلوا في سبيل الله أمواناً
بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم
يلحقوا بهم من خلفهم إلا خوف عليهم ولا يحزنون . يستبشرون بنعمة من الله
وفضل وإن الله لا يضيع أجر الحسين » وكما أن لأهل تلك المدينة فيها لاهاتها
صناعاً وعمالاً لهم أجراً وأرزاق وفيها باعة وتجار يتعاملون بموازين ومكابيل و لهم
مظالم وخصومات و لهم فيها قضاء وعدول و لهم فقه وأحكام و فصول و قضايا
— وإن من سنة القضاة البروز والجلوس لفصل القضايا في كل سبعة أيام يوم
واحد فهكذا يجري حكم النفس الكلية في الانفس الجزئية في كل سبعة آلاف سنة
مرة تعرض النفوس الجزئية لدى النفس الكلية فتبرز النفس الكلية لفصل القضايا
بینها بالحق . فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتيتنا بها و كفى
بنا حاسبين .

وروبي عن النبي ﷺ أنه قال « عمر الدنيا سبعة آلاف سنة بعثت في آخر الف
منها » وقال « لاني بعدي » وعلى آخر هذه المدة تقوم الساعة . وإلى هذه المدة
أشار قوله تعالى « واذ أخذ ربك من بي آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على
أنفسهم أنت برّكم قالوا إلی شهدنا أن نقولوا يوم القيمة أنا كنا عن هذا غافلين »
وهذا الخطاب كان يوم الميثاق وهو يوم العرض الأول ويوم القيمة هو يوم

العرض الثاني السكائن بينها مدة سبعة أيام كل يوم كألف سنة كما قال الله تعالى
 «وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعودون» والى هذا اليوم أشار بقوله تعالى
 «و يوم نحشر من كل أمة فوجا من يكذب بما آتانا فهم يوزعون» وقال «يوم
 يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا انك أنت علام الغيوب» وقال
 «كم لبستم في الارض عدد سنين قالوا لبتنا يوماً أو بعض يوم فسائل العادين»
 وكان يوم الحكم يقعد القضاة ويحضرون العدول ويدعى الشهود ويحشرون
 والخصوم ويخرج السكوك ويفصل الحكم، وهكذا يوم عرض المحبس يخرج
 الوالي ويحضر الاعوان ويخرجن المحبسين وتتبين براءة قوم منهم فيطلبون
 وفوم تقام عليهم الحدود ويخلون ، وفوم يخلدون في الحبس الى يوم الفصل الثاني ،
 وهكذا يوم عرض النفوس، يخرج الوالي ويخرج الدواوين ويحضر الكتاب
 ويدعو المنبيين لاعرض وتعلن أرزاق المس تحققن ويزداد قوم وفوم ينقصون ،
 ويثبت قوم وفوم يسقطون ، وهكذا تجري حكم النفس الكالية في الانس الجزرية
 يوم الدين لأن الله تعالى جعل أحكام الدنيا ومحاري أمرها أمثلة وأشار بها الى
 أحوال القيامة ومحاري أمرها فاعتبروا يا أولى الابصار وتقربوا يا أولى الالباب
 «ان ما عندكم كم ينقدوما عند الله باق» وانما ذكر الله الميزان والوزن والعدد يوم
 الحساب لأن النصفة بين الناس لا تتبين لهم الا بالـ كيل والوزن والمدد والذرع وهذه
 كلها كالموازين تعرف بها مقادير الاشياء فن أجل هذا ونضع الموازين القسط ليوم
 القيمة ولم يقل ونضع الميزان فان توهم متوجه أن الذى وعده النبي عليه الناس يوم
 القيمة من وزن الاعمال من الخير والشر ، وهذه اعراض لاتثبت وتتبين ، فكيف
 يكون وزنها ، فليعلم أن الوزن إنما يحتاج اليه ليعلم مقدار الشيء ليقابل به أو
 يزداد عليه أو ينقص منه ، وهذا المعنى شائم في الاعراض، جار فيها مثل العروض
 الذي هو ميزان الشعر الذي به يعرف استواوه وزائده وناقصه
 والشعر عرض من الاعراض، وممثل البنكان والاصطراب وأمثالها من الآلات
 يعرف بها مقادير الزمان من الزيادة والنقصان والتساو ، والزمان عرض من

الاعراض ومثل الدراع الذي يعرف به الطول والقصر والبعد والقرب والكبير والصغر ، وهي اعراض كلها . ومثل المسطرة والبركار يعرف بهما الاستواء والاعوجاج وهما عرضان . ومثل الصنجات والارطال يعرف بهما الثقل والخففة والزيادة والنقصان وهي اعراض كلها – فالذى ينكره المتوفى أن يكون لاعمال الخير والشر ميزان يعرف به مقدار الخير والشر وله قوم يعرفون كيفية وزن الاعمال وهي صناعتھم ، كما أن تلك الموازين التي ذكرنا لکل واحد منها قوم هي صناعتھم ، واخواننا الفضلاء هم أهل هذه الصناعة واليھا ندعوا اخواننا الباقيين . تمت الرسالة . وبعد هذه زيادة لم توجد في سائر النسخ ولعلها زيدت من

رسائل متقدمة

فصل

اعلم ايها الاخ البار الرحيم أيدك الله وايانا بروح منه أن العالم بأسره كرة واحدة تنفصل احدى عشرة طبقات : تسمى منها هي أفالاک كريات مجوفات مشفات وكواكبها أيضاً كلها كريات مستديرات مضيئات ، وحركتها كلها دورية وذلك ان الفلك الحبيط يحيط بمحببيع ما يحيطى من الافالاک والكواكب يدور حول الارض في كل أربع وعشرين ساعة دورة واحدة وكذلك كل كوكب يدور في فلك مختص به أو دائرة حركة دورية في زمان معلوم ، وكلها دارت دورة استأنقت ثانية كما وصفنا في رسالة مدخل النجوم ورسالة السماء والعالم ورسالة الأدوار والاکوار . ودون فلك القمر كرتان احداهما النمار والهوا ، والآخرى الماء والارض . وكل واحدة منها كربة الشكل محنيطات أو اخرها متصلة بأوائلها . بيان ذلك أن النار متصل أولها بفلك القمر وأخرها بطبعية الزهرير . والزهرير آخره متصل محبيط بالماء والارض كما ذكرنا في رسالة الآثار العلوية . وأما الأرض بمحببيع جبارها وبمحارها فهي كرة واحدة فإذا اعتبر شكل الجبال والأهار على بسيط الأرض وتأمل ، تبين أن كل واحد منها كأنه قطعة قوس من محبيط الدائرة ، وأما أشكال البحار فكل واحد كأنه فشر من سطح جسم كرى

﴿فصل﴾

وهكذا أحوال الكائنات اذا اعتبرت ونأملات تبين أن أكثرها كريات الشكل ومستديرات: من ذلك أن أكثر الاشجار وأوراقها وحب النبات ونوارها كريات الاشكال ومستديرات . وهكذا أكثر مصنوعات البشر كما بینا في رسالة الهندسة . وأما أحوالها فدائرة أيضاً بعطف أوائلها على أواخرها مثل دوران الزمان من الشتاء الى الربيع ، ومن الربيع الى الصيف ، ومن الصيف الى الخريف ومن الخريف الى الشتاء . وهكذا دوران الليل والنهار حول كرة الارض كما بینا في رسالة الهيولى

و كذلك الحكم في دوران مياه الامطار والبحار والفيوم والامطار فأنه كالدولاب الدائير . وذلك أن الفيوم والسباح تنشأ من البحر الصاعد من البحر والامطار وتسوقها الرياح الى القفار ورؤوس الجبال وتعمار هناك فتجتمع السيل الى الاودية والامطار فذهب راجعة الى البحر ثم تصعد ثانية ، وذلك تقدير العزيز العليم . وكذلك حال النبات وتكوينه من التراب والماء والنار والهواء ورجوعه اليها في دورانها كالدولاب . وذلك أن النبات ينمو وينشأ ويم ويكلّ حتى اذا بلغ الى أقصى غياته ومتناها رجع عنده الى والنساد إلى ما تكون منه . وبيان ذلك أن النبات يتعص بعروقه اطائف الاركان ويصير منه ورق وعمار يتناولها الحيوان بالاغتناء فتستجيئ في بعض ابدانه لحاماً ودماماً ، وبعضاها تقللاً وسحادة ، ويرد الى أصول النبات ليغتصب منه ويصير حباً وعماراً ثانياً ويتناوله الحيوان أيضاً . فإذا تأمل هذا من حالها وجد أنه دولاب دائير

وأما أجسام الحيوان فأنها كلها تعود الى التراب وتبلل وتصبر توابياً ، ويكون منها ثانياً النبات ومن النبات حيوان كما بینا قبل فإذا تأمل ذلك أيضاً وجد أنه دولاب يدور . وأما أحوال البشر اذا اعتبرت فكلها دائرة كالدولاب وذلك أن الانسان يبتدىء كونه من النطفة ثم ينشأ وينمو ويم ويبلغ الى أن يتولد منه النطفة فينتهي العود الى حيث خرج لقضاء شهوته ونتاج مثله . وكذلك بهذه

كونه ناقص القوة ضعيف البنية ثم يرتقي ويترأى إلى أن يصل أشدّه ثم يأخذ في الانقطاع والنقص إلى أن يردا إلى أرذل العمر كما كان بدياً وكما ذكر سبحانه وتعالى : « ولقد خلقنا الإنسان من سلاة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علة فخلقنا العلة مضعة فخلقنا المضعة عظاماً فـكـونـا العـظـامـ لـهـاـمـ أـنـشـأـنـاهـ خـلـقاـمـ آخرـ ذـبـارـكـ اللهـ أـحـسـنـ الـخـالـقـينـ ،ـ ثـمـ أـنـكـ بـعـدـ ذـلـكـ لـمـ يـتـوـنـ ».ـ وـكـاـلـ سـبـحـانـهـ «ـ خـلـقـنـاـكـمـ مـنـ تـرـابـ ثـمـ مـنـ نـطـفـةـ ثـمـ مـنـ عـاـقـةـ ثـمـ مـنـ مـضـعـةـ مـخـلـقـةـ وـغـيرـ مـخـلـقـةـ لـنـبـيـنـ أـنـكـمـ وـتـقـرـ فـيـ الـأـرـاحـمـ مـاـشـاءـ إـلـىـ أـجـلـ مـعـيـ ثـمـ نـخـرـجـكـ مـاـنـلاـ ثـمـ لـتـبـلـنـواـ أـشـدـكـ ثـمـ لـتـكـوـنـواـ شـيـوخـاـ وـمـنـكـ مـنـ يـتـوـفـ وـمـنـكـ مـنـ يـرـدـ إـلـىـ أـرـذـلـ ».ـ العـمـرـ لـكـيـلاـ يـعـلـمـ مـنـ بـعـدـ عـلـمـ شـيـئـاـ .ـ

فصل

واعلم يا أخي أيديك الله وإيانا بروح منه أن هذه الموجودات التي تحت فلك القمر نظاماً وترتباً أيضاً في الوجود والبقاء وهي مرتبة بعضها تحت بعض متصل أواخرها باوائلها كترتيب العدد وترتيب الأفلاك .

بيان ذلك انه لما كان ترتيب أجزاء العالم محيطات بعضها بعض وهي إحدى عشرة كرة تسمى منها في عالم الأفلاك أو لها من لدن فلك المحيط وآخرها الى منتهى فلك القمر وأواخرها متصلة باوائلها كما بينا في رسالة السماء والعالم ، وكان اثنان منها دون فلك القمر وهي كرة النار والهواء وكرة الماء والارض ، وهي مقسمة على أربع طبائع أو لها الاتير وهو نار ماتهية دون فلك القمر ودونه الهواء وهو جسم سيال ودونه الزمهرير والبرد المفترط ودونه الماء المفترط : ازطوبه ودون الأرض المفترطة الييس .

وهذه الاربعة محفوظة كلياً لها فرآكزها ومتصلة أو اخرها بأوائلها متحيلة
جزئياتها بعضها الى بعض كما يبينا في رسالة الكون والفساد.
فاما الكائنات منها التي هي جزئياتها فهي المعادن والنبات والحيوان وهذا
نظام وترتيب متصل او اخرها بأوائلها كترتيب الافلاك والا رakan . بيان ذلك
(١٥-٠)

أن المعادن متصلة أوائلها بالتراب وأواخرها بالنبات أيضاً والنبات متصل آخره بالحيوان والحيوان متصل آخره بالانسان ، والانسان متصل آخره بالملائكة ، والملائكة أيضاً لها مراتب ومقامات متصلة أو اخرها بأوائلها كما بينا في رسالة الروحانيات . وزريد أن نذكر في هذا الفصل مراتب الكائنات من الاركان الاربعة التي هي المعادن والنبات والحيوان فنقول : إن المعادن اذا تأملت وجدت إما ماء يلي التراب فهو الجص ، وإما ماء يلي الماء فهو الملح . وذلك أن الجص هو تراب رمل يقبل الامطار ثم ينعقد ويصير جصاً ، وأما الملح فإنه ماء ينترج بالتربة السبخة ثم ينعقد فيصير ملحًا

وأما أواخر المعادن مما يلي النبات فهو الكلأة والفطر وما شاكل ذلك وذلك ان هذا الجنس من الكائنات يتكون في التراب كالمعادن ثم ينبت في الموضع الندي في أيام الربيع من الامطار كما ينبت النبات ولكن من أجل أنه ليس له ثمرة ولا ورقة ويكون في التراب كات تكون الجواهر المعدنية وعلى اشكالها صار يشبه المعادن ، ومن جهة أخرى يشبه النبات

فاما باقي أنواع الجواهر المعدنية ففيما بين هذين الحدين أعني الجص والكلأة وقد بينا في رسالة أنواعها وأجناسها وخصائصها ونافعها

واما النبات فاقول إن هذا الجنس من الكائنات متصل أوله بالمعدن كما بينا في رسالة المعادن وأخره بالحيوان أيضاً . بيان ذلك أن أول مرتبة النباتية وأدونها مما يلي التراب وهو خضراء الدمن ليس بشيء سوى غبار يتبلد على الأرض والصخور والاحجار ثم يصبح بلال الامطار وندا الليل فتصبح بالفالدوات خضراء كما أنها نبت زرع وحشائش فإذا أصابها حر الشمس نصف النهار رجعت ثم تصبح من غد مثل ذلك من ندوة الليل وطيف النسيم ولا تنبت الكلأة ولا خضراء الدمن الا في أيام الربيع في البقاع المتجاورة لتقارب ما بينهما لان هذا معدنه نباتي وذلك نبات معدني .

﴿ فصل ﴾

وأما النخل فهو آخر مرتبة النباتية مما يلي الحيوانية : وذلك أن النخل نبات حيواني لأن بعض أفعاله وأحواله مماثل لاحوال النبات وإن كان جسمه نباتاً، بيان ذلك أن القوة الفاعلة فيه منفصلة عن القوة المنفعلة.

والدليل على ذلك أن أشخاص الفحولة منه مماثلة لأشخاص الآلات ، والفحولة من أشخاصه لقاح في أنماطها كما يكون ذلك في الحيوان.

وأما سائر النباتات فإن القوة الفاعلة منه ليست منفصلة عن المنفعلة بالشخص بل بالفعل حسب كماينا في رسالة النبات

وأيضاً فإن النخل إذا قطعت رءوسها جفت وبطل نموها ونشوءها وآماراته وكذلك موجود في الحيوان : فهذا الاعتبار يبين أن النخل نبات بالجسم حيوان بالنفس : إذ كانت أفعاله أفعال النفس الحيوانية وشكل جسمه شكل نباتي

وفي النبات نوع آخر فعله أيضاً فعل النفس الحيوانية ولكن جسمه جسم نباتي وهو الكثوث : وذلك أن هذا النوع من النبات ليس له أصل ثابت في الأرض كما يكون لسائر النباتات ولا له أوراق كاوراقها بل إنما يتلف على الأشجار والزروع والشوك فيما تتصبّع منها ويتجذّر كما يفعل الدود الذي يدب على ورق الأشجار وقضبان النبات وتقرضها فيها كماها ، ويتغذى هذا النوع من النباتات وإن كان جسمه يشبه النباتات فإن فعل نفسه فعل الحيوان . فقد بان مما وصفنا أن آخر مرتبة النباتية متصل بأول الحيوانية ، وأما سائر مراتب مرتبة النباتية ففيما بين هذين

﴿ فصل ﴾

واعلم يا أخي بأن أول مرتبة من الحيوانية أيضاً متصلة بآخر النباتات ، كما أن أول النباتية متصلة بآخر المعدنية وأول المعدنية متصلة بالتراب والماء كماينا قبل

فأدون الحيوان وأقصه هو الذي ليس له إلا حاسة واحدة فقط وهو الحلزون ، وهي دودة في جوف أنبوبة تنبت تلك الأنبوة على الصخر الذي في سواحل البحار وشطوط الأنهار ، وتلك الدودة تخرج نصف شخصها من جوف تلك الأنبوة وتنبسط مادتها يتغذى بها جسمها ، فإذا أحسست ببرطوبة ولين انسطت إليه ، فإن أحسست بخشونة أو صلابة اقبضت وغاصت في جوف تلك الأنبوة حذراً من مؤذ لجسمها أو مفسد لها كلها وليس لها سمع ولا بصر ولا شم ولا ذوق إلا اللمس ثُمَّ . وهكذا أكثر الديدان التي تكون في الطين في قبور البحار وأعماق الأنهار ليس لها سمع ولا بصر ولا ذوق ولا شم لأن الحركة الالهية لا تعطي الحيوان عضواً لا يحتاج في جر المنفعة أو دفع المضرة ، لأنَّه لو أعطاها مالاً تحتاج إليه كان وبالاً عليها في حفظها لبقائها . فهذا النوع حيوان نباتي لأنَّه ينبع جسمه كما ينبع بعض النباتات ويقوم على ساقه قائماً ، وهو من أجلَّ أنه يحركه حركة اختيارية حيوانية ، ومن أجلَّ أنه ليست له إلا حاسة واحدة فهو أقصى الحيوانات رتبة في الحيوانية

أما تلك الحاسة فقد شارك بها النباتات : وذلك لأنَّ النبات له حس اللمس حسب ، والدليل على ذلك إرساله العروق نحو النهر في الموضع الندي وامتناعه عن إرسالها نحو الصخور والبيس وأيضاً فإنه متى اتفق منبعثه في مضيق مال وعدل عنه طالباً للفسحة والسعنة فإنَّ كأنَّ فوقه سقف يمنعه من الذهاب علواً وترك له ثقب من جانب مال إلى نحو تلك الناحية التي إذا طال ظلم من هناك ، وهذه الأفعال تدل على أنَّ له حساً وتمييزاً بمقدار الحاجة . فاما حس الألم فليس للنباتات ، وذلك لأنَّه لم يلق بالحركة الالهية أنَّ يجعل للنباتات ألمًا وهي لم تجعل له حيلة الدفع ، كما جعلت للحيوان ، وذلك لأنَّ الحيوان لما جعل له أنَّ يحس بالألم جعل له أيضاً حيلة الدفع إما بالقرار والهرب وإما بالتحرر وإما بالهشاشة . فقد بان مما وصفنا كيفية مرتبة الحيوانية مما يلي النبات فنريد أن نذكر ونبين كيفية مرتبة الحيوانية مما يلي الإنسانية — ليست من وجه واحد ولكن من عدة

وجوه — وذلك أن رتبة الإنسانية لما كانت معدن الفضائل وينبع المناقب لم يستوعبها نوع واحد من الحيوان ، ولكن عدّة أنواع فنها ما قارب رتبة الإنسانية بصورة جسده مثل القرد ، ومنها بالأخلاق النسانية كالفرس في كثير من أخلاقه وكالطاير الانسي أيضا ، ومثل الفيل في ذكائه وكالبيغاء والهزار ونحوهما من الاطياف الكثيرة الا صوات والألحان والنغمات ، ومثل ذلك التحلل اللطيف الصنائع إلى ما شاكل هذه الاجناس ، وذلك انه مامن حيوان يستعمله الناس أو يأنس بهم إلا وله في نفسه شرف وقرب من نفس الإنسانية فاما القرد فالقرب شكل جسده من شكل جسد الإنسان صارت نفسه تحاكي أفعال النفس الإنسانية وذلك منه متعارف بين وأما الفرس الكرم فإنه قد بلغ من كرم أخلاقه أن صار مرکباً للملوك ، وذلك انه ربما بلغ من حسن أدبه أن لا يبول ولا يروث مادام بمحضرة الملك أو حامله ولو أيضاً مع ذلك ذكاء واقتدار في اهليجاء وصبر على الطعن والجرح كما يكون لارجل الشجاع كما وصف الشاعر حيث يقول :

وإذا شكى مهرى الى جراحة عند اختلاف الطعن قلت له أقدما لما رأني لست أقبل عنده عض المصيم على الاجام ومحجا وأما الفيل فإنه يفهم الخطاب بذكائه ويعتزل الامر والنهي كما يعتزل الرجل العاقل المأمور المنهي . وهذه الحيوانات في آخر مرتبة الحيوانية مما يلي رتبة الانسان لما يظهر منها من الفضائل الإنسانية وأما باقي أنواع الحيوانات ففيما بين هاتين المرتبتين ، وإذا قد فرغنا من ذكر مرتب الحيوانية مما يلي رتبة الإنسانية فينبغي أن نذكر أول مرتبة الإنسانية مما يلي الحيوانية

* فصل *

اعلم يا أخي أن ادون رتبة الإنسانية مما يلي الحيوانية هي رتبة الذين لا يعلمو من الامور الحسوسات ولا يعرفون من الخيرات الا الجسمانيات ، ولا يطلبون

الإصلاح الاجساد ولا يرغبون إلا في الدنيا ولا يمتنون الا الخلود فيها مع علمهم أنهم لا سبيل لهم إلى ذلك ! ولا يشتهون من اللذات إلا الاكل والشرب مثل البهائم ولا يتنافسون إلا في الجماع والنكاح كالخنازير والحمير ، ولا يحرضون إلا في جمع الذخائر متع الحياة الدنيا يجتمعون مالا يحتاجون إليه كالنمل وبخباون مالا ينتفعون به كالعقائق ، ولا يعرفون من الزينة إلا صباغ اللباس كالطواويس يتهارشون على حطام الدنيا كالكلاب على الجيف وان كانت صورتهم الجسدانية صورة الانسان فان افعال ذمومهم افعال النفوس الحيوانية والنباتية

﴿فصل﴾

اعلم ايها الاخ ماعامت وأعمل بما أودعت أعاذك الله أياها الاخ البار الرحيم من نزغات الشيطان الرجيم ووفقك الله وابانا وجميع إخواننا بمنه الكريم (تمت رسالة معنى قول الحكيم إن العالم انسان كبير وينبئها رسالة العقل والمعقول)



الرسالة الرابعة

من النسانيات العقليات

في العقل والمعقول

﴿ وهي الرسالة الخامسة والثلاثون من رسائل أخوان الصفا ﴾



الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . آللله خير أما يشركون
 اعلم أيها الاخ أيديك الله وإيانا بروح منه أنا قد فرغنا من بيان قول الحكاء
 ان العالم إنسان كبير وأوردنا المثالات والاشارات والتبيهات حسب ماجرت
 عادة اخواننا الكرام قد سبق منا ذكر المبادئ العقلية وبيننا فيه كيفية اختراع
 الموجودات وتكون المخلوقات ، وكذلك قد سبق منا في رسالة الحواس والمحسوس
 بياناً أن المحسوسات كلها أعراض جسمانية وهي كلها في الهيولي الجسماني ، وأن
 إدراك النفس لها بطريق الحواس بقوتها الحاسة وأن الحواس كلها آلات جسدانية
 وأن الحس هو تغيير مزاج تلك الحواس عند مباشرة المحسوسات لها وأن
 الاحساس هو شعور القوى الحاسة بتغيير تلك الأمزجة فنريد أن نذكر في
 هذه الرسالة الملقبة بالعقل والمعقول ونبين أن المقولات أيضاً كلها صور روحانية
 تراها النفس في ذاتها وتعاينها في جوهرها بعد مشاهدتها لها في الهيولي بطريق
 الحواس إذا هي اتبعت من نوم الغفلة ورقدة الجمالة ونظرت بعين البصيرة الى
 نور العقل واستضاءت بضيائه وتجملت بيائه

واعلم يا أخي أن العقل اسم مشترك يقال على معينين : أحدهما ماتشير به الفلاسفة إلى أنه أول موجود اخترعه الباري جل وعز وهو جوهر بسيط روحاني محيط بالأشياء كلها إحاطة روحانية . والمعنى الآخر ما يشير به جهور الناس إلى أنه قوة من قوى النفس الإنسانية التي فعلها التفكير والرواية والنطق والتبييز والصنائع وما شاكلها ، فنريد أن تتكلّم في هذه القوة ونبين أقسامها ونصف أفعالها وكيفية إدراكها صور المعلومات في ذاتها وجوهرها

واعلم يا أخي أنه لما كان العقل الذي نحن في ذكره قوة من قوى النفس الإنسانية هي أيضاً قوة من قوى النفس الكلية والنفس الكلية هي فيض فاض من العقل الكلى الذي هو أول فيض فاض من الباري جل وعز وهي كلها تسمى موجودات أولية احتاجنا أن نذكر أولاً أقسام الموجودات ومamente الموجود ، ومعنى الوجود والعدم وطرق العلم بها

واعلم يا أخي أن لفظة الموجود مشتقة من وجد يجده وجداً فهو واجد وذاك موجود ، فالموجود يقتضي الواجب لا يهم ما من جنس المضاف . وقد بينا معنى جنس المضاف في رسالة المنطق

واعلم أن كل واجد من البشر شيئاً - إذا وجد شيئاً - فإن وجدانه له لا يخلو من إحدى الطرق الثلاث : إما بحادي القوى الحسارة كما بينا في رسالة الحاس ، وإما بحادي القوى العقلية التي هي الفكرة والرواية والتبييز والفهم والويم الصادق والذهن الصافي ، وإما بطريق البرهان الفروري كما بينا في رسالة البراهين التي هي طريق الاستدلال ، وليس إلى الإنسان طريق إلى المعلومات غير هذه

وأما معنى العدم فهو ما يقابل كل نوع من هذه الطرق الثلاث : فيقال معدوم من درك الحس له ، ومعدوم من تصور العقل ، ومعدوم من إقامة البرهان عليه . وأما علم الباري جل ثناؤه بالأشياء فليس من هذه الطرق الثلاث بل أشرف وأعلا من هذه كلها وذلك أنه لا يقال للباري سبحانه إنه واجد للأشياء ، بل

يقال إنه وجد محدثاً مخترعاً وبداعياً وبمق وجهة نظره .

واعلم أنها الاخ إنما علم الانسان بالباري عزوجل وووجهاته له باحدى طرفيتين إحداهما عموم والآخر خصوص ، فالعموم هي المعرفة الفرزية التي في طباع الخلائق أجمع بهويته : وذلك أن الناس كلهم العالم والجاهل والخير والشرير والمؤمن والكافر كلام يفزعون عند الشدائدين الله ويستغبون به ويتضرعون إليه حتى البهائم أيضاً في سنن الجدب ترفع رءوسها إلى السماء تطلب الغيث ، فهذا العلم منهم يدل على معرفتهم بهويته

وأما معرفة الخصوص فهي بالوصف له والتجريدة والتزييه والتوحيد وهي التي بطرق البرهان وبختص بها فضلاء الناس وهم الانبياء وال الأولياء والحكماء والاخبار والابرار كما وصفهم فقال في حكم تنزيله «سبحان الله عما يصفون لا عباد الله الخالصين » وهي معرفة ضرورية

واعلم يا أخي بأن الموجودات كلها التي وجدتها الباري سبحانه وتعالى بأى طريق كان وجدها ليست تخلو من أن تكون جواهرأً أو أعراضأً أو مجموعاً منها ، هيولى أو صورة أو مركباً منها ، علا أو معلومات ، أو مشاراً إليها جسمانياً أو روحانياً أو مقرضاً بينها ، بسيطاً أو مركباً أو جملتها . ولما كانت هذه الأقسام محتوية على الموجودات كلها احتجنا أن نبين نفس معانى هذه اللفاظ الغامضة التي تأه فيها أكثر العلماء عن الوقوف على حقائق معانىها

واعلم يا أخي بأن الموجودات كلها صور وأعيان غيريات أفضها الباري عزوجل على العقل الذي هو أول موجود جاد به الباري وأوجده ، وهو جوهر بسيط روحي فيه جميع صور الموجودات غير مترافق ولا متراجمة ، كما يكون في نفس الصانع صور المصنوعات قبل إخراجها ووضعها في الهيولي وهو فائض تلك الصور على النفس الكلية دفعه واحدة بلا زمان كفيض الشمس نورها على الهواء . وأن النفس قابلة لتلك الصورة تارة وفائضة على الهيولي تارة ، كما يقبل القمر نور الشمس تارة ويفيض على الهواء تارة . وأن الهيولي قابلة لتلك الصور

من النفس الكافية شيئاً بعد شيء على التدرج بالزمان ، كما يقبل الهواء نور القمر في وقت دون وقت ومن مسامته دون مسامته ، كما يقبل التلميذ من الأستاذ شيئاً بعد شيء .

واعلم يا أخي أن صور الموجودات كلها يتلو بعضها بعضاً في الحدوث والبقاء عن العلة الأولى التي هي الباري عز وجل ، كما يتلو العدد أزواجاً فراده بعضها بعضاً في الحدوث والنظام عن الواحد الذي قبل الاثنين . ثم اعلم أن هذه الالفاظ كلها ألقاب وسمات يشار بها إلى الصور ليميز بين إضافات بعضها إلى بعض ، كما يميز بين الأعداد بالالفاظ : وذلك أن الصورة الواحدة تارة تسمى هيولى وتارة تسمى جوهرية وتارة تسمى عرضية وتارة بسيطة وتارة مركبة وتارة رحانية وتارة جسمانية وتارة علة وتارة معلولة وما شاكل هذه الالفاظ ، كما يسمى العدد الواحد تارة نصفاً وتارة ضعفاً وتارة ثلثاً وتارة ربعاً وتارة غير ذلك لاضافة بعضها إلى بعض . مثال ذلك أيضاً أن القميص هو أحد الموجودات الجسمانية الصناعية المدركة بالحس ، وما هيته أنه صورة في الثوب . والثوب هيولي لها ، وما هيته الثوب أيضاً أنها صورة في الغزل والعزل هيولي لها ، والغزل أيضاً ما هيته أنه صورة في القطن والقطن هيولي لها ، والقطن أيضاً ما هيته أنه صورة في النبات والنبات هيولي لها ، والنبات أيضاً ما هيته أنه صورة في الأجسام الطبيعية التي هي النار والهواء والماء والأرض ، وكل واحد منها أيضاً صورة في الجسم المطلق كما يبينا في رسالة الكون والفساد . والجسم المطلق أيضاً صورة في الهيولي الأولى كما يبينا في رسالة الهيولي ، وهيولي الأولى هي صورة روحانية فاضت من النفس الكافية والنفس الكافية أيضاً هي صورة روحانية فاضت من العقل الكلي الذي هو أول موجود أوجده الباري عز وجل كما يبينا في رسالة المبادي العقلية فقد بان لك بهذا المثال أن الموجودات كالماء صور متعلقة حدودها وبقاوها يتلو بعضها إلى أن تنتهي إلى المبدع الأول الذي هو الباري عز وجل كمتعلق حدوث العدد أزواجاً وأفراده عن الواحد الذي قبل الاثنين . واعلم يا أخي أن

هذه الصور كل واحدة منها مقومة لشيء ، أما جوهرية له متممة لشيء آخر أو عرضية له . والفرق بينهما أن الصورة الجوهرية المقومة لشيء هي التي إذا انخلعت عن الهيولي بطل وجدان الشيء ، والصورة العرضية المتممة هي التي إذا انخلعت عن الهيولي لم يبطل وجدان الهيولي . مثال ذلك أن الخياطة هي صورة مقومة للذات القبيص جوهرية له لأنها بها يكون الثوب قيضاً ومتمنة للثوب عرضية فيه بيان ذلك أنه إذا انخلعت الخياطة عن الثوب بطل وجدان القبيص ولم يبطل وجدان الثوب ، وهكذا النساجة صورة في الثوب جوهرية ومتمنة له وعرضية في الغزل ومتمنة له ، فإذا أسلت صورة الثوب التي هي النساجة بطل وجدان الثوب ولم يبطل وجدان الغزل ، وهكذا القتل في الغزل صورة جوهرية مقومة للذات الغزل وعرضية متمنة للذات القطن ، فإذا نكث الغزل من إبرامه بطل وجدان القطن ، وهكذا صورة الزئير^(١) جوهرية في القطن مقومة له عرضية في النبات متممة له ، فإذا بطل الزئير بطل وجدان القطن ولم يبطل وجدان الجسم النباتي وهكذا إذا بطلت صورة النبات صار تراباً أو ناراً أو ماء أو هواء ، فإذا أطفئت النار صارت هباء والهواء أحد أجسام الطبيعة . وعلى هذا القياس إذا انخلعت صورة من صور الأركان الأربع بطل أن يكون موجوداً ذلك الركن ولكن لم يبطل أن يكون جمماً ، وإذا انخلعت الصورة الجسمية من الهيولي الأولى لم تبطل الهيولي أن تكون جوهراً بسيطاً معقولاً ، وإن بطلت الهيولي لم تبطل النفس ، وإن بطلت النفس لم يبطل العقل ، وإن بطل العقل لم يبطل المبدع الأول الذي هو الباري جل وعز . ومثال هذا من العدد أن العشرة هي صورة واحدة ترتب فوق التسعة : فإذا أُسقط الواحد منها بطلت صورة العشرة ولم يبطل صورة التسعة ، وإن أُسقط من التسعة واحد بطلت صورة التسعة ولم يبطل صورة الثانية . وعلى هذا القياس تنحدل صورة العدد واحداً واحداً إلى أن ينتهي

(١) الزئير : يراد به هنا التكافف والتضام من زأر البستان والغاية تضامن فروع أشجارها

إلى اثنين الذي هو أول العدد، وإذا أخذ منها واحد بطلت صورة الاثنين أيضاً، وأما الواحد الذي هو قبل الاثنين فلا يمكن أن يؤخذ منه شيء لأن صورته من ذاته وهو أصل العدد ومشؤه واليه يرجع العدد عند التحليل، كما منه نشأ عند التركيب

فقد باز بهذا المثال أن الموجودات كلها صور غيريات: وهي أعيان الأشياء وأنها متتاليات في الحدوث والبقاء كمتتالي العدد من الواحد... وإنها كلها من الله مبدأها واليه مرجعها كما ذكر في كتابه على لسان نبيه فقال «إلى الله مرجعكم جميعاً» وقال «والله ترجع الأمور» وقال الله تعالى «كما بدأنا أول خلق نعيده» كما ان العدد الى الواحد ينحدل ، كما أن منه تركب في الأصل حسب ما يرينا. كذلك الموجودات كلها مرجعها ومصيرها الى الله الواحد الواحد

﴿ فصل ﴾

فأعلم يا أخي أن الموجودات كلها نوعان جسماني وروحاني فالجسماني ما يدرك بالحواس ، والروحاني ما يدرك بالعقل ويتصور بالفكرة فاما الجسماني فهو على ثلاثة أنواع : منها الاجرام الفلكية ومنها الاركان الطبيعية ومنها المولدات الكائنة .

والروحاني أيضاً على ثلاثة أنواع : منها الهيولي الاولى الذي هو جوهر بسيط من فعل معقول قابل لكل صورة . والثانية النفس التي هي جوهرة بسيطة فعالة : لامة والثالث العقل الذي هو جوهر بسيط مدرك حقيقة الأشياء وأما الباري جل وعز فليس يوصف لا بالجسماني ولا الروحاني بل هو علة الأزواج والافراد من الأعداد جميعاً

وأعلم أن الموجودات كلها علل وعمولات . فنبداً أولاً بذكر العال الجسمانية لأنها أقرب لفهم المتعلمين وأسهل على المبتدئين بالنظر في العال والمعلومات الروحانية

وأعلم أن الموجودات الجسمانية لـكـل واحد منها أربع علل: علة فاعلة وعلة صورية وعلة تامة وعلة هيولانية ، مثال ذلك السرير فـانه أحد الموجودات الجسمانية له أربع علل : فعلته الفاعلة النجـار والـهيـولـانية الخـشب ، والصـورـية التـريـع . والتـامـية القـعـودـ عليه . وهـكـذا السـكـينـ فـانـ عـلـتهاـ الفـاعـلـيةـ الحـدـادـ . والـهيـولـانيةـ الـحـدـيدـ ، والـصـورـيةـ الشـكـلـ الذـىـ هوـ عـلـيـهـ ، والتـامـيةـ لـيـقـطـعـ بهـ الـلـاجـمـ أوـ الـحـبـلـ أوـ شـىـءـ ماـ آخـرـ . وـعـلـىـ هـذـاـ الـقـيـاسـ - إـذـاـ اـعـتـبرـ - وـجـدـ لـكـلـ شـخـصـ منـ الـأـجـسـامـ الـمـوـجـودـةـ هـذـهـ الـعـالـلـ الـأـرـبـعـ

وـأـمـاـ الـجـسـمـ الـمـطـلـقـ فـعـلـتـهـ الـهـيـولـانـيةـ هوـ الـجـوـهـرـ الـبـسيـطـ الذـىـ قـبـلـ الطـولـ . وـالـعـرـضـ وـالـعـقـمـ فـصـارـ بـهـ جـسـماـ ، وـعـلـتـهـ الـفـاعـلـيةـ هوـ الـبـارـىـ عـزـ وـجـلـ ، وـعـلـتـهـ الصـورـيـةـ الـعـقـلـ لـأـنـ الـطـولـ وـالـعـرـضـ وـالـعـقـمـ اـنـاـ هـيـ صـورـةـ عـقـلـيـةـ ، وـعـلـتـهـ التـامـيةـ هـيـ النـفـسـ لـأـنـ الـهـيـولـيـ مـنـ أـجـلـهـ خـلـقـ وـمـوـضـوـعـ هـاـ لـكـيـاـ نـقـعـلـ فـيـهـ . وـمـنـهـ مـاـ يـعـمـلـ وـيـصـنـعـ لـيـمـ الـهـيـولـيـ وـيـكـلـ النـفـسـ الذـىـ هـوـ الـفـرـضـ الـأـقـصـىـ فـيـ رـبـاطـ النـفـسـ مـعـ الـهـيـولـيـ كـاـيـدـاـ فـيـ رسـالـةـ الـمـبـادـىـ .

وـأـمـاـ الـهـيـولـيـ الـأـوـلـىـ الذـىـ هـوـ جـوـهـرـ بـسـيـطـ روـحـانـيـ فـلـهـ ثـلـاثـ عـلـلـ : الـفـاعـلـيةـ . وـهـوـ الـبـارـىـ عـزـ وـجـلـ ، وـوـ ، وـالـصـورـيـةـ وـهـوـ الـعـقـلـ ، وـالتـامـيةـ وـهـيـ النـفـسـ . وـأـمـاـ النـفـسـ فـلـهـ عـاتـانـ وـهـمـاـ الـبـارـىـ عـزـ وـجـلـ . وـالـعـقـلـ . فـالـبـارـىـ عـلـتـهـ الـفـاعـلـةـ اـخـتـرـعـةـ هـاـ ، وـالـصـورـيـةـ هـيـ الـعـقـلـ الذـىـ يـفـيـضـ عـلـيـهـاـ مـاـ يـقـبـلـ مـنـ الـبـارـىـ عـزـ وـجـلـ . مـنـ الـفـضـائـلـ وـالـخـيـرـ وـالـفـيـضـ .

وـأـمـاـ الـعـقـلـ فـلـهـ عـلـةـ وـاحـدـةـ فـاعـلـةـ الذـىـ هـوـ الـبـارـىـ عـزـ وـجـلـ الذـىـ أـفـاضـ عـلـيـهـ الـوـجـودـ وـالـتـامـ وـالـبـقـاءـ وـالـكـلـالـ دـفـعـةـ وـاحـدـةـ بـلـازـمـانـ .

أـرـدـنـاـ بـالـعـلـةـ الـفـاعـلـةـ أـنـ أـبـدـعـهـ بـلـاوـاسـطـةـ ، فـهـذـاـ الـعـقـلـ هـوـ الذـىـ أـشـارـ إـلـيـهـ بـقـولـهـ فـيـ كـتـابـهـ عـلـىـ لـسانـ نـبـيـهـ مـحـمـدـ صـلـاـتـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـاـتـ الـمـلـكـ عـلـيـهـ وـمـاـ أـمـرـنـاـ الـأـ وـاحـدـةـ كـلـمـحـ بـالـبـصـرـ أـوـهـوـ أـقـرـبـ وـالـيـهـ أـشـارـ بـقـولـهـ سـبـحـانـهـ «ـ وـيـسـأـلـنـكـ عـنـ الرـوـحـ قـلـ الرـوـحـ مـنـ أـمـرـبـيـ » وـمـاـ أـوـتـيـمـ مـنـ الـعـلـمـ الـأـقـلـيـلـاـ » وـقـالـ «ـ أـلـلـهـ الـخـلـقـ وـالـأـمـرـ تـبـارـكـ الـقـرـبـ الـعـالـمـيـنـ »

فاطلاق هو الامور الجسمانية والامر هو الجوادر الروحانية
واعلم يا أخي أن أكثر أهل العلم ظنوا أن الموجودات ليست إلا نوعان
حسب أحدهما الباري عز وجل والأخر الجسم وما يخله من الأعراض وليس
لهم خبرة بالجوادر الروحانية والصور المجردة . ومن أجل هذا نسبوا كلما يظهر
من الأفعال والصناعات والعلوم والحكم على أيدي البشر ي اختيار اتهم وما يظهر من
الحيوانات من الأفعال الطبيعية الى الجسم المؤلف من اللحم والمدم على بيضة
مخصوصة ، وإلى أعراض حية فيها بزعمهم مثل الحياة والقدرة والعلم وما شاكلها
ولايدرؤن أن مع الجسد حوراً آخر هو الحرك له والمظاهر به ومنه أفعاله
فاما الذي يظهر في الأ أجسام من الأفعال الطبيعية التي لا يعكرها أن ينسبوها
إلى الحيوان مثل احراق النار لاجسام الحيوان والنبات ومثل ما يستعمل في
أجوارها من الغذاء إلى الروث والسرقين^(١) ومثل ما يظهر في طباعها من السرور
وماشا كلها من الأفعال الطبيعية نسبوها كلها إلى الباري جل ثناؤه ، ومنهم من
نزله الباري سبحانه عن ذلك ونسبها إلى البحث والاتفاق ، ومنهم من نسبها إلى
الطبيعة ولا يدرى ما الطبيعة ! ومنهم من يعللها بعمل مستمرة . ووقع بينهم في
ذلك من التنازع والتناقض ما يطول شرحه
وأما الحكاء والنجباء الراسخون في العلم فأنهم شاهدوا بصفاء نقوشه ونور
عقوهم جواهر آخر غير جسمانية علامه بقوتها سارية في الأجسام بلطاقتها فعالة
فيها برويتها هي جند الله ولب الخليقة — نسبوا هذه الأفعال الطبيعية إليها
ونزهووا الباري سبحانه عنها إلا ما يليق به من الحكمة والسياسة والتدبر
واعلم يا أخي ان الحكاء الذين عرفوا الجوادر الروحانية إنما وصلوا الى
معرفتها بعد اعتبار حال الجسم والأعراض التي تحمله . وذلك ان الجسم من حيث
هو جسم ليس بفاعل ولا متحرك بل هيولي ، منفعل قابل للصورة والأعراض

(١) السرقين : وتنقرأ بالضم بدل الفاء وهو الروث مادام في الكرس فإذا نزل فهو الروث

الحالة فيه ، وكذلك الاعراض التي تخل الجسم لافعل لها لانها أنتقص حالا من الجسم إذ كان لا جنود لها الا بتوسط الجسم
واما الحياة والقدرة والعلم وما شاكلها التي زعموا أنها اعراض حالت في الجسم
وبهذا يفعل هذه الافعال - وها هنا وقم للبس - فانها ليست هي اعراض جسمانية
بل هي اعراض روحانية توجد في بعض الاجسام بقارنة النفس ايها لها وتفقد
عند مفارقتها ايها .

فصح بهذا الاعتبار أن مع الاجسام الحيوانية جواهر أخرى غير جسمانية
هي الفعالة في الاجسام هذه الامارات التي تظهر في بعضها دون بعض
وسنوهها تقوساً .

ولما رأوا أن النفس تتفضل بعضها على بعض بأمر آخر مؤيد لها ومنفيض
عليها الخير والفضائل ، علموا انه جوهر أشرف وأفضل من جوهر النفس
وسموه العقل .

ولما كان العقل هو المقر على نفسه بأنه مربوب وله مدبر خالق صائم حكيم
نزهه من جحيم صفات النقص فينتذ صاح لهم ، وبهذه الاعتبارات ، ما قالوه
ووصفوه من مراتب هذه الموجودات الروحانية التي تقدم وصفها وذكرها وهي
الاهيوي الاولى والنفس والعقل والباري جل ثناؤه .

واعلم يا أخي أنه قد بان بما ذكرنا أن النفس الكلية هي جوهرة روحانية
فاضت من العقل الذي أشارت اليه الفلسفة وانها كالاهيوي الموضوع له لما يفيض
عليها من الصور والفضائل والخيرات لنكل هي وانها كالصانع المصور للجسم بما
تفتش فيه من الصور والاشكال اتنجه بذلك .

واعلم أن النفس الكلية هي صورة فيها جميع الصور كما ان الجسم الكلى
شكل فيه جميع الاشكال ، غير ان الصور في ذات النفس لاتترافق ولا تزاحم لانها
جوهرة روحانية لطيفة حية علامه فعالة .

وأما الجسم فان الاشكال تراكم فيه وتتزاحم من أجل انه جوهر غليظ
كثيف ميت جاهل منفعل كما يبنا في رسالة المباديء .

﴿فصل﴾

واعلم أن النفس هي في ذاتها جوهرة ولكن كونها مع الجسم
بالعرض لغرض ما ، والغرض هو أمر سابق الى وهم الفاعل فإذا بلغ الفاعل اليه
قطع الفعل .

﴿فصل﴾

واذ قد فرغنا من ذكر النفس الكلية والعقل الكلي فنريد أن نذكر النفس
الانسانية إذ هي قوة من قوى النفس الكلية .

ونذكر أيضاً العقل الانساني إذ هو قوة من قوى النفس الكلية ونصف
أفعال النفس وقوتها إذ كانت النفس جوهرة روحانية .

ولما كانت الجواهر الروحانية لا تدرك بالحواس ولا تعرف الا بما يصدر عنها
من الافعال والاعمال بحسب القوى احتاجنا إلى أن نذكر كمية قوتها ونصف
فنون أفعالها وعجائب صنائعها وغرائب علومها وظرائف أخلاقها واختلاف
آرائها .

واعلم يا أخي أن للنفس الانسانية قوى كثيرة لا يمحضى عددها الا الله جل
ثناؤه ، وأن لها بكل قوة في عضو من أعضاء الجسد فعلا خلاف عضو آخر قد
يبنا طرفا من ذلك في رسالة تركيب الجسد وطرفا في رسالة الحواس والمحوس
وطرفا في رسالة الانسان عالم صغير ووصفنا فيها أن نسبة القوى الحساسة الى
النفس فيما يأتون به اليها من أخبار محسوساتها كنسبة أصحاب الاخبار للملك
قد ول كل واحد منهم ناحيه من مملكته ليأتوه بالاخبار من تلك النواحي
وذكرنا فيها أيضاً أن لها خمس قوى أخرى نسبتها اليها كنسبة الندماء الى
الملك وهي القوة المفكرة والقوة المتخيلة والقوة الحافظة والقوة الناطقة
والقوة الصانعة

واعلم أن القوة المفكرة التي مسكنها وسط الدماغ من بين هذه القوى
كالمملوك وسائرها لها كالجنود والاعوان والخدم والرعاية يتصرفون بأمرها وهيها
فيما يفعلون في أعضاء الجسد من الحركات وما يظهرون من الصنائع والأعمال، وإن
موضعها من بين مواضع سائر القوى في أشرف عضو من الجسد وأخص مكان
منه كما ان دار الملك في أشرف مدينة من بلدان مملكته ، وفي أجل موضع من
المدينة وفي أشرف بقعة منها
واعلم ياخى أن أفعال هذه القوى الحس أشرف وأكرم من أفعال
سائر القوى .

وقد بينا في رسالة الحاس والمحوس أن القوة المتخيلة التي مسكنها مقدم
الدماغ نسبتها الى القوة المفكرة بما تجمعت اليها من أخبار المحسوسات كنسبه
صاحب الطريقه الى الملك ونسبة القوة الحافظه التي مسكنها مؤخر الدماغ الى
المفكرة كنسبة الخازن الحافظ ودائم الملك ، ونسبة القوة الناطقة التي مجرأها
على الانسان الى المفكرة كنسبة الحاجب والترجان الى الملك ، ونسبة القوة الصانعة
التي مجرأها اليadan والاصابع الى المفكرة كنسبة الوزير المعين له في تدبير مملكته
والمساعد له في سياسته لرعايته

﴿ فصل ﴾

فيما تنوى القوة المفكرة بنفسها من الافعال

واعلم ياخى انه إذا أوصلت القوة المتخيلة رسوم المحسوسات الى القوة
المفكرة بعد تناولها من القوى الحسنية وغابت المحسوسات عن مشاهدة الحواس
هـ ، بقيت تلك الرسوم في فكر النفس مصورة صورة ، روحانية ، فيكون جوهر
النفس لتلك الرسوم المصورة فيها كالمهيبولي وهي فيها كالصورة
والمثال في ذلك أن الانسان اذا دخل مدينة من البلدان وطاف في أسواقها
(م ١٦)

وَمَا حَالَهُ عَيْنُ طَرْقَانِهَا وَشَاهَدَ أَهْلَهُ وَرَأَى هَيَّا تِسْهِمَ وَسَعَمَ أَقَاؤُهُمْ وَعَرَفَ شَمَائِلَهُمْ
ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا وَغَابَتْ مَشَاهِدَةُ حَوَاسِهِ طَافَانَهُ كَلَّا فَكَرَ فِي تِلْكَ الْمَدِينَةِ وَمَا شَاهَدَ
فِيهَا تَخْيِيلَهَا كَأَنَّهُ يَرَاهَا مَعَايِنَةً عَلَى مِثْلِ مَا كَانَ شَاهِدَ فِي وَقْتِ كُونِهِ فِيهَا ، لَوْ كَانَ
ذَكْرُهَا بَعْدَ حِينَ مِنَ الدَّهْرِ .

فَتِلْكَ الْفَكْرَةُ لَيْسَ شَيْئًا سُوِي لَحَاتَ النَّفْسِ إِلَى ذَاتِهَا ، وَتَخْيِيلَهَا لِصُورَةِ
تِلْكَ الْمَدِينَةِ وَمَا رَأَى فِيهَا مِنَ الْمَوْجُودَاتِ لَيْسَ شَيْئًا سُوِي صُورَ تِلْكَ الْمَوْجُودَاتِ
أَنْطَبَعَتْ فِي جَوَهِرِ نَفْسِهِ كَمَا يَنْطَبِعُ نَقْشُ النَّفْسِ فِي الشَّمْعِ الْمُخْتَوِمِ .
وَعَلَى هَذَا الْقِيَامِ حَكَمَ سَائِرَ الْمَحْسُوسَاتِ مِنْ أُولَى اسْتِهْمَالِ آلاتِ الْحَوَاسِ
إِلَى وَقْتِ تَرْكِهَا لَهَا عِنْدَ الْمَهَاتِ الَّذِي هُوَ تَرْكُ النَّفْسِ اسْتِهْمَالُ الْجَسْدِ .

وَاعْلَمُ يَا أَخِي أَنَّهُ إِذَا حَصَلَتْ رُسُومُ الْمَحْسُوسَاتِ فِي جَوَهِرِ النَّفْسِ فَإِنَّ أُولَى
فَعْلَ الْقُوَّةِ الْمُفْكِرَةِ فِيهَا هُوَ تَأْمِلُهَا وَاحِدَةً وَاحِدَةً لِتَعْرِفَ مَعَانِيهَا وَكَيْمَانَهَا
وَكِيفِيَّاتِهَا وَخَواصِهَا وَمَنَافِعُهَا وَمَضَارُهَا ، فَإِذَا حَصَلَ الْعِلْمُ بِهَذِهِ الْمَعَانِي أَوْ دُعَمَهَا
الْقُوَّةُ الْحَافِظَةُ إِلَى وَقْتِ التَّذَكَّارِ ، فَإِذَا أَرَادَ الْإِنْسَانُ الْأَخْبَارَ عَنْ مَعْلُومَاتِهِ
لِلْمُخَاطَبِينَ لَهُ وَالْجَوابُ لِلْمَسَائِلِينَ لَهُ عَنْ مَتَصُورَاتِهِ وَمَفْهُومَاتِهِ اسْتَعْنَتْ عِنْدَ ذَلِكَ
الْقُوَّةُ الْمُفْكِرَةُ بِالْقُوَّةِ النَّاطِقَةِ فِي النِّيَابَةِ عَنْهَا فِي الْجَوابِ لِغَيْرِهَا كَمَا يَسْتَعِنُ الْمَلِكُ
بِحَاجِبِهِ وَتَرْجَانِهِ فِي النِّيَابَةِ عَنْهِ فِي الْخُطَابِ لِغَيْرِهِ . وَهَذِهِ الْقُوَّةُ الْمُفْكِرَةُ فِي مَعْلُومَاتِهِ
الْمَحْفُوظَةُ أَفْعَالُ أُخْرَى ذَكَرَنَا طَرْفًا مِنْهَا فِي رِسَالَةِ الْمُنْطَقِ وَطَرْفًا آخَرَ فِي رِسَالَةِ
الْمُوسِيقِيِّ ، وَطَرْفًا آخَرَ فِي رِسَالَةِ "الْإِنْسَانُ عَالَمٌ صَغِيرٌ حَسْبُ مَا يَلْدِيقُ بِكُلِّ رِسَالَةٍ"
مِنْهَا لَا نَعْلَمُ كَاهَا لَا يَمْكُنُ أَنْ تَجْمِعَ فِي دَفْرٍ وَاحِدٍ جَسَمَانِيَّ فَأَمَّا النَّفْسُ فَانْتَهَا
تَجْمِعُ عِلَوَماً شَتَّى وَصَنَائِعَ عَدَةً وَأَخْلَاقًا مُخْتَلَفةً وَآرَاءً مُتَفَقَاً وَلَا مُتَفَقَاً دَفْرٌ رُوحَانِيٌّ
لَا تَزَاحِمُ فِيهَا صُورَ الْمَعْلُومَاتِ كَمَا تَزَاحِمُ فِي الْهَيْوَانِيِّ الْجَسَمَانِيِّ . مَثَلُ ذَلِكَ أَنَّ
الْسَّوَادَ وَالْبَيْاضَ لَا يَجْمِعُهُمَا فِي مَحْلٍ وَاحِدٍ فِي زَمَانٍ وَاحِدٍ وَلَا حَلَاوةَ وَلَا مَرَارةَ
فِي جَسَمٍ ذَي طَمَّ وَلَا تَنْدُوِرَ وَلَا التَّرْبِيعَ فِي شَكْلٍ وَاحِدٍ جَسَمٌ وَمَا شَاكَاهَا مِنْ
الصُّورِ وَالْأَعْرَاضِ الْمُتَضَادَةِ ، فَإِنَّ بَعْضَهَا يَفْسَدُ بَعْضًا إِذَا كَانَتْ مِنْ جَنْسٍ وَاحِدٍ

فاما في جوهر النفس فلا تزاحم فيها الصور بل كاها تجتمع في نقطة واحدة
كما تلتقي الخطوط في مركز الدائرة في نقطة واحدة ، وكما تلتقي صور المرئيات
كلها مع اختلاف أجناسها في المرأة وفي الحدقة التي هي نقطة من العين كما بيننا
في رسالة الحاس والمحسوسات فليطلب هناك

﴿فصل﴾

فيما يختصر بالقوة الناطقة من الأفعال فنقول
اعلم أن من شأن القوة الناطقة اذا استعانت بها القوة المفكرة في النيابة عنها
في الجواب والخطاب أن تؤلف الألفاظ من حروف المعجم بنحو مختلفة السمات
التي هي الكلام ، ثم تضمن تلك الألفاظ المعاني التي هي مصورة عند القوة
المفكرة فتدفعها عند ذلك الى القوة المعبرة لتخرجها الى الهواء بالأصوات المختلفة
في اللغات لتحملها الى مسامع الحاضرين بالقرب فتكون تلك الألفاظ المؤلفة
من الحروف المختلفة الأشكال والسمات كالجساد المركبة من الاعضاء المختلفة ،
وتكون تلك المعانى المضمنة في تلك الألفاظ كالارواح لها ، لأن كل نقطة
لامعنى لها فهي بعزلة جسد لا روح فيه ، وكل معنى في فكر النفس ليس له
لقطة تعبر عنه فهو بعزلة روح لا جسد له . وقد بينا كيفية حمل الهواء صور
الأصوات وحفظها بهيأتها الى أن توردها وتؤديها الى السمع في رسالة الحاس
والمحسوس ، وذكرنا أيضاً أن الأصوات لما كانت لا تُمْكِث في الهواء إلا ربما
تأخذ المسامع حظها ثم تضُمَّنَ احتلال الحركة الاتية بأن قيدها بالقوة
الصناعية التي هي الكتابة : وذلك أن القوة المفكرة لما رأت أن الكلام لا يثبت
في الهواء داعلاً انه جسم سير احتال حيلة أخرى واستعانت بالقوة الصناعية
أن نقشت حروف خطوطية بالقلم تحاكي معانى حروف لفظية ، ثم ألقتها ضربات
التأليف حتى صارت كتاباً مكتوباً وأودعتها وجوه الألواح وبطون الطوامير
لكيما يبقى العلم مفيدةً فائدةً من الماضين للغابرين وأثراً من الأولين للآخرين

وخطاباً للحاضرين من الفائبين وبالعكس . وهذا من جسم نعم الله تعالى على
الانسان كما ذكر الله تعالى في كتابه « اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم
الانسان مالم يعلم » ثم اعلم أن للقوة الصناعية أفعالاً كثيرة لا يحصى عددها إلا
الله تعالى ، وقد ذكرنا طرفاً من ذلك في رسالة الصنائع ، وكذلك القوة الناطقة
لها لغات كثيرة وأنفاظ مختلفة ونغمات مفنبنة لا يحصى عددها إلا الله عز وجل
وقد ذكرنا منها طرفاً في رسالة اختلاف اللغات ، وطرفاً في رسالة الموسيقى .
ثم اعلم أن القوة المفكرة لها أفعال كثيرة تستغرق فيها أفعال سائر القوى .

وذلك أن أفعالها نوعان : فنها ما يخصها بعجردها ، ومنها ما يشتراك مع قوى أخرى . فنها الصنائع كلها فانها مشتركة بينها وبين القوة الصناعية ، ومنها الكلام وأقوال اللغات فانها مشتركة بينها وبين القوة الناطقة ، ومنها تناول رسوم المعلومات المحفوظة فانها مشتركة بينها وبين القوة الحافظة ، وأما التي تخصها من الافعال فالتفكير والرواية والتصور والاعتبار والتركيب والتحليل والجمع والقياس وله الفراسة والزجر والتشكيك والذواطر والاهام وقبول الوحي وتخبييل المنامات .

وتفصيل ذلك : فأما بالفکر فاستخراج الغواص من العلوم ، وبالرواية تدیر الملك وسياسة الامور ، وبالتصور درك حقائق الاشياء ، وبالاعتيار معرفة الامور الماضية من الزمان ، وبالتركيب استخراج الصنائع أجمع وبالتحليل معرفة الجوادر البسيطة والمبادئ ، وبالجلم معرفة الانواع والاجناس ، وبالقياس درك الامور الغائبة بازمان والمكان ، وبالفراسة معرفة ما في الطبائع من الامور الخفية ، وبالزجر معرفة حوادث الايام ، وبالتكهن معرفة الكائنات بالموجبات الفلكية ، وبالمنامات معرفة الانذارات والبشارات ، وبقبول الخواطر والاهام والوحى معرفة وضم النوميس وتدوين الكتب الالهية وتأويلاتها المكنونه لايعلمها الا المطهرون من أدناس الطبيعة الذين هم أهل البيت الروحانيون

وقد بينا في رسالة الناموس أن وضع النواميس وتدوين الكتب الاطهية أعلى رتبة ينتهي إليها الإنسان بالتأييد الرباني ، وهي أشرف صناعة تجاري على أيدي البشر مثل شريعة صاحب التوراة والإنجيل والزبور والفرقان

واعلم يا أخي أن الباري جل جلاله جعل الأمور الجسمانية المحسوسة كالمثالات ودلالات على الروحانية العقلية وجعل طرق الحواس درجاً ومرأفي يرتفع بها إلى معرفة الأمور العقلية التي هي الغرض الأقصى في بلوغ النفس إليها

فإذا أردت يا أخي أن تبلغ إلى أفضل المطلوبات وأشرف الغايات التي هي الأمور العقلية فاجتهد في معرفة الأمور المحسوسة فانك بذلك تناول الأمور العقلية . وقد بينا في رسائلنا الطبيعية طرفاً من ذلك . ثم اعلم أن معرفة الأمور الجسمانية المحسوسة هي فقر النفس وشدة الحاجة ومعرفة الأمور المعقولة الروحانية هي غناها ونعمتها ، وذلك أن النفس في معرفة الأمور الجسمانية تحتاج إلى الجسد وحواسها وآلاتها لتدرك بتوسطها الأمور الجسمانية .

وأما ادراكها للأمور الروحانية فيكتفيها ذاتها وجوهرها بعد ما تأخذها من الحواس بتوسيط الجسد . وإذا حصل لها ذلك فقد استغفت عن الجسد وعن التعليم بالجسم بعد ذلك

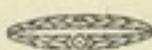
فاجتهد يا أخي في طلب الغنى الابدي بتوسيط هذا الهيكل وآلاته مادام يمكنك ذلك قبل فناء العمر وتصرم المدة وفساد الهيكل وبطلان وجوده ، واحذر كل الخدر أن تبقى نفسك فقيرة محتاجة إلى هيكل ليتم به ما فاته من الكمال فتكون من يقول « ياليتنا نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل » وتبقى في البرزخ إلى يوم يبعثون . ومن أين لهم أن يشعروا أيان يبعثون مادامت هي ساهية لا هية غافلة مقبلة على الشهوات الجسمانية من اللذات الجرمانية والزينة الطبيعية والغرور بالامانى في هذه الحياة الدنيا المذهبة التي ذمها رب العالمين فقال « إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيث

أعجب الكفار نباته » الى قوله وما الحياة الدنيا الامتناع الغرور » وقال في قصة قارون « فخر ج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ماأُوْتَى قارون انه لذو حظ عظيم

ثُمَّ حكى قول الربانيين العلامة العارفين بالأمر الشرف في المراتب العالمية « ويلكم ثواب الله خير من آمن يعنون به الدار الآخرة التي هي الحيوان لو كانوا يعلمون يعني به عالم الأرواح الذي كاه روح وريحان وتحية ورضوان ثم ذم الذين لا يعرفون من هذه الامور المعقولة الامحسنات حسب فقال: « رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون» يعني أمر الآخرة ودار النعيم ودار السلام التي تنتهي إليها نتوس الأخبار بعد مفارقتها أجسادها كما ذكر في كتابه « إليه يصعد الكلام الطيب » « يعني روح المؤمن » والعمل الصالح يرفعه أي يرغبه فيها وهمته ترقيه إلى هناك « ومغفرة من الله » وروح ورضوان وغير ذلك من الآيات المذكورة في القرآن وأخبار الانبياء عليهم السلام في ذم الدنيا والاجتناب عنها، وكذلك اشارات الحكمة شعرًا

فاجهد على النفس واستكمل فضائلها فانت بالنفس لا بالجسم انسان فعليك أن لا تفتر بزخارف هذه الدنيا الدينية وعليك أن تتبع الآراء الحسنة وتهذب . النفس وفقك الله وإيانا واخواننا للسداد وهداك وإيانا سبيل الرشاد ، انه رؤوف بالعباد

تَمَتْ رِسَالَةُ الْعُقْلِ وَالْمَعْقُولِ وَيَلْهَا رِسَالَةٌ فِي الْأَدْوَارِ وَالْأَكْوَارِ



الرسالة الخامسة من النسانيات العقلية

في الأدوار والأكواكب

وهي الرسالة السادسة والثلاثون من رسائل أخوان الصفا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آله خير أما يشركون
 أعلم ، أيدك الله وآياتها بروح منه ، أنا قد فرغنا من رسالة العقل والمعقول
 وبيننا فيها تعريف جواهر النفوس بمحقيقتها وكيفية اجتماع صور المعقولات في
 العقل المنفعل ، وكنا قد بينا قبل ذلك في رسالة ماهية الطبيعة ذكر كيفية تأثيرات
 الأشخاص العلوية الفلكية في الأشخاص السفلية الكائنة تحت فلك القمر الذي
 هو عالم الكون والفساد ، وبيننا فيها معنى قول القدماء في روحانيات الكواكب
 وبيننا قول واضح الناموس في أجناس الملائكة وكيفية سريان قواها في العالم
 وأظهار أعمالها في الأجسام الموجودة فيه ، فنريد أن نبين الآن ونذكر في هذه
 الرسالة أدوار الأشخاص الفلكية وأكوا بها وقراراتها فنقول .
 إن للفلك وأشخاصه حول الأربعان الاربعين التي هي عالم الكون والفساد ،
 أدواراً كثيرة لا يحصى عددها إلا الله تعالى ولا أدوارها كور ولها كباراً في
 أدوارها وأكوا بها قرائنات . ويحدث في كل دور وكور وقرآن في عالم الكون
 والفساد حوادث لا يحصى عدد أجناسها إلا الله تعالى . ونريد أن نذكر من ذلك
 حارفاً بمحلاً مختصرًا ليكون مثالاً ودليلاً على الباقية فنقول :

اعلم أن الأدوار خمسة أنواع : فنها أدوار الكواكب السيارة في أفلالك تداويرها ومنها أدوار راكيز أفلالك التداوير في أفلال كها الحاملة ، ومنها أدوار أفلال كها الحاملة في فلك البروج ، ومنها أدوار الكواكب الثابتة في فلك البروج ومنها أدوات الفلك المحيط بالكل حول الاركان . وأما لا كوارفهي استئنافاتها في أدوارها وعودتها إلى مواضعها مرة بعد أخرى

وأما القراءات فهي اجتماعية في درج البروج ودقائقها وهي ستة أجناس : مائة وعشرون نوعاً ، فنها واحد وعشرون قراناً ثنائية وثلاثون قراناً ثلاثة وخمسة وثلاثون قراناً رباعية ، وواحد وعشرون قراناً خماسية وواحد وثلاثون قراناً سدسية ، وقران واحد سباعي يحملها مائة وعشرون قراناً نوعية مضروبة في ثلاثة وستين درجة يكون جملتها ثلاثة وأربعين ألفاً ومائتي قران شخصية .

وأما أدوار الآلوف فأربعة أنواع ، فنها سبعة آلاف سنة ومنها اثنتا عشر ألف سنة ، ومنها واحد وخمسون ألف سنة ومنها ثلاثة وستين سنة ثم اعلم أن من هذه الأدوار والقراءات ما يكون في كل زمان طويل مرة واحدة . ومنها ما يكون في كل زمان قصير مرة واحدة . فن الأدوار التي تكون في الزمان الطويل أدوار الكواكب الثابتة في فلك البروج وهو في كل ستة وثلاثين ألف سنة مرة واحدة ، ومن الأدوار التي تكون في كل زمان قصير أدوار الفلك المحيط بالكل حول الاركان الاربعة في كل أربع وعشرين ساعة مرة واحدة كما ذكر الله تعالى فقال « وكل في فلك يسبحون » وباقى الأدوار فيما يبينهها ومن القراءات ما يكون في كل ثلاثة وستين ألف سنة مرة واحدة وهو أن تجتمع الكواكب السيارة كلهما بأوساطها في أول دقيقة من برج الحمل إلى أن تجتمع فيها مرة أخرى ، ويسمى هذا الدور في زيج السند هندسية يوم واحد من أيام العام الكبير ، ومن القراءات ما يكون في كل شهر مرة واحدة وهو اجتماع القمر مع كل واحد من الكواكب السيارة .

فاما باقى القراءات ففيما بين هذين الوقتين . ومن الا دور القصار ما يكون في كل اربعه عشر يوماً مرة واحدة وهي دورة مركز الفلك : التدوير والقمر في فلكه الحالى له ومنها ما يكون في كل سبعة وعشرين يوماً وسبعين ساعات ونصف مرة واحدة وهي أدور لاقمر في فلك البروج ، ومنها أدور الفلك الجو زهر في كل احدى وعشرين سنة في كل ثمانية عشر ستة وسبعين شهر وتسعة عشر يوماً مرة ، وهو ادور عطارد في فلك تدويره . ومنها ما يكون في كل ثلاثة وخمسة وستين يوماً وربع يوم مرة واحدة وهي ادور الشمس والزهرة وعطارد في فلك البروج ، ومنها ما يكون في ثلاثة وثمانية وسبعين يوماً مرة واحدة ، وهي أدور زحل في فلك تدويره . ومنها ما يكون في كل ثلاثة وسبعين يوماً مرة واحدة وهي ادور المشتري في فلك تدويره . ومنها ما يكون في كل خمسة وأربعه وستين يوماً مرة واحدة وهي ادور الزهرة في فلك تدويرها . ومنها ما يكون في كل ثلاثة وسبعين يوماً مرة واحدة وهي أدور المريخ في فلك البروج ومنها ما يكون في كل خمسة وسبعين يوماً مرة واحدة وهي ادور المريخ في فلك تدويره ومنها ما يكون في كل اربعه آلاف وثلاثمائة واربعه وتلائين يوماً مرة واحدة وهي ادور مركز المشتري في فلك البروج . ومنها ما يكون في عشرة آلاف وسبعين يوماً وواحد واربعين يوماً مرة واحدة وهي ادور مركز زحل في فلك البروج وجملة هذه أربعه عشر نوعاً وأما القراءات القصيرة الزمان فنها ما يكون في كل مائة وستة عشر يوماً مرة واحدة وهو قرآن عطارد مع الشمس ، ومنها ما يكون في كل ثلاثة وحادي وثمانين يوماً مرة واحدة وهي اقتران الشمس والزهرة وعطارد مع زحل ، ومنها ما يكون في كل ثلاثة وسبعين يوماً مرة وهو اقتران المشتري والزهرة وعطارد والشمس ومنها ما يكون في كل سبعمائة وخمسة وثمانين يوماً مرتين وهو اقتران الزهرة مع الشمس . ومنها ما يكون في كل سبعمائة وثمانين يوماً مرة واحدة وهو اقتران الشمس مع المريخ . ومنها ما يكون في كل سنتين ونصف سنة بالتقريب

مرة واحدة وهو اقتران المريخ مع زحل والمشتري ، ومنها ما يكون في كل عشرين سنة بالتقريب مرة وهو اقتران المشتري وزحل . ومن القراءات الطويلة الزمان ما يستأنف الدور في كل مائتين وأربعين سنة مرة واحدة وهو أن يستوفي زحل والمشتري اثني عشر قرانا في المثلثة الواحدة . ومنها ما يكون في كل تسعمائة وستين سنة مرة واحدة وهو يستوفي زحل والمشتري تعاينية وأربعين قرانا في المثلثات الأربع . ومنها ما يكون في كل ثلاثة آلاف وثمانمائة وأربعين سنة مرة واحدة وهو أن يستأنف زحل والمشتري القراءات في المثلثات ، وشرحها طويل ويخرج بنا عما نحن فيه .

واذ قد فرغنا من ذكر كمية دوران الفلك وعدد القراءات كواكبه في أبراجها في الأدوار والألاف واستئنافها أعدادها بالكور ، وزريد أن نذكر ونلوح بطرف مما يتبعها من الحوادث الكائنات في عالم الكون والفساد التي دون فلك القمر فنقول : إننا قد بينا في رسالة السماء والعالم أن الفلك الحبيط تديره النفس السكينة بتأييد العقل السكري الفعال باذن الله تعالى . وقد بينا في رسالة المبادي العقلية أن النفس والعقل هما أمران مبدعان للباري وهو مبدعهما وعلمهما ومثبتهما ومكلههما كيف شاء فتبارك الله رب العالمين .

ثم اعلم أن كل الحوادث التي تكون في عالم الكون والفساد هي تابعة لدوران الفلك وحادة عن حركات كواكبها ومسيرها في البروج وقراءات بعضها مبعض واتصالها باذن الله تعالى . فمن ذلك الحوادث ما هو ظاهر جلي لكل انسان ، ومنها ما هو باطن خفي يحتاج في معرفتها الى تأمل وتفكير واعتبار .

ثم اعلم أن كل حادث في هذا العالم سريع النشوء ، قليل البقاء سريع الفساد فذلك عن حركة في الفلك سريعة قصيرة الزمان قربة الاستئناف ، وكل حادث بطيء النشوء طويلاً ثبات بطيء البلى فذلك عن حركة بطيئة طويلة الزمان بعيدة الاستئناف . ونحتاج في هذا الفصل الى شرح طويلاً وقد ذكرنا طرفاً من ذلك في رسالة تكوين المعادن ، وطرفاً في رسالة النبات ، وطرفاً في رسالة الحيوان .

و يريد أن نذكر في هذه الرسالة طرفاً منه لتبين الصدق و يتضح الحق و ينجلى الخفي للباحثين عن حقيقة هذا الأمر . ثم نذكر تأثيرات الأشخاص العالية في الأشخاص السافلة : فن ذلك الحركات السريعة القصيرة الزمان القريبة الاستئناف أدوار الفلك المحيط بالكل حول الأركان في كل أربع وعشرين ساعة مرة واحدة كما ذكر الله تعالى « وكل في فلك يسبحون » . وهي التي بها يكون الليل والنهار في هذا العالم الذي نحن فيه .

ومن الحوادث الكائنة التي لا تخفي على أحد من العقلاه من هذه الحركة نوم أكثر الحيوان بالليل ويقظتها بالنهار ، وذلك أنه إذا طلعت الشمس مع دوران الفلك على جانب الأرض أضاء الهواء بنورها وأشرق وجه الأرض بضيائها فانتبهت أكثر الحيوانات من نومها وتحركت بعد سكونها وتركت بعد عجمتها وهدوئها وانتشرت في طلب معايشها وتصرفت في مذاهبها ، وتفتحت أيضاً أكثر أكام النبات وفاح نسم رواحها وذهب الناس في مطالبيهم وسعوا في حوانجهم . وإذا غابت الشمس أظلم الهواء أو أسود الجو وامتلاً وجه الأرض من الظلام واستوحش أكثر الحيوانات وتراجعت عن متصرفاتها إلى أوطنها وأما كنها وانصرف الناس عن أسواقهم إلى منازلهم وعن مواضع أعمالهم إلى بيوتهم وقع عليهم النوم والنعاس والكسل الانشار والنشاط في الاعمال والسكنون بعد الحركة والهدوء بعد الجلبة . فإذا تأمل المتفكر في حال هذا العالم بالنهار رأه كأنه حيوان منتهر متحرك حساس ، وإذا تأمله بالليل رأه كأنه نائم أو ميت أو جامد من السكون والهدوء .

ثم اعلم أنه مادامت هذه الحركة محفوظة في الفلك فهذه الحالة موجودة في الحيوان ، فإذا سكنت تلك الحركة بطل ذلك النظام والترتيب ، وهذه الحركة من أعظم نعم الله تعالى على خلقه كما ذكر تعالى « قل أرأيتم أن جعل الله عليكم الليل سرداً إلى يوم القيمة من إله غير الله يأتكم بضياء أفلأ تسمعون » . قل أرأيتم أن جعل الله عليكم النهار سرداً إلى يوم القيمة من إله غير الله يأتكم بليل

تسكنون فيه أفالاً تبصرون » ومن الحوادث الكائنة عن هذه الحركة في هذه المدة كون بعض النباتات الناقصة كخضرة الدمن فاما تصبح بالغدوات ريانة من نداوة الليل وطيب نسم الهواء ، فإذا أشرقت عليهما الشمس نصف النهار جفت ثم تصبح من الغد مثل ذلك ، وترى هذا خاصة في أيام الربع في أكثر الموضع .

ومن الكائنات الحادثة عن هذه الحركة في هذه المدة المذكورة كون بعض الحيوانات الناقصة الخلقة الضعيفة البنية كالديدان والبق والبراغيث التي تتولد من العقونات وفي الزبل والسماد والروث وجثة الجيف وماشا كلها . فإذا أصابها أدنى حر من الشمس أو برد من الهواء هلكت .

وبالجملة فكل كائن عن هذه الحركة التي تستأنف الدور في كل أربع وعشرين ساعة مرت واحدة وكل حادث عنها من أشخاص الحيوانات والنبات الناقص الخلقة الضعيف البنية فإنها لا تبقى سنة تامة لأنها يهلكها إما حر الشمس في الصيف أو برد الشتاء ، وقد بينا عالمها في رسالة الحيوان والنبات

ومادامت هذه الحركة محفوظة في الفلك فان صورة هذه الكائنات عنها الحادثات في هذا العالم تكون موجودة في الطيول ، ومتى وقف الفلك فسد النظام وبطل الكون ، وذلك كائن لامحالة اذا بلغت النفس الكلية أقصى غرضها لأن الفرض هو غاية سبق اليها الوهم . ومن أجل البلوغ اليها يفعل الفاعل فعله . وادا بلغ اليه قطع الفعل .

﴿ فصل ﴾

ثم اعلم يا أخي أن دوران الفلك أكرم الأفعال وأشرفها ففرض فاعله أيضاً أشرف الأغراض وأكرمها كما بيننا في رسالة البعث والقيمة . ومن الحركات السريعة القصيرة الزمان القريبة الاستئناف ما يكون في كل شهر مرتين وهي حركة مركز فلك تدوير القمر في الفلك الحامل في كل أربعة عشر يوماً مرتة

واحدة ، وفي هذه المدة يكون القمر مقبلاً بوجهه المعتلى ، من النور نحو مركز الأرض — يعرفحقيقة ما قلناه أهل الصناعة الذين يعرفون علم ماقيل في المحسطي . والذى يتبع هذه الحركة من الحوادث والكائنات في هذا العالم كثرة الربو والزيادة في الأشياء وسرعة النشوء في الأشياء المبتدئة الخادمة من الحيوان والنبات والمعادن والزيادة أيضاً في المدود والرطوبات والانداء — يعرف ذلك أهل التجارب والعلماء المتيقظون المنفكرون في الآفاق المعتبرون بأحوال الموجودات وفي النصف الثاني من الشهر يدور هذا المركز في الفلك الحامل مرة أخرى ، ولكن يكون القمر مولياً بوجهه المعتلى من النور عن مركز الأرض نحو فلك عطارد يدور القمر في الفلك الحامل مرة واحدة في هذه المدة . والذى يحدث عن هذه الحركة في هذه المدة في هذا العالم الذبول والهزال والنقصان في الأشياء النامية والنضج والجفاف واليأس في الأشياء البالغة إلى تمام من الحب والثر . يعرف صحة ما قلناه أهل الصناعة المتقدم ذكرهم . وفي هذه المدة عن هذه الحركة يتكون بعض الجواهر المعدنية كالملح والكلأ وأمثالها

واعلم يا أخي أن الكلأ نبات معدني ، والملح معدن نباتي كما يبينا في رسالة المعادن . وفي هذه المدة أيضاً عن هذه الحركة قد يتم كون بعض النبات ويبلغ وينتفع به كالمقول . وفي هذه المدة أيضاً قد يتم كون بعض الحيوانات كالطيور ودود القز وزنابير النحل فإن أكثرها يتم في خلقها في أربعة عشر يوماً وبخرج بعد واحد وعشرين يوماً ويتولى في ثانية وعشرين يوماً وبخرج

وهذا المدة هي مقدار مسیر القمر من يوم الخسوف إلى يوم الخروج من البرج الذي كان فيه إلى البرج التاسع الذي هو بيت النقلة والسفر فينتقل من هذه الحيوانات الكائنة من حال إلى حال في هذه المدة . ومادامت هذه الحركة محفوظة في الفلك فصور هذه الكائنات موجودة في الحيوان في هذا العالم ، وإليها وأشار جل ثناؤه فقال « والقمر قادر ناه منازل حتى عاد كالرجون القديم »

واعلم يا أخي ان كل الكائنات عن هذه الحركة من الحيوانات والنبات : فنها ماهي طولية البقاء ، ومنها ماهي قصيرة المدة . ولكن أطوالها باقاء لا يتجاوز مائة وعشرين شهراً والقصيرة المدة مادون ذلك .

وعلة نهاية باقاء اشخاص هذا النوع في الديموي المدار من الزمان هو أن علة حدوثها حركة القمر في فلك البروج المقسم بـ مائة وعشرين منزلة لدورة واحدة ، وذلك أن القمر اذا كان في برج من الأبراج في منزل من المنازل يوم حضانة الطير فإنه يوم يخرج الفرج يكون في المنزل العشرين من ذلك المنزل وفي البرج التاسع من ذلك البرج وقد قطع مائتين وأربعين درجة في الفلك وبقي له تسعة منازل - مائة وعشرون درجة الى أن يعود الى الدرجة التي كان فيها يوم ابتداء الحضانة فيستأنف هذا الكائن العمر الطبيعي في الدنيا لـ كل درجة شهر وهذا هو العمر الطبيعي .

وأما ما يهمك قبل هذه المدة أو يعيش أكثر من هذا المقدار فذلك لأسباب وعلل وأغراض يطول شرحها .

وعلى هذا البيان لـ كل كائن تحت فلك القمر حركة الشخص من الاشخاص الفلكية لاستئنافه الدور في مدة معلومة طالت أو قصرت ، فيكون باقاء تلك الكائنات عنها على هذا المثال الذي ذكرنا من الكائنات من حركة القمر ومثال آخر نذكر في أمر الانسان وذلك أنه اذا سقطت النطفة في الرحم من جنس البشر أو بعض الحيوانات التي تلد لتسعة أشهر فلا بد من أن تكون الشمس في تلك الساعة في درجة في برج من الفلك

فإذا كان أول الشهر التاسع يكون قد قطعت الشمس بسيرها مائة أبراج . وقد استوفت طبائع البروج المثلثات مرتين وبلغت الى أول البرج التاسع بيت السفر والنقلة فينتقل المولود من مكان الى مكان ومن حال الى حال آخر وتنكون قد سارت الشمس في فلك البروج من يوم مسقط النطفة الى ذلك اليوم مائتين وأربعين درجة لها مائة وعشرون درجة الى أن تعود الى الدرجة التي كانت فيه

يوم مسقط النطفة بها ، فجعل نهاية بقاء اشخاص هذا النوع وعمرها الطبيعي في الاهيوي نكل درجة سنة فان زاد أو نقص فلا سباب أو علل . وعلى هذا القياس يعتبر كل مولود من أنواع الحيوان فيكون عن حركة شخص من الاشخاص الفلكية مما يكون ولادته وكونه الطبيعي لستة عشرة يوماً أو واحد وعشرين يوماً أو لا ربعين يوماً أو لا ربعة أشهر أو خمسة أو ستة أو سبعة أو تسعة أو عشرة . أو لستة أو استثنين فإنه يستوف ذلك الشخص الموجب لكونه ، المحمل . في الفلك بعض الدائرة قبل الولادة الطبيعية لذلك النوع ، ويكون مدة العمر الطبيعي لهذا النوع بمقدار ما يقي لذلك المتحرك من المضير في الفلك الى ا تمام دورة واحدة بروجا كانت أو درجاً أو دقائق أو ساعات وأياماً . وذلك لأن الحيوانات الناقصات الخلقية الفرعية البنية التي سبب كونها وعلة حدوثها حركة ذلك الشكل الذي يستأنف الدور في أربع وعشرين ساعة كما ذكرنا قبل . فإن اشخاص النوع أكثر بقائها وعمرها الطبيعي تسعه أيام ، وإن زاد أو نقص فلا سباب آخر ، وذلك أنها تم خلقتها وتتكل صورتها في ست عشرة ساعة بمقدار ما يدور من الفلك ثانية أبراج . وإذا ابتدأ البرج التاسع بالطلع فهو وتحركه واتقال في طلب القوت والغذاء الذي هو مادة بقاء شخصها في الاهيوي أو تبقى إلى تمام الدور تسع ساعات فيستأنف العمر في الدنيا تسعه أيام لكل ساعة يوم ثم يهلك وي تكون غيرها ويكون ذلك النوع محفوظاً والاشخاص في السيلان

واعلم يا أخي أن لكل كائن تحت فلك القدر من الحيوان والنبات والمعادن ، له عن وقت كونه وحدوثه إلى وقت فنائه وعدمه ، بمقداراً من الزمان وهو دورة واحدة من أدرار الاشخاص الفلكية :

بيان ذلك أن كل كائن في هذا العالم له أربع أحوال متباينة أحدها ابتداء كون الوجود ، ومنها زيادته ونموه وارتفاعه إلى نهاية ما ، ومنها توقفه وانحطاطه ونقصه ، ومنها زمان بواره وعدمه . وعلة ذلك أن كل شخص في الفلك له حرفة

دائرة تخصه فان لحركته في دائرة أربع أحوال منها صعود من الحضيض ، ومنها صعود الى الاوج ، ومنها هبوطه من الاوج ، ومنها هبوطه الى الحضيض

يعرف حقيقة ما قلنا أصحاب المخططي . ومن الحركات السريعة القصيرة
الزمان القريبة الاستئناف ما يدور في كل أربعة أشهر مرة واحدة وهي حركة
عطارد في ذلك تدويره تارة متقيمة وتارة راجعاً وتارة مشرقاً وتارة مغرباً
وتارة محترقاً وتارة صاعداً في ذروته وتارة هابطاً إلى حضيشه وتارة واقفاً من
موازاة درجة واحدة . والذى يحدث ويتم من هذه الحركة في هذه المدة في
هذا العالم كون بعض النبات كالسمسم والذرة والشعير وأمثالها كما يبينا في رساله
النبات . وعن هذه الحركة في هذه المدة قد يتم كون بعض الجواهر المعدنية
كما يتم بالصنعة .

يعرف ما قلنا أصحاب المعادن والذين يسبكون الزجاج والذين يتعاطون
صياغة الكيميا عن هذه الحركة في هذه المدة في هذا العالم قد يتم حلقة بعض
الحيوانات وتولدها كبعض السباع والوحوش والغزلان وببعض الفئران كابننا في
رسالة الحيوانات . وما يكون عن هذه الحركة في هذه المدة في هذا العالم ما يعرض
لبعض الناس من الحوادث عند اختلاف أحوال عطارات في دورانه مما يذكره
 أصحاب أحكام النجوم في مواليد

وبيان ذلك أنه إذا خلف عطارد يعرض بعض الناس أمراض وأعلال وأوجاع ، وخاصة للصبيان ، وما يعرض بعض الكتاب والعمال وأصحاب الدواوين والوزراء من العزل والاعتقال والمصادرات ولبعض الصناع من العطلة والكسل ، ولبعض التجار من الخسارة والمحق ، ولبعض الناس من الحبس والاستئثار والعسرة . وعند استقامته وشرفيه ما يعرض لهم من الأخلاص والسلامة والظهور والولاية والنشاط واستقامة الأحوال . وعند وقوفه ورجوعه ما يعرض لهم من الحيرة والشكوك والظنون والريبة والتوقف والتخلف من سقوط الجاه

وذو العز ونقصان المراتب وكل ذلك بحسب ما أوجب شكل الفلك في أصل المواد وطبقات أحواله - يعرف بعضها لطبقات أجسامهم ويعلم تفصيلها أصحاب النجوم

ومن الحركات السريعة القصيرة الزمان القريبة الاستئناف ، ما يكون في كل مرة واحدة ، وهي حركة الشمس في فلك تدويرها . والزهرة وعطارد في فلك البروج تارة في البروج الشمالية وتارة في الجنوبية ، وتارة في المستقيمة الطلوع وتارة في الموعضة وتارة في النارية وتارة في الترابية ، وتارة في الهوائية وتارة في المائية ، وتارة صاعدة وتارة هابطة ، وتارة في يومها ، وتارة في وباطها وتارة في حظوظها ، وتارة إغراها وتارة في إشراقها ، وتارة في هبوطها وتارة في أوجاتها ، وتارة في حضيضها وتارة مسرعة وتارة بطيئة وتارة عند رؤوس جوزها وتارة عند ذنب جوزها وتارة متيمونة بعضها من بعض وتارة متيسرة وتارة شرقية وتارة غربية ، وتارة مناظرة وتارة ساقطة وتارة خالية ، وتارة وحشية وتارة في الاوتاد وتارة فيما يليها وتارة زائلة عن الاوتاد . وتارة في البروج المنقلبة وتارة في الثابتة وتارة في ذوى الاجساد وماشا كل هذه الدلالات

﴿فصل﴾

واعلم يا أخي أن الذي يحدث عن هذه الحركات في هذه المدة في هذا العالم وعن أحوال هذه الكواكب من الفنون المختلفة والحالات المغافرة أشياء لا يحيط علماً بذكرها إلا الله تعالى ، ولكن نذكر منها مارفاً ليكون دليلاً على الباقية ونبداً أولاً بذكر الزمان وأحواله وأرباعه وتغيرات الهواء : وذلك أنه إذا ابتدأت الشمس بحركتها في أول برج الجدي صاعدة من الجنوب نحو الشمال ومن الحضيض نحو الأُوّج مرتفعة في الفلك أخذت الطبيعة عند ذلك بمعاونتها باذن الباري جل وعز في جذب الرطوبات المختلفة بالتراب من الأُمطار وامتصاصها في عروق الشجر والنبات إلى أصولها وقضبانها وأمساكها هنـاك

(١٧-م)

بالقوة الماسكة ، وذلك دأبها الى أن تبلغ الشمس آخر الموت . فإذا نزلت أول دقيقة من برج الحمل فهو الربع الريعي — استوى الليل والنهار في الأقاليم واعتدل الزمان وطاب الهواء وهب النسيم وذابت الثلوج وسالت الأودية ومدت الأنهار ونبعت العيون وارتقت الماءات الى أعلى فروع الاشجار ونبت العشب وطال الزرع ونما الحشيش وتلاًلاً الزهر وأورق الشجر وتفتح النور واخضر وجه الأرض وتكونت الحيوانات والديب وتنجت البهائم ودرت الفروع وانتشرت الحيوانات في البلاد عن أوطانها وطاب عيش أهل الوبر وطاب أعلى السطوح أهل المدن وأخذت الأرض زخرفها وفرح الناس والحيوان اجمع بطيب نسيم الهواء وازينت الأرض وصارت كأنها جارية شابة قد تزيينت وتحلت للناظرين . فلا تزال تلك حال الدنيا وأهلها من الحيوان والنبات إلى أن تبلغ الشمس آخر الجوزاء : رأس أوجها . فإذا نزلت الشمس أول السرطان تناهى طول النهار وقصر الليل في الأقاليم كلها ، وأخذ النهار في النقصان والليل في الزيادة ، وانصرف الربع ودخل الصيف واشتد الحر وهي الجو وهبت السمائم ونقصت المياه ويس العشب واستحكم الحب وأدرك الحصاد والثار وأخصبت الأرض وكثير الريف ودرت أخلاف النعم وسمنت البهائم واتسع للناس القوت من الثمار ولاعطير من الحب ولابهائم من العلف ، وصارت الدنيا كأنها عروس منعمة بالغة تامة كاملة كثيرة العشاق . فلا يزال ذلك دأبها ودأب أهلها الى أن تبلغ الشمس آخر السنة وأول الميزان ، فإذا نزلت الشمس أول الميزان استوى الليل والنهار مرة أخرى ، ثم ابتدأ الليل بالزيادة على النهار وانصرف الصيف ودخل الخريف وبرد الهواء وهبت الشحاب وتغير الزمان ونقصت المياه وجفت الأنهار وغارت العيون وجف النبات وفنيت الثمار ودبست البيادر (١) وأحرز الناس الحب والثار وعرى وجه الأرض من زينتها وماتت الهوام والنجمرت

(١) البيادر : جمع يدر والبيادر الموضع الذي يجمع فيه الحصيد ويدرس أو يداس — على حد تعبير المؤلف

المحشرات . والطير والوحش تنصرف لطلب البلدان الدافئة وأحرز الناس القوت
للاشتاء ودخلوا البيوت ولبسو الجلود والغليظ من الثياب فراراً من البرد ، وتغير
الهواء وصارت الدنيا كأنها كهله مدبرة قد تولت عنها أيام الشباب
فإذا بلغت الشمس آخر القوس وأول الجدي تناهى طول الليل وقصر النهار
ثم أخذ النهار في الزيادة على الليل وانصرف الخريف ودخل الشتاء واشتد البرد
وخشن الهواء وتساقط ورق الشجر ومات أكثر النباتات وأخجز أحسن الحيوانات
في باطن الأرض وكهوف الجبال من شدة البرد وكثرة الانداء وكثرة ونشأت
الغيوم وأفلمل الجو وكاح وجه الزمان وهزلت أبهائم وضعفت قوى الأبدان
ومنم الناس البرد عن التصرف وعمر(١) كثير يعيش الحيوان وضعفاء الناس
وصارت الدنيا كأنها عجوز هرمة قد دننا منها الموت .

ومن الحركات السريعة القصيرة الزمان القريبة الاستئناف ما يكون في كل
ثلاثة عشر شهراً بالتقريب مرة وهي حركة جرم زحل والمشرى في فلكي
تدويرها .

ومن الحوادث في هذه المدة — عن حركتهما واختلاف احوالهما ما يعرض
لطبقات من الناس المستولي عليهم — الييس والبرد نحو المشيايخ والعجائز
والاكره(٢) والتناء والاشراف والقضاء والمدول والعلماء والتجار ومن شاكلهم
من الناس من المستولي عليه في مولوده أحد الكوكبين مثل ما يعرض لاصحاب
عطارد كما ذكرنا قبل ، وقد يعرض من حركة هذين الكوكبين وأحوالهما الكثير
من الحيوان والنبات والمعادن أعراض وأسباب قد ذكرنا كيفيةها في الرسائل
التي ذكرنا فيها هذه الاجناس

ومن الحركات القصيرة الزمان السريعة الاستئناف ، حركة الزهرة في فلك
تدويرها في كل خمسة وعشرين يوماً مرة واحدة ، وحركة المريخ في فلك
تدويره في كل سبعين يوماً مرة واحدة . والذى يحدث ويتبع هذين

(١) عمر: اضطرب وتفاق (٢) الاكر: زراع الأرض وحرانها

الـكـوـكـيـنـ فـي عـالـمـ الـكـوـنـ وـالـفـسـادـ مـا يـعـرـضـ لـبـعـضـ طـبـقـاتـ النـاسـ فـي عـالـمـ الـكـوـنـ وـالـفـسـادـ مـنـ النـاءـ وـالـمـخـانـيـثـ وـأـصـحـابـ الـلـذـاتـ وـالـهـوـ وـالـلـهـيـنـ وـأـصـحـابـ الـمـرـيـخـ^(١) مـنـ الشـبـابـ وـالـشـطـارـ وـالـعـيـارـيـنـ وـالـجـنـدـ وـأـصـحـابـ السـلاـحـ وـسـاسـةـ الدـوـابـ وـمـنـ شـاكـلـهـمـ ،ـ مـثـلـ مـا يـعـرـضـ لـأـصـحـابـ عـطـارـدـ كـا ذـكـرـنـا قـبـلـ .ـ وـمـنـ الـحـرـكـاتـ السـرـيـعـةـ الـقـصـيـرـةـ الـزـمـانـ الـقـرـيـبـةـ الـاستـئـنـافـ حـرـكـةـ فـالـكـمـ المـشـتـرـىـ فـيـ الـفـلـكـ الـحـاـمـلـ فـيـ كـلـ أـرـبـعـةـ آـلـافـ وـثـلـاثـائـةـ وـأـرـبـعـةـ وـثـلـاثـيـنـ يـوـمـاـ مـرـةـ وـاحـدـةـ وـالـذـيـ يـمـدـدـثـ فـيـ عـالـمـ الـكـوـنـ وـالـفـسـادـ عـنـ هـذـهـ الـحـرـكـةـ اـعـتـدـالـ أـهـوـيـةـ بـعـضـ الـبـلـادـ بـعـدـ فـسـادـهـ ،ـ وـعـمـارـةـ بـعـضـ الـبـقـاعـ بـعـدـ خـرـابـهـ ،ـ وـتـكـوـينـ بـعـضـ الـمـادـنـ وـنـشـوـءـ بـعـضـ الـنـبـاتـ ،ـ وـذـكـاـةـ بـعـضـ الـمـثـرـ وـصـلـاحـ حـالـ بـعـضـ الـحـيـوـانـاتـ ،ـ وـالـرـخـصـ فـيـ بـعـضـ الـمـدنـ ،ـ وـتـجـدـيدـ النـعـمـ عـلـىـ أـقـوـامـ وـمـاـشـاـكـلـ ذـلـكـ مـنـ الـصـلـاحـ وـالـخـيـرـ فـيـ هـذـاـ الـعـالـمـ .ـ وـمـنـ الـحـرـكـاتـ السـرـيـعـةـ الـقـصـيـرـةـ الـزـمـانـ الـقـرـيـبـةـ الـاستـئـنـافـ مـاـيـكـوـنـ فـيـ كـلـ خـمـسـةـ وـعـشـرـ سـنـةـ مـرـةـ وـاحـدـةـ وـهـوـ أـنـ يـحـصـلـ الـمـرـيـخـ فـيـ اـثـنـيـ عـشـرـ بـرـجاـ اـثـنـيـ عـشـرـةـ رـجـعـةـ .ـ وـمـنـ الـحـوـادـثـ فـيـ هـذـاـ الـعـالـمـ عـنـ هـذـهـ الـحـرـكـةـ أـنـ يـقـعـ نـضـجـ بـعـضـ الـمـادـنـ وـسـرـعةـ النـشـوـءـ فـيـ بـعـضـ الـنـبـاتـ وـزـيـادـةـ الـقـوـةـ فـيـ بـعـضـ الـحـيـوـانـاتـ وـظـهـورـ الـدـوـلـةـ فـيـ بـعـضـ الـنـاسـ وـالـأـمـ مـزـيـادـةـ الـقـوـةـ فـيـ بـعـضـ الـسـلاـطـيـنـ وـخـرـوجـ بـعـضـ الـخـواـرـجـ وـتـجـدـيدـ وـلـاـيـاتـ فـيـ الـمـلـكـ وـمـاـشـاـكـلـ ذـلـكـ مـنـ تـأـثـيرـاتـ قـوـةـ الـمـرـيـخـ وـظـهـورـهـاـ فـيـ الـعـالـمـ ،ـ وـالـقـصـدـ مـنـهـاـ وـفـيـهـاـ هـوـ صـلـاحـ شـأنـ الـكـائـنـاتـ ،ـ وـالـغـرـضـ مـنـهـاـ هـوـ إـبـلـاغـهـاـ إـلـىـ الـكـيـالـ وـالـخـامـ ،ـ وـلـكـنـ رـبـعاـ تـعـرـضـ أـسـبـابـ الـفـسـادـ مـثـلـ إـثـارـةـ الـحـرـوبـ وـالـفـنـ وـالـنـصـبـ فـيـ طـلـبـ الـفـارـاتـ فـيـخـرـبـ بـعـضـ الـبـلـادـ وـتـزـولـ دـوـلـةـ قـوـمـ وـيـذـهـبـ نـعـيمـهـمـ وـلـكـنـ عـاقـبـتـهـاـ تـعـودـ إـلـىـ الـصـلـاحـ .ـ

وـبـاـجـلـةـ مـاـيـعـرـضـ مـنـهـاـ مـنـ الـفـسـادـ عـنـ هـذـهـ الـحـرـكـةـ فـيـ جـنـبـ مـاـيـكـوـنـ مـنـهـاـ مـنـ الـصـلـاحـ فـيـ الـعـالـمـ شـيـءـ يـسـيرـ .ـ

(١) المـرـيـخـ :ـ الرـجـلـ الـاحـقـ .ـ وـقـبـلـ كـثـيرـ الـادـهـانـ الـزـهـوـ بـنـفـسـهـ .ـ

مثال ذلك حركة الشمس بالطلعان والغروب ليكون بها الليل وانهار ، ومسيرها في البروج ليكون الشتاء والصيف كما بینا قبل . ولكن ربما حدث من إسخانها حر شديد في تلك بعض النبات ويقتل بعض الحيوانات الضعيفة البنية بلا قصد من الطبيعة ولا عنایة من الحركة .

وكذلك الاًمطار القصد منها إحياء البلاد والعشب والكلا . أو سق الزروع والثمر لتكون قوتاً للحيوان ، ولربما كانت مهلكة لبعض الزروع مفسدة لبعض الثمار ، وربما خرب السبيل بعض البلاد لكن ذلك في جنوب ما يكون من صلاح عامة البلاد والحيوان والنبات شيء يسير .

وهكذا حكم المريخ وزحل والذنب وما يذكر من مناحسها شيء يسير في جنوب ما يكون عن حركاتها من الصلاح في العالم .

ثم اعلم يا أخي أن كثيراً من يقر بصحة أحكام النجوم أو يتكلم فيها يظن أن زحلاً والمريخ والذنب نحوس بالكلية ، والزهرة والقمر والمشتري سعود بالكلية ، وليس الأمر على ما ذكرنا له ربما عرض عن إفراط القوة المثبتة منها في العالم فساد من الرطوبات والبرودات المفرطة مثل ما يعرض عن إفراط حر الشمس وبرد زحل وينبئ المريخ ورطوبة الزهرة والقمر وأكثر العفنونات منها كما يعرض عن المريخ وزحل .

ومن الحركات السريعة القصيرة الزمان القريبة الاستئناف حركة فلك تدوير زحل في فلك الحامل الممثل بفلك البروج في كل خمسة آلاف وسبعينه واحد وأربعين يوماً مرة واحدة : والذي يحدث عن هذه الحركة في هذه المدة تتميم بعض المعادن كالكحول والزرنيخ والحديد ونمار بعض النبات كالزيتون والجوز وبلوغ الإنسان أشده ، وعمارة بعض البلاد واستحداث بعض المدن والقرى وانتقال الملوك من قوم الى قوم وما شاكل ذلك .

ومن الحركات البطيئة الطويلة الزمان البعيدة الاستئناف حركات الكواكب الثابتة في فلك البروج في ستة وثلاثين ألف سنة مرة واحدة .

وأوجات الكواكب السيارة وحضارتها وجو زهاراتها ، والذى يحدث عن هذه الحركات في هذه المدة في عالم الكون والفساد ، تقل العماره على سطح الأرض من ربم الى ربم وأن تصير مواضع البرارى بخاراً ومواضع البحار جبالاً كما بينا في رسالة المعادن كيفية ذلك . واذا قد فرغنا من ذكر حوادث الأدوار فغيرد أن نذكر طرفاً من القراءات وألوها .

﴿فِصل﴾

فنقول اعلم أن الكائنات التي يستدل عليها المنجمون سبعة أنواع : فنها الملل والدول اللتان يستدل عليها من القراءات الكبار التي تكون في كل ألف سنة بالتقريب مرة واحدة ، ومنها تنقل المملكة من أمة إلى أمة أو بلد إلى بلد أو من أهل بيت إلى أهل بيت آخر ، وهي التي تكون ويستدل على حدودها من القراءات التي تكون في كل مائة وأربعين سنة مرة واحدة . ومنها تبدل الاشخاص على سرير الملك وما يحدث بأسباب ذلك من الحروب والفتنة التي يستدل عليها من القراءات التي تكون في كل عشرين سنة مرة واحدة . ومنها الحوادث الكائنات التي تحدث في كل سنة من الغلاء والرخص والخصب والجدب والوباء والموت والقطط والامراض والعمل والحدثان والسلامة . ومنها يستدل على حدودها من تحاويل سرى العالم التي عليها تورخ التقاوم ، ومنها حوادث الأيام شهراً بشهر وبوما يوم التي يستدل عليها من أوقات الاجتماعات والاستقبالات التي تورخ في التقاوم ، ومنها أحكام المواليد الواحد واحد من الناس في تحاويل سنיהם من حيث ما يوجب لهم تشكيل الفلك ومواضع الكواكب في أصول مواليدتهم وتحاويل سنهم ، ومنها الاستدلال على الخفيات من الأمور الجزوية كالخبيء والسرقة واستخراج الضمير ، والمسائل التي يستدل عليها من طالع وقت المسئلة والسؤال عنها .

نعم اعلم أن في كل ثلاثة آلاف سنة تنقل الكواكب الثابتة وأوجات الكواكب السيارة وجو زهاراتها في البروج ودرجاتها ، وفي كل تسعة آلاف

سنة تنتقل من ربع الى ربع من أربع الفلك ، وفي كل ستة وثلاثين ألف سنة تدور في البروج الاثنى عشر دورة واحدة فبهذا السبب تختلف شعاعات الكواكب على بقاع الارض وأهوية البلاد ويختلف تعاقب الليل والنهار والشتاء والصيف عليها إما باعتدال واستواء وإما بازيادة والنقصان وافراط الحرارة والبرودة واعتدها بينها . ويكون هذا أسباباً وعملاً لاختلاف أحوال أربع الارض وتغيرات أهوية البلاد والبقاع وتبدلها بالصفات من حال الى حال — يعرفحقيقة ما قلنا المتقدمة في المحيطي وأحكام القراءات — ويصير بهذه العلل والأسباب زوال الملك والدول وانتقاله من قوم الى قوم وتغيرات العمارات من ربع الى ربع آخر ، وتكون هذه بوجبات أحكام القراءات الكائنة في الوقت وازمان من جهة القراءات والأدوار في كل ألف سنة مرة واحدة ، وفي كلاثى وعشرين ألف سنة او في كل ستة وثلاثين ألف سنة مرة . والقراءات الدالة على قوة النحوس وفساد الزمان وخروج الناس عن الاعتدال وانقطاع الوحي وفلاة العلماء وموت الاخيار وجور الملوك وفساد الاخلاق للناس وشر اعماهم واختلاف آرائهم ، ويعني نزول البركات من السماء بالغيث فلا تزكي الارض ويجف النبات ويهلك الحيوان وتخرب المدن والبلاد . اذ هي بروز آخر القراءات الدالة على قوة السعود واعتدال الزمان واستواء طبيعة الاركان والحدث بوحى الانبياء ﷺ وتوارثه وكثرة الانبياء وعدل الملوك وبركات السماء بالغيث وتزكي الارض والنبات ويكثر تولد الحيوان وتعمير البلاد ويكثر بنيان المدن والقرى ، وكل ذلك بأمر بارئها على حسب افعال العباد من الخير والشر جزاء لاعمالهم فانتبه أيها الاخ من نوم الغفلة ورقدة الجهلة ، واعلم وتيقن أن ما وراء عالم المحسوس هي جهنم وجحيم عالم آخر ، وأمور آخر هي عالم الارواح ومقر الملائكة والكرهيين والروحانيين الموكلين بحفظ هذا العالم ومراتبها . وفلك الله وإيانا بروح منه وجميع اخواننا السداد انه رؤوف بالعباد

﴿أَتَتْ رِسَالَةُ الْأَدْوَارِ وَالْكَوَافِرِ وَإِلَيْهَا رِسَالَةٌ فِي مَاهِيَّةِ الْعُشُقِ﴾

الرسالة السادسة

صـهـ النـفـسـاتـ الـعـقـلـياتـ

في ماهية العشق

﴿ وهي الرسالة السابعة والثلاثون من رسائل أخوان الصفا ﴾



الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . آللله خير أما يشركون
اعلم أنها الاخ أنا قد فرغنا من رسالة الأدوار والا كوار وبينما فيها كيفية
أحوال القراءات — حسب ما جرت عادة أخواننا الكرام — ونريد أن نذكر
الآن في هذه الرسالة ماهية العشق ومحبة النفوس والمرض الاهلي وماحقيقته ذلك
ومن أين مبدؤه فنقول :

اعلم أن الحكماء قد أكثروا القيل والقال في فنون العلوم وطرق المعرف
وغرائب الحكم من الرياضيات والطبيعيات والفلسفيات والاهليات ، ولكن بعض
تلك العلوم والمعارف ألطف من بعض ، وقد عملنا في كل منها رسالة شبه المدخل
والمقدمات ليقرب تناوله على المتعلمين ، ويهل أخذه على المبتدئين ، ونريد أن
نذكر في هذه الرسالة طرفاً مما قالت الحكماء وال فلاسفة في ماهية العشق وكيفية
أنواعه وكيفية نشوئه ومبدئه وما عalleه الموجبة لكونه والأسباب الداعية إليه ،
وما الغرض الأقصى منه إذا كان هذا أمراً موجوداً في العالم سركوزاً في طباع
النفوس دائماً لا يعدم ألبنة ما دامت الخليقة موجودة

واعلم يا أخي أن من الحكمة من قد ذكر العشق وذمه وذكر مساوىء أهله وقبع أسبابه وزعم أنه رذيلة ، ومنهم من قال إن العشق فضيلة نفسانية ومدحه وذكر محسناته وزين أسبابه ومنهم من لم يقف على أسراره وعمله وأسبابه بحقائقها ودقة معاناتها فزعم أنه مرض نفساني ، ومنهم من قال إنه جنون إلهي ، ومنهم من زعم أنه همة نفس فارغة ، ومنهم من زعم أنه فعل البطالين الفارغين أهتم الذين لا شغل لهم

ولعمري إن العشق يترك النفس فارغة من جميع الهم إلا هم المتشوق وكثرة الذكر له وال فكرة في أمره وهيجان الفؤاد والوله به وأسبابه ، ولكن ليس ذلك من فعل البطالين الفراغ كا زعم من لخبرة له بالآمور الخفية والأسرار المطيبة ولا يعرف من الآمور إلا ما تجلى للحواس وظاهر للمشاعر . وأما الذي يدرك منها بصفاء الذهن وجودة التمييز وكثرة الفكر وشدة البحث ودقة النظر فهو عنها بمعزل

وذلك أن الذين زعموا أن العشق هو مرض نفساني ، أو قالوا إنه جنون إلهي فأنما قالوا ذلك من أجل أنهم رأوا ما يعرض لاعشاق من سهر الليل ونحو الجسم وغور العيون وتواتر النبض والانتفايس الصعداء مثل ما يعرض لامراضي فظنوا أنه مرض نفساني

وأما الذين زعموا أنه جنون إلهي فأنما قالوه من أجل أنهم لم يجدوا لهم دواء يعالجونهم به ولا شربة يسوقونها إياهم فيبرؤون مما هم فيه من المحننة والبلوى إلا الدعاء لله بالصلوة والصدفة والقرابين في أهلا كل ورقى الكبة وما شا كل ذلك كما حكى العاشق بقوله ، وهو عروة بن جرام قتيل الحب :

بذلت لعرف الجامة حكمه وعرفت نجد ان هما شفياني
فا تركا من سلوة يعرفانها ولا رقية الا به سارقياني
فقالا : شفالك الله ! والله ما أنا بما ضمنت منك الضلوع بيدان
وأشعار كثيرة للعشاق في هذا المعنى

وأما الحكاء والاطباء من اليونانيين فكانوا اذا أعيتهم علاج مريض أو مداواة عليل وأيسوا منه جلوه عند ذلك الى هيكل المشترى وتصدقوا عنه وصلوا الله تعالى وقربوا قرباناً وسألوا الكهنة أن يدعوا الله بالشفاء فإذا برأه سموا ذلك طبّاً ومرضاً وجنو نا إلهياً

ومن الحكاء من زعم ان العشق هو افراط الحبّة وشدة الميل الى نوع من الموجودات دون سائر الانواع والى شخص دون سائر الاشخاص أو الى شيء دون سائر الاشياء بكثرة الذكر له وشدة الاهتمام به أكثر مما ينبغي فان كان العشق هو ذا فليس اذاً أحد من الناس يخلو منه اذ كان لا يوجد أحد الا وهو يحب ويميل الى شيء دون سائر الاشياء أكثر مما ينبغي ، وكثير من الحكاء والاطباء يسمون هذه الحال ماليمخوليا !! وقد أكثر الاطباء القيل والقال في هذه العلة وأعيتهم علاجها

وقد ذكرت في كتب أحكام المواليد علل ذلك تركنا ذكرها مخافة التطويل
لأننا نريد أن نتكلّم في العشق المعروف عند جهور الناس : وذلك أنهم لا يسمون العشق الا ما كان من هذه الحال نحو شخص من أبناء الجنس ذكرأ كان أو أنثى
ومن الحكاء من قال إن العشق هو هوى غالب في النفس نحو طبع مشاكل في الجسد أو نحو صورة مماثلة في الجنس . ومنهم من قال إن العشق هو شدة الشوق الى الاتحاد . وهذا فاي حال يكون عليها العاشق يتمى حالاً آخر أقرب منها ، وهذا قال الشاعر :

أعاقها والنفس بعد مشوقة إليها ، وهل بعد العناق تدانى
وألم فاهماكي تزول صبابي فيزداد ماؤلى من الهيمان
كان فؤادي ليس يشفى غليله سوى أن ترى الروحين يعزجان
وهذا القول أرجح ما قبل فيه وألطاف ما أشير اليه . ونحتاج أن نشرح هذا
الباب لتتضطلع حقيقته وتعرف أسبابه ، ولكن لما كان الاتحاد هوى فسانياً

وتأثيراً روحانيا احتجنا الى أن نذكر أنواع النفوس وأنواع معيشتها وعلل تلك وأسبابها .

وأما الفرق بين العلل والأسباب فهو أن العلل كائنة في طباع النفوس والأسباب خارجة منها ، كما سنبين بعد هذا الفصل .

واعلم يا أخي أن النفوس المتجسدة لما كانت ثلاثة أنواع كما قالت الحكمة والفلسفية صارت معشوقاتها أيضاً ثلاثة أنواع : فنها النفس الشهوانية وعشيقها يكون نحو المأكولات والمشروبات والمناكح ، ومنها النفس الغضبية الحيوانية وعشيقها يكون نحو القهر والغلبة وحب الرياسة ومنها النفس الناطقة وعشيقها يكون نحو المعارف واكتساب الفضائل

واعلم يا أخي أيدك الله وابناؤه بروح منه أنه ليس أحد من الناس يخلو من نوع من هذه الانواع الثلاثة التي ذكرناها أو يكون آخذاً بنصيب من كل واحد منها قل أو كثير ، والعلة في ذلك أنه لما كان من شأن النفوس أن تتبع أمزجة الابدان في اظهار أفعالها وأخلاقها ومعارفها وبخاصة ما كان أغلب منها في المزاج وأقوى في أصل التركيب كما يبينا في رسالة الاخلاق ورسالة مسقط النطفة : وذلك أن كل انسان يكون المستوى عليه في أصل مولده القمر أو الزهرة وزحل ، فان الغالب على طبيعته قوة النفس الشهوانية نحو المأكولات والمشروبات والجماع والادخار لها وان يكن المستوى المريخ والزهرة أو القمر فان الغالب على طبيعته شهوة الجماع والمناكح ، وان كان المستوى على أصل مولده الشمس والمريخ فان الغالب على طبيعته تكون شهوة النفس الغضبية نحو القهر والغلبة وحب الرياسة وان كان المستوى عليه في أصل مولده الشمس وعطارد والمشترى فان الغالب على طبيعته تكون شهوات النفس الناطقة نحو المعارف واكتساب الفضائل والعدل وقد يبينا في رسالة مسقط النطفة كيف يتقرر في جبلة الجنين وطبع المولود تأثيرات هذه الكواكب . ويبيننا في رسالة الاخلاق كيف يعتاد الانسان باكتساب تلك الطباع والاخلاق التي في الطباع قبولاً وتهيئها أو ضد ذلك . وإذا قد فر غنا

من ذكر ما احتاجنا إلى أن نذكره فترجع الآذى تفسير قول من قال من الحكاء إن العشق هو شدة الشوق إلى الاتحاد: قوله إن الاتحاد وهو من خاصية الأمور الروحانية والآحوال النفسانية لأن الأمور الجسمانية لا يمكن فيها الاتحاد، بل المعاورة والمازجة والمساية لا غير. فأما الاتحاد فهو في الأمور النفسانية كما سنبين في هذه الفصول.

واعلم يا أخي أن مبدأ العشق وأوله نظرة أو التفات نحو شخص من الأشخاص فيكون مثلها كمثل حبة زرعت أو غصن غرس أو نفقة سقطت في رحم بشر وتكون باق النظارات واللحظات بغير مادة تنصب إلى هناك وتنشأ وتنمى على مر الأيام إلى أن تصير شجرة أو جنيناً: وذلك أن همة العاشق ومناه هو الدنو والقرب من ذلك الشخص، فإذا اتفق (١) في ذلك وسهل تمني الخلوة والمجاورة، فإذا سهل ذلك تمني المعانقة والقبلة، فإذا سهل ذلك تمني الدخول في ثوب واحد والالتزام به، يبع الجوارح أكثر مما يمكن. ومع هذه كلاماً الشوق بحاله لا ينقص شيئاً بل يزداد ويندو كاقيل:

أعانقها والنفس بعد مشوقة
إليها وهل بعد العناق تدانى
وألم فاها كي تزول صباتي
فيزداد ما ألقى من الهمان
كان فؤادى ليس يشفى غالبه
سوى مايرى: زوجان مترجان

ثم اعلم أن روح الحياة إنما هو بخار رطب يتحلل من الرطوبة والدم وينشأ في جميع البدن ومنها تكون حياة البدن والجسم، ومادة هذه الروح من استنشاق الهواء بالتنفس، داماً لترويج الحرارة الغريزية التي في القلب، فإذا تعلق العاشق والمشوق جميعاً وتباؤساً وامتص كل واحد منها ريق صاحبه وبلده وصلاته تلك الرطوبة إلى معدة كل واحد منها وامتزجت هناك مع الرطوبات التي في المعدة ووصلت إلى جرم الكبد واختلطت بجزاء الدم هناك وانتشر في العروق

(١) لعله وفق كما يقتضي السياق

الواردة الى سائر أطراف الجسد واختلطت بجميـع أجزاء الـبدن وصارت حـما ودمـا وـشحـما وـعروـقا وـعصـباً وـماـشا كل ذـلك

وهـكـذا أـيـضاً اذاـتنـفـسـ كلـواـحدـمـنـهـاـ فـيـ وـجـهـ صـاحـبـهـ خـرـجـ مـنـ تـلـكـ الـاقـاسـ شـىـءـ مـنـ نـسـيمـ رـوـحـ كـلـ وـاحـدـمـنـهـاـ وـاخـتـلـطـ باـجـزـاءـ الـهـوـاءـ فـاـذـاـسـتـنـشـقـاـ مـنـ ذـلـكـ الـهـوـاءـ دـخـاتـاـ إـلـىـ خـيـاشـيـمـهـاـ أـجـزـاءـ ذـلـكـ النـسـيمـ مـعـ الـهـوـاءـ الـمـسـتـنـشـقـ وـوـصـلـ بـعـضـهـ إـلـىـ مـقـدـمـ الـدـمـاغـ وـسـرـىـ فـيـهـ كـمـرـيـانـ النـورـ فـيـ جـرـمـ الـبـلـلـوـرـ وـاـسـتـلـذـ كـلـ وـاحـدـمـنـهـاـ ذـلـكـ التـنـسـمـ ، وـوـصـلـ أـيـضاـ مـنـ أـجـزـاءـ ذـلـكـ الـهـوـاءـ الـمـسـتـنـشـقـ بـعـضـ إـلـىـ جـرـمـ الرـئـةـ فـيـ الـخـلـقـومـ وـمـنـ الرـئـةـ إـلـىـ جـرـمـ الـقـلـبـ مـمـ النـبـضـ فـيـ الـعـرـوقـ الـضـوـارـبـ إـلـىـ جـيـمـ أـجـزـاءـ الـجـسـدـ وـاخـتـلـطـ هـنـاكـ بـالـدـمـ وـالـأـحـمـ وـماـشاـ كـلـ ذـلـكـ مـنـ أـجـزـاءـ الـجـسـدـ وـانـعـدـقـ فـيـ بـدـنـ هـذـاـ مـاـ تـخـلـلـ مـنـ جـسـدـ هـذـاـ ! وـفـيـ بـدـنـ هـذـاـ مـاـ تـخـلـلـ مـنـ جـسـدـ ذـلـكـ .

فـيـكـونـ مـنـ ذـلـكـ ضـرـوبـ . وـمـنـ المـزـاجـاتـ مـنـ ذـلـكـ الـأـمـزـجـةـ ضـرـوبـ الـاـخـلـاطـ وـمـنـ ذـلـكـ الـاـخـلـاطـ ضـرـوبـ الـاـخـلـاقـ كـلـ ذـلـكـ بـحـسـبـ أـمـزـجـةـ أـبـدـانـهـاـ . وـمـنـ شـأنـ النـفـسـ أـنـ تـقـبـعـ مـزـاجـ الـبـدـنـ فـيـ اـظـهـارـ اـفـعـالـهـ وـاـخـلـاقـهـ لـاـنـ مـزـاجـ الـجـسـدـ وـأـعـضـاءـ الـبـدـنـ وـمـفـاـصـلـهـ لـلـنـفـسـ بـعـزـلـةـ آـلـاتـ وـأـدـوـاتـ لـاـصـانـعـ الـحـكـيمـ يـظـهـرـهـاـ وـمـنـهـاـ أـفـعـالـهـ . فـلـهـذـهـ الـأـسـبـابـ وـالـعـلـلـ إـلـىـ ذـكـرـ نـاهـيـاـتـوـلـدـ الـعـشـقـ وـالـحـبـةـ عـلـىـ مـرـ الـأـيـامـ بـيـنـ الـمـتـحـابـينـ وـيـنـشـأـ وـيـشـمـوـ . فـأـمـاـ الـذـيـ يـتـغـيـرـ مـنـ الـحـبـةـ وـيـفـسـدـ بـعـدـ التـأـكـيدـ فـلـاـسـبـابـ يـطـوـلـ شـرـحـهـ ، وـلـكـنـ نـذـكـرـ أـوـلـاـ مـاـ الـعـلـةـ فـيـ حـبـةـ شـخـصـ لـشـخـصـ دـوـنـ سـائـرـ الـاـشـخـاصـ فـنـقـولـ :

إـنـ الـعـلـةـ فـيـ ذـلـكـ اـنـفـاقـ مـشـاـكـلـةـ الـاـشـخـاصـ الـفـلـكـيـةـ فـيـ أـصـلـ مـوـلـهـاـ بـضـرـبـ مـنـ الضـرـوبـ الـمـوـافـقـةـ مـنـ بـعـضـ لـبـعـضـ وـهـىـ كـثـيرـةـ الـفـنـونـ ، وـلـكـنـ نـذـكـرـ مـنـهـاـ طـرـفـاـ لـيـكـونـ دـلـيـلاـ عـلـىـ الـبـاقـيـةـ . فـنـهاـ أـنـ يـكـونـ مـوـلـهـاـ بـرـجـ وـاحـدـ أـوـ رـبـ الـبـرـجـيـنـ كـوـكـبـ وـاحـدـ ، أـوـ يـكـونـ الـبـرـجـانـ مـتـفـقـيـنـ فـيـ بـعـضـ الـمـثـانـيـ كـالـمـلـثـلـثـ أـوـ تـكـونـ مـعـالـعـهـمـاـ مـنـسـاوـيـةـ أـوـ سـاعـاتـ نـهـارـهـاـ مـتـفـقـةـ ، وـمـاـشاـ كـلـ ذـلـكـ مـاـ يـطـوـلـ

شرحه . يعرف حقيقة ما فعلنا أصحاب الأحكام الناظرون في مواليد الناس . واما تغير العشق بعد ثباته زماناً طويلاً فهو تغير أشكال الفلك في تحاويل سنى مواليد الناس وسير درجة الطالع وتنقلها في حدود البروج والوجوه ، وهكذا تسيرات ساعات الكواكب في أبراج الاتهاءات في مستقبل السنين
واعلم يا أخي أن كل الكائنات التي دون فلك القمر فهي مربوطة الاحوال بحركات الاشخاص الفلكية كما يبينا في رسالة ماهية الطبيعة ورسالة الادوار والا كوار ورسالة الافعال الروحانية

﴿فصل ب﴾

في ماهية علة فنون المنشوقات

اعلم يا أخي أن كثيراً من الناس يظنون أن العشق لا يكون إلا للأشياء الحسنة حسب ! وليس الأمر كما ظنوا فإنه قد قيل : يارب مستحسن ما ليس بالحسن ! ولكن العلة في ذلك هي الاتفاقات التي بين العاشق والمنشوق وهي كثيرة لا يحصى عددها إلا الله جل ثناؤه ، ولكن نذكر منها طرفاً ليكون دليلاً على الباقي

وذلك أن الاتفاقات بحسب المناسبات التي بين أجزاء المركبات . فن تلك المناسبات ماهي بين كل حاسة ومحوساتها ، وذلك أن القوة الباقرة لاتشتق إلا إلى الألوان والأشكال ، ولا تستحسن منها إلا ما كان على النسبة الأفضل وهكذا القوة السامعة لاتشتق إلا إلى الأصوات والنغم ولا تستلزم منها إلا ما كان على النسبة الأفضل كما يبينا في رسالة الموسيقى .

وعلى هذا القياس سائر الحواس كل واحدة منها لاتشتق إلا إلى محسوساتها ولا تستحسن ولا تستلزم إلا ما كان منها على النسبة الأفضل يبنها في الأفاق . ولما كان تراكيب أحزمة الحواس والمحسوسات كثيرة الفنون وكثيرة التغيير غير ثابتة على حالة واحدة صارت القوى الحساسة في احساسها للمحسوساتها مفنة

متغيرة ، وذلك أنك تجد واحداً من الناس أو من الحيوان يستلزم ماؤكولاً أو مشروباً أو مسموعاً أو مشموماً والآخر لا يستلزم ، بل ربما كان يكرهه ويتأنّمه منه . وهكذا تجد الإنسان الواحد يستلزم في وقت ما شاء ويستحسن ، وفي آخر يكرهه ويتأنّمه منه . كل ذلك بحسب اختلاف التراكيب وفنون الامزجة وما يعرض لها وما يحدث بينها من المناسبات والمنافرات ، وشرحها طويل

واعلم يا أخي أن الحكمة الالهية والعناية الربانية قدر بخط أطراف الموجودات بعضها ببعض رباطاً واحداً ونظمتها نظاماً واحداً

وذلك أن الموجودات لما كان بعضها علاً وبعضها معلولاً ، ومنها أولى ومنها ثوانٍ جعلت في جبلة المعلولات نزوحاً نحو علاتها واشتياقاً إليها ، وجعلت أيضاً في جبلة علامها رأفة ورحمة وتحتتنا على معلولاتها كما يوجد ذلك في الآباء والأمهات على الأولاد ، ومن الكبار على الصغار ، والأقوباء على الضعفاء لشدة حاجة الضعفاء إلى معاونة الأقوباء والصغار إلى الكبار كما أجاب رئيس قريش وحكيهما لما سأله كسرى : - أي أولادك أحب إليك ؟ فقال : صغيرهم حتى يكبر ، وعليهم حتى يبرأ ، وغالبهم حتى يرجع

﴿ فصل »»

ثم اعلم أن الأطفال والصبيان إذا استغنووا عن تربية الآباء والأمهات فهم بعد محتاجون إلى تعليم الأستاذين لهم العلوم والصناعات ليبلغوا بهم إلى الخام والكمال ، فمن أجل هذا يوجد في الرجال البالغين رغبة في الصبيان ومحبة للغلمان ليكون ذلك داعياً لهم إلى تأديبهم وتهذيبهم وتكثيلهم للبلوغ إلى الغايات المقصودة بهم ، وهذا موجود في جبلة أكثر الأمم التي لها شغف في تعلم العلم والصنائع والأدب والرياضيات مثل أهل فارس وأهل العراق وأهل الشام والروم وغيرها من الأمم . وأما الأمم التي لا تتعاطى العلوم والصناعات والأدب مثل الأكراد والأعراب .

والزنج والترك ، فانه قل ما يوجد فيهم ولا في طباعهم الرغبة في نكاح الغلهـ ان
وعشق المردان .

وأما محبة النساء للرجال وعشقها فان ذلك في طباع أكثـر الحيوانات التي
طاسفـاد .

وانما جعلت تلك في طبائعها لـكيـما يدعـواها إلى الاجـتماع والسفـاد ليـكونـ منها
النتـاج . والـفرضـ منها بقاءـ النـسل وـحفظـ الصـورةـ فيـ الـهـيـولـيـ بالـجـنـسـ والنـوـعـ اـذـ
كـانـتـ الـأـشـخـاصـ دـائـمـاـ فيـ السـيـلانـ . والـفـرضـ منـ هـذـهـ كـلـهاـ بـعـيدـ منـ أـفـكارـ
أـكـثـرـ العـقـلـاءـ . وـقدـ يـبـنـاـ ذـلـكـ فيـ رـسـالـةـ الـبـادـيـ وـرسـالـةـ الـبـعـثـ

» فـصـلـ «

في أنواع المحبوبات وما الحكمة فيها

واعلم يا أخي أيـدـكـ اللهـ واياـناـ بـروحـ منهـ انـ المـحبـةـ مـفـنـنـةـ وـالمـحـبـوبـاتـ كـثـيرـةـ
لاـ يـحـصـىـ عـدـدهـ إـلـاـ اللهـ ، ولـكـنـاـ نـذـكـرـ مـنـهـاـ طـرـفـاـ لـيـكـونـ دـلـيـلاـ عـلـىـ الـبـاقـيـةـ : فـنـ
أـنـوـاعـ الـمـحـبـوبـاتـ مـحـبـةـ الـحـيـوـانـاتـ الـازـدواـجـ وـالـنـكـاحـ وـالـسـفـادـ لـمـافـيهـ مـنـ بـقـاءـ
الـنـسـلـ ، وـمـنـهـ مـحـبـةـ الـأـمـهـاتـ وـالـأـبـاءـ لـلـأـوـلـادـ وـتـحـتـنـهـمـ عـلـىـ الصـغـارـ وـتـرـيـتـهـمـ لـهـمـ
وـإـشـفـاقـهـمـ عـلـيـهـمـ كـلـهـاـ مـجـبـولـةـ فـ طـبـاعـهـمـ مـرـكـوزـةـ فـ تـقـوـسـهـمـ لـشـدـةـ حـاجـةـ الصـغـارـ
إـلـىـ الـكـبـارـ ، وـمـنـهـ مـحـبـةـ الرـؤـسـاءـ وـالـرـيـاسـاتـ وـحـرـصـهـمـ عـلـىـ طـلـبـهـاـ وـمـرـاعـتـهـمـ لـمـرـؤـوسـهـمـ
وـحـفـظـهـمـ لـهـمـ وـإـشـفـاقـهـمـ عـلـيـهـمـ وـمـحـبـتـهـمـ لـلـمـدـحـ وـالـتـنـاءـ وـالـشـكـرـ كـلـهـاـ مـجـبـولـةـ فـ
طبـاعـهـمـ مـرـكـوزـةـ فـ تـقـوـسـهـمـ ، وـمـنـهـ مـحـبـةـ الصـنـاعـ فـ إـظـهـارـ صـنـائـعـهـمـ وـحـرـصـهـمـ
عـلـىـ تـعـيـيـمـهـاـ وـشـهـوـتـهـمـ لـتـحـصـيلـهـاـ وـتـرـكـيـبـهـاـ كـأـنـهـ شـيـءـ مـجـبـولـ فـ طـبـاعـهـمـ مـرـكـوزـ فـ
تقـوـسـهـمـ لـشـدـةـ حاجـتـهـمـ إـلـيـهـاـ ، وـمـنـهـ مـحـبـةـ التـجـارـ لـتـجـارـاـتـهـمـ وـرـغـبـةـ الـرـاغـبـينـ فـ
الـدـنـيـاـ وـحـرـصـهـمـ عـلـىـ اـجـمـعـ وـالـادـخـارـ هـاـ وـحـفـظـهـاـ وـمـحـبـةـ عـمـارـةـ الـأـرـضـ وـاصـلاحـ
الـأـمـمـةـ وـجـمـعـهـاـ وـحـفـظـهـاـ كـأـنـهـ شـيـءـ مـجـبـولـ فـ طـبـاعـهـمـ مـرـكـوزـ فـ تـقـوـسـهـمـ لـمـافـيهـ
مـنـ الصـلـاحـ لـغـيـرـهـمـ وـمـنـ يـأـتـيـ مـنـ بـعـدـهـمـ ، وـمـنـهـ مـحـبـةـ الـعـلـمـاءـ وـالـحـكـماءـ لـاستـخـراجـ

العلوم ووصف الأداب وتعلم الرياضيات والبحث عن الغواصين والفحص عنها وتدوينها في الكتب والادراج أمة بعد أمة وقرنا بعد قرن كأنه شيء مجبول في طباعهم مرکوز في تقوسيهم لما فيه من إحياء النفوس وإصلاح الأخلاق وصلاح الدين والدنيا جميعاً، ومنها محبة البر والاحسان وما يقال فيما من المدح والثناء كأنه شيء مجبول في طباع البشر مرکوز في تقوسيهم لما فيه من الحث على مكارم الأخلاق، ومنها محبة أبناء الجنس وما يسمى العشق وما يصف المشاق من أحواهم وأحوال معشوقيهم وما يجدون في تقوسيهم من الأفكار والهموم والحزان والفرح والسرور والنشاط وما يذكرون من الأخلاق الجميلة والطرائق الحميدة وما يذمون من الأخلاق المذمومة والاحوال المرذولة، قالوا: لوم يكن العشق موجوداً في الخليقة لخفيت تلك الفضائل كلها . ولم تظهر ولم تعرف تلك الرذائل أيضاً ! فقد بان وتبين اذاً ما ذكرنا أن المحبة والعشق فضيلة ظهرت في الخليقة وحكمة جليلة وحصلة نعيسة عجيبة . ذلك من فضل الله على خلقه وعناته بصالحهم ودلالة لهم عليه وترغيباً لهم فيما أمر به من المزيد واعلم يا أخي أن محبوبات النفوس ومعشوقيها مفتنة وهي بحسب مراتبها في العلوم ودرجاتها في المعرفة وذلك أن النفس الشهوانية لا يليق بها حبّة الرياسة والقهر والغلبة ، ولا النفس الحيوانية يليق بها محبة العلوم والمعرفة واكتساب الفضائل ، ولا النفس الملوكية يليق بها محبة الأجساد والكون مع الأجسام اللحمية والدموية ، بل الذي يليق بها محبة فراق الأجساد والارتفاع إلى ملائكة السماوات والسيحان في سعة فضاء الأفلاك والتنسم من ذلك الروح والريحان المذكور في القرآن .

ومن أجل هذا الذي ذكرنا من مراتب النفوس وما يليق بها من المعشوقات إنك لا تجد ولا ترى نفساً تحب وتعشق وتشتاق إلا لابناء جنسها وما شاكلها من المحبوبات والمعشوقات . مثال ذلك نفس الصبيان والناقصين من الناس فأنهم لا يحبون ولا يعشقون إلا اللعب والخائيل المchorة والمزينة المشاكلة لمرببة (١٨ - ٢)

نفوسهم ، فإذا عقلوا وتعلموا وارتأوا ارتفعت هممهم وشغلت نفوسهم بغیرها مما هو أشد تحقیقاً مما كانوا فيه وهو الصورة من الاشكال والمحاسن والذینة الموجودة في الاشكال والاجساد اللاحمية من الحيوان والناس وهي المحبوبة المرغوبة فيها المشتهاء المعشوقة عند أكثر الناس من البالغين العقلاه فإذا ارتأوا نفوسهم في العلوم الاطهية والمعارف الربانية ارتفعت نفوسهم أيضاً عن هذه الصور والخاتیل المزوجة الموجود في اللحم والدم الى ما هي أشرف منها وأفضل وهي الصورة للنفوس ذوات الحسن والبهاء والكمال والجمال التي تراها النفوس الناطقة الناجية (١) في عالم الارواح

ثم اعلم أنه لما قصرت أفهم كثیر من الناس عن تصورها واقتصرت معرفتهم بها رضوا بهذه الصورة والاشباح الجسمية الجسدانية المؤلفة من اللحم والدم والصدید واطمأنوا اليها وسكنوا اليها وتنفسوا الخلود بها لنفس نفوسهم ، كذاذ كر الله تعالى رضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذین هم عن آياتنا غافلون وآيات كثيرة في القرآن في هذا المعنى

ثم اعلم يا أخي أنه مقرر في طباع الموجودات وجبلة النفوس محبة البقاء والدؤام السرمدي على أتم الحالات وأكمل الغایات وأتم حالات النفس الشهوانية بأن تكون موجودة أبداً تتناول شهواتها وتتمتع بذلكها التي هي مادة وجود أشخاصها من غير عائق ولا تنفيص

وهكذا من أتم حالات النفس الحيوانية أن تكون موجودة أبداً رئيسة على غيرها قاهرة لمن سواها منتقمة من يؤذيها من غير عائق ولا تنفيص .

وهكذا أيضاً من أتم حالات النفس الناطقة أن تكون موجودة أبداً مدركة لحقائق الاشياء متصورة لها ملتبدة بها مسرورة فرحانة بلا عائق ولا تنفيص

واما صارت النفوس الناطقة تلتذ بالعلوم والمعارف لأن صور المعلومات في ذاتها هي المتممة لها المكملة لقضائهما المبلغة لها الى أتم غايتيها وأفضل نهایتها عند

(١) لعلها السابعة

باريهما جل ثناؤه كما قال تعالى (في مقعد صدق عند مليك مقتدر)
 ثم اعلم أن هذه الاحوال لا تليق بالنفس الشهوانية ولا بالنفس الغضبية
 ولكن تليق بالنفس الناطقة اذا هي انتبهت من نوم الففلة واستيقظت من رقدة
 الجهلة وانفتحت لها عين البصيرة وعاينت عالمها وعرفت مبدأها ومعادها واشتافت
 عند ذلك الى باريهما وتنافت وحنت اليه كما يحن العاشق الى معشوقه وإلى هذا
 أشار بقوله تعالى : (والذين آمنوا أشد حباً لله) يعني من كل محظوظ سواه
 ثم اعلم أن كل نفس اذا أحبت شيئاً اشتافت وحنت نحوه وطالبته وتوجهت
 نحوه حيث كان ولم تأتفت الى شيء سواه ولم تمرج عليه كما قال الشاعر : —
 أحب حبيباً واحداً لست ابغى مدى الدهر عنه ماحببته بدليلاً
 فان ظفرت كفى به فهو بغنى وإن فات ما أبغى سواه خليلاً
 ثم اعلم أن كل محب لشيء من الاشياء مشتاق اليه هائم به ، وانه متى وصل
 اليه ونال ما يهواه منه وبلغ حاجته من الاستمتاع به والتلذذ بقربه فانه ولا بد
 يوماً من أن يفارقه أو يمله أو يتغير عليه وتذهب تلك الحلاوة وتتلذذ تلك
 البشاشة ويخمد طبع ذلك الاشتياق والهيجان ، الا الحبيبين لله تعالى من المؤمنين
 والمشتاقين اليه من عباده الصالحين فان لهم كل يوم من محظوظهم قربة ومزيداً بأبد
 الا بدين بلا نهاية ولا غاية ، والى الحبيبين لسواه عز وجل أشار بقوله : (كسراب
 بقيعة يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجد له شيئاً) ثم عطف نحو محبته فذكر
 حاطم وكني عن ذكرهم والى نحو ذكرهم فقال تعالى (ووجد الله عندده فوقاً حساً به)
 يعني عند الحب

وكا روئي في الخبر عن موسى عليه السلام أنه نادى ربه فقال : (يا رب أين
 أجده) فقال عند المنسكرة قل لهم من أجي و قال عليه السلام أعبد الله كأنك
 تراه ، فان لم تكن تراه فانه يراك
 ثم اعلم أن رؤية أولياء الله تعالى جل اسمه ليست كرؤيه الاشخاص والاشباح
 والصور والاجناس والانواع والجواهر والاعراض والصفات والمواصفات في

الاماكن والمحاذيات ، ولكن بنوع اشرف منها وأعلى وفوق كل وصف جسماني ونعت جرماني وهي رؤية نور بنور في نور من نور كما قال الله تعالى (الله نور السموات والارض مثل نوره كشكة فيها مصباح المصباح في زجاجة الرجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونه لا شرقية ولا غربية) أي لاصورية ولا هيولانية

ثم اعلم أن الغرض الاقصى من وجود العشق في جبلة النfos ومحبتها الاجساد واستحسانها لها ولزينة الابدان واشتياقها الى المعشوقات المفتنة كل ذلك انما هو تنبئه لها من نوم الغفلة ورقدة الجهالة ورياضة لها وتعريف لها وترقية من الامور الجسمانية المحسوسة الى الامور النفسانية المعقولة ومن الرتبة الجرمانية الى الحاسن الروحانية ودلالة على معرفة جوهرها وشرف عنصرها ومحاسن عالمها وصلاح معادها ، وكل ذلك أن جيم المحسن والزينة وكل المشتيمات من المرغوب فيها الذي يرى على ظواهر الاجرام وسطوح الاجسام انما هي أصياغ ونقوش ورسوم قد صورتها النفس الكلامية في الهيولي الاولى وزينت بها ظواهر الاجرام وسطوح الاجسام ، كما اذا نظرت اليها النfos الجزئية حتى ايتها وتشوقت نحوها وقدرت لطلبها بالنظر اليها والتأمل لها والتفكير فيها والاعتبار لاحواها ، كل ذلك كما تصور تلك الرسوم والمحاسن والنقوش في ذاتها وتنطبع في جوهرها حتى اذا غابت تلك الاشخاص الجرمانية عن مشاهدة الحواس لها بقيت تلك الرسوم والصور المعشوقة المحبوبة مصورة فيها أعين النfos الجزئية صورة روحانية صافية باقية معها معشوقتها متعددة بها لاتخاف فراقها ولا فواتها أبداً .

والدليل على ما قلنا وصححة ما وصفنا معرفة من عشق يوما من أيام عمره الشخص من الاشخاص ثم تسلى عنه أو فقده أو تغير عليه ثم إنه وجده من بعده وقد تغير بما كان عليه وعهده من الحسن والجمال وتلك الزينة والمحاسن التي كان دأها على ظاهر جسمه فإنه متى رجع عند ذلك فنظر الى تلك الرسوم والصور

الى هي باقية في نفسه منذ العهد القديم وجدها بحالها تلك ولم تغير ولم تتبدل ورآها برمتها ، فتشاهد النفس في ذاتها حينئذ من تلك الحasan والصور والرسوم والاصباغ ما كانت من قبل تراها على غير تغير ، وتجد في جوهرها ما كانت قبل ذلك تطلبه خارجا عنها . فعند ذلك تبين له وعلم أن المعشوق والمحبوب بالحقيقة إنما هي تلك الرسوم والصور التي كان يراها على ذلك الشخص وهو اليوم يراها منقوشة في نفسه مرسومة في جوهره مصورة في ذاته باقية لم تغير ! فإذا فكر العاقل اللبيب فيما وصفنا انتبهت نفسه من نوم غفافتها واستيقظت من رقدة جهالتها واستقلت بذاتها وفازت بجوهرها واستغفت عن غيرها وكان حالها كما وصف المحب بقوله :

قد كنت ألف موطن وشوقى نحو الأحبة لوعة ما تذكر
والآن مالى مصدر عن وردى ما للعييد عن الموالى مصدر
فاسرتاحت نفسه عند ذلك من تعها وعنائها ومقاسات صحبة غيرها وخلصت
من السقام الذي لا يزال يعرض لعاشقى الاجرام ومحبى الاجسام حسب ما وصفوه
في أشعارهم وشكوه من أحواطهم كما قال بعضهم :

وما في الارض أشقي من محب وإن وجد الهوى حل المذاق
تراء باكيا في كل حين مخافة فرقه أو لاشتياق
فيبيكي إن نأى شوقا اليه ويبكي إن دنا خوف الفراق
فتسخن عينه عند الثنائي وتسخن عينه عند التلاقي

﴿ ذهل ﴾

ثم اعلم أن من ابتلى بعشق شخص من الاشخاص ومرت به تلك الحسن
والاهوال وعرضت تلك الاحوال ثم لم تنتبه نفسه من نوم غفافتها فيتألى ويفيق
أو نسى وابتلى من بعد بشق ثان لشخص آخر ، فان نفسه نفس غريقة في
عمائمها سكري في جهالتها كما قيل

(تسلت عمایات الرجال عن الصبی) (وما إن أری عنك الغواية تنجل)
 ثم اعلم أن في الناس خواصاً وعواماً : فالعوام من الناس هم الذين اذا رأوا
 مصنوعاً حسناً او شخصاً مزيناً تشوّقت نقوسهم الى النظر اليه والقرب منه
 والتأمل له . وأما الخواص فهم الحكماء الذين اذا رأوا صنعة محكمة أو شخصاً
 مزيناً تشوّقت نقوسهم الى صانعها الحكيم ومبنيها العليم ومصورها الرحيم
 وتعلقت به وارتاحت اليه واجتهدوا في التشبه به في صنائعهم والاقتداء به في
 أفعالهم قوله وفعلاً وعماً وعملاً

ثم اعلم أن النفوس الناقصة تكون قصيرة الهمم لا تحب الا زينة الحياة
 الدنيا ولا تتمي إلا الخلود فيها لأنها لا تعرف غيرها ولا تتصور سواها ! فأما
 النفس الشريفة المرتاضة فهي تألف من الرغبة في الدنيا بل تزهد فيها وتريد
 الآخرة وترغب فيها وتتمي بالحقوق بأبناء جنسها وأشخاصها من الملائكة ،
 وتشتاق الى الترقى الى ملوكوت السماء والسيحان في سعة فضاء الافلاك ، ولكن
 لا يمكن الا بعد فراق الجسد على شرائط محدودة ، كما ذكرنا في رسالة البعث
 والقيمة .

واعلم أن نقوس الحكماء تجتهد في أفعالها ومعارفها وأخلاقها في التشبه
 بالنفس الكلية الفلكية وتتمي بالحقوق بها ، والنفس الكلية أيضاً كذلك فأنها
 تتشبه بالباري في ادارتها الافلاك وتحريكها الكواكب وتكوينها الكائنات ،
 كل ذلك طاعة لباريها وتعبداً له واشتياقاً اليه . ومن أجل هذا قالت الحكماء :
 ان الله هو المنشوق الاول ، والفالك اعما يدور شوقاً اليه ومحبة للبقاء والدائم
 المديد على اتم الحالات وأكمل الغایات وأفضل النهايات

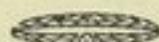
ثم اعلم أن الباعث للنفس الكلية على ادارة الفلك وتسير الكواكب هو
 الاشتياق منها الى اظهار تلك المحسن والفضائل والملاذ والسرور التي في عالم
 الارواح التي تقصّر السن الوصف عنها الا مختصرها كما قال تعالى «فيها ما تشنّهى
 الانفس وتلذ العين »

نم اعلم أن تلك المحسن والفضائل والخيرات كاها إنما هي من فيض الله واشراق نوره على العقل الـكلي ، ومن العقل الـكلي على النفس الـكلية ، ومن النفس الـكلية على الـحيوي وـهي الصورة التي ترى الانفس الجزئية في عالم الـاجسام على ظواهر الاشخاص والـاجرام التي من محـيط الفلك الى مـنتهي مرـكـز الـارض.

نم اعلم أن مثل سريان تلك الانوار والـمحسنـ من أولها الى آخرها كـثـل سريان النور والـضـيـاء التي في لـيـلة البـدرـ منـبعـاً من جـرمـ جـوـهـرـ القـمـرـ علىـ الـهـوـاءـ ، والـذـيـ علىـ جـرمـ القـمـرـ منـ الشـمـسـ ، والـذـيـ علىـ جـرمـ الشـمـسـ والـكـواـكبـ جـيـعـاً منـ اـشـرـاقـ النـفـسـ الـكـلـيـةـ ، والـذـيـ علىـ النـفـسـ الـكـلـيـةـ منـ العـقـلـ الـكـلـيـ والـذـيـ علىـ العـقـلـ الـكـلـيـ منـ فيـضـ الـبـارـىـ وـاشـرـاقـهـ كـماـ قـالـ اللهـ تـعـالـىـ « اللهـ نـورـ السـمـوـاتـ وـالـأـرـضـ » فـقـدـ تـبـيـنـ بـماـ ذـكـرـناـ أـنـ اللهـ هـوـ الـمـعـشـوقـ الـأـوـلـ وـأـنـ كـلـ الـمـوـجـودـاتـ إـلـيـهـ تـشـتـاقـ وـنـحـوـهـ تـقـصـدـ وـإـلـيـهـ يـرـجـعـ الـأـمـرـ كـلـهـ لـاـنـ بـهـ وـجـودـهـ وـقـوـامـهـ وـبـقـاءـهـ وـدـوـامـهـ وـكـلـهـ لـاـنـهـ هـوـ الـمـوـجـودـ الـخـفـيـ وـلـهـ الـبـقـاءـ وـالـدـوـامـ الـسـرـمـدـ وـالـخـامـ وـالـكـمالـ الـمـؤـيدـ . تـعـالـىـ اللهـ عـمـاـ يـقـولـ الـظـالـمـونـ وـالـجـاهـلـونـ عـلـوـاـ كـبـيرـاـ . بـلـغـكـ اللهـ أـيـهـ الـأـخـ إـلـيـهـ وـتـعـمـ نـورـكـ كـماـ وـعـدـ أـوـلـيـاءـ وـأـصـفـيـاءـ منـ عـبـادـهـ ، وـذـكـرـ وـلـهـ تـعـالـىـ « يـوـمـ تـرـىـ الـمـؤـمـنـينـ وـالـمـؤـمـنـاتـ يـسـعـيـ نـورـهـ بـيـنـ أـيـدـيـهـمـ وـبـأـيـمـانـهـمـ يـقـولـونـ رـبـنـاـ أـمـمـ لـنـاـ نـورـنـاـ وـاغـفـرـ لـنـاـ انـكـ عـلـىـ كـلـ شـيـءـ قـدـيرـ » وـفـقـدـ اللهـ وـإـيـاناـ وـجـيـعـ اـخـوـاتـناـ الـكـرـامـ الـىـ طـرـيقـ السـدـادـ وـهـدـاكـ وـإـيـاناـ وـجـيـعـ اـخـوـاتـناـ سـبـيلـ الرـشـادـ

أنـهـ رـؤـوفـ بـالـعـبـادـ

﴿ ثـمـتـ رسـالـةـ مـاـهـيـةـ الـعـشـقـ وـبـلـيـهاـ رسـالـةـ الـبـعـثـ وـالـقيـامـةـ ﴾



الرسالة السابعة

صـفـهـ النـفـسـانـيـاتـ الـمـقـلـيـاتـ

فـيـ الـبـعـثـ وـالـقـيـامـةـ

وـهـىـ الرـسـالـةـ السـابـعـةـ وـالـثـلـاثـتـونـ مـنـ رـسـائـلـ أـخـوـانـ الصـفـاـ

بـسـمـ اللـهـ الرـحـمـنـ الرـحـيمـ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آله خير أما يشركون

اعلم أباها الآخ أنا قد فرغنا من بيان ماهية العشق ومحبة النفوس ما هو أشرف وأحسن وأكمل وأجمل وأتم وأدوم منها، ونريد الآن أن نذكر في هذه الرسال ماهية البعث والقيمة وكيفية المراج فنقول :

اعلم أيديك الله وايانا بروح منه أن العلوم كثيرة وكلها شريفة وفي معرفتها عزة وفي طلبها نجاة من الهملة ونيلها حياة للنفوس وراحة للقلوب وتعلمها هدی ورشد وخروج من ظلمات الجهلة وصلاح في الدين والدنيا جميعاً، ولكن بعض العلوم أشرف من بعض وأهلها يتفضلون : وذلك أن أفضل العلماء هم أهل الدين والورع الذين هم من أمر الآخرة على يقين وبصيرة لاعلى تقليد ورواية واعلم يا أخي أيديك الله وايانا بروح منه أن معرفة حقيقة الآخرة والعلم بالمعاد محظوظ عن الهليس وذرته المنكرين لما غاب عن روؤية الأ بصار وعن أهل التقليد الذين لا يعرفون حقيقة ما تم مقررون به من أمر الآخرة والبعث والقيمة والحضر والحساب والميزان والصراط والمعد والجزاء هناك : إن خيراً فخيراً وإن شرآ فشراً لأن هذا العلم هو لاب الأ باب وسر لا ولقاء الله دون سواه ، لأن

أولياء الله هم المصطفون الأُخيار الذين أخلصوا بخالصه ذكرى الدار . ونزيد أن نلوح من هذا العلم طرفاً في هذه الرسالة الجليلة القدر باشارات مرموزة وأمثال مضررها للمربيين لله عز وجل الطالبين دار الآخرة ، اذ كان الاخبار عن حقيقهم يدق عن البيان ويبعد عن التصور بالافكار والتخيل بالاوهام الا لانفس زاكية وأرواح طاهرة وقلوب واعية وأذان سامعة : ولكن قبل ذلك نحتاج أن نذكر النفس والروح وحقيقةهما وماهيتها وتصاريف أمرهما اذ كان معرفة حقيقة الآخرة وأمر المعاد بعد معرفة البعث والقيامة بعد معرفة النفس والروح ، وعلة أخرى أيضاً أن قوماً من علماء الاسلام يتعاطون العلوم والكلام والجدل وينكرون أمر النفس وجودها وينجحون في حقيقة الروح وتصاريف أحواها .

من أجل هذا احتجنا الى أن ندل أولاً على وجود النفس وماهيتها جوهرها وتصاريفها وورها بطريق السم والاخبار وما ذكر في الاخبار والكتب النبوية المنزلة ، ثم نذكر حبجاً عقایدیة حکیمة ، لأن قوماً من هؤلاء المجادلة لا يرضون طريق السمع والاخبار ولا يقنعهم ذلك لشكوك في تقوسيهم وربما في قلوبهم ، بل يريدون دلائل عقلية وحججاً فلسفية فنقول :

اعلم يا أخي أيديك الله وابيانا بروح منه أن الحكاء وال فلاسفة قد أكثروا في كتبها وفي مذكراتها ذكر النفوس وحيث تلاميذها وأولادها على طلب علم النفس ومعرفة جوهرها لازم في علم النفس ومعرفة جواهرها معرفة حقائق الاشياء الروحانية من أمر المبدأ والمعاد والباري تعالى عز وجل وملائكته وخاصية معرفة البعث وحقيقة القيامة والنشر بعد الموت والحضر والحساب والجزاء ونواب الحسينين وعقاب المسيئين

وذلك أذ كل انسان لا يعرف نفسه ولا يعلم ذاته ولا يعلم ما الفرق بين النفس والجسد تكون هته كلها مصروفة الى اصلاح أمر الجسد ومرافق أمر البدن من لذة العيش والتمتع بنعيم الدنيا وتمني الخلود فيها مع نسيان أمر المعاد وحقيقة

الآخرة! فإذا عرف الإنسان نفسه وحقيقة جوهرها صارت همه في أكثر الأحوال في أمر النفس وفكرته أكثرها في إصلاح شأنها وكيفية حالها بعد الموت واليقين بأمر المعاد والاستعداد للرحلة من الدنيا والتزود للمعاد والمسارعة في الخيرات والتوبة وتجنب الشر والمنكر والمعاصي

فإذا فعل ذلك ينزل عنه خوف الموت وربما تمنى لقاء الله تعالى وهذه صفة أولياء الله تعالى وعباده الصالحين كما ذكر الله سبحانه وأشار إليهم بقوله في كتابه على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في توبيخه لليهود لما زعموا أنهم أولياء الله من دون الناس فقال لهم : « فتمنوا الموت ان كنتم صادقين » لأنكم أولياء الله من دون الناس وإنما يتمنى أولياء الله الموت إذا تذكروا ما وعدكم الله وأعدده لهم من التحية والسلام كما قال جل ثناؤه : « تحببهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرًا كربلا » وقال تعالى أيضًا « ولا تحسن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » وقد علم كل عاقل علماً يقيناً أن أجساد هؤلاء قد باتت في التراب وأن هذه الــكرامة والتحية والسلام هي لأرواحهم ونقوتهم الطاهرة الزكية كما ذكر جل ثناؤه بقوله تعالى « يا أيتها النفس المطمئنة ارجع إلى ربك راضية مرضية فادخل في عبادي وادخلني جنتي » وقال تعالى « ونفس وما سواها فأهملها فجورها وتقواها قد أفلح من ذakahا وقد خاب من دساها » وقال تعالى « يوم تأتي كل نفس تمحاذل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهي لا يظلمون » وقال أيضًا « إن النفس لأمارة بالسوء الا ما رحم ربها » وقال جل وعز « الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى » وأيات كثيرة في القرآن في ذكر النفس وخطابها بالتأنيث ليعلم كل عاقل أنها هي شيء غير الجسد لأن الجسد مذكر لا يخاطب بالتأنيث ، فكفى بهذا فرقاً وبياناً بين النفس والجسد

وقد يعلم كل عاقل اذا تأمل وتفكر في أمر الجسد أنه جسم مؤلف من اللحم والمدم والعروق والعصب والعظام وما شاكلها ، وأصله نطفة ودم انطمس . ثم اللبن والغذاء والملائكة والمشروبات ، ثم آخر الامر الموت وبعد مفارقة النفس ايام يبلى ويصير ترابا ، ثم يعاد خلقاً جديداً اذا شاء الله كما وعد جل ثناؤه :

فاما النفس يعني الروح فهي جوهرة متساوية نورانية حية علامه فعالة بالطبع حساسة دراكة لا تموت ولا تفنى بل تبقى ممorte : إما ملائكة وأما موتة فأنت نفس المؤمنين من أولياء الله وعباده الصالحين يخرج بها بعد الموت الى ملكوت السموات وفسحة الأفلاك وتحلى هناك فهي تسurg في فضاء من الروح وفسحة من النور وروح وراحة الى يوم القيمة الطامة الكبرى ، فإذا انتشرت أجسادها ردت اليها لتحاسب وتحجازى بالاحسان احساناً والسيئات غفرانا

وأما نفس الكفار والفساق والاشرار فتبقى في عماها وجهاتها معذبة متألمة مفتنة حزينة خائفة وجلة الى يوم القيمة ، ثم تردى أجسادها الى خرجت منها لتحاسب وتحجازى بما علمت من سوء

والدليل على صحة ما قلنا وحقيقة ما وصفنا قول الله سبحانه « النار يعرضون عليها غدوأ وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب » وقال أيضاً « ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون » وقال أيضاً « شهدوا على أنفسهم أنهم كانوا كافرين » وقال « ادخلوا في أمم قدحات من قبلكم من الجن والانس في النار » وقال أيضاً « يصلونها يوم الدين وما هم عنها بغالبين » وآيات كثيرة في القرآن في هذا المعنى تدل على بقاء النفوس بعد الموت اما منعمة ملائكة واما معذبة متألمة

وفيما ذكرنا كفاية لمن أتصف عقله ونصح نفسه واهم لما بعد الموت وتفكر في أمر المعاد واستعد للرحلة وتزود للسفر وزهد في الدنيا ورغبة في الآخرة

قبل فناء العمر وتقرب الأجل والفت . وفقك الله أيمها الاخ للسداد وهداك
للرشاد وابانا وجميع اخواننا حيث كانوا في البلاد

اعلم أيدك الله وايانا بروح منه أن الدين أذكروا أمر البعث والقيمة والنشر والخسر والوقوف والحساب ووضع الموازين لوزن الحسنات والسيئات والجواز على الصراط وما شاكل هذه الامور المذكورة في كتب الانبياء عليهم السلام لشكوك في تفوسهم وحيرة في قلوبهم ،والصلة في ذلك طلبهم حقيقة معرفتها وكيفيتها وأبنيتها وما هيها وكيفيتها قبل معرفتهم أنفسهم وحقيقة جوهرها وكيفية كونها مع الجسد ولم ربطة به وقتاً ما ولم تفارقه وقتاً آخر ، ومن أين كان مبدؤها والتي أين يكون معادها بعد مفارقتها جسدها ، وهذه المباحث علم غامض وسر لطيف ليس إليها طريق للبتدئين في العلوم الحكيمية الا الفسائم والایمان والتصديق للمخبرين عنهم الصادقين عن الله جل ثناؤه الذين أخذوا هذا العلم عن الملائكة وحياناً وإلهاماً بتأنٍ يهدى من الله جل ثناؤه .

وأما الذين لا يرضون أن يأخذوا هذا العلم تسليماً وتصديقاً بل يريدون
براهين عقلية وحججاً فلسفية فيحتاجون إلى أن تكون لهم نفوسٌ زكيةٌ وقلوبٌ
صافيةٌ وأذنٌ واعيةٌ وأخلاقٌ ظاهرةٌ وأن يكونوا غير متعصبين في الآراء والمذاهب
المختلفة، وهم ذاك يكونون قد ارتأوا في الرياضيات الفلسفية من علم العدد
والهندسة والمنطق والطبيعيات، ثم نظروا في العلوم الاطهيات

وقد ذكرنا في رسائلنا طرفاً من ذلك وبيننا فيها ما يحتجّاج أخواننا من هذه العلوم إليها والمعرفة بها فانظر يا أخي فيها واعتبرها وتأملها ترشد أن شاء الله ثم أعلم يا أخي أن معنى القيامة مشتق من قام يقوم قياماً، وهواء فيه لمبالغة وهي من قيامة النفس من وقوعها في بلائها . والبعث هو انبعاثها وانتباها من نوم غفلتها ورقدة جهالتها وهي بالفارسية رست خيزاى قياماً مستوراً وأعلم يا أخي أيديك الله وإيانا بروح منه أن كل عاقل لبيك إذا تذكر في أمر الدنيا وتأمل تصرف حالاتها بأهلها من الكون والفساد والتغير والاستحالة

و خاصة أمر الحياة والمات الذين مرهون بهما جميع الحيوان ، واعتبر أحوال الماضين من القرون السالفة تيقن أنه لا محالة ميت وصائر إلى ما صاروا إليه فيود عند ذلك ويتمنى أن يعرف حقيقة أمر الآخرة على صحة وبيان ليكون على يقين منها . واعلم يا أخي بأن الناس في أمر الآخرة على رأيين ومذهبين : فطائفة مقرة بها وطائفة منكرة ، فالمشكرون أمر الآخرة هم الذين يظنون أن حكم الإنسان بعد الممات كحكم النبات والحيوان ، وذلك أنهم لما تأملوا أمرها وتقربوا في كونهما وفسادها واعتبروا أحوالها وجدوا النبات يتكون وينشأ ويبلغ إلى غاية ما ثم يلي ويضمحل ويتحول مثله آخر ، وهكذا أمر الحيوان يتولد ويتربى ثم يبلغ إلى غاية ما ثم يموت ويموت ويبقى ويتحول آخر مثله فلما وجدوا حكم النبات والحيوان على ما وصفنا جعلوا ذلك قياسا على حال الإنسان فقالوا : « نموت ونحيانا وما يهلكنا إلا الدهر » فقال الله تعالى « وما لهم بذلك من علم » لأنهم لو سئلوا ما الدهر لعجزوا عن ما هو الدهر في البيان ، وما دروا ما الدهر

واعلم يا أخي أن المقربين بالآخرة طائفتان من الناس : أحدهما الذين يقررون بها بالسنته من غير تصور منهم لها بقلوبهم ولا معرفة بحقيقة بعقولهم ، فأفراهم إيمان وتسليم لقول الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وتقليل لهم فيما يقولون ويخبرونهم عنها ، والطائفة الأخرى الذين هم مع أفرادهم بها وتصديقهم للأنبياء عليهم الصلاة والسلام متصورون لها بقلوبهم عارفون حقيقتها بعقولهم ، وقد مدح الله تعالى كلتا الطائفتين جميما وأثنى عليهم بقوله جل ثناؤه « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » ولكن فضل الله أحدهما على الأخرى بقوله « هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون »

واعلم يا أخي أن العلم هو تصور الشيء على حقيقته وصحته ، فاما الإيمان فهو الأقرار بذلك الشيء والتصديق لقول المخبرين عنه من غير تصور له . فالأنبياء عليهم السلام وأولياؤهم هم المخبرون عن الآخرة المتصورون لها

بقلوبهم والعارفون حقيقتها بعقولهم ، والمؤمنون هم المقربون بالآخرة بالسنته
المصدقون الانبياء عليهم الصلة والسلام في أخبارهم المنتظرون لكتشفهم لهم
واعلم يا أخي أن المنتظرين لأمر الآخرة طائفتان من الناس احداها ينتظرون
كونها وحدونها في الزمان المستقبل عند خراب السموات والارضين هلا يعلمون
من الامور الا المحسوسات ولا من الجواهر الا الجسمانيات ولا من أحواها إلا ما ظهر
والطائفة الأخرى ينتظرونها كشفا وبيانا واطلاعا عليها وهم الذين يعرفون الامور
المعقوله والجواهر الروحانية والحالات النفسانية .

واعلم يا أخي أن معرفة أمر الآخرة على الحقيقة في معرفة أمر الدنيا لأنها
من جنس المضاف ، ومن خاصة جنس المضاف أن في معرفة أحد المضافين معرفة
الآخر . فالدنيا باسمها تدل على اسم الأخرى أن الدنيا مشتق من الدنو ، والآخر
مشتق من التأخر .

فالدنيا هي أول معلوماتنا وأحواها أول محسوساتنا ، وشعورنا من آجدادنا
ومشاهدتنا أحوال أجسامنا وأبناء جنسنا .

وهذه كلها قبل معرفتنا بنفسنا ومشاهدتنا عالمها وعرفانا أبناء جنسها
ووجداننا لذات معقولاتها ، لأن هذه تحصل لنفسنا بعد مقارقتها أجسادها
كما حصلت تلك لنا بعد ولادة أجسادها لأن مفارقة النفس الجسد هي ولادة
هذا ، كما أن مفارقة الجنين للرحم ولادة الجسد

واعلم يا أخي ان الحياة الدنيا إنما هي مدة كون النفس مع الجسد في عالم
الاجسام الى وقت المفارقة التي هي الموت .

وأما الدار الآخرة فهي عالم الارواح التي هي الحيوان لو كانوا يعلمون أي
أبناء الدنيا وهو كون النفس في عالمها بعد مفارقتها جسدها ما بقيت السموات
والارض كما ذكر الله تعالى في كتابه فقال الله تعالى « فاما الذين سعدوا ففي
الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض » واما الذين شقوا ففي النار لهم فيها «
زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والارض »

وقد بينا في رسالة الالام كيف يكون عذاب الاشقياء في الآخرة وكيف تكون لذات السعداء هناك

واعلم يا أخي أن الموت ليس هو شيء سوى ترك النفس استعمال الجسد، وأن النفس تترك استعمال الجسد لسبعين اثنين : أحدهما طبيعي والآخر عرضي . والسبب الطبيعي هو أن يهرم الجسد على طول الزمان وتضعف البنية وتتكل آلات الحواس وتسريخي الأعصاب والعضلات المحرّكات للإعصار، وتجف الرطوبة المغذية للبدن وتطأعاً الحرارة الغريرية كما يطفأ السراج اذا في الدهن فعند ذلك لا يمكن أن يعيش الإنسان ولا يفعل شيئاً من الأفعال والأعمال ، لأن البدن للنفس بمنزلة الدكان لاصانع والأعضاء بمنزلة الأدوات ، فإذا كلت آلات الصانع أو انكسرت أو خرب الدكان وأنهدم ، فإن الصانع لا يقدر على تحمل شيء من صنعته إلا أن يتخد دكاناً آخر وأدوات مجددة .

وأما رك النفـس استعمال الجـسد لسب عرضـي فهو كـثير الفـنـون ولكن يـجمـعـها نوعـان : فـهـما أـسـبابـ من دـاخـلـ الجـسـدـ بلا اختـيـارـ كالـأـمـراضـ وـالـاعـلاـلـ المـتـلـفـةـ لـلـجـسـدـ ، وـمـنـها أـسـبابـ من خـارـجـ كالـذـبـحـ وـالـقـتـلـ ، وـالـقـتـلـ لـيـسـ هوـ شـيـءـ سـوـيـ أنـ يـقـصـدـ قـاصـدـ فـيـهـمـ بـنـيـةـ الجـسـدـ بـفـرـبـ منـ الـفـسـادـ وـالـخـرـابـ كـاـيـقـصـدـ إـنـسـانـ فـيـخـربـ دـارـ اـنـسـانـ أـوـدـ كـانـهـ

واعلم ياخي أن كل صانع حكيم اذا فكر في أمره ونظر في العواقب علم انه
لابد أن يخرب يوما دكانه وتتكل أدواته وتضعف قوته بدنه وتذهب أيام شبابه
فنن بادر واجتهد قبل خراب الدكان وكلال الاذوات وذهاب القوة فا كتب
مala بصنعته في دكانه واستغنى عن السعي فانه لا يحتاج بعد ذلك الى دكان آخر
ولا أدوات مجددة بل يستريح من العمل ويشتغل بال洽ع والاذمات بما قد كسب.
فهكذا يكون حال النفس بعد خراب الحسد .

فانظر يا أخي وتفكر وبادر واجهد وتزود قبل خراب هذا الدكان وانهدم
هذه البنية (فان خير الزاد التقوى)

واعلم يا أخي أيديك الله وايانا بروح منه أن مواهب الله عز وجل لعباده
كثيرة لا يحصى عددها الا الله تعالى ، فمن جليل مواهبه وعظيم نعمه وجزيل
إحسانه ومنته على الإنسان العقل الراجح والرأي الرصين والتمييز الصحيح التي
طأ تنتائج العلوم الحقيقة ووجود المعرف الروحانية والتآله الرباني
واعلم يا أخي أيديك الله وايانا بروح منه أن من أجل تنتائج العقول وأشرف
وجدانها الآراء الجيدة والاعتقادات الصحيحة المصلحة لنفوس معتقديمها: وذلك
أن الآراء الجيدة والاعتقادات الصحيحة المعينة لنفوس معتقديمها على الآباءات
من نوم الغفلة ومن رقدة الجهالة ومحببة من موت الخطيئة ومنجية لها من نيران
جهنم وعذاب الهاوية : عالم الكون والفساد ووصلة إلى نعيم الجنان في دار
الحيوان : عالم الأفلاك وسعة السموات ومقربة لها إلى خالقها ونشئها ومتهمها
ومكملها ومبلغها أتم غاياتها وأكمل نهاياتها عند باريها في دار الخلود والمقام هناك
— متنعمة ملائكة في دائم الأوقات مسروقة أبد الابد ودهر الراهنين مع
النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا . ذلك الفضل
من الله .

ثم اعلم أن من أحد الآراء الصحيحة المنجية لنفوس معتقديمها اعتقاد
الموحدين بأن العالم محدث مخترع مطوي في قبضة باريه يحتاج اليه في بيته مفتر
اليه في دوامه لا يستغنى عنه طرفة عين ولا عن امداد الفيض عليه ساعة فساعة ،
 وأنه لومنه ذلك الفيض والحفظ والامساك لحظة واحدة لماففت السموات
وبادت الأفلاك وتساقطت الكواكب وعدمت الاركان وهلكت الملائكة ودر
العالم دفعه واحدة بلا زمان !! كما ذكر الله تعالى بقوله « ان الله يمسك السموات
والارض أن تزولا ولئن زالتا أن أمسكهما من أحد من بعد » وبقوله تعالى :
(والارض جيءأ قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه سبحانه)
واعلم يا أخي أن من يعتقد هذا الرأي ويتحقق هذا الاعتقاد في أمر السموات
والارض فهو في دائم الأوقات يكون متعلق القلب بربه معتصما بحبله متوكلا

عليه في جميع أحواله مسندًا ظهره إليه في جميع تصرفاته داعيًّا له في جميع أوقاته سائلًا منه كل حوا nghé مفوضًا إليه سائر أموره، فيكون له بهذه الأوصاف قربة إلى ربه وحياة نفسه وهدؤ لقلبه ونجاة من المهالك، كما ذكر الله تعالى بقوله حكاية عن عبد من عباده وهو مؤمن من آل فرعون يكتُم إيمانه في آخر خطاب طويل مع فرعون «وأفوض أمرِي إلى الله إن الله بصير بالعباد فوقاهم سيَّات ما مكروا وحاق بالآل فرعون سوء العذاب» فأماماً من يظن أو يتوجه أن العالم مستقل بذاته ومستغنٍ في وجوده عن فيض باريه عليه باللادة والبقاء والحفظ والامساك، فهو يكون معرضًا عن ربه ناسيًا ذكره غائلاً عن دعائه مشغولاً بما حوله من أعراض دنياه وما كاذه فيها وملكه منها! فهو لا يذكر ربه إلا ساهيًّا ولا يدعوه إلا لاهيًّا ولا يسأله إلا بطرأً ورياءً أو مضطراً عند الشدائِد والبلوي والمصائب والضراء على كره منه وشكوك في حيرة وضلال! لا يدرى لم ابتلى ولا كيف عوفي هو ويكون جاهلاً بربه حق معرفته فيبني محبوبًا عن ربه طول عمره في دنياه «وفي الآخرة أعمى وأضل سبيلاً» ومن الآراء الجيدة والاعتقادات النافعة لنفوس معتقديها المعينة لها على الانبعاث من نوم الغفلة المقيمة لها من رقدة الجهالة الحبيبة لها من موت الخطبية المنجية لها من نيران الهاوية : عالم الكون والفساد ، المؤصلة لها إلى الجنة : عالم الأفلاك وسمعة السموات ، المقربة لها إلى باريه الدينه زلفي — اعتقاد الإنسان العاقل وعامة اليقين أنه متوجه إلى ربه وقصد نحوه منذ يوم خلقه نطفة في قرار مكين ، ينطلق ربه وخالقه حالاً بعد حال من الانقضى إلى الاتم والا كل ، ومن الأدون إلى الأشرف والأفضل إلى أن يلقى ربه ويراه ويشاهده فيو فيه حسابه ، كما ذكر الله جل ثناؤه بقوله «فَنَّ كَانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبِّهِ فَلَيَعْمَلْ حَمْلًا صَالِحًا وَلَا يَشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا» وآيات كثيرة في القرآن في هذا المعنى . وقال الله تعالى وعيداً وذمماً وتوبيخاً لمن لا يعتقد هذا الرأي «أَخْسِبْتُمْ أُنْهَا خَلَقْنَاكُمْ عَبْتَوْأَنْكُمْ إِنَّا لَا تَرْجِعُونَ»؟ «إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأْنَوْا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ

(١٩)

آياتنا غافلون ، أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون » وآيات كثيرة في القرآن
في هذا المعنى

واعلم يا أخي أيديك الله وايانا بروح منه أن ملاك أمر الآخرة وزمام
أمر المعاد هي معرفة حقيقة البعث والقيمة كلها هو في معرفة الإنسان نفسه
وحقيقة جوهرها ، وذلك لأن كل إنسان لا يعرف نفسه ولا يميز بينها وبين الجسد
 تكون همته أكثرها مصروفة إلى أمر الجسد وإصلاح شأنه والتمي للخلود في
 الدنيا والhellم بلذة شهواتها . فاما كل من كان يعرف نفسه على الحقيقة فأن أكثر
 همته تكون مصروفة إلى حال النفس واصلاح شأنها والتفكير له في أمر معادها
 ودار قرارها والاستعداد للرحلة من الدنيا والتزود للمعاد واليقين بلقاء الله تعالى
 وفترة الخوف من الموت ، وهذه صفة أولياء الله تعالى واليهم أشار بقوله في
 توبويخه لليهود « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله » وقال « يا أيها الذين
 هادوا إن زعمتم أنكم أولياء الله من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين »
 يعني في قوله « نحن أبناء الله وأحباؤه »

اعلم يا أخي أيديك الله وايانا بروح منه أن من أفضل مناقب العقلاء كثرة
 العلوم والمعارف ، وأن من أشرف العلوم وأجل المعرف التي يبلغها العقلاء
 العلماء ، ويهدي الله أولياء إليها من المؤمنين المصدقين ويكرمههم بها ، علم البعث
 ومعرفة حقيقة القيمة وكيفية تصارييف أحواها . وقد ذكر الله سبحانه في القرآن
 تصارييف أحواها في نحو من ألف وسبعين آية وأشار إليها بأوصاف شتى
 وأشارات مفتبنة مثل قوله تعالى يوم القيمة (ويوم يبعثون) (ويوم الدين) (ويوم
 الفصل) (ويوم الحساب) (ويوم الأزفة) (ويوم التناد) (ويوم التغابن) (ويوم
 الحشر) (ويوم يخرجون) (ويوم تقوم الساعة) وما شاكل هذه الأوصاف
 والاشارات التي قد تاهت عقول أكثر العلماء في طلب حقائقها وتصور كيفياتها
 بكل صفاتها ولا يعلم تأويلها إلا الله والراسخون في العلم من أولياء الله وأصفيائه
 الذين يقولون (كل من عند ربنا) (ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) (ولا
 يطلع على غيبة أحدا) (الا من ارتفى من رسول) (وهم من خشيته مشفقون)

اعلم يا أخي أيديك الله وايانا بروح منه أن علم البعث وحقيقة القيامة محجوب عن ابليس وذراته وأتباعه وجندوه من شياطين الجن والانس وهو سر الله الاعظم لا يطلع عليه أحد من خلقه إلا من ارتضى من أوليائه وأصفيائه وأهل موته من ذرية آدم ومن ذرية نوح وذرية ابراهيم واميرائيل ، ومن هدى واجبي ! اذا قتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجداً وبكياً . جعلكم الله أهلاً الاخ وايانا منهم برحمته انه ودود رءوف رحيم

ونريد أن نلوح من هذا السر طرفاً ونشير اليه اشاره ما ، إذ لا يجوز التصریح به افتداء بسنة الله عز وجل (والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم) وقال عليه السلام (اللهم اهد فوبي فانهم لا يعلمون) اشاره الى مثل هؤلاء القوم الذين هم ظالم لنفسه .

واعلم يا أخي أيديك الله وايانا بروح منه أنه لما كان العقلاء متفاوتين في الدرجات في ذكاء تقوسهم وصفاء أذهانهم وجودة تمييزهم ، صاروا أيضاً متفاوتين في الدرجات في العلوم والمعارف ، كما بيننا في رسالة الآراء والمذاهب .

ولما كان الأمر كما وصفنا لم يكن أن يخاطبوا بصریح الحقائق خطاباً واحداً إلا بألفاظ مشتركة المعانی ليحمل كل ذي لب وعقل وتمييز بحسب طاقته واتساعه في المعرف والعلوم ، كما ذكر الله جل ثناؤه بقوله على سبيل المثل « أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاوَاتِ مَاءً فَسَالَتِ الْأُوديَّةَ بِقَدْرِهَا » قال المفسرون معنى هذه الآية وتأويلها أنه أنزل القرآن من السماء إلى الأرض كما أنزل المطر من الغيم فاحتملت القلوب من علم القرآن بحسب اتساعها في المعرف وصفاء جواهر النفوس ، كما تحمل الأودية من سيل المطر بحسب سعتها وجريانها

ثم افهم أن لفظ القلب ليس هو قطعة لحم صنوبرى الشكل المعلقة من الصدر الموجود في أكثر الحيوانات . وليس المراد من القلب هنا ذلك ، بل مراد اخواننا أمر وراء ذلك وهي النفس

واعلم يا أخي أن لفظ البعث اسم مشترك في اللغة العربية يحتمل ثلاثة معان :

فتها قول القائل بعثت يعني أرسلت كما قال الله تعالى «بعث الله النبئين» يعني أرسلهم ، ومنها ما يكون معنىبعث هو بعث الاجساد الميتة من القبور ونشر الابدان من التراب ، كما وعد الكفار والمنكرين بقولهم : «إِذَا مَتْنَا وَكُنَّا تَرَابًا وَعَظَمًا أَنَّا لَمْ يَعُوْنُونَ أَوْ آبَاؤُنَا الْأَوْلَوْنَ» قال الله تعالى «قل نعم» ومنها بعث النفوس الجاهلة من نوم الغفلة وإحياءها من موت الجهالة كما ذكر الله جل ثناؤه بقوله «أَفَنْ كَانَ مِنْ أَنْتَ فَأَحْيَنَا وَجَعَلَنَا لَهُ نُورًا يَعْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمْ كَانَ مِنْ شَيْءٍ لَمْ يَنْخُرِجْ مِنْهَا» وقوله تعالى : «ثُمَّ بَعْثَنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لِعَلَّكُمْ تَشْكِرُونَ» وقوله لحمد عَزِيزٌ عَلِيِّهِ (عسى أن يبعثك ربكم مقاماً مجيداً)

واعلم يا أخي أن من لا يوقن ببعث الاجساد ولا يتصوره فليس من الحكمة أن يخاطب ببعث النفوس لأن بعث الاجساد يمكن تصوريه ويقرب فهمه وعلمه فأما من لا يقر به ولا يتصوره فهو لبعث النفوس أنكر وبه أحجل ومن تصوريه أبعد ، لأن بعث النفوس هو من علم الخواص ولا يتصوره إلا المرتاضون بالعلوم الاليمية والمعارف الربانية ، وإنما وعد الكفار أن يبعث أجسادهم ليواجههم على تكذيبهم ومجازفهم بسوء أفعالهم ووعد الله المؤمنين أن يحيي نفوسهم ويعيدهم أرواحهم لمجازفهم على حسناتهم ويشتبه بهم بأعمالهم

فلا تكن يا أخي من ينتظر ببعث الاجساد ويؤمل نشر الابدان فأن ذلك ظلم عظيم في حقك اذا كنت تتومه ذلك . ولكن ان استوى لك فلن من الذين ينتظرون ببعث النفوس ويؤمنون حياتها ووصولها الى عالمها الروحاني ودار قرارها الحيواني مخلداً في النعيم أبداً لا بد ابداً ودهر الداهرين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا

»فصل«

في بعث الاجساد

واعلم يا أخي أن ببعث الاجساد من القبور الدارسات وقيامها من التراب

اما يكون ذلك اذا ردت اليها تلك النفوس والارواح التي كانت متعلقة بها وقتا من الزمان فيما سلف من الدهر فتنتعش تلك الاجسام وتحيى تلك الابدازو تحرك وتفس بعد ما كانت جوداً ثم تختبر وتحاسب وتحجازى لأن الفرض من البعد هو المجازاة والمسكافأة

واعلم يا أخي أن رد النفوس الناجية الى الاجسام الفانية في التراب من الرأس ربما يكون موتاً لها في الجهة واستغراقاً في ظلامات الاجسام وحبساً في أسر الطبيعة وغرقاً في بحر الهيولى

فأما بعث النفوس وقيام الارواح فهو الانتباه من نوم الغفلة واليقظة من رقدة الجهة والحياة بروح المعرف والخروج من ظلامات عالم الاجسام الطبيعية والنجاة من بحر الهيولى وأسر الطبيعة والترقى الى درجات عالم الارواح والرجوع الى عالمها الروحاني وحملها النوراني ودارها الحيواني كما ذكر الله تعالى بقوله «ان الدار الآخرة هي الحيوان لو كانوا يعلمون» يعني ابناء الدنيا . فاذا كانت الدار هي الحيوان فما فلنك يا أخي بأهل الدار كيف تكون صفاتهم ونعيهم ولذاتهم : الا كما ذكر الله تعالى بقوله « فيها ما تشتهي الانفس وتلذ العيون وأنتم فيها خالدون » لا يمدون فيها ولا يمرضون

واعلم يا أخي أيدك الله وايانا بروح منه أن العلوم كلها شريفة ونيلها عز لاصاحبها وعرفانها نور لقلوب أهلها وهداية وحياة لنفسهم وشفاء لصدرهم وينظرة لها من نوم الغفلة ورقدة الجهة ولذة للارواح وصلاح للاجاد و تمام ومكال للاجرام وقوام للعالم ونظام للخلائق وترتيب للموجودات وزينة للكائنات ولكن قيل بعض العلوم أشرف وأفضل وأكرم ، فأشرف العلوم وأجل المعرف التي ينالها العقلاء المكافرون ، معرفة الله جل ثراه و العلم بصفات وحدانيته وأوصافه اللائقة به

ثم بعد هذا معرفة جوهر النفس وكيفية تصارييف أحواها في جميع الازمان الماضية والآتية والحاضرة ، ثم كيفية تعلقها بالاجسام وتدبرها للاجسام

واستعمالها الأبدان مدة ، ثم كيفية تركها لها ومقارقتها إياها وتقربها بذاتها
ولحوظتها بعاليها وعنصرها وجواهرها الكلية ، ثم معرفة البعث والقيمة والحضر
والحساب والميزان والصراط ودخول الجنان ومجاورة الرحمن ذو الجلال والاكرام
واعلم يا أخي أن هذا الفن من العلوم هو لب الالباب واليه ندب ذوي
العقل الراجحة والحكمة الفلسفية دون غيرهم من الناس ، لأن هذا الفن من
العلم والمعارف آخر مرتبة ينتهي اليها الانسان في المعرفة مما يطي رتبة الملائكة ،
ومن أجل هذا هو مكافٍ لمن بعد وقاده نحوه منذ يوم خلقه الله تعالى الى يوم
يلقاء في فيه حسابه ، وهو الغرض الأقصى في وجود النفس وتعلقها بالجسد
ونشوئها معها وتميمها وتكاملها

واعلم يا أخي أيده الله وإيانا بروح منه أنه اذا أردت النظر في هذا العلم
الشرف والبحث عن هذا السر اللطيف فتحتاج الى أن تقصد الى أهله وتسأله
عنـه كـما يقصد في سائر العـلوم والـصنـاعـة الىـ أهـلـهـاـ ،ـ كـماـ قـيـلـ :ـ اـسـتـعـيـنـواـ عـلـىـ كـلـ
صـنـاعـةـ بـأـهـلـهـاـ

واعلم يا أخي أن أهل هذه الصناعة وعلماء هذه الأسرار هم أخواننا الكرام
الفضلاء . فانظر يا أخي فيما قالوا وتأمل ما وصفوه من حقائق الأشياء التي أنت
مقرر بها بسانك وتؤمن بقلبك ، ثم تذكر فيما تسمع وتأمل ما يوصلك وميزه
بصيرتك واعرضه على عقلك الذي هو حجة الله عليك والقاضي بينك وبين أبناء
جنسك ، فان اضطجعت لك حقيقة ما تسمع وتصورت ما يصفون وتيقنت ما يخبرون
فيتو فيق من الله وهداية منه . وإن تكون الأخرى كنت قد بذلت المجهود وأزلت
العذر فيما أنت مكلف له « والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم »

وإن لم يتفق لك يا أخي لقاء أحد من أهل هذه الصناعة بحيث أن تسأله عن
حقيقة هذا السر ويعرفك ما تطلب وتريد أن تعلم أنـتـ باـجـتهـادـكـ وـعـقـلـكـ وـبـصـيرـتكـ
وـتـميـزـكـ فـاسـلـكـ فـيـ هـذـاـ الـبـحـثـ وـالـنـظـرـ طـرـيقـةـ الـحـكـمـاءـ النـجـباءـ ،ـ وـاسـتـعـمـلـ الـقـيـاسـ
الـبـرهـانـيـ الذي هو ميزان العـقولـ — كـماـ وـصـفـ فـيـ المـنـطـقـ — وـقـدـ يـقـنـاـ مـنـ عـلـمـ

المنطق في رسائل شبه المدخل والمقدمات ما فيه كفاية ، ولكن نذكر في هذا الفصل مثلاً واحداً ليقرب به عليك مأخذها

واعلم يا أخي أيديك الله وايانا بروح منه أن علم الانسان المعلومات بعضها بطريق الحواس ، وبعضها بطريق السمع والروايات والاخبار ، وبعضها بطريق التفكير والرواية والتأمل والعقل الغربي ، وبعضها بطريق الوحي والاطام وليس هنا الفن باكتساب من الانسان ولا اختيار منه بل هو موهبة من الله تعالى وبعضها بطريق القياس والاستدلال ، وهو العقل المكتسب وبهذا العقل يفتخر العقلاً وبه يتفاضل الحكماء وال فلاسفة .

واعلم يا أخي أيديك الله وايانا بروح منه أنك إذا طلبت علم البعث ومعرفة حقيقة القيامة وما يوصف من أحواها فليست تخلو معرفتها من أحد هذه الطرق التي تقدم ذكرها : فإن أردت أن تعرفها بطريق القياس والبرهان فاعمل في هذه المسألة وأبحث — أعني معرفة البعث وعلم حقيقة القيامة — كما يعمل أصحاب المحسطي عند طلبهم معرفة عظم جرم الشمس . وذلك أنهم قالوا لا يخلو جرم الشمس من أن يكون مساوياً لجسم الأرض أو أعظم أو أصغر منها في المقدار ، إذ ليس في القسمة العقلية غير هذه . ثم بحثوا عن واحد واحد من هذه الأقسام الثلاثة حتى عرفوا حقيقتها كما هو مذكور في كتبهم بشرح طويل

فاعمل أنت يا أخي أيديك الله وايانا بروح منه في هذه المسألة مثل ما عمل هؤلاء في مسائلهم وهو أن تقول : لا يخلو أمر البعث ومعنى القيامة أن تبعث الأحياء دون النفوس ، أو النفوس دون الأجاد ، أو الجميع إذ كان ليس في القسمة غير هذه الوجوه الثلاثة ، ثم ابحث وتصفح عن حقيقة واحد واحد من هذه الوجوه الثلاثة كما نبين في هذا الفصل

اعلم يا أخي أيديك الله وايانا بروح منه أن من يرى ويعتقد بأن الانسان ليس هو شيء سوى هذه الجملة المحسوسة : أعني الجسد المؤلف من اللحم والدم والعظام والعروق وما شاكلها التي هي كلها أجسام طويلة عريضة عميقه وما يحملها

من الاعراض على البنية المخصوصة الى هي صورة الانسانية ، فهو لا يتحقق أمر البعث ولا يتصور حقيقة القيامة إلا إعادة هذه الاجساد برمتها وتلك الاجرام والاعراض بعدها ، على هذه الحال التي هي عليها الان ، ثم يحيثون ويحاسبون الجمائية والنوازع الجاذبة لها الى الاسباب الفضفورية . من الجوع والعطش والغذاء والحر والبرد والآلام والأوجاع والامراض والاسقام والاحزان والمصائب والحدثان من جور السلطان وحسد الاخوان وعداوة الجيران ومقاساة غيظ الاقران ووساوس الشيطان وما هو مكافف به من حمل تقل الطاعات والجهاد في العبادات من الصوم والصلوات ومنع النفس عن الشهوات المركوزة في الجبنة والعادات المطبوعة وما على النفس في البدن من الكلية مع شدة هذه كاهها يرى ويعتقد بأنه محبوس في هذه الدنيا الى وقت معلوم كما قال رسول الله ﷺ «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر » لأن المؤمن الحق قد سجن نفسه بالمنع طاعن الشهوات والملاذ الى تردد الدنيا من أجلها . ومن كان يرى ويعتقد أمر الحياة في الدنيا على هذه الحال فهو لا يتصور أمر البعث ولا يتحقق أمر القيمة إلا مفارقة النفس الجسد بعد استقلالها بذاتها وقردها بمحورها ومشاهدتها عالمها ، ولا يسأل ربه إلا المحقق بأبناء جذبها من الماضين من عباد الله الصالحين من النبئين والصديقين والشهداء والصالحين ، كما سأله ابراهيم خليل الرحمن ربه في آخر دعائه فقال : « وألتحق بالصالحين » يريد بعد الموت . وهكذا يوسف الصديق : « توفى مسلماً وألتحق بالصالحين » يريد بعد الموت . فقال الله تعالى لمحمد نبيه ﷺ « وعلى جميع النبيين » وللآخرة خير لك من الاولى » وقال عليه السلام « أبي الله أن يجعل لأولئك الخلود في الدنيا »

فن كان هذا رأيه واعتقاده فهو لا يتصور البعث والقيمة إلا مفارقة النفس الجسد ، كما حكى عن رسول الله ﷺ أنه قال « من مات فقد قات قيامته » وبحكمي عن بعض من كان يعتقد هذا الرأي أنه لقي أخاه من أهل رأيه فقال له : كيف أصبحت يا أخي فكيف حالك في هذه الدنيا فقال بخbir ونرجو

خيراً من هذا أن سلمنا من آفاتها وبلية أنها ان شاء الله تعالى ، فكيف أنت وكيف حالك ؟ قال : كيف تكون حال من يصبح في دار غربة أسريراً فقيراً لا يقدر على جر نفع ما يرجو ولا دفع ضر ما يكره !! قال أخوه : كيف ذلك ؟ قال : لأنهم قد يجذون بما عملوا من خير أو شر أو عرفان أو انسكار

واعلم يا أخي أن هذا الرأي والاعتقاد جيد للذئاء والصبيان والجهال والعوام ومن لا ينظر في حقائق العلوم ولا يعرفها :

وذلك لأنهم اذا اعتقدوا هذا الرأي وتحققوا هذا الاعتقاد يكون ذلك حثاً لهم على عمل الخير وترك الشرور واجتناب المعاishi وفعل الطاعات وأداء الامانات وترك الخيانات والوفاء بالعهود وصحة المعاملة والنصيحة فيها وحسن الخلق وخصال كثيرة محمودة تتبعها ، ويكون ذلك صلاحاً لهم ولمن يعاملهم ويعاشرهم في الحياة الدنيا الى الممات

وأما من كان فوق هذه الطوائف في العلوم والمعارف فهو يرى ويعتقد بأن مع هذه الأجداد جواهر أخر أشرف منها وأفضل ، وليس بأجسام تسمى أرواحاً أو نقوساً فهو لا يتصور أمر البعث ولا يتحقق أمر القيمة الا برد تلك النفوس والأرواح الى تلك الأجساد بعينها أو أجساد آخر تقوم مقامها ، ثم يمحشرون ويحاسبون ويجذون بما عملوا من خير أو شر ، وهذا الرأي أجود وأقرب الى الحق وفي اعتقادهم له صلاح لهم ولغيرهم كما تقدم من قبل

وأما من كان فوق هذه الطائفة في العلم والمعرفة والدراسة فهو يرى ويعتقد بأن الغرض من كون هذه النفوس والأرواح مع هذه الأجداد في الدنيا مدة ما هو من أجل أن تستقيم ذاتها وتتملّ صورها وتخرج من حد القوة والكمدن الى الفعل والظهور ، ولتستكمل أيضاً فضائلها من عرفانها أمر المحسوسات وتخيلها رسوم المقولات وتخرج بالآداب والرياضيات والنظر في العلوم الطبيعيات والاطمئنان ، وبالاعتبار التجارب والتدبر والسياسات ، ولن يكون ذلك سبباً لانتباه النفوس من نوم الغفلة ورقده الجهلة وتحيا بروح المعرفة وينتفع بها

عين البصيرة لتنظر الى عالمها الروحاني وتشاهد دارها الحيواني وينبئن لها أنها في عالم الغربة وموضع المحننة والبلوى، غريرة في بحر الظىولي مبتلة في أسر الطبيعة مشتعلة فيها نيران الهاوية الموقدة المطاعنة على الأفئدة من حريق الشهوات أصبحنا في الدنيا معدّين في صورة المنعمين، مجبورين في صورة المختاراتين، مغرورين في صورة المغبوطين، أحرازاً كراماً في صورة عبيد مهانين مسلط علينا خمسة حكام يسومونا سوء العذاب: ينفذون أحكامهم علينا شائناً أو أيينا ليست لنا حيلة في الخروج عن أحكامهم ولا دفع سلطانهم ولا الخلاص من جورهم الى الممات

قال أخبرني من هؤلاء الحكام؟ قال: نعم: أوطعم هذا الفلك الدوار الذي نحن في جوفه محبوسون، وكواكب السفارة التي لا تزال تدور علينا ليلاً ونهاراً لا تقر، تارة تحيطنا بالليل وظلمته، وتارة بالنهار وحرارته، وتارة بالصيف وسمائه، وتارة بالشتاء وزمهريره، وتارة بازياح العواصف في زعازعها، وتارة بالغيوم وأمطارها، وتارة بازعود والزوايع وصواعتها، وتارة بالجدب والغلاء والموتات والبلاء، وتارة بالحروب والفن، وتارة بالهمم والاحزان ليس منها نجاة الا مجده وبلوى وكدر وعنة وخوف ورجاء الى الممات، ثم قال: فهذا واحد وأما الآخر فهو هذه الطبيعة وأمورها المركوزة في الجبلة من حرارة الجموع وطلب العطش ونار الشبق وحريق الشهوات والآلام والامراض والأسقام وكثرة الحاجات! ليس لنا شغل ليلاً ولنهاراً إلا طلب الحيلة لجر المنفعة أو لدفع المضر عن هذه الأجساد المستحبطة التي لا تقف على حالة واحدة مارفة عين افتقوسنا منها في جهد وبلاه وكدو عناء وбоئس وشقاء! ليس لنا راحة الى الممات فهذا اننان. وأما الثالث فهو هذا الناموس وأحكامه وحدوده وأوامره ونواهيه ووعيده وزجره ومهديده وتوبيخه: ان خرجننا من أحكامه فضرب الرقاب والحدود، وإن فرقنا منه لم نجد لذة العيش ولاصلاح الوجود في الوحدة، وإن دخلنا تحت أحكامه فما تقامى من الجهد والبلوى في اقامة حدوده! كثراً ما يمحضى

من ألم الجوع عند الصيام وتعب الابدان عند القيام للصلوة، ومقاساة برد الماء عند الطهارات ، ومجاهدة شح النفوس عند اخراج الزكاة ، والصدقات الواجبات ، ومشقة الأسفار والأحكام عند قضاء الحجج والجهاد ، وما تناصي من الألم عند ترك الذات والشهوات المحرمات !! وإن لم نأثر ولم ننفع فالحدود والأحكام بحسب الجنينات ، ومع هذه كلاما (كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون كلا) لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين ثم لتسألن يومئذ عن النعيم) فهذه حالتنا ليس لنا منها خلاص ولا نجاة الى الممات ! فهذه ثلاثة وأما زار بمفهوماً (السلطان المسلط الجائر الذي قدم لك رقاب الناس بالقهوة والغلبة واستعبدتهم جبراً أو كرهاً) يتھماكم عليهم كما يشاء ويرفع ويكرم من يريد من يخدمه ويطيعه ويتصرف بين يديه ويمثل أمره ونميه ويضع ويبعد من خالقه ويُعذب ويقتل من خانه أو غشها ! فإذا خرجنا من مملكته وفررنا من سلطانه فلا عيش لنا في الوجود في هذه الدنيا الا عيشاً نكداً لأننا قد نحتاج في لذة العيش وصلاح المعاش الى الجم الغفير من المتعاونين في المدن والقرى في اصلاح أمر المعاش ولا بد لهم من سلطان يملكهم ويرؤسهم ويحكم بينهم فيما يختلفون فيه ويتنازعون ، وينبع القائم القوي من التعدي على الضعيف المظلوم ويأمن خوفه السهل ، ويأخذ الناس بلزم سنة الناموس وتأدية موجبات فرائضه التي في إقامتها وحفظها صلاح الجم . فلهذه العلة وبهذا السبب لا يمكننا الخروج من المملكة ولا الفرار من سلطانه ، فإن خدمناه وقنا بواجب طاعته فما تناصي من الجهد والبلوى أكثر مما يمحصى من تعب الابدان وهو موت النفوس وعناء الارواح وتلف الاجساد واحتمال الذل وشماتة الحداد ومداراة الاخوان وعداوة القرآن ومشقة الأسفار ومخاوف الحروب وما يتكلف من التعب والعناء في جمع الالات والاثاث من السلاح والدواب وحوائجهما ومرافقها مما لا يمحصى عددها كثيرة وليس لنا منها راحة الى الممات . وهذه أربعة وأما الخامس فهو شدة الحاجة الى المواد التي لا قوام لهذا الهيكل الا بها من المأكولات والمشروبات واللباس والمسكن والمركب والاثاث وما لا بد منه في

قام الحياة الدنيا وما نقاوى من الجهد والبلوي في طلبها ليلنا ونهارنا في تعلم الصنائع والتجارات المتعبة والمكاسب المكدة من الحرف والزرع والبيع والشراء والمناقشة في الحساب والحرص والشره وجع الاموال وحفظها من حيل الاصوات ومكابرة القطاع ، وأخذ السلطان لها بالجور والقلم وحراستها من الآفات العارضة التي لا يحصى عددها ، كل ذلك بالكد والعناء والظموم والغموم وتعب البدان و عناء الارواح وشقاء النفوس الى لراحة لنا منها الى الممات . فهذه حالنا يا أخي وحال أكثر أبناء جنسنا في هذه الحياة الدنيا ، فأما من يريد المقام في الدنيا ويتمي الخلود فيها من هذه الآفات كلها فهو من أجل احدى خلتين . أما أنه لا يؤمن بالآخرة ولا يصدق بالمعاد ولا يتصور الوجود الا هكذا ويظن ويتوهم أن بعد الموت عدم أو شر مغض ! فمن أجل هذا الرأي وهذا الاعتقاد يريد المقام في الدنيا ويتمي الخلود فيها مع هذه الآفات كلها ويكون معدوراً في عمليه ورادته الخلود ، لأن في جبالة الخلائق في وطبائع الموجودات محبة البقاء وكراهة الفناء مذكور ذلك .

فمن أجل هذه الخصال والشرائط يرضى أكثر أبناء الدنيا المقام فيها ويتمون الخلود ! فأما من قد تصور كيفية الدار الآخرة وتحقق أمر المعاد وعرف فضلها وشرفها وسرورها ولذاتها ونعمتها فأى عذر له في التنى للخلود في الدنيا مع ما قد عرف من آفاتها وسرورها وأحزانها ومصائبها وبذاته فاجتهد يا أخي في طلب معرفة الدار الآخرة وحقيقة أمر المعاد لكيما تأسك بها بعد الفراق مع أهلك زمراً كما ذكر الله جل ثناؤه بقوله (وسيق الذين اتقوا ربهم الى الجنة زمراً) واعلم يا أخي أيديك الله وايانا بروح منه أنك إن لم تعرف الدار الآخرة ولم تتحقق أمر المعاد قبل الممات وكانت نفسك في الدنيا عمياء فهي بعد الممات في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً ، وحوشيت يا أخي من ذلك إن شاء الله تعالى .

واعلم يا أخي أن المقر بالآخرة المؤمن بالمعاد المصدق بها لا يتصورها ولا يعرف حقيقتها الا بعد ما تنتبه نفسه من نوم الغفلة وتنبعث من موته الجمالة

وتحيا بروح المعارف وتنفتح عين البصيرة فتبصر عند ذلك بنور الهدایة ما هو مقرر ومصدق له ، ويكون عند ذلك من أهل الاعراف ، كما حكى عن مستبشر لما سئل فقيل : كيف أصبحت ؟ فقال : أصبحت مؤمنا حقا ! فقيل وما حقيقته إيعانك ؟ قال : أرى كأن القيامة قد قامت وكأني بعرش ربى بارزاً وكأن الخلاق في الحساب وكأني بأهل الجنة فيها منعمين وأهل النار فيها معذبين . فقيل له : قد أصبحت فازم عن الطريق . واليه والى امثاله أشار جل ثناؤه بقوله : « وعلى الاعراف رجالاً يعرفون كلاباً يجاهرون نادوا أصحاب الجنة ان سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون » . واذا صرفت أبصارهم ثلاثة أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الفظالمين » . وهم الرجال الذين (لاتلهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله تعالى) في بيوت أذن الله أن ترقم ويدرك فيها اسمه)

فهل لك يا أخي أن ترغب في صحبتهم وتسلك طريقهم وتطاب منهاجهم وتنخلق بأخلاقهم وتسير بسيرتهم وتنظر في علومهم لنعرف مذهبهم وتعتقد رأيهم وتعلم مثل عملهم لعلك تختبر معهم وتفوز بخوازتهم (لا يغشهم السوء ولا يحزنون) وهم أولياء الله وعباده الصالحون الذين استثنائهم بقوله في قصة أبايس (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان) وقوله : (إلا عبادك منهم المخلصين) فإذا أردت يا أخي أن تعرف وتعلم أنت منهم أم من غيرهم فاعلم أن لهم علامات يعرفون بها وسمات يستدل عليهم بها : فمن إحدى علامات أولياء الله المبعوثين من موت الجهة المتباهين من رقدة الغفلة المستنصرين بعين اليقين ونور الهدایة العارفين بحقائق الأشياء الشاهدين حساب يوم الدين ، انهم قوم تستوي عندهم الاماكن والازمان وتتغير الامور وتصاريف الاحوال ، فقد صارت الأيام كلها عندهم عيداً واحداً وجعة واحدة وصارت الاماكن كاها لهم مسجداً واحداً والجهات كلها قبلة ومحراباً أيما تولوا فثم وجه الله وصارت حركتهم كلها عبادة لله وسكناتهم طاعة له ، استوى عندهم مدح المادحين وذم الذامين ، لا يأخذهم في الله لومة لائم قياماً لله بالقسط شهداً لله بالحق وهم على صلوائهم

دائون . وأنا استوت عندهم الاماكن كاها وصارت مسجداً وقبلة ومحراباً واحداً لتصديقهم قول الله تعالى (أينما تولوا فثم وجه الله) وصاروا شهداء بشهادتهم له وتصديقهم قوله : (ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ، ولا خمسة إلا هو سادسهم ، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو وهوهم أينما كانوا ثم ينفعهم بما عملوا يوم القيمة إن الله بكل شيء عالم) .

وأنا استوت عندهم الأيام كاها فصارت جمعة وعيداً لشهادتهم يوم القيمة الذي هو من أول ما بعث الله محمداً عليه السلام إلى قم الف سنة كما قال ﷺ بعثت أنا والقيمة كهاتين .

وأيضاً فلما استوى عندهم تغير الزمان وتصاريف الأحوال لتصديقهم قول الله تعالى (ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على مافاتركم ولا ترحو بما آتاكم) وصار دعاؤهم مستجهاً لأنهم لا يسألونه إلا ما يكون ، ولا يكون الام قادر في سابق العلم . فقلوبهم في راحة من التعاق بالأسباب وأبدانهم فارغة من تكاليف ما لا يعني به ، وقوتهم ساكنة عن الوسوسات وهم في راحة من انفسهم والناس منهم في راحة وأمان ، لا يريدون لاحذ سوءاً ولا يضرون شرالاحدين الخلق عدواً كان أو صديقاً ، مخالفًا كان أو موافقاً .

وهذه أيضاً حكاية أخرى . فهذه محاورات جرت بين رجلين أحدهما من أولياء الله تعالى وعباده الصالحين الذين نجاهم الله من نار جهنم وأعتقدهم من أسرها وأخلص نقوتهم من عداوة أهلها وأراح قلوبهم من ألم المعدبين فيها . والآخرة من أهل الكفين المعدبين فيها باللون العذاب المحرقة قلوبهم بحرارة عداوة أهلها المتألمة نقوتهم بعقوباتها : قال الناجي للهالك : كيف أصبحت يا فلان ؟ قال : أصبحت في نعمة من الله طالباً لازدادة راغباً فيها حريراً على جمعها ناصراً لدين الله معاديًّا لاعداء الله محارباً لهم . قال الناجي : ومن اعداء الله هؤلاء ؟ قال : كل من خالفني في مذهبي واعتقادي . قال : وإن كان من أهل لا إله إلا الله . قال نعم قال : إن ظفرت بهم ماذا تفعل بهم ؟ قال له : أدعوهم إلى مذهبي واعتقادي

ورأي . قال : فان لم يقبلوا امنك ؟ قال : أقاتهم وأستحل دماءهم وأموالهم وأسي ذرارتهم
 قال : فان لم تقدر عليهم مادا تفعل ؟ قال أدعوا عليهم ليلاً ونهاراً وأعنهم في
 الصلاة كل ذلك تقربا إلى الله تعالى . قال : فهل تعلم أنك إذا دعوت عليهم ولعنتهم
 يصيبهم شيء ؟ قال : لا أدرى ! ولكن إذا فعلت ما وصفت لك وجدت لقلبي
 راحة ولنفسى لذة ولصدرى شفاء . وقال له الناجي : أتدرى لم ذلك ؟ قال : لا
 ولكن قل أنت . قال : لأنك مريض النفس معذب القلب معاقب الروح لأن اللذة
 إنما هي خروج من الآلام ، ثم اعلم أنك محبوس في طبقة من طبقات جهنم وهي
 الحطمة نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة إلى أن تخاص منها وتتجو نفسك
 من عذابها إذا لقيت الله عز وجل كما وعد بقوله . (ثم تنجي الذين انقوا ونذر
 الظالمين فيها جثيا) ثم قال لهاك للناجي : أخبرني أنت عن رأيك ومذهبك
 وحال نفسك كيف هي ؟ قال نعم : أما أنا فاني أرى أنني قد أصبحت في نعمة
 من الله وإحسان لا أحصي عددها ولا أؤدي شكرها راضيا بما قسم الله لي وقدر
 صابرًا لأحكامه لا أريد لأحد من الخلق سوءا ولا أضرم لهم دغلا ولا أنوي لهم
 شرًا ، نفسي في راحة وفالي في فسحة والخلق من جهتي فيأمان ! أسمت ربي
 مذهبي وديني دين إبراهيم عليه السلام ! أقول كما قال (فن تبعني فإنه مني ومن
 عصاني فانك غفور رحيم) (إن تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم فانك أنت
 العزيز الحكيم)

» فصل «

ثم اعلم أن جهنم طبقات كثيرة وهي الأهواء المختلفة والجهالات المترادفة
 التي النفوس فيها محبوسة ومعها موقوفة ، وقلوب أهلها معذبة منها بألوان
 من الآلام وهي في العذاب مشتركون ، كلما مضت منهم أمة فانقرضت خلفها قوم
 آخرون من تلاميذهم وأتباعهم في تلك المذاهب والآراء وكلما دخلت من الآراء
 أمة لعنت أختها المخالفة لها كما ذكر الله تعالى في عدة سور من القرآن . قوله
 في سورة الاعراف « كلما دخلت أمة لعنت أختها » وفي سورة خرى يامن بعضهم

بعضًا ويتغافرون ويتناذرون ويتباغضون وهم في العذاب مشتركون فهذه حاكم في الدنيا وفي الآخرة سواء وأشار لو كانوا يعلمون . وقال الله وآياتنا شرهم برحمته وأما ما قيل من تتعاطى علم النفس والطبيعة ما تقول يا أخي (١) إن الصانع الذي بني هذه المدينة ، أعني جسد الإنسان فهو الساكن فيها المستعمل لها في هذه الساعة أو غيره ؟ فإن كان المستعمل لها في هذه الساعة هو الذي بناها فلم لا يدرى كيف بناها ولم لا يذكر كيف كانت فانا نرى أصحاب التسريح لم تعرف (٢) كيفية بنية هذا الجسد الا بعد هدمه ونقضه وخرابه وإن كان هذا الذي بني هذه البنية هو غير المستعمل لها هذه الساعة فنرى بناوها بناها بنفسه أو بناها على يدي غيره ، ثم سلها إلى المستعمل لها دون ما فيه أرى أن هذا المستعمل لهذه البنية هو تلميذ ذلك الصانع الذي بنا هذه المدينة أو ابن له كان في ذلك الوقت صبياً جاهلاً وصار الساعة بالفأ عاقلاً حكياً ، وإنما كان بالقوة فيخرج الآن إلى الفعل والظهور ؟ ! أفتنت أيديك الله في ذلك وهذا إلى سواء الصراط مأجوراً

﴿ فصل ﴾

ذكروا أن ملكاً كان عظيم الشأن ، أزيز السلطان واسع المملكة كثير الجنود والعبيد ولده ولد ذكر كان أقرب الخلق شبهًا به وإلى والديه طبعاً وخلقها فلما تربى ونشأ وكل ولاه أبوه بعض مملكته وأمر جنوده وعبيده بطاعته ، وأوصاه بحسن سياستهم وأباحه جميع النعم ، غير أنه نهاد عن مرتبته شُكِّتَ الابن زماناً طويلاً قدر نصف يوم متمنياً ملائداً إلا إنه كان غاراً (١) ساهياً خسده بعض عبيد أبيه من كان رئساً قبله ، فقال له إنك لست تعرف نعمة ولا

(١) لعله يقصد : وما قولك فيمن يتعاطى علم النفس الخ لكن السياق مضطرب فتنه

(٢) الصواب أن يقول : لم يعرفوا كيفيه الخ

تجد لذة لأنك منهى عن أرفع لذة ونسمة ومنوع من الأذى شهوة ، فاذ بادرت وطلبت الملك سبقت اليه ، فاغتر بقوله لأنك كان غرّاً جهولاً وطلب ما ليس له أن يتناوله قبل حينه ويطلبها قبل وقته فسقطت مرتبته وانحطت درجته عند أبيه وبدت له سوأته واستيانت له خطيبته فهرب خوفاً من أبيه ذاهباً إلى مملكته شبه المستتر ، فلقي العناء وأصابته الباساء والفراء وقامي الجهد والبلاء ، فتذكري يوماً ما كان فيه من نعمة أبيه حزن على ما فاته وبكي أسفاف ثم نعس فنام خالياً إلى أبيه ، فقال : دعوه ناماً إلى يوم الجمعة : ثم رزق في اليوم الثاني ابنًا آخر أشبه الناس بأخيه فتربي ونشأ وكمل وغاً وكان حليماً وقوراً شكوراً صبوراً فولاد أبوه بعض مملكته وأمرهم بطاعته وأوصاه بسياستهم ودعائهم وأمرهم ونهائهم فلم يسمعوا له ولم يطيعوا أمره لأنك كان شبه زحل ! بل آذوه فصبر زماناً ثم شكى إلى أبيه فغضب عند ذلك عليهم ورمى أكثريهم إلى الماء

فاما رأى ما أصابهم أغمى وحزن ونام وحمل إلى أبيه فقال : اتركوه ناماً إلى يوم الجمعة ثم انه رزق في اليوم الثالث ابنًا آخر وكان أشبه الناس بأخيه الذين تقدم ذكرهما فتربي ونشأ وكمل وغاً وكان خيراً فاضلاً عالمًا مجاجاً ، فولاد أبوه مكان أخيه وأمر الرعية بطاعته وأوصى إليه بما أوصى إلى أخيه ، فدعاهم وأمرهم ونهائهم فلم يسمعوا له ولم يطعوه لأنك كان أشبه بالمشترى ، وفزعوا بال النار فذهب إلى أبيه وبنى له هيكلًا ونذر له قرباناً وعمل مناسك ونادي في الناس همروا تعالوا لترؤوا ما لم تسمعوا ، ثم نام وحمل إلى أبيه فقال : اتركوه ناماً إلى يوم الجمعة وبقي نداوته في مسامع النفوس يتوارثونه من غير أن يسمعوه ويدهبون إلى هيكله فيرون ظاهره ومرآه ما لا يتصرون ويفعلون سنة مناسكه ولكنهم معناها لا يفهمون لأنهم صم بكم عمى فهم لا يعقلون

وأعيذك أيها الأخ أن تكون منهم وانظر بنور عقلك في رسالة أفعال الروحانية لعلك تعرف ما قلنا وتفهم ما اشرنا اليه . ثم انه رزق في اليوم الرابع

(٢٠ - ٢)

ابنا آخر فتربي ونثأ وكيل ونعا وكان جلداً قوياً جريئاً مقداماً فولاه أبوه مكانه اخوه وامر الرعية بطاعته وأوصى اليه بما كان اوهى الى اخوه ، فدعاهم وامرهم ونهاهم فلم يسمعوا له ولم يطعوه لانه كان شبه المريخ ! وبارزوه وبازرهم وناوشوه وناوشهم وكان مؤيداً بقوة ابيه فغلبهم وبدد شتمهم وفرق جمعهم وشتت القتهم ورماهم في البر والبحر

ثم بقي وحيداً كالغريب يدعو فلا يجدهم ويأمر فلا يهاب ! فاغتم وحزن ونعش ونام وحل الى ابيه فقال دعوه نائما الى يوم الجمعة . ثم انه رزق في اليوم الخامس ابنآ آخر أشبه الناس بأخيه الاول فتربي ونثأ وكيل ونعا وكان هادياً رشيداً طيباً فيقافوا له أبوه مكان إخوه وامر الرعية بطاعته وأوصى اليه بما أوصى الى اخوه ودعاهم وأمرهم ونهاهم فلم يتبعوه الاقليلاً ولم يطعوه الايسيراً ، إلا انه كان يشبه الزهرة ثم وتبوا عليه فأخذذوا منه القميص الذي خاطت أمه فذهب الى أبيه فاستغر

عائهم بجنوده وأيده بروح منه فسرى في تقوسهم وتحكم في لاهوتهم بدلاً وقصاصاً لما تحكموا في ناسوته ! وأراد أن ينزل من الرأس . فقال أبوه اصبروا الى يوم الجمعة . ثم قال أبوهم في اليوم السادس للنجوم : اختاروا لابني الذي يشبه عطارد يوماً لينزل الى عالم الـ كون والنمساد فيه اخوه النيم ويناديهم الى حقه فقد رضيت عنهم وأمرهم بالاستعداد للصلوة فان غداً هو العيد يوم الجمعة فيبرز القضاة وتحكم بينهم فيما كانوا فيه مختلفون ، فاجتمعت سادة النجوم ورؤساء الكواكب في بيت المريخ وتشاوروا بينهم

فقال رئيس الكواكب وملوكها الشمس : أنا اختار له من قوتي وأزوذه من فضائي العظمة والرياسة والسلطان والعز والرفة والبهجة والبهاء والمدح والثناء والبذلة والعطاء . وقال شيخهم كيوان : أنا اختار له من قوى الحلم والوقار والصبر والثبات وبعد الغور وعلوه الهمة والحفظ والامانة والتفكير والروية .

وقال برجيس القاضي العدل : انا اختار له من قوتي وازوده الدين والورع والخير والصلاح والعدل والانصاف والحق والصواب والصدق والوفاء والصيانة والمروءة . قال بهرام صاحب الجيوش اذا اختار له من قوتي وازوده من فضائي العزم والصرامة والنجدية والشجاعة والاهمة والبسالة والظفر والغلبة والبذل والسيخاء والتيقظ . وقالت الناھيد أخت النجوم : انا اختار له من قوتي وازوده من فضائي الحسن والجمال والنعام والكمال والرأفة والرحمة والزينة والنظافة والحب واللوعة والسرور واللذة

وقال اخوهم الاصغر وهو اخفاهم منظراً واجلهم مخبراً الذي صنعته اظهر وعلومه اكثـر وعجائبه اشهر وازهر : انا اختار له من قوتي وازوده من فضائي وأسوى (١) اليه من مناقبـي النصاحة والنطق والتـيـيز والـفـطـنة والنـظر والـلطـافـة والقراءة والنـغـمة والـعـلـوم والـحـكـمة . وقالـت أمـ النـجـوم وهـيـ القـمر ! أنا أرضـعـه وأربـيه وأختـارـ لهـ منـ قـوـيـ وـأـزوـدـهـ منـ فـضـائـيـ النـورـ والـبـهـاءـ والـزـيـادـةـ والنـاءـ والـحـرـكـةـ فـيـ الـأـقـطـارـ الـثـلـاثـةـ وـالـتـنـقـلـ فـيـ الـأـسـفـارـ وـبـلـوغـ الـأـمـالـ وـالـسـيـرـ وـالـأـخـبـارـ وـعـلـمـ موـاـقـيـتـ الـأـجـالـ . ثـمـ إـنـهـ دـارـتـ الـأـفـلاـكـ وـتـمـخـضـتـ قـوـيـ الـرـوحـانـيـاتـ وـاسـتـبـشـرـ أـهـلـ السـمـوـاتـ وـنـزـلـ إـلـىـ عـالـمـ الـكـوـنـ فـيـ لـيـلـةـ الـقـدـرـ قـبـلـ طـلـوعـ الـفـجـرـ صـاحـبـ الـفـشـورـ ليـنـفـخـ فـيـ الصـورـ فـكـثـ هـذـاـ الـمـولـودـ فـيـ الـرـحـمـ أـرـبعـينـ يـوـمـاـ مـنـ أـيـامـ الـشـمـسـ ، وـعـشـرـينـ يـوـماـ فـيـ الرـضـاعـ حـتـىـ تـرـبـيـ وـنـشـأـ وـكـلـ وـغـاـ وـكـانـ أـشـبـهـ النـاسـ باـخـيـهـ الـثـالـثـ شـبـهـاـ لـأـنـ كـانـ يـشـبـهـ عـطـارـدـ الـذـيـ هـوـ أـخـوـ الـمـشـتـريـ لـتـقـابـلـ بـيـنـهـمـ وـتـرـبـيـهـمـ وـتـقـابـلـ فـلـكـهـمـ فـصـارـ هـذـاـ الـمـولـودـ مـنـ بـيـنـ أـخـوـهـ أـمـهـمـ جـثـةـ وـأـكـلـهـمـ صـورـةـ ، وـكـانـ أـدـيـباـ عـلـمـاـ حـكـيـماـ مـلـكـاـ عـزـيزـاـ إـمـاماـ عـادـلـاـ نـبـيـاـ مـرـسـلاـ فـوـلاـهـ أـبـوـهـ مـلـكـتـهـ وـمـلـكـةـ أـخـوـهـ كـلـهاـ فـظـهـرـ وـقـهـرـ مـنـ خـالـفـهـ وـرـفـعـ وـأـعـزـ مـنـ وـافـقـهـ ، وـتـحـكـمـ فـيـ مـلـكـتـهـ نـحـواـ مـنـ ثـلـاثـينـ يـوـمـاـ مـنـ أـيـامـ الـشـمـسـ ، ثـمـ أـعـجـبـتـهـ قـسـهـ فـأـصـابـتـهـ الـعـيـنـ فـاعـتـلـ وـبـقـىـ عـلـىـ

(١) ليس في كتب اللغة ما يفهم منه : أن سوي بمعنى أعلى أو وهب وهو المراد من السياق كما جاء في الأصل

الفراس نحو ألف يوم من أيام القمر مرفه الجسم علىل النفس ، ثم تحول الى دار أخرى ونهض قليلاً ومشى وقوى ونشط وابسط وشرب من حب الدنيا وغرورها وأماميها فسكت من خبر شهوتها ودخل الى كهف أبيه ونام مع أخيه فكثروا زماناً طويلاً ، فلما انقضى دور الرقاد وتقرب الميعاد ناداه أبوهم : ألم يأن لكم أن تنتبهوا من نومكم وتستيقظوا من غفلتكم وتذكروا ما نسيتم من أمر مبدئكم وترجعوا إلى معادكم من أسفاركم اذ لكل انتهاء انتهاء ولكل حياة فنا ، ولكل موت ونائم انتباه ، وبادروا إلى معادكم من غربتكم فقد تم خلق السموات السبع في ستة أيام وغداً يوم الجمعة يستوي ربكم على العرش يحمله يومئذ عانية ! فانتبهت لذلك الاخوة الذين قيل لهم إنهم سبعة وثمانون كابفهم بعد رقدتهم ثلاثة سنين وأربعين وخمسين يوماً من أيام الشمس بحساب القمر يتذكرونكم ليثنوا في كفهم فقال أبوهم لا يخيم : (فلا غار فيهم إلا مراء ظاهراً ولا تستفت فيهم منهم أحداً) فاخفووا وكتموا أسرارهم لأنهم لا يكونون مننجوي ثلاثة إلهوا رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أيجا كانوا ثم ينبعونهم بما عملوا يوم القيمة) فافهم يا أخي هذه الاشارات والتنبيهات وقس على ذلك نظائرها ولا تفشن الأسرار لعلك تنتبه من نوم الغفلة ورقدة الجهالة قبل أن ينفع في الصور وقبل أن ينادي مناد للصلوة من يوم الجمعة (فاسعوا الى ذكر الله وذرعوا البيع ذلكم خير لكم) وقبل أن ينشر الخبرون الى جهنم ورداً . وتزود من الدنيا فانك راحل و (ان خير الزاد التقوى وانقون يا أولى الباب) (ولا تبغ الفساد في الارض) (قد افلاح من زكاه وقد خاب من دساها)

والله فقتك وإيانا وجيم إخواننا الى طريق السداد انه رءوف بالعباد

* تمت رسالةبعث والقيمة ويليه رساله في كمية أجناس الحركات *

الرسالة الثامنة

﴿ وهي الرسالة التاسعة والثلاثون من رسائل أخوان الصفا ﴾



الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . آللله خير أما يشركون

اعلم ايها الاخ أنا قد فرغنا من رسالة البعث والقيمة ، وكنا قد بينا قبل ذلك ماهية الاجسام وكمية انواعها وبيننا ايضا ان الاجسام لا تنفك من الحركة والكون ، وقد بينا ان المحرك والمسكن للاجسام هي النفس في رسائلنا الطبيعيات والاطياف . ونزيد الان ان ذبيان في هذه الرسالة ماهية الحركات او كمية انواعها والجهات التي تتحرك المتحرّكات اليها وفيها فنقول :

اولاً ما الحركة وما السكون؟ وذلك ان العلماء والحكماء قد اختلفوا في ماهية الحركة والسكنون وحقيقة تها فنهم من ائبتهما ومنهم من نفاهما وقال لاحقيقة لها ولا معنى ، ومنهم من قال ان الحركة لا تكون إلا من حي قادر ، ومنهم من قال إنها هي الحياة نفسها . ويطول ذلك لو شرحنا اختلاف أقوال يابهم واحتجاجاتهم ولكن نقول :

إن الحركة هي صورة روحانية تجعلها النفس في الأ الأجسام فبها تكون الأ الأجسام متحركة كما تجعل الأشكال والنقوش والصور والألوان في الأ الأجسام ، وبها

تكون الاجسام مصورة منقشة مشكلة متحركة ، فالنفوس هي المحركة للاجسام والاجسام هي الحركات والمسكنات بتحريك النفوس لها وتسكينها إياها ، كما يبينا في رسالة الهيولي والصورة . والتحريك هو فعل النفس . والحركة هي صورة تجعلها النفس في الجسم بها يكون الجسم متحركا . وأما التسکین فهو أيضاً فعل من أفعال النفس تحرك الجسم قارة وتسكنته أخرى : مثال ذلك أن الانسان يحرك يده تارة ويسكتها أخرى

وإذ قد تبين مما ذكرنا ما المحركة وما المسكون ، فنريد الآن أن نذكر كمية أنواعها وماهية كل نوع منها فنقول :

اعلم أن المحركة نوعان : جسماني وروحاني ، كاسنبين ، فالحركة الجسمانية ستة أنواع وهي : الكون والفساد والزيادة والنقصان والتغير والنقاء . ونريد أن تتكامل أولاً في الحركات التي هي النقلة إذ كانت هي أين وأظهر للحواس ، ثم نذكر الخمسة الباقية إذ كانت هي أدق وألطف فنقول : إن المحركة التي هي النقلة ثلاثة أنواع مستقيمة ومستديرة ومركبة منها ، فالحركة المستقيمة نوعان من المركز إلى المحيط ومن المحيط إلى المركز يعني مركز العالم ومحيط العالم أو بين ذلك . وأما المستديرة فهي التي تكون حول المركز

وإذ قد تبين بما ذكرنا كمية أنواع الحركات التي هي النقلة فنريد أيضاً أن نذكر الحركات إذ كانت هي أين وأظهر للحواس فنقول :

إن الحركات اثنتا عشر نوعاً حسب . لا أقل ولا أكثر . منها حركات الأفلاك التسعة ، ومنها حركات الكواكب السيارة ، ومنها حركات الكواكب ذات الأذناب ، ومنها حركات الشهب ، ومنها حركات الهواء والرياح ، ومنها حركات حوادث الجو والسحب والغيوم ، ومنها حركات مياه البحار والأنهار والأمطار ، ومنها حركات ما يحدث في باطن الأرض من الزلازل والظروف ، ومنها حركات الكائنات من الجواهر المعدنية في باطن الأرض ، ومنها حركات النبات والأشجار على وجه الأرض ، ومنها حركات الحيوانات في الجهات الست من البحر والبر والهواء .

وأماماً جهات الحركات فختلفة جداً كثيرة الفضوب والصور ولكن لا تخلو كلها إما أن تكون من مركز العالم نحو المحيط أو من المحيط نحو المركز أو حول المركز أو مؤرباً بين ذلك

* فصل *

في تفصيل ذلك

فنقول : أما حركات الأفلاك التسعة فكلها حول الأرض لأنها مركزها والارض مركز العالم بأسره ، وهكذا أيضاً حركات الكواكب الثابتة حول مركز العالم ، وأما حركات الكواكب السيارة السبعة فحول مركز أفلاكها المستديرة : وأما حركات الأفلاك حول مركزاً فلماً آخر تسمى الأفلاك الخامدة ، وحركات تلك الأفلاك حول مركز الأفلاك الخارجية المركز من مركز الأرض ، كما بين ذلك في المخططي بيراهين هندسية ضرورية بشرح طويل

وأما الحركات التي ترى الكواكب السيارة على توالي فلك البروج وبالليل والعرض والرجوع والاستقامة وما شاكلها فقدينا حقيقتها في رسالة العماء والعالم بثلاث ذكرناها ، وأما شرحها فتجدها في المخططي ، وأما كيّة تلك الحركات فتسع وأربعون حرقة للسيارة ، لكل واحد سبع حركات ، وللكواكب الثابتة سبع أخرى ، وللفلك البروج حرقة واحدة ، فذلك سبع وخمسون حرقة وأما الكواكب التي تسمى ذوات الأذناب فليست هي بكواكب بل هي نباتات تظهر دون فلك القمر في كرة الائتير ، وأما حركاتها فختلفة تارة تكون نحو كرة المغرب مع دوران الفلك المحيط ، وتارة على توالي فلك البروج نحو الشرق أو مائلاً طولاً وعرضًا بحسب ما يوجهه شكل الفلك وأحكام النجوم ، وأن حدودها يكون دون فلك القمر في كرة الائتير كما يكون حدوث الشهب ما بين كرة الائتير وكرة الزهرير ، والذي يكون من حدث البروق في كرة النسيم دون كرة الزهرير وكل هذه حوادث تكون في عالم الكون والفساد بحسب موجبات أحكام

النجوم يطول فيها القول في كيف وكم ومنى ولماذا . وأما كمية أنواع حركات الرياح فهي الى ست : وذلك أن الرياح ليست شيئاً سوى تجوّج الهواء لأن الهواء بحرٌ لطيفٌ ما بين السماء والأرض ، فإذا تجوّج من المشرق إلى المغرب سمي الصبا ، وإن تجوّج بالعكس سمي دبوراً ، وإن تجوّج من الجنوب إلى الشمال سمي التيمن ، وإن تجوّج بالعكس فهي الجربة ، وإن تجوّج من أسفل إلى فوق سمي الزوابع^(١) وإن تجوّج بالعكس سمي الزهرير ، وبالفارسية أباددهم ، وهي التي هلكت بها عاد كانت تفجّرت عليهم من كمة الزهرير « سخرها عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوماً »

وأما التي تتحرك من غير هذه الجهات فتسمى النكبات وهي كثيرة الجهات والمعروفة منها أربع : نكبة الشمال ، ونكبة الجنوب ، ونكبة المشرق ، ونكبة المغرب

وأما الأسباب المحرّكة للهواء الموجة لها فنها ماهومن جهة مطارات الشعاعات من الكواكب وزنوز القمر منازله الثمانى والعشرين واتصالاته بالكواكب . وقد ذكرنا طرفاً من كيفية ذلك في رسالة الآثار العلوية فيطلب من هناك وأما حركات الشعب فهي أيضاً إلى الجهات الأربع أو نكباتها بحسب القوة الدافعة لها من مطارات شعاعات الكواكب ، وليس حركاتها بأسرع من حركات الكواكب في أفلأها ولكن لقربها منها زواها أسرع حرّكة من الكواكب وأما حركات السحاب والفيوم فالى هذه الجهات الأربع أيضاً نكباتها وهي بحسب مهب الرياح التي تسوقها من سواحل البحار والأجاج والانهار إلى البلدان المقصود بها من البراري والقفار ورؤوس الجبال منتصباً أو مؤرّباً وأما حركات قطر الأمطار فكلها تجري من جو الهواء إلى الأرض والبحار منتصباً أو مؤرّباً

(١) لعل الأصوب : الزوابع

وأما حركات الأرض فهي ثلاثة أنواع : منها الزلزال ومنها الظسوف ومنها الارجحان ، فاما سبب الزلزلة فهو البخار المحتقن في باطن الأرض يطلب الخروج فيهز بعض بقاع الأرض وتضطرب وترتعد كما يرتعد المحموم عند شدة الحمى . وسبب ذلك هو رطوبة عفنة في خلل الأبدان فتشتمل منها الحرارة العرضية فتدزيها وتحللها وتصيرها دخاناً وبخاراً يخرج من مسام خلل الأبدان فيهتز من ذلك البدن كله أو عضو منه ويرتعد ، ولا يزال البدن كذلك إلى أن تخرج تلك البخارات والدخانات من هناك وتفني مادتها وتختمد تلك وتسكن ، وكذلك حركات بقاع الأرض عند الزلزال وربما ينشق ظاهر الأرض وتخرج تلك الرياح والدخانات والبخار المحتقن المحتبس دفعه واحدة وتنكسف الأرض والبقاء ويقع في تلك الأهوية كما ينكسف سقف البيت ويقع في أرضه

وأما حركات الارجحان فعند الحكاء أنها تترجح تارة من الجنوب إلى الشمال وتارة بالعكس ولكن الناس لا يحسون بها لكبر الأرض وعظمها كما لا يحس أهل المراكب في البحر بحركاتها عند شدة سوق الرياح لها . وذكر هذا الحكيم أن علة تلك الحركة هي مرور الشمس ، تارة من البروج الجنوبي إلى البروج الشمالي ، وتارة من الشمالية إلى الجنوبي وإنما تجذبها إلى حيث دارت ومعها كيف مالت كما تجذب نباتها من باطنها إلى ظاهرها وكما تجذب أصول النبات وفروعها إلى الهواء . ومن الحكاء من قال إن سبب ذلك هو أنه من دوران الشمس فوق الأرض في ناحية الشمال ستة أشهر في الصيف ، كما ذكر في الجسطي ، ساخت أهوية تلك البلاد ومياهها وتحملت رطوبة تلك البلاد وخلا ذلك الجانب وتحركت الأرض وتراجعت وثقل الجانب الآخر وتحركت الأرض ، وينقل المراكب بعد والنقل جيماً ، وترجعت الأرض ولكن لا يحس بها لكبرها . وله في هذا احتجاجات وكلام وأقوال يطول شرحها

فاما الذين أنكروا ذلك من الحكاء ودافعوا ان ترجح الأرض فقالوا : لو كان القول كما قيل وكما زعموا لكان يجب أن تختلف مساممات الكواكب

الثابتة لبقاء الارض في الشتاء والصيف ، وكان يجب أن يرتفع القطبان تارة وينخفضاً تارة ، وكان يجب أن يكون موضع خط الاستواء الذي تحت معدل النهار مختلفاً ، ولست أنا نجد الامر كذلك فدل على أن ما قالوه من ارجحنا ان الأرض باطل . وقد روى في الخبر أن الأرض في بيته الخلق كانت ترجع كما قال هؤلاء الحكماء ، فلما أرساها الله تعالى وشيدها بالجبل النقال استثقلت وسكنت حركاتها وأما حكم حركات باطن أجزاء الأرض فقد قدمتنا طرقاً منها في رسالة المعادن ولكن نذكر في هذا الفصل ما لا بد منه

﴿فصل﴾

اعلم أن الأرض جسم كرى يجمع ما عليها من الجبال والبحار والمعمران والخراب ، وهي واقفة في مركز العالم وليس مستديرة ملساء ولا مصممة صماء ، بل كثيرة الارتفاع والانخفاض من الجبال والتلال والأودية والاهوية كثيرة التخلخل والنجويفات والكهوف والغارات والمنافذ والفلواهر والبواطن ، وكثيراً ممتلأة مياهها ورطوبات وبخارات دعنية وكبريتية تتعقد منها الجواهر المعدنية

وتلك البخارات والدخانات والرطوبات في دائم الأوقات في الاستحالة والتغير والكون والفساد .

وهكذا حكم ظاهرها فأنها كثيرة البحار والأهوار والأودية والجداول والبطائح والأجام والغدران وفيها منافذ وخليجات يجري بعضها إلى بعض في دائم الأوقات وأمواج البحار متصلة في دائم الأوقات ليلاً ونهاراً آلة رولاندأ وتصارييف الرياح كذلك ، والغيوم والأمطار والسحب والضباب دائمات الكون والفساد ، والأمطار متصلة في دائم الأوقات في بلدان مختلفة البقاع شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً ، بل حكم الليل والنهار والشتاء والصيف الموجودات في الأوقات في بلدان شئي يتعاقب على بقاع الأرض من كل جانب ، والنبات والحيوان والمعادن

في الكون والفساد متصل لا ينقطع ، والسفاد والنكاح والتولد والحرث والحركة
والنوم واليقظة الموت والحياة متصلة في الخلية !

وما في الأرض موضع شبر إلا وهناك معدن أو نبات أو حيوان قل ألم كثر
صغر ألم كبر ، مختلف الأجناس والأنواع والأشخاص والأشكال والصور
والطبع والمزاج والأخلاق والألوان والاصوات لا يعلم أحد كثمتها وكثرتها
وتفصيلها إلا الله تعالى الذي خلقها وصورها ودبرها كائنة وكيف شاء فتبارك
الله رب العالمين .

واذا تأملت يا أخي واعترضت ما وصفنا من أحوال الحركات والمنحرفات التي
في العالم عامت وتبين لك ان حكم العالم بجميع أجزائه ومجاري أموره تجري بجري
مدينة واحدة أو حيوان واحد أو انسان واحد لا ينفك من الحركة والسكن
إما بكليته أو بجزئيته .

وقد يبنا في رسالة ماهية الطبيعة ورسالة السماء والعالم أن سبب حركات الاركان
ومولدهما هو حركات الكواكب ، وسبب حركات الكواكب دوران الأفلاك
والمحرك والمدبر للأفلاك هي النفس الكلية الفلكية فان النفس الكلية الفلكية
هي ملك من الملائكة المقربين وجنوده وأعوانه ، وهو الذي أشير اليه بقوله
تعالى « يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن » وقال
تعالى « مخلقكم ولا بعنكم الا كنفس واحدة ». وهذا الملك وكله الله تعالى بادارة
الأفلاك وحركات الكواكب وما تحت فلك القمر من سائر الأركان ومولدهما
من المعادن والنبات والحيوان أجمع ، وهذا الملك هو ألم من الفلك وأقوى
منه وأعظم وأقدم وأشرف وأجل وأعلى من سائر الخلائق الجسمانية ، وهو
يقدر على تسكين الأفلاك والكواكب كما يقدر على تحريكها لأن التسken أسهل
من التحرير كل عاقل منصف بحكم العقل
وأما حركات أشخاص الحيوانات فهي مختلفة الجهات والأشكال والهيئات
والصور لا يعلم عددها إلا الله الواحد القهار ، ولا يقدر أحد على تفصيلها إلا هو

ولكن نذكر منها طرقاً من فنون حركات أعضاء بدن الإنسان ومفاصل جسده ليكون دلالة على حركات أبدان سائر الحيوانات وأعضائهما كلها المختلفة الاشكال والصور

﴿فصل﴾

فنقول أعلم أن حركات أعضاء البدن نوعان : طبيعية ورادية ، فالطبيعية مثل حركات نبض العروق الضوارب وحركات أضلاع صدره وفؤاده ورئته وحلقومه عند استنشاقه الهواء وإرساله في حال النوم واليقظة من غير ارادة منه ولا اختيار .

وأما الحركات الارادية والاختيارية فمثل القيام والقعود والذهاب والمجيء والصنائع والأعمال والكلام والاشارات باعضاء بدن ، فإنه لا يكون إلا بارادة و اختيار منه ، وهي مائة ونيف وعشرون حرفة منها حركات لفون العين بالفتح والاطلاق

ومنها حركة تقل حدقتيه إلى أربع جهات فوق وتحت ويمين ويسار يحركها باعصاب ممتدة من الدماغ إلى جرم العين وبالعضلات المتصلة بالعين فهو يقلب عينه بتلك العضلات والاعصاب متى شاء إلى الجهات كها كما يحذب الفارس لجام فرسه ينته ويسرة ويصرفة كيف يشاء في تقلب عينه ويجعلها إلى حيث يريد أن ينظر إليه بتلك الاعصاب .

ومنها حركات الإنسان إلى ست جهات لضم الطعام وتقليله تحت أسنانه لقطعه والكسر والدق والطحن والقطم بالثنايا والكسر بالرياعيات والأنياب والدق والطحن بالأضراس والطواحن

وأما حركات الإنسان عند الكلام فانا نذكرها في فصل آخر : منها حركات الإنسان أيضاً عند قطع الشفتين لحدوث الحروف التي مجرأها على الإنسان وهي

أربعة عشر حرفًا في لغة العرب . وهي هذه تث دذر زس ش ص ض ط ظ
ل ن والاربعة عشر حرفًا أخرى فخارجها مختلفة ليس لسان فيها مدخل .
ثم أعلم أن هذه الأحرف لا تحدث إلا بارسال النفس المستنشق من الهواء
وارساله وقطع اللسان لها في مخارجها ومجاريها كما نبين ذلك في فصل آخر
ومنها حركتان للشفتين بالفتح والضم ومنها حركات عصبات الخياشيم عند
استنشاق الهواء والروائح بالمنخرتين .

ومنها حركات المريء للبلع وازدراد الطعام والشراب وإصاها إلى المعده
ومنها حركة الفك السفلي إلى أربع جهات ، ومنها حركات الرأس والرقبة إلى
أربع جهات ، ومنها حركات الكفين إلى أربع ، ومنها حركات العضدين مثل
ذلك ، ومنها حركات الدراع إلى جهتين ، ومنها حركات الكرسوع إلى أربع جهات ،
ومنها حركات الأصابع الأربع كل واحدة إلى جهتين إلا الابهام فانها تتحرك إلى
الجهات الأربع ، ومنها حركات الظهر إلى أربع جهات ، ومنها حركات الفخذين
إلى أربع جهات ، ومنها حركات الساقين إلى جهتين ، ومنها حركات أصابع الرجل
إلى جهتين ، ومنها حركات السبيلين عند اطلاق البول والغاز ، فهذه جملة مختصرة
من تعديد أعضاء بدن الإنسان . فأما عللها فيطول شرحها مذكور بعضها في
كتب التشريح ، وبعضها في كتاب منافع سائر الأعضاء جالينوس . وأما
حركات أعضاء أجسام سائر الحيوانات فيطول شرحها لكثرة اختلافها وصورها
وأشكال أعضائها وقد ذكرنا طرفا منها في رسالة الحيوانات على لسان رسول
النحل عند ملك الحن في الخطاب .

فأما حركات الصناع وأصحاب الحرف في صنائعهم وأعمالهم فقد ذكرنا طرفا
منها في رسالة الصنائع العملية . فاما حركات الحواس الخمس عند إدرا كها محسوساتها
فقد ذكرنا طرفا منها في رسالة الحاس والمحسوس .

واما حركات عصبات مقدم الدماغ ووسطه ومؤخره فقد ذكرناها في رسالة
الآراء والمذاهب والديانات . وأما حركات النبات فقد بينا طرفا منها في رسالة

النبات . وأما حركات الجوادر المعدنية ففي رسالة أخرى . وأما حركات الجو والهواء ففي رسالة الآثار العلوية . وأما حركات الاركان الاربعة فقد ي بيانها في رسالة الكون والفساد . وأما حركات الافلاك والكواكب ففي رسالة السماء والعالم . وأما حركات الا صوات ففي رسالة الموسيقى . وحركات الام والذرات في رسالة أخرى : فقد ذكرنا في كل رسالة ما يليق بحسبه ، وأما طولنا ذكر الحركات وزدنا في شرحها لأنها هي حياة العالم : وذلك أن حياة كل شيء من نبت وحيوان بالماء ، وحياة الماء بالحركة وحياة الابدان بالنفس ، وحياة النفس بالفكرة والجلoran والخواصار كما ذكرنا طرفا منها في رسالة الایمان وهي لا تهدأ اعني النفس لا في النوم ولا في اليقظة عن الحركات والجلoran

» فصل «

ثم اعلم أن غرضنا من ذكر حركات العالم وحركات أجزاءه الكليات والجزئيات وبيان تصارييفها هو بيان بطلان قول من يقول بقدم العالم ، وذلك لأن الحركات المختلفة تدل على اختلافها والمتحرك والمحرك والاختلاف الاحوال لا يكون قد ياما لأن القديم هو الذي يكون على حالة واحدة لا يتغير ولا يستحيل ولا يحده له حال ، وذلك ليس يوجد موجود هذا شأنه إلا الله الواحد الأحد ، ولا يمكن أن يوجد شيء سوى الله تعالى هذا شأنه .

ثم اعلم أن الذين قالوا بقدم العالم ظنوا بأنه ساكن والساكن لا تختلف أحواله وليس إلا مركباً ظنوا وتوهموا من سكون العالم كما يبينا فيما تقدم بكثرة حركات كلياته وجزئياته ما لا تنكره العقول السليمة : فنها حركات الكواكب ودوران الافلاك واستحالات الاركان وتكون المولدات مما لا خفاء به .

ولعمري ان الفلك المحيط هو جسم كروي محاط بسائر الأشياء والافلاك وهو ساكن في مقره لا ينتقل منه ولكنه متحرك أجزاءه كاهما ، وكل فلك من الافلاك المستديرة والافلاك الخارجيه المراكب يدور كل واحد حول مرکزه

الخاص لا يقر ولا يهدأ طرفة عين ، ولا يمكن أن يتوم بسرعة حركتها إلا شيء ذكره ، وذلك لأن الدوار هي أسرع شيء حركة نشاهدها . وقد ذكر أصحاب المخطئ أن حركات الأفلاك والكواكب أسرع من ذلك وقد يذنوها بيراهين هندسية ضرورية : فمن ذلك ما قالوه في حركة الشمس أنها تتحرك في مقدار ما يشيل الإنسان رجله بخطوة من خطواته ويضعها ثمن فراسخ .

ثم أعلم أن كل حركة في متحرك فهي متحركة له وهي سبب لشيء آخر ، ففي عدم تلك الحركة بطل ذلك السبب .

مثال ذلك حركة الرحي عن الدابة التي تديرها أو الماء وهي سبب الطحن ، ففي وقفت الدابة وانقطعت الماء سكت الرحي وعدم الطحن ! فهكذا حكم الدولاب متى وقفت الدابة سكن دوران الدولاب وعدم الاستقاء ، وهكذا حكم الرياح وتحرى كلها المراكب والسفن والمياه ففي سكت الرياح وقفت المراكب البحر عن السير وسكتت الأمواج ، وهكذا أيضاً مراكب الأنهر والسماريات في جريانها متى توهم عدم الماء ووقفها وجريان الانهر وقفت المراكب والسماريات والسفن واقفة عن الانحدار والاصعاد ، وهكذا متى سكتت حركات قوائم الحيوان ماتت ، وهكذا متى سكتت حركات أجسامها وأعضاؤها عن النبض والتنفس ماتت وبطلت حياتها ، وهكذا متى وقفت الكواكب السبعة السيارة في البروج عن دورانها ووقفت الأمور التي تحت عالم الكون والفساد من الحيوان والنبات عن حركاتها وتكونيتها ، يعرفحقيقة هذا من كان حاذقاً بصناعة النجوم وتكلم عليها والمثال في ذلك كرواحة متى وقفت عن الدوران سقطت بعد ما كانت قائمة منتسبة عند حركاتها ، فهكذا حكم العالم متى وقف الفلك المحيط عن الدوران وقفت الكواكب عن المسير والحركات ! ووقفت عند ذلك مجاري الليل والنهار والشتاء والصيف فيبطل عند ذلك الكون والفساد ويبطل نظام العالم وتذهب الأخلاق وتفارق النفس السماوية الجسم السكري وتقوم القيامة الكبرى . وذلك أن العالم هو انسان كبير فإذا فارقت نفس العالم الجسم السكري فقد مات الانسان .

الكبير وقد قامت قيامته الكبرى ، كما ان كل انسان اذا فارقت النفس جسده فقد مات الانسان الذي هو عالم صغير وقد قامت قيامته لان القيامة قيامتنا : قيامة كبرى وقيامة صغرى كما قال عليه السلام : « من مات فقد قامت قيامته » ثم بعد ذلك تبين للمنكريين ما كانوا يوعدون

﴿فصل﴾

في بيان مقدمات عقلية ضرورية تدل على ان العالم محدث مصنوع

فنقول : اعلم أن معنى قول الحكماء العالم هو اشارة الى الفلك المحيط وما يحويه من سائر الافلاك والكواكب والبروج والاركان الاربعة ومولداتها التي هي الحيوان والمعادن ، ثم نقول : اعلم أن الفلك المحيط وما يحويه من جحيم ما ذكر كلها أجسام ، وما لا شئ فيه عند الحكماء أن الجسم عبارة عن الشيء الطاويل العريض العميق وقوظهم الشيء اشارة الى الاهيول وهو الجوهر ، والطول والعرض والعمق اشارة الى الصورة التي صارت بها الاهيول جسما طويلا عريضا عميقا . ثم اعلم أن من الاجسام ما هو متتحرك دائمآ وهي الافلاك والكواكب ، ومنها ماهي ساكنة بكليتها متحركة بأجزائها وهي الاركان الاربعة ، وذلك لأن النار التي دون فلك القمر لا تبرح من مكانها وهي المسى الاثير وهو هواء حار لين ليس له ضوء ودونه هواء بارد يسمى الزمهرير وليس يبرح أبداً من مكانه ، ودونه النسيم المحيط بالارض والبحار ، وهو هواء معتدل بين الحرارة والبرودة وكل هذه الا كر الثلاثة لا تبرح من مكانها بل هي متحركة بأجزائها ، ومنها ماهي متحركة تارة بكليتها وجزئيتها وتارة ساكنة بكليتها وجزئيتها وهي المولدات الكائنة من الحيوان والنبات . وكل هذه الاجسام المتحركات والساكنات يقتضى محركا ومسكنا .

بيان ذلك أن الفلك لما كان أجساما كربات مستديرات مشفات محيطات بعضها بعض : الصغير منها في جوف الكبير والكبير في جوف ما هو أكبر منه الى أن ينتهي الى الفلك التاسع المحيط بالكل .

وكل هذه الأفلاك متحركات حركات مستديرة مختلفة في السرعة والابطاء، والجهات المختلفة شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالاً وطولاً وعرضياً.

وهكذا حكم حركات الكواكب فانها كائناً أجساماً كريات مستديرات مضيئات بحركات مستديرة مختلفة، كما ين في المحسطي ببراهين هندسية عقائية خرورية تدل هذه من أحواها المختلفة الاشكال من الصغر والكبر والابطاء والسرعة وغير ذلك على انها واقفة بقصد قاصد وصنع صانع وجعل جاًعِل وفعل فاعل حكيم قادر عالم وهكذا حكم الاركان الاربعة ومولادتها من الحيوان والنبات والمعادن من اختلاف أحواها وفنون تصارييرها وتغير أوصافها تدل على انها كائناً من صنع صانع حكيم بصير قادر وهو الله الواحد القهار العزيز الغفار.

فمنذ ذلك يبطل قول المنجمين فيما يدعونه من تأثير الكواكب لقيام الادلة بأنها مضطربة مسخرة إذ المضطرب لا فعل له والفعل لم يضطربه وبعد عليه قدرته! ومن تعدى هذا الحكم فقد ظلم ولا يبعد الله الا لظالم قال بما لا يعلم

»» فصل »»

في بيان مشاهدة العلماء الحكماء العارفين المستبصرین

الذين هم أولياء الله المصطفون الذين يرون

صانع العالم بعين البصيرة

فنتقول : اعلم أن الجسم ذو الجهات لا يتحرك أن يتحرك الى جحيم جهاته دفعه واحدة ، ولنست حركته الى جهة أولى من جهة إلا لسبب أو علة بها تكون تلك الحركة من تحريك غيره اياه.

فاعلم أن صانع العالم لما كان متحججاً عن ابصار الناظرين الذين هم به جاهلون أثر الصنعة في مصنوعاته ظاهراً جلياً بينما لا يخفى على كل عاقل منصف لعقله وان كان لا يدري الصنعة لمن هي ومن عمله ومنى صوره ومن أي شيء خلقه وكيف صوره وواحد عمله أو أكثر ، وان كان العمل لواحد فعلى مثال احتذاه بعمله

اياه او يعرف مثال عمله ؟ ولم فعل بعد ان لم يكن فعل ؟ ! فشاهدتهم اثر الصنعة في المصنوع — وهي التي ذكرنا من اختلاف احوالها — دلالة على أنها كلها بقصد قاصد وصنع صانع وفعل حكيم قادر وان كانوا ليسوا يرونها ولا يدرؤون من هو جله لهم به وقلة معرفتهم له وهي الحجاب الذي بينه وبينهم ، كما ذكر الله تعالى في ذمهم « كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحبوون » والحجاب هنا هو جمالهم وقلة معرفتهم به .

وأاما أولياء الله وأصنفياؤه والعلماء العارفون المستبصرون فانهم يرون انه
ويشاهدونه في جميع أحواطهم ومتصرفاتهم ليلهم ونهارهم لا يغيب عنهم طرفة
عين كما لا تغيب مصنوعاته ومخلوقاته ومصوراته عن أ بصار الناظرين ، كما وصفهم
تعالى بقوله : « شهد الله انه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قاتما بالقسط »
وقال : « إلا من شهد بالحق وهم يعانون » سماهم شهداء لمشاهدتهم لله تعالى في
جميع أحواطهم كما قال : « أيها تولوا فم وجه الله » وقال « هو الاول والاخير
والظاهر والباطن » ولا يعزب عنهم مثقال ذرة في السموات ولا في الارض ولا
أصغر من ذلك ولا أكبر الا هو معهم أيها كانوا ما يكون من نجوى ثلاثة إلا
هو ربهم ولا خمسة الا هو سادسهم » وقال « ونحن أقرب اليه من جبل الوريد -
ولما تحقق أولياء الله تعالى فهم هذه الآيات وعرفوها حق معرفتها شرح الله
قلوبهم ونور أ بصارهم وكشف الغطاء عنهم حتى رأوه وشاهدوه بأ بصارهم كما
عرفوه بقلوبهم ، وكما ادعى أسد الله في الارض (لو كشف الغطاء ما ازدلت يقيني
أراد بذلك اني رأاه في هذا الوقت مثل ما رأاه في الآخرة .

* فصل *

في أن وجود العالم عن الله

فنقول أعلم أن وجود العالم عن الباري ليس كوجود الدار عن البناء أو
كوجود الكتاب عن الكاتب الثابت المستقل بذاته المستغنى عن الكاتب بعد

فراغه من الكتابة وعن البناء بعد فراغه عن أبنية الدار ، ولكن كوجود الكلام عن المتكلم الذي ان سكت بطل وجود الكلام ، فالكلام يكون موجوداً ما دام المتكلم يتكلم به ، ومني سكت بطل وجوده . أو كوجود نور السراج في الهواء ما دام السراج باقياً فالنور باق موجود ، أو كوجود ضوء الشمس في الجو ، فإن غابت الشمس بطل وجدان الضوء من الجو أو كوجود الحرارة المحسنة في جسم النار لو انطفأت بطل ضوءها وحرارتها ، أو كوجود العدد عن الواحد قبل الاثنين . كما يبنا في رسالة الارغاطيقي

نم اعلم أن كلام المتكلم ليس هو جزء منه بل فعل فعله أو عمل عمله وأظهره بعد أن لم يكن ، وهكذا حكم النور الذي يرى في الجو عن جرم الشمس ليس هو جزء منها بل هو أشخاص منها وفيض وفضل منها ، وهكذا حكم حرارة النار المنتشرة منها حولها ليس بجزء منها بل هي فيض يفيض منها ، وهكذا الحكم والمثال في وجود العالم عن الباري . وذلك أن العالم ليس بجزء منه بل فضل تفضل به وفيض جود أفضه وفعل فعله بعد أن لم يكن فعل ، كما أن المتكلم أظهر الكلام بعد ما لم يكن تكالماً وليس الكلام جزءاً من المتكلم بل فعل فعله وصنع أظهره . فقد تبين إذا بما ذكرنا من هذه المثالات التي تقدمت كيفية وجود العالم عن الله تعالى . ولا تقدر أيضاً ولا ينبغي أن تظن أن وجود العالم عن الله تعالى طبعاً بلا اختيار منه مثل وجود نور الشمس في الجو طبعاً لا اختياراً منها ، ولا تقدر أن تخمن نورها وفيضها لأنها مطبوعة على ذلك طبعها رب العالمين

فاما الباري تعالى فاختار في فعله ان شاء فعل وان شاء أمسك عن الفعل تركاً ، مثل المتكلم القادر على الكلام ان شاء تكلماً وان شاء أمسكاً وسكت . وهكذا حكم ايجاد الباري تعالى واختراعه ان شاء أفض جوده وفضله ونعمته واحسانه واظهار رحمته وحكمته وان شاء أمسك عن الفعل تركاً وان شاء لم يتعنت عن ايجاده فعله صنعاً اذاً هو قادر على الفعل وترك الفعل مختاراً ، كما ذكر في كتابه «ان الله يمسك السموات والارض أن تزولاً ولئن زالتا ان امسكهما من أحدهما بعده » . وقال «كل يوم هو في شأن» ولا يشغل شان عن شأن

وإذ قد تبين بما ذكرنا حدوث العالم وكيفية حدوثه عن الله تعالى فنريد الآن أن نذكر ونبين أيضاً كيفية بوار العالم وخراب الأفلاك وطي السماوات كطلي السجل للكتب بقدرات عقلية ضرورية صادقة ينتهي عنها ما ذكرنا من بوار العالم وخراب الأفلاك

﴿فصل﴾

فنقول أعلم أن الفاعل المختار هو الذي يقدر على الفعل وتركه متى شاء . فهذه مقدمة موجبة صادقة ، ومقدمة أخرى كل فاعل حكيم مختار فعله في فعل غرض ، وهذه موجبة صادقة ومقدمة أخرى نشرها نقول : الغرض هو عنایة سابقة في علم الصانع قبل اظهار صنعته ومن أجله يفعل ما يفعله ، فإذا بلغ إلى غرضه قطع الفعل وأمسك عن العمل

وهذه مقدمات ثلاثة موجبات صادقات ، ومقدمة أخرى : كل حكيم صانع إذا علم عالماً يقينياً أنه لا يبلغ إلى غرضه في فعله فإنه لا يعمل شيئاً ولا يطلب ، وهذه مقدمة كلية موجبة صادقة ، ومقدمة خامسة : محرك الأفلاك والكواكب فاعل مختار حكيم قادر ، وهذه مقدمات موجبة

فينتهي من هذه المقدمات أن العالم سيخرج يوماً . بيان ذلك أنه إن كان قد يبلغ محرك الأفلاك إلى غرضه في تحريرها فسيبه أن يمسك عن تحريرها وإدارتها وإن كان لم يبلغ إلى الغرض فالغاية في ذلك بلوغ الغرض ، وإن كان يعلم أنه لا يبلغ غرضه ومتطلبه فسيله أن يمسك عن فعله إن كان حكيمًا وإن كان يعلم أنه سيعمله ، فإذا بلغ غرضه ومتطلبه قطع الفعل وأمسك عن العمل

وإذا أمسك محرك الأفلاك عن التحرير لها ووقفت الأفلاك عن الدوران ووقفت الكواكب عن المسير في البروج ووقفت مجريات الليل والنهار والشتاء والصيف وبطل ترتيب الزمان ووقف الكون والفساد في المولدات الثلاثة وفسد النظام . وفي ذلك يكون بطلان العالم وبوار الكل ، لأننا قد بينا في فصول قبل هذه أن قوام العالم وصلاح الخلق هو بالحركة التي هي حياة العالم وصلاحه وبها يكون الخير والشر والسعادة والمعارف أجمع .

فقد تبين بما ذكرنا كيفية بوار العالم وطي السموات والارضين التي هي القيامة الكبرى . فاما حديث عالم الا رواح وبقائها ودوامها وكيفية نصاريف اهلها فقد ذكرنا طرفا منها في رسالةبعث والقيامة بشرحها

﴿فصل﴾

في بيان الضرر لمن يعتقد أن العالم قديم غير مصنوع

فنقول : إن من يعتقد أن العالم قديم غير مصنوع أو يظن ذلك فان نفسه قائمة نوم الغفلة وبعوت الجهالة ، وذلك أنه لا يخطر بباله ولا يجول في خلده ولا في فكره كيفية صنعة العالم وتكوينه ولا يسأل عن صانعه من هو ولا من خلقه أو متى أحدثه ومن أي شيء خلقه وكيف صوره ولم فعل بعد أن لم يكن فعل ، وما الذي أراد بما فعله وما شاكل هذه المباحث والسؤالات التي فيها وفي أجوبتها انتباء النفس من نوم الغفلة وحياة لها وخلاص من البوس والشدة . فإذا لم يخطر بباله لا يسأل عنه ، وإذا لم يسأل عنه لا يجاذب ، وإذا لم يجب لا يعلم وإذا لم يكن عالماً فنفسه تنام في غفلتها وتعمى عن الاعتبار للمشاهدات وتصم من استماع الاذكار والخطاب وتعوت في ظلمات الجهالة التي هي ظلامات بعضها فوق بعض ، ويشتغل حينئذ بالأكل والشرب والجماع وطلب الشهوات الجسمانية والمذات الجرمانية ، اذ هو جاهم بنفسه مصر على سوء فعله مستكبر في حياته الى الممات ، ثم يفارق الدنيا على رغم منه كارهاً حزيناً خاسراً لا يرجى له بعد الموت ثواب ولا يؤمل له إحسان إذ لم يكن له ما يجاذب به إحساناً ، وهو قوله : « خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين »

فاما من يعتقد خلاف ذلك وهو يعتقد أن العالم محدث مصنوع بقصد قاصد وفعل حكيم فإنه يعرض له عند ذلك خواطر عجيبة وفكرة وروية واعتبار وبصيرة وسؤالات طريفة ومباحث لطيفة عن العلوم الشريفة ، ويكون في ذلك النجاة والسبب لانتباه النفس من نوم الغفلة وتنفتح له عين البصيرة وتحيا حياة العلاماء

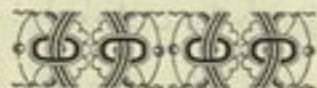
ويعيش عيش السعادة في الدنيا والآخرة جميعاً، وذلك أنه يخطر بيده ويعرض في فكره أن يبحث ويسأل فيقول: من هذا الصانع الذي خلق العالم ومى خلق ومن أي شيء حمل وكيف صنع وصور ولم فعل بعد أن لم يكن فعل ما فعل وما الذي أراد بذلك، ولماذا؟ وما شاكل هذه المباحثة والسؤالات التي في أجوبتها حياة النفس من موت الجمالة ويقظة لها من الغفلات والخروج من ظلمات الخطبية. وإن وفق لفهمها بالطهار من الله تعالى فذلك هو الوحي والنبوة، وإن عز عليه فعليه بمحاجة الحكاء والباحثة معهم، فإذا فهم ما قالوه — حسبما يبين في رسائلنا الاطهارات — صارت نفسي مثل تفوسهم ويكونون معهم حيث كانوا في درجات الجنان وتنبئه نفسه من نوم الغفلة ويحيى حياة العلماء، ويعيش عيش السعادة ويرفع إلى ملائكة السماء ويصير في زمرة الانبياء الذين أخلصوا بمخالصه ذكرى الدار وتصير نفسه من ورثة جنة النعيم وسكن الدهاوات وقاطن الأفلاك ويقي هنالك خالداً مخلداً منها ملذاً أبداً لا يدرين

﴿فصل﴾

ثم أعلم أن لكل شيء من الموجودات قسطاً من السعادة فلت أم كثرت، وهي أن يبقى ذلك الشيء موجوداً أطول ما يمكن على أحسن حالاته وأتم نهاياته، ولكن أسعد السعادات وأتم النهايات وأرفع المقامات ما بناه أولياء الله الذين هم صفوته وأهل مودته، وهو ثلث خصال: أولها معرفتهم بربهم، والثانية فصدقهم نحوه بهمهم، والثالثة طلاقهم مرضااته بسعدهم وأعمالهم فأما معرفتهم بربهم فهو أن يعلم أن كل نفس جزئية هي قوة منتجة فائضة من النفس الكلية، ويعلم أن النفس الكلية هي أيضاً قوة منتجة فائضة من العقل الكلي ويعلم أن العقل الكلي هو أيضاً نور فائض من وجود الباري تعالى ويعلم أن الله تعالى هو نور الانوار ومحض الوجود ومعدن الجود ومعطي الفضائل والخيرات والسعادات وهو باق أبداً سرداً وأن النفس الجزئية هي أيضاً نوراً وضياء وإشراقات

فائضة من النفس الكلية منبثقة منها في العالم سارية في الأُجسام من لدن فلك
المحيط إلى منتهى مركز الأرض . فهذا أصل علم أولياء الله تعالى ومعرفتهم بربهم .
وأما قصدتهم نحوه بهم تقوسهم فإنه فكرهم آناء الليل وأطراف النهار في
عجائب مصنوعاته وغرائب مخترعاته وأصناف خلائقه واعتبارهم تصارييف أحواها
وكيفية الوصول إليها والى صانعها وباريها ومحبتهم له واشتياقهم اليه من كثرة
ما يرون من احسانه وانعامه عليهم وعلى الخلق أجمعين ، وقد جبت القلوب على
حب من أحسن إليها . وأما طلابهم مرضاته بسعدهم وأعمالهم فهو قبولهم وصايا
ربهم تعالى التي جاءت بها الأنبياء والرسل عليهم السلام والعمل بجميع ما أشاروا
إليه فهم في ليتهم ونهاهم لا يغفلون عنه ولا يسيرون عن أسراره في القيام والقعود
والمر والرجوع والأكل والشرب والافعال والاعمال والانقلاب في جهنم
أحواهم ومتصرفاتهم : فهم في جميع اعمالهم كانوا يرون ربهم بعين القلب لاشك
ولاريب ، كما قال سيد المرسلين عليه السلام لما سئل عن ما الاحسان ؟ فقال عليه السلام
« أن تعبد الله كما نظرت إلهان لم تكن تراه فإنه يراك » والله لا يضيع أجر من
أحسن عملا « إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنوون » « إن الله لا يضيع أجر
المسنيين »

وففك الله وايانا وجميع اخواننا الى طريق السداد ، وهداك وايانا وجميع
اخواننا سبيل الرشاد ، انه رءوف بالعباد
﴿ ثُمَّ تَرَكَ الرَّحْمَةَ كَمَا أَنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرَوْنَ رَبَّهُمْ بَعْدَ مَمْلِكَتِهِمْ ۝



الرسالة التاسعة

مقدمة في الفلسفه المعاصره

في العلل والمعلولات

وهي رسالة الأربعون من رسائل أخوان الصفا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى الله خير أمة يشركون
اعلم أبها الأخ أنا قد فرغنا من بيان كمية أجناس الحركات وكيفية اختلافها
وأشرنا في ذلك أن العالم محمد مصنوع . ونريد الآن أن نذكر في هذه الرسالة
بيان العلل والمعلولات فنقول :

إن نعمة الله تعالى على عباده جة لاتقى ومواهبه كثيرة لا تتحصى ، ولكن يتفاصل بعضها ببعضًا بحسب جزالتها وغزارتها فن موهاب الله الجزلية وعطياته الجليلة لبعض عباده التي خص بها قوماً دون قوم وهي الحكمة البالغة كما ذكر بقوله « ومن يؤت الحكمة فقد أُتي خيراً كثيراً » يعني به علم القرآن خاصة وتقدير آياته ومعانٍ أسراره وإشاراته اللطيفة التي لا يمسها إلا المظہرون من العيوب والذنوب والكذب في حق الله وأياته حيث يفسر قوم آيات الله على خلاف ما هو معناه كما فسروا الاستواء بالجلوس والتلکن على العرش والرؤبة بالنظر إلى الجسم المشار إليه وبالسمع والبصر فسروا الأعضاء الالهية ، وفسروا الكلام بالنطق والحرروف ، وبالنزول الانتقال من السماء السابعة إلى السماء الدنيا وغير ذلك من الآيات التي لا يعرف تأويلاً لها إلا الله والراسخون في العلم وهو قوله هم

الذين يعلمون ويعرفون تأويل آياته وأسراره ويقولون آمنا به كل من عند ربنا
فهذا قول الحكماء الربانيين والعلماء المتكلسين

ثم أعلم أن لفظ الفيلسوف عند اليونانيين معناه الحكم والفلسفة تسمى
المحكمة، والحكم هو الذي أفعاله تكون محبكة ومتناعنة متقدمة وأقوابه صادقة
وأخلاقه حميدة وأراءه صحيحة وأعماله زكية وعلومه حقيقة وهي معرفة حقائق
الأشياء وكيفية أجناسها وأنواع تلك الاجناس وخصوص تلك الأنواع واحداً
واحداً والبحث عن عللها هل هي وما هي وكيف هي وأي شيء هي وكيف هي وأين
هي ومتى هي؟ ولم كانت ومن هي؟ — ويسأل عن هذه الوجوه أو
يحيط عنها إذا سئل ويفهم معاناتها إذا فكر فيها وبحث عنها ، كما قلنا في رسالة
أجناس العلوم

ثم أعلم أن أصعب الأوجه عن هذه السؤالات التسعة جواب الالمية لانه
سؤال عن العلل والعلل كثيرة دقيقة غامضة تحتاج إلى بحث شديد وفهم صادق
وتفصيلية ونظر دقيق

ثم أعلم أن المباحث والمطالب في معرفة حقائق الأشياء تسعة أنواع : أولها
هل هو؟ والثاني ما هو؟ والثالث لم هو؟ والرابع كم هو؟ والخامس أي شيء
هو؟ والسادس كيف هو؟ والسابع أين هو؟ والثامن متى هو؟ والتاسع من
هو؟ ولكل سؤال من هذه السؤالات جواب خاص لا يشبه الآخر : فمن
ينعطف على معرفة حقائق الأشياء ويحيط عن عللها وأسبابها يحتاج إلى أن يكون قد
عرف هذه المباحث التسعة والجواب عن هذه السؤالات واحدة واحدة بحثها
وصدقها .

ثم أعلم أن معرفة الكينية قبل معرفة الكمية فن لا يدرى كيفية الأشياء
وترتبها ونظمها لا يوثق بقوله إذا أخبر عن عللها وأسبابها بأن ذلك منه عن
معرفة بل هو حكاية وإخبار عن غيره ولا يكون إلا مبلغاً وينبغي لمن يطلب
حقائق الأشياء ويبحث عن عللها وأسبابها أن يتبدىء أولاً بمعرفة الاصول

والقوانين والاجناس الكليات ، ثم ينظر في الفروع والأنواع والأشخاص التي هي المروف .

ثم اعلم أن ملائكة الأمر في معرفة حقائق الأشياء هو في تصور الإنسان حدوث العالم وكيفية إبداع الباري (تعالى) العالم واحترازه إياه وكيفية ترتيبه للموجودات ونظامه للكائنات بما عليه الآن ولم كان ذلك

ثم اعلم أن كل عاقل اذا سمع كلام العلماء في حدوث العالم وأقوایل الحكمة في كيفية ابداع الباري تعالى العالم واحترازه له بعد أن لم يكن وتفكر فيما قالوه فإنه يشتهي ويتنبئ أن لو علم كيف صنعه ومن عمله ولم فعل ذلك بعد ان لم يكن قبل . فان فكر في هذه الثلاثة من المباحثات ولم يتصور كيفية ذلك ولا متي ولا لم لصعوبتها ودقتها فربما تغير عقله وتشكلت نفسه فيما قالت الحكمة وارتابت بها وتبللت

ثم اعلم أن العلة في صعوبة التصور لحدوث العالم وكيفية إبداع الباري تعالى له من غير شيء هو من أجل جريان العادة في الشاهد أن كل مصنوع فان صانعه يعمله من هيولي ما في مكان ما في زمان ما بمحركات وأدوات .

وليس حدوث العالم وصنعته وإبداع الباري تعالى له هكذا بل أخرج من العدم إلى الوجود هذه الأشياء كلها ، أعني الهيولي والمكان والزمان والحركات والأدوات والاعراض . فمن أجل هذا لا يتصور كيفية حدوث العالم وإبداعه .

﴿فصل﴾

ثم اعلم أن الله تعالى قد علم بأنه يعرض للعقلاء هذه الشكوك والحقيقة حيث تفكروا في كيفية حدوث العالم ولا يتصور بهذه الطريقة لصعوبتها بجعل له طريقة آخر أسهل من هذه وأقرب وركيزها في تقوسيهم كأنها مكتوبة فيها كتابة أهلية لا يمكن لأحد من العقلاء إنكارها اذا أتصف عقله لأنه يجد صدقها في نفسه شاهداً لها وهي كيفية صورة العدد ومنشأه من الواحد الذي قبل الاثنين كما في رسالة الارثماطيقي

ثُمَّ أَعْلَمُ أَنَّ الْحَكَمَاءِ وَالْعَلَمَاءِ هُمْ وَرَتَةُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْأَنْبِيَاءُ هُمْ سُفَرَاءُ اللَّهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقَهُ لِيَعْبُرُوا عَنْهُ الْمَعْانِي وَيَفْهَمُوهَا النَّاسُ بِلُغَاتٍ مُخْتَلِفةً، لِكُلِّ أُمَّةٍ مَا تَعْرِفُهُ عَلَى قَدْرِ احْتِمالِ أَفْهَامِهِمْ. فَإِذَا مَضَتِ الْأَنْبِيَاءُ لِسَبِيلِهِمْ الْعَلَمَاءُ وَالْحَكَمَاءُ وَقَامُوا مَقَامَهُمْ وَنَابُوا مَنَابِهِمْ فِيمَا كَانُوا يَقُولُونَ وَيَفْعَلُونَ، وَيَعْلَمُونَ النَّاسُ مِنْ عَوْالَمِ الدِّينِ وَطَرِيقِ الْآخِرَةِ وَمَصَالِحِ الدُّنْيَا. فَنَّ قَبْلَ مِنْهُمْ مَا قَالُوهُ وَعَمِلُ بِمَا أَمْرَوهُ فَهُوَ عَلَى طَرِيقِ النَّجَاهَةِ وَالْفُوزِ، وَمِنْ أَبِي وَكَفَرَ بِهِ فَهُوَ عَلَى خَطَرِ عَظِيمٍ وَخَوْفٍ مِنَ الْهَلاَكَةِ. فَاحْذَرُ يَا أَخِي مُخَالَفَةَ الْحَكَمَاءِ وَمَعَانِدَةَ الْعَلَمَاءِ، بَلْ كَنْ مِنْهُمْ إِذَا اسْتَوَى لَكَ، وَيَنْبَغِي أَنْ لَا تَرْضِي لِنَفْسِكَ إِلَّا بِأَعْلَى مَرْتَبَةٍ فِي الْعِلْمِ وَالْحَكْمَةِ فَإِنْ بِذَلِكَ يَكُونُ الْقَرْبَةُ إِلَى اللَّهِ (تَعَالَى) كَمَا ذَكَرَ بِقَوْلِهِ: «لَلَّهُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ؛ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ». وَإِذْ قَدْ بَانَ بِمَا ذَكَرْنَا عَلَرْفًا مِنْ فَضْيَلَةِ الْعَلَمَاءِ وَمَنَاقِبِ الْحَكَمَاءِ فَنَقُولُ الْآتَى: قَدْ قَالَ الْحَكَمَاءُ كَلِمَةً كَلِمَةً حَادِقَةً وَهِيَ فَوْلَهُمْ: أَنَّ الطَّبِيعَةَ لَمْ تَقْعُلْ شَيْئًا بَاطِلًا، وَمَعْنَى هَذَا القَوْلُ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ فِي الْمُوْجُودَاتِ بِلَا فَائِدَةٍ وَلَا عَائِدَةٍ، بَلْ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَفِيهِ جُرْمٌ لِنَفْعَةٍ أَوْ دَفْعٌ لِضرٍّ

فَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَمَا ذَكَرْتَ فِي بِحْتَاجٍ كُلُّ مَنْ يَدْعُى أَنَّهُ يَعْرِفُ الْحَكْمَةَ أَوْ يَتَعَاطِي التَّحْقِيقَ أَنْ يَخْبُرَ إِذَا سُئِلَ عَنْ عَلَةٍ كُلُّ مَوْجُودٍ وَلِمَاذا وَكِيفَ وَمَا الْحَكْمَةُ فِي كُونِهِ وَمَا الْفَائِدَةُ فِي وُجُودِهِ — إِنْ كَانَ يَحْسَنُ ذَلِكَ— وَإِلَّا يَنْبَغِي لِهِ أَنْ يَقُولَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، وَلَا يَأْنِفُ أَنْ يَقُولَ: لَا أَدْرِي فَنَقُولُ: قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، أَنَّهُ يَنْبَغِي لِمَنْ يَرِيدُ النَّظرَ فِي حَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ وَالْبَحْثَ عَنْ عَلَلِهَا وَالْسُّؤَالَ عَنْ اسْبَابِهَا وَلَمْ وَكِيفَ وَلِمَاذا وَمَا الْحَكْمَةُ فِيهَا؟ أَنْ يَكُونَ لَهُ قَلْبٌ فَارِغٌ مِنْ هُمُومِ الدُّنْيَا وَأَمْوَالِهَا وَنَفْسٌ زَكِيَّةٌ وَفَهْمٌ دَقِيقٌ وَعَقْلٌ وَاضِحٌ وَأَخْلَاقٌ طَاهِرَةٌ وَصَدْرٌ سَلِيمٌ مِنَ الدَّغْلِ وَالْغَشِّ وَالْأَرَاءِ الْفَاسِدَةِ وَيَكُونُ مِرْقاً ضَاحِيًّا بِالرِّيَاضِيَّاتِ الْحَكَمِيَّةِ الْأَرْبَعَ وَالنَّظرِ فِي الْمَنْطَقِ وَالْطَّبِيعِيَّاتِ، وَيَكُونُ قَدْ عَرَفَ السُّؤَالَاتِ وَأَجْوَبَهَا— كَمَا يَبْدِي فِي رِسَالَةِ الْأَجْنَاسِ مِنَ الْعِلُومِ — ثُمَّ يَنْظُرُ فِي هَذَا الْفَنِ الَّذِي يُسَمِّي عِلْمَ الْأَنْبِيَاءِ

الملقب بعلم الاهيات ، لأن هذا العلم هو الغاية القصوى التي ينتهي إليها الانسان في علم المعارف التي تلي رتبة الملائكة الذين هم الملاّء الأعلى وسكان السموات وملوك الأفلاك .

﴿ فصل ﴾

ثُمَّ اعْلَمُ أَنَّ الْأَشْيَاءَ هِيَ أَعْيَانُ أَيِّ صُورٍ غَيْرِيَاتٍ أَفَاضْهَا وَأَبْدَعْهَا الْبَارِي تَعَالَى كَأَنَّ الْعَدْدَ هُوَ أَعْيَانُ أَيِّ صُورٍ غَيْرِيَاتٍ فَإِنْ مِنَ الْوَاحِدِ بِالتَّكْرَارِ فِي أَفْكَارِ النُّفُوسِ وَالْأَشْيَاءِ كَانَتْ فِي عِلْمِ الْبَارِي تَعَالَى قَبْلَ إِبْدَاعِهِ وَاخْتَرَاعِهِ لَهُ ، كَمَا أَنَّ الْوَاحِدَ لَمْ يَتَغَيَّرْ حِمَاكَانَ عَلَيْهِ قَبْلَ ظُهُورِ الْعَدْدِ مِنْهُ فِي أَفْكَارِ النُّفُوسِ وَمِنْ أَخْصِ أَوْصَافِ الْبَارِي أَنَّهُ غَيْرُ الْوَجُودِ وَأَصْلُ الْمُوْجُودَاتِ وَعِلْمُهَا ، كَمَا أَنَّ الْوَاحِدَ أَصْلُ الْعَدْدِ وَمِبْدُؤُهُ وَمِنْشُؤُهُ ، فَلَوْ كَانَ الْبَارِي تَعَالَى ضَدًا لِكَانِ الْعَدْدُ وَلَكِنَّ الْعَدْدَ لَيْسَ بِشَيْءٍ ، وَالْبَارِي تَعَالَى فِي كُلِّ شَيْءٍ وَمَعَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ غَيْرِ مُخَالَطَةٍ طَارَ لِامْتَازَجَةٌ مَعَهُ ، كَمَا أَنَّ الْوَاحِدَ فِي كُلِّ عَدْدٍ وَمَعْدُودٍ ، فَإِذَا رَقَمَ الْوَاحِدَ مِنْ كُلِّ الْمُوْجُودَ تَوَهَّمَنَا ارْتِفَاعُ الْعَدْدِ كَلَهُ ، وَإِذَا رَقَمَ الْعَدْدَ فَلَمْ يَرْقَمْ الْوَاحِدَ ، كَذَلِكَ لَوْ لَمْ يَكُنْ الْبَارِي لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مَوْجُودًا أَصْلًا . وَإِذَا بَطَّلَتِ الْأَشْيَاءَ لَا يَبْطَلُ هُوَ بِبَطَّالَانِ الْأَشْيَاءِ وَمِنَ الْمُوْجُودَاتِ مَا هُوَ أَقْرَبُ إِلَى الْبَارِي تَعَالَى رَتْبَةً وَمَرْتَبَةً وَهُوَ انْعَقْلَلُ ، كَمَا أَنَّ مِنَ الْأَعْدَادِ مَا هُوَ أَقْرَبُ إِلَى الْوَاحِدِ رَتْبَةً وَنَسْبَةً وَهُوَ الْأَثْنَيْنِ ثُمَّ الْثَلَاثَةِ ثُمَّ الْأَرْبَعَةِ ثُمَّ مَا زَادَ بِالْفَآمَّا بِلْغَامَ فَهَكُذا حَكَمَ الْمُوْجُودَاتِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى مَرْتَبَةً وَمَنْتَظَمَةً كَتْرِيْبِ الْعَدْدِ وَنَقَامَهُ ، كَمَا يَدَا فِي رِسَالَةِ الْعَدْدِ ، وَفِي رِسَالَةِ الْمَبَادِيِّ الْعَقْلِيَّةِ

ثُمَّ اعْلَمُ أَنَّ كَثِيرًا مِنْ يَنْظَرُونَ وَيَنْفَكِرُونَ فِي مَبَادِيِّ الْأَمْوَارِ يَظْنُونَ وَيَتَوَهَّمُونَ بِأَنَّ الْمَعْلُومَاتِ فِي عِلْمِ اللَّهِ لَمْ تَزُلْ مِثْلُ صُورِ الْمَصْنُوعَاتِ فِي أَنْفُسِ الصُّنَاعِ قَبْلَ اخْرَاجِهِمْ هُنَّا وَضَعْهُمْ فِي الْهَيْوَى الْمُعْرُوفَةِ فِي صِنَاعَتِهِمْ ، أَوْ مِثْلُ صُورَةِ الْمَعْقُولَاتِ فِي أَنْفُسِ الْعُقَلَاءِ وَتَصْوِيرِهِمْ هُنَّا ، وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا فَلَنُوا وَتَوَهَّمُوا بِلَمْ يَكُونْ الْعَدْدُ

في الواحد كما يتناقل — لأن صورة المصنوعات حصلت في أنفس الصناع بعد النظر منهم في مصنوعات أستاذهم والتأمل لها والتفكير فيها والاعتبار لها ، والتي في نفس استاذهم الذين أبدعوا الصناعات وآخر عوها حصلت في تقوسيهم بعد النظر منهم إلى المصنوعات الطبيعية والتأمل لها والتفكير فيها ، وهكذا حكم صورة المقولات في أنفس العقلاء حصلت فيها بعد النظر إلى المحسوسات وتأملهم لها والتفكير منهم فيها وليس حكم الله تعالى كذلك بل عالمه من ذاته ، كما أن العدد من ذات الواحد

والمثال ينبغي أن يكون مطابقاً لما يمثل به في أكثر المعاني لا في أقلها . فثال الباري تعالى بالواحد في نسبته إلى المبروزات بالأعداد أكثر مطابقة له من غيرها من المثالات

ثم أعلم أن كل موجود قائم فإنه يفيض منه على مادونه فيفاض ما ، وأن ذلك الفيض هو من جوهره أعني صورته المقومة التي هي ذاته . والمثال في ذلك حرارة النار فأنها تصيب منها على ما حوطها من الأجسام من التسخين والحرارة وهي جوهرية النار التي هي صورتها المقومة لها ، وهكذا أيضاً يفيض من الماء الترطيب والبلل على الأجسام المجاورة له ، والرطوبة جوهرية في الماء وهي صورة مقومة لذاته ، وهكذا أيضاً يفيض من الشمس النور والضياء على الأفلاك والهواء لأن النور جوهرى في الشمس ، وهي صورته المقومة لذاته ، وهكذا أيضاً يفيض من النفس الحياة على الأجسام لأن الحياة جوهرية لها وهي الصورة المقومة لذاتها

» فصل »

ثم أعلم أنه مادام الفيض من الفائض يكون متواتراً متصلة مادام ذلك المفاض عليه ، وممّى لم يتواتر متصلة عدم وبطل وجوده ، لأنّه يضمحل الأول فالآخر . والمثال في ذلك الضوء في الهواء إذا توثر البرق واتصل بقى الهواء مضيئاً مثل النهار لأنّ الشمس تفيض الفيض منها على الهواء متواتراً متصلة ، فإذا حجز بينها حاجز عدم ذلك الضوء من الهواء لأنّه يضمحل ساعة ساعة ولا يتواتر الفيض

عليه . وهكذا الحياة من النفس على الاجسام مادامت متصلة متواتراً تدوم الحياة فاذا فارقت النفس الجسد بطلت حياة الجسد من ساعته وأضمه محال . وهكذا حكم وجود العالم وبقائه من الباري تعالى . فا دام الفيض والجود والعطاء متواتراً متصلاماً دام وجود العالم من الله تعالى

واعلم أن أكثر العقلاة يظنون وينوّهون أن وجود العالم من الله تعالى كوجود الدار المبنية من البناء المستقلة بذاتها المستغنية عن البناء بعده بنائه ، وليس الامر كما ظنوا وتوهموا لأن بناء الدار تركيب وتأليف من أشياء هي موجودة بأعيانها قائمة بذواتها كالتراب والماء والحجارة والأجر والجص والبن والخشب وما شاكلها وليس الابداع والاختراع تركيباً وتأليفاً بل إحداثاً واختراع من العدم الى الوجود . والمثال في ذلك كلام المتكلم وكتابة الكاتب ، فان أحدهما يشبه الابداع وهو الكلام والآخر يشبه التركيب وهو الكتابة ، فمن أجل هذا حسّر اذا سكت المتكلم بطل وجداً الكلام ، فاذا أمسك الكاتب لا يبطل الموجود من الكتابة فوجود العالم من الله (تعالى) كوجود الكلام من المتكلّم اذا أمسك عن الكلام بطل وجداً الكلام . والدليل على ما قلنا وحقيقة ما وصفنا قول الله تعالى « إن الله يمسك السموات والارض أن تزولا وain زالتا » الآية و « كل يوم هو في شأن » ولا يشغله شأن عن شأن

ثم اعلم أن كل لبيب عاقل اذا فكر في كيفية حدوث العالم وإبداع الباري له وخلقه أطبق السموات والارض وتركيبه أكثر الافلاك وتدويره أجرام الكواكب البسيطة والأركان الاربعة وتكونيه المولدات الثلاثة منها فلا بد أن يعتقد فيها أحد الآراء الثلاثة : أما أن يظن ويتهم بأنها أبدعت دفعه واحدة وأخرجهها الباري تعالى من العدم الى الوجود على ماهي عليه الان أو يظن ويتهم بأنها أبدعت على تدرج فأخرجت على ترتيب أولاً فأولاً الى آخرها على مر الدهور والأزمان ، أو يقول بعضها دفعه وبعضها على التدرج ! إذ ليس في القسمة العقلية غير هذه الثلاثة : فاما من يظن ويتهم إنها أبدعت دفعه واحدة بلا زمان فلا يجد لما يقول عليه دليلاً من الشاهد فيتشكّك فيما يقول

وأما من يقول إنها أبدعت وأخرجت من العدم إلى الوجود على تدريج ونظام
وترتب فهو يجد على ما يقول شواهد كثيرة من الموجودات باستقراء واحد .
وأما من يقول إن بعضها أبدع وأحدث دفعه واحدة وبعضها على التدريج
فهو يحتاج إلى أن يبينها ويشرحها ويفصلها

﴿فصل﴾

فنقول إن الأمور الطبيعية أحدثت وأبدعت على تدريج ممتد الدهور
والزمان ، وذلك أن الهيولي الكلي أعلى الجسم المطلق قد أتى عليه دهر طويل
إلى أن تخض وتغدو المطيف منه من الكثيف ، وإلى أن قبل الأشكال الفلكية
الكريبة الشفافة وتركب بعضها في جوف بعض وإلى أن استدارت أجرام الكواكب
النيرة وركبت مراكمها وإلى أن تميزت الأركان الأربع وترتبت مراتبها
وانتظمت نظامها

والدليل على ذلك قوله تعالى « خلق السماوات والأرض في ستة أيام » و قوله
تعالى « وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون »

فأما الأمور الالهية الروحانية خذوها دفعه واحدة مرتبة منتظمة بلا زمان
ولا مكان ولا هيولي ذات كيان . بل بقوله « كن فيكون » والأمور الروحانية
الالهية هي العقل الفعال والنفس الكالية والهيولي الأولى والصور المجردة .
والعقل هو نور الباري تعالى وفيضه الذي فاض أولاً والنفس هي نور العقل
وفيضه الذي أفاضه الباري منه ، والهيولي الأولى هي فلل النفس وفيتها ، والصور
المجردة هي النقوش والاصباغ والأشكال التي عمتها النفس في الهيولي باذن الله
تعالى وتأييده لها بالعقل

وهذه الأمور كأنها بلا زمان ولا مكان : بل بقوله « كن فيكون ، كما قال : -
« وما أمرنا إلا واحدة كامحة بالبصر »
ومثال حدوث البرق واشراق نور الشمس في الهواء وإضاءة الأ بصار ورؤيه
الأشياء دفعه واحدة بلا زمان

ثم اعلم أن الاركان الاربعة متقدمة الوجود على مولاداتها بالأيام والشهور والسنين ، كما أن الافلاك متقدمة الوجود على الاركان بالازمان والادوار والقرانات ، وعالم الارواح متقدم الوجود على عالم الافلاك بالظهور الطوال التي لا نهاية لها . والبارى تعالى متقدم الوجود على الكل ، كتقدمة الواحد على جميع العدد

ثم اعلم أنه قد أتى على النفس دهر طويل قبل تعلقها بالجسم ذى الابعاد وكانت هي في عالمها الروحاني وحملها النوراني ودارها الحيوانية مقبلة على عاتتها العقل الفعال قبل منه القييض والفضائل والخيرات ، وكانت منعمة ممتلدة مسترحة مسرورة فرحة

فلما امتلاءت من تلك الفضائل والخيرات أخذها شبه المخاض فأقبلت تطلب ما تقيض عليه تلك الخيرات والفضائل . وكان الجسم فارغاً قبل ذلك من الاشكال والصور والنقوش فأقبلت النفس على الاهيولى تيز الكثيف من المطيف وتقيض عليه تلك الفضائل والخيرات

فلما رأى البارى تعالى ذلك منها مكنها من الجسم وهيأ لها خلق من ذلك الجسم عالم الافلاك وأطباق السماوات من لدن فلك المحيط الى منتهى مركز الارض، وركب الافلاك بعضها في جوف بعض وركب الكواكب مرآكزها ورتب الاركان مراتبها على أحسن النظام والترتيب بما هي عليه الان لكيما تتمكن النفس من ادارتها وتسير كواكبها ويسهل عليها إظهار أفعالها وفضائلها والخيرات التي قبلتها من العقل الفعال

فهذا الذى كان سبب كون العالم أعني عالم الاجسام بعد ان لم يكن ومن يرد أن يتصور كيفية تمحض الاهيولى وتميز أجزاء الجسم المطيف منها من الكثيف وقبوتها الاشكال الكربية الفلكية الشفافة وكيف تركب بعضها في جوف بعض في مراتبها ودورانها وكيف استدارات أحجام الكواكب النيرة وركبت مرآكزها في أفلاكها في مسيراتها وكيف تمحضت أجزاء الاركان الاربعة بعضها مع بعض

وتعيز بعضها من بعض وترتبت على ما هي عليه الآن كالماء من هيولى واحدة من حيث الجسمية مع اختلاف صورها وفنون أشكالها فليعتبر تركيب جسمه من دم الطمث في الرحم كيف تختفي وتغير وصار بعضها عظاماً بيضاصابة ، وبعضها أحمر ، وبعضها شحراً دهماً أصفر ، وبعضها عروفاً مجوفة ، وبعضها أعضاء آلية ، وبعضها أعضاء متشابهة الأجزاء ، وكيف صار بعضها ذلياً وبعضها جرم الكبد وبعضها جرم الرئة ، وكذلك المعدة والطحال والدماغ والأمعاء وكيف صار بعضها جلداً وشعرأً وظفراً وما شاكل هذه الأشياء المختلفة الاشكال والصور واللوان والعلوم والروايات والطبع

وان عجز فهمه عن تصور كون هذه من دم الطمث ومن النطفة وتركيبها منه وكيفية قبوها هذه الصور والاشكال والعلوم واللوان التي هي أقرب إليه ومعرفتها أسهل عليه — فهو عن تصور كيفية الافتلاك وخلق اطباق السماوات والاراضين بعد وهو بها اجهل وأقل فهماً

﴿ فصل »»

لم اعلم أنه سترجع النفس الكلية إلى عالمها الروحاني وملها التوراني وحالها الأولى التي كانت عليها قبل تعلقها بالجسم ، كما قال تعالى « كَمَا بِدَأْنَا أُولَئِنَّا نَعْيِدْهُ وَعَدَّا عِنْنَا إِنَّا كَنَا فَاعْلَيْنَا » ولكن لا يكون ذلك إلا بعد مضي الدهور والأزمان الطوال والأدوار ، وسيخبر العالم الجنسي اذ فارقته النفس وسكن الفلك عن الدوران والكواكب عن السير والأركان عن الاختلاط والمزاج ، ويبلي النبات والحيوان والمعادن ويخلع الجسم الصور والاشكال والنقوش ويبقى فارغاً كما كان بدياً اذ أعرضت عنه النفس وأقبلت نحو عالمها ولحقت بعلمه الأولى وصارت عنده واتخذت به ، لأن مثل النفس في إقبالها على الجسم واشتغافها به في إصلاح شأنه — بعد ما كانت مقبلة على عملها في عالمها مستفيدة منها في بعض من الفضائل والخيرات — كمثل الرجل الخير العاقل الحب المقبول على أستاذه ، الحب الحرير في تعلمه العلم والحكم والمعارف المتخلق بأخلاقه الجميلة وأدابه

(م - ٢٢)

الصحيحة مدة من الزمان ، حتى إذا املاً من الخيرات والفضائل والعلوم والحكم أخذه عند ذلك شبه المخاض وانتهى وتفى وطلب من يفيض عليه من تلك الخيرات والفضائل ويقيده إياها .

فإذا وجد تلميذا يعلم أنه يقبل منه تأديبه ويفهم عالمه وحكمته أقبل عليه بالفيض والأفاده طمعاً في إصلاحه وحرصاً في تعليمه ورغبة في تأديبه تشهماً بأستاذه في أفعاله وصناعته ، مثل ما كان يفعل أستاذه به ، تشهماً بأستاذه ومعاهه ومحرجه الأول الذي أدبه وخرج له وهذب جوهره وصفى عنصره

فإذا فرغ من تعليمه وتنقيفه بتأديبه أقبل عند ذلك على عبادة ربه وطلب الخلوات لمناجاة باريه وتمي الأحقوق بأسلافه وأقاربها والدخول في زمرة ملائكته . وهكذا سيرة إلا نبياء صلوات الله عليهم ، وكذلك أيضاً كانت سيرة الحكاء والقدماء الربانيين . كل ذلك تشهماً بالله تعالى في اظهار حكمته وفيض فضائله على بريته إذ أوجدهم بعد أن لم يكونوا فأفاض عليهم من فنون نعمه وألوان الخيرات والبركات مما لا يحصى عددها إلا الله . فافهم يا أخي هذه الاشارات والتبيهات لعل نفسك تنتبه من نوم الغفلة ورقدة الجهالة

﴿فصل﴾

حكى في بعض الاخبار أن نبياً من أنبياء الله تعالى قال في مناجاته مع ربـه : ياربـ لم خلقت الخلق بعد أن لم تكن خلقتـه ؟ فقال له ربـه ، على سبيل الرمز : كـنـتـ كـنـزاً مـخـفـيـاً من الخـيرـاتـ وـالـفـضـائلـ وـلـمـ أـكـنـ أـعـرـفـ فـأـرـدـتـ أـنـ أـعـرـفـ معـناـهـ لـوـ لـمـ أـخـاقـ الـخـلـقـ خـلـفـيـتـ هـذـهـ الـفـضـائلـ وـالـخـيرـاتـ الـتـيـ أـفـضـتـهـاـ وـأـفـلـمـرـتـهـاـ منـ عـجـائبـ خـلـقـيـ وـمـصـنـوـعـاتـ الـحـكـمـاتـ الـتـيـ كـاتـ الـأـسـنـ عنـ الـبـلـوغـ إـلـيـ كـنـهـ صـفـاتـهـ وـحـارـتـ عـقـولـهـ عـنـ كـنـهـ مـعـرـفـتـهـ بـحـقـائـقـهـ .

وـأـنـتـ يـاـ أـخـيـ فـاحـذـرـ مـنـ سـوـءـ الـفـهـمـ مـنـ كـلـامـ الـعـقـلـاءـ وـالـحـكـمـاءـ وـلـطـيفـ أـقـوـيـلـهـ وـاـشـارـاتـهـ إـلـيـ الـمـعـانـيـ الـدـقـيقـةـ ! فـاـنـ سـوـءـ الـفـهـمـ يـؤـدـيـ صـاحـبـهـ إـلـيـ سـوـءـ الـقـلـنـ بـالـحـكـمـاءـ : فـنـ ذـلـكـ مـاـيـتـوـهـ كـبـيرـ مـنـ النـاسـ فـيـ حـقـ الـحـكـمـاءـ أـنـهـاـقـولـ بـقـدـمـ

العالم وأزليته ، وهذا هو سوء الفلن منهم لسوء فهم لا قوايلها وشاراتها ، وذلك أنهم لما سمعوا قول الحكمة : إن العالم لم يخلق في زمان ولا هو في مكان ، فلن من سمع هذا القول منهم أنهم يقولون بقدم العالم ولم يفهموا ماؤرادوا وإنما أرادوا بقولهم : لازمان ولاماكن أفضل لأن الزمان عدد حركات الفلك والمكان سطحه الخارج ، فإذا لم يكن فلك فلا زمان ولا مكان ، بل لما أبدع الباري تعالى الفلك وأداره وأوجد المكان والزمان معًا بعد وجود الفلك

ومن ذلك أيضًا قوله : إن الجوهر جوهر نفسه ، والعرض عرض لنفسه فظن من سمع هذا القول ولم يفهم المراد أنهم يقولون أنها ليست بجعل جاعل أو بصنع صانع إذ كان لنفسه ! وليس الأمر على ما ظنوا وتوهموا وإنما قال الحكمة هذا القول لما تأملت الموجودات وتصفحت أحواها وجدت بمضها صفات وبعضاها موصفات مختلفات وعرفت أن علة اختلاف الموصفات هي من أجل اختلاف الصفات ، وأما اختلاف الصفات فهي لأنها لأن الله تعالى أبدعها مختلفة بأعيانها لاءمة فيها .

والمثال في ذلك اختلاف حال الأسود والأبيض : فإنه من أجل اختلاف السواد والبياض في ذاتيهما لعلة أخرى فن ظن أن السواد والبياض هم علة أخرى تؤدي إلى غير النهاية ! وذلك أن الأسود هو موصوف وإنما كان أسود لكون السواد فيه ، فهكذا لا ي泯 إنما كان أبيض لكون البياض فيه ، فأما السواد والبياض فانهما في أنفسهما مختلفان لا صنعة فيها بل بذاتهما مختلفان ، لأن الله تعالى أبدعهما هكذا مختلفي الذاتين وهذا معنى قوله الحكمة : إن السواد سواد لنفسه لا لصفة فيه ، ولم يريدوا أن السواد ليس بجعل جاعل ولا بصنع صانع ، كما توش كثير من الناس الذين هم غير مرتضين بالحكمة ولا متحققين بالشريعة

ثم أعلم أن العجز هو من أحد الأسباب التي تعيق الفاعل عن إظهار أفعاله والصانع عن إحكام صنعه ، ولكن ربما يكون من الفاعل لضعف قوته ولقلة معرفته

وربما كان من عدم الأدوات والآلات التي يحتاج إليها الصانع في إحكام صنعته أو من عدم المكان والزمان والحركات وما شاكلها ، أو ربما يكون العجز من قبل الهيولي وعسر قبوتها الصورة من الصانع الحكيم . مثال ذلك تضرر قبول الحديد من الحداد أن يقتل من الحديد البارد جيلا طويلا كما يقتل الحال من القنب ، فليس العجز من الحداد ولكن من الحديد لعسر قبوله للفتل . ومثل الهواء لا يقبل كتابة الكاتب فيه لسylan عنصره ، ومثل النجgar لا يقدر أن يعمل سلما يبلغ السماء لعدم الخشب ، لا العجز فيه . ومثل رجل حكيم لا يقدر أن يعلم الطفل لاعجز في الحكيم بل لأن الطفل غير مستعد لقبول ذلك في حال الطفولية . وعلى هذا القياس يوجد العجز من الهيولي وعسر قبوتها للصور لاعجز في الصانع الحكيم .

ثم أعلم أن كثيراً من العلماء لا يعرفون كيفية العجز من الهيولي ولا يعتبرونه فينسبون العجز كله إلى الفاعل القادر الحكيم ، ذلك أنهم ربما يظنون وينتهون بذلك على الله تعالى فيقولون إنه يعجز عن أشياء كثيرة مثل قوهـم : إنه لا يقدر أن يخرج ، بلـيس من مملكته ولا يعتبرون^(١) أن العجز من عدم ماليـس من مملكته ليس من عدم القدرة من الله تعالى !! ويقولون : إنه لا يقدر أن يدخل الجـلـ في سـمـ الخـيـاطـ ولا يـعـتـبرـونـ العـجزـ منـ الـأـبـرـةـ !ـ وـيـقـولـونـ :ـ إـنـ اللهـ لاـ يـقـدرـ أـنـ يـجـعـلـ أحـدـاـ قـائـماـ قـاعـداـ فيـ وـقـتـ وـاحـدـ وـلـاـ يـدـرـونـ أـنـ العـجزـ منـ الـوـاحـدـ مـنـاـ إـذـ انـ الـقـيـامـ وـالـقـعـودـ لـاـ يـكـونـ فـيـ وـقـتـ وـاحـدـ مـعـاـ !ـ ثـمـ يـطـلـقـونـ القـوـلـ بـأـنـ هـذـهـ الـأـشـيـاءـ لـاـ يـصـحـ القـوـلـ بـهـاـ فـيـ مـقـدـورـهـ .ـ قـادـاـ سـئـلـواـ مـاـ مـعـنـىـ قـوـلـهـ :ـ «ـ وـالـهـ عـلـىـ كـلـ شـيـءـ قـدـيرـ»ـ ؟ـ

قالـواـ :ـ هـذـهـ خـصـوـصـ لـاـ عـلـىـ الـعـمـومـ خـلـافـ ماـ قـالـ اللـهـ تـعـالـىـ لـاـنـهـ ذـكـرـهـ عـلـىـ الـعـمـومـ مـعـلـقاـ فـقـالـ :ـ «ـ عـلـىـ كـلـ شـيـءـ قـدـيرـ»ـ !ـ ثـمـ إـنـهـ يـدـخـلـونـ الشـبـهـةـ عـلـىـ مـنـ يـقـولـ إـنـ

عـمـومـ بـقـوـهـمـ :ـ أـتـرـىـ أـنـهـ قـادـرـ عـلـىـ أـنـ يـخـلـقـ مـشـلـ تـقـهـ وـلـاـ يـدـرـونـ أـنـ هـذـاـ العـجزـ هـوـ مـنـ عـدـمـ وـجـدـانـ الـمـثـلـ ،ـ لـاـ فـيـ قـدـرـتـهـ ،ـ لـاـنـ العـجزـ هـوـ الـعـدـمـ لـاـ الـوـجـدـ

» فـصـلـ «

في ما العلة ؟ هي السبب الموجب لكون شيء آخر — ما المعلول ؟ هو الذي

(١) المراد عدم وجود مملكة أخرى يخرج إليها

لـكونه سبب من الأسباب — كـالعامل ؟ أربعة أنواع : فاعلية وـهيـولـانية وـصـورـية وـتمـامـية — كـالمـعـلـول ؟ أربعة أنواع وهي : المـصـنـوعـاتـ كلـهاـ : فـنـهـاـ مـصـنـوعـاتـ بـشـرـيـةـ حـيـوانـيـةـ ، وـمـنـهـاـ طـبـيـعـيـةـ وـهـيـ المـعـادـنـ وـالـنبـاتـ وـالـحـيـوانـ ، وـمـنـهـاـ نـفـسـانـيـةـ بـسـيـطـةـ وـهـيـ الـأـفـلاـكـ وـالـكـواـكـبـ وـالـارـكـانـ ، وـمـنـهـاـ الرـوـحـانـيـةـ الـأـلهـيـةـ وـهـيـ الـهـيـوـلـيـ وـالـصـورـةـ الـجـمـرـدـةـ وـالـنـفـسـ وـالـعـقـلـ — مـاـالـصـنـعـةـ ؟ هـىـ اـخـرـاجـ الصـانـعـ مـاـ فـيـ نـفـسـهـ مـنـ الصـورـ وـنـقـشـهـ فـيـ الـهـيـوـلـيـ ، وـكـلـ صـانـعـ حـكـيمـ فـلـهـ فـيـ صـنـعـتـهـ غـرـضـ مـاـ ، وـغـرـضـ هـوـ غـايـةـ تـسـبـقـ فـيـ عـلـمـ الـعـالـمـ أـوـ فـيـ فـكـرـ الصـانـعـ وـمـنـ أـجـلـهـ يـفـعـلـ مـاـيـفـعـلـهـ ، فـإـذـاـ بـلـغـ إـلـيـهـ قـطـعـ الـفـعـلـ وـأـمـسـكـ عـنـ الـعـملـ

ثـمـ اـعـلـمـ أـنـ كـلـ مـصـنـوعـ فـلـهـ أـرـبـعـ عـلـلـ : عـلـةـ فـاعـلـيـةـ وـعـلـةـ هـيـوـلـانـيـةـ وـعـلـةـ صـورـيـةـ وـعـلـةـ تـمـامـيـةـ ، مـثـالـ ذـلـكـ السـرـيرـ فـاـنـ عـلـتـهـ الـفـاعـلـيـةـ النـجـارـ ، وـالـهـيـوـلـانـيـةـ الـخـشـبـ ، وـالـصـورـيـةـ الـتـرـبـيعـ ، وـالـتـمـامـيـةـ الـقـعـودـ عـلـيـهـ . وـكـلـ صـانـعـ بـشـرـىـ يـحـتـاجـ فـيـ صـنـاعـتـهـ إـلـىـ سـتـةـ أـشـيـاءـ حـتـىـ يـنـمـ صـنـعـتـهـ : هـيـوـلـيـ مـاـ ، وـمـكـانـ مـاـ ، وـزـمـانـ مـاـ ، وـأـدـوـاتـ مـاـ ، كـالـيدـ وـالـرـجـلـ ، وـآـلـاتـ مـاـ كـالـفـأـسـ وـالـمـنـشـارـ ، وـحـرـكـاتـ مـاـ . وـكـلـ صـانـعـ طـبـيـعـيـ يـحـتـاجـ إـلـىـ أـرـبـعـ مـنـهـاـ : وـهـيـ الـهـيـوـلـيـ وـالـمـكـانـ وـالـزـمـانـ وـالـحـرـكـةـ . وـكـلـ صـانـعـ قـسـافـيـ يـكـفـيـهـ اـثـنـانـ مـنـهـاـ : هـيـوـلـيـ وـحـرـكـاتـ مـاـ ، وـالـبـارـىـ (ـتـعـالـىـ) لـاـ يـحـتـاجـ إـلـىـ شـيـءـ مـنـهـاـ لـأـنـ فـعـلـهـ إـبـدـاعـ وـاخـرـاعـ لـهـذـهـ الـأـشـيـاءـ ، أـعـنـ الـهـيـوـلـيـ وـالـزـمـانـ وـالـحـرـكـاتـ وـالـآـلـاتـ وـالـأـدـوـاتـ

وـاعـلـمـ أـنـ كـلـ صـانـعـ حـكـيمـ مـنـ الـبـشـرـيـنـ يـجـتـهـدـ أـنـ يـحـكـمـ صـنـعـتـهـ إـحـكـاماـ أـجـودـ مـاـ يـقـدـرـ عـلـيـهـ ، وـلـكـنـ رـبـعاـ عـرـضـ لـهـ عـوـائـقـ إـمـاـ لـعـلـةـ الـمـادـةـ أـوـ لـعـسـرـ الـهـيـوـلـيـ عـنـ قـبـولـ الـصـورـةـ أـوـ لـعـدـمـ الـآـلـاتـ وـالـآـدـوـاتـ أـوـ ضـعـفـ الـقـوـةـ وـالـنـسـيـانـ وـالـفـلـةـ وـالـسـهـوـ وـقـلـةـ الـمـعـرـفـةـ بـالـحـذـقـ فـيـ الصـنـعـةـ ، وـالـلـهـ (ـتـعـالـىـ) مـنـهـ عـنـ جـمـيعـ ذـلـكـ كـلـهـ

◀◀ فـصـلـ ◀◀

ثـمـ اـعـلـمـ أـنـ الـمـوـجـودـاتـ كـلـهاـ نـوـعـانـ : كـلـيـاتـ وـجـزـئـيـاتـ ، فـالـكـلـيـاتـ رـتـبـهاـ

البارى من أشرفها الى أدومنا كما بینا في رسالة المبادىء والجزئيات ، ابتدأها من أدومنا الى أتمها وأكملها رتبة ، كما بینا في رسالة الطبيعيات ثم اعلم أنه ربما يكون في المسألة الواحدة عدة أجوبة ولكن ليس كل جواب يصالح لكل واحد : وذلك لأن في الناس خواص وعوام . أما جواب الخواص اذا سأله عن حدوث العالم وعلمه الموجبة بخواصه على ما سند كره ونشرحه من بعد . وأما جواب العامة اذا سألوا لم خلق الله العالم بعد أن لم يكن ؟ بخواصه لأن في خلقه العالم حكمة وخيراً ، وفعل الحكمة عن الحكيم واجب ! فلو لم يخلق العالم لكان تاركاً للمحكمة وفعل الخيرات ، وهذا هو الجواب . فان قال لم خلق في وقت دون وقت ؟ فيقال : لأنه كان عالماً أنه سيخلق في الوقت الذي خلق فيه فلو خلق قبل ذلك لكان فعله مخالفًا لعلمه تعالى عن ذلك علواً كبيراً . فان قيل : لم خلق الله تعالى العالم على هذه الصورة التي هو عليها الآن ولم يخلقه على غيرها من الصور ؟ فيقال : لأن هذا أحكم وأتقن . فان قيل : بل غيره أحكم وأتقن ؟ فيقال له بين كيفية ذلك ؟ فان الحكماء الربانيين قالوا لا يجوز ولا يمكن أحكم من هذا ولا أتقن منه . فان قال أوليس زيد الزمن قد كان يمكن أن يكون أحكم بنية وأحسن صورة مما هو عليه الآن ؟ فيقال : سألتنا عن صورة العالم بكليته لاعن صورة حروف أجزاءه بل ماذا تقول في صورة الإنسانية : هل يجوز أن تكون أحكم وأتقن مما هي عليه الآن

ثم اعلم ان الله تعالى خاق الإنسان في أحسن تقويم بالقصد الأول . فاما صورة زيد الزمن وعمره المفلوج للأسباب الفلكية والعلل الطبيعية ، ويطول شرح ذلك : وذلك لأن الحكماء بحثوا عن علل الأشياء وخبروا عن أسبابها ، فاما كان ذلك عن علل الكليات . فاما علل الجزئيات فلا يبلغ فهم البشر معرفتها بل تقصير عقوفهم عن معرفتها وعن عللها وأسبابها الدقيقة الخفية . وزيرد أن نذكر عن تلك العلل والأسباب التي أدركها الحكماء بدقة نظرهم وشدة بحثهم وجودة فكرهم واعتقادهم ، طرفاً ليكون دلالة على الباقيه وفياساً

لما نريد النظر فيها والمحاجة عليها والاعتبار لها تشبهها بهم واقتداء بمذاهبهم . وإذا
قد ذكرنا ما يحتاج إليها فنريد الآن أن نبين طرفاً من كيفية السؤال والجواب
عن علل الأشياء وماهية الحكمة فيها

﴿ فصل ﴾

وكيف إذا قيل لم خلق الله تعالى العالم بعد أن لم يكن ؟ فيقال : لأن الله
حكيم وخلقه العالم حكمة ، وفعل الحكمة عن الحكيم واجب ، وبواجب الحكمة
إذاً خلق العالم . وإذا قيل : لم خلق الله في وقت ولم يخلق قبل ذلك ؟ قيل : لعله
السابق أنه سيخلق في هذا الوقت لا قبل . فأن قيل : لم خلقه على هذه الصورة
التي عليها الآن ولم يخلقه على صورة غيرها ؟ فيقال : لعله أن هذه الصورة
أحكم وأتقن ففعل كما علم ليكون فعله موافقاً لعلمه . وإذا قيل : كيف خلق الله
العالم وكيف ابتدأه من أوله إلى آخره ؟ فقد أوردناهذا العالم أربع رسائل :
رسالتين في المبادئ ، ورسالتين في العالم بينما فيها كيف أبدع الباري تعالى
الموجودات وجميع الكائنات وكيف رتبها ونظمها بعضها يتلو ببعضًا في الوجود
والبقاء كترتيب العدد عن الواحد الذي قبل الاثنين

وينبغي لمن يريد النظر في هذه الرسالة أن يكون قد نظر في رسالة الاربعة
الموصوفات قبل هذا ، لأن معرفة كيف هو قبل معرفة لم هكذا — كما بيان في
رسالات أجناس السؤالات التسعة وأجبتها للحكماء

ثم اعلم أن الله تعالى عالمين : أحدهما جسماني والآخر روحاني ، فالعالم الجسماني
هو الفلك المحيط وما يحييه من سائر الأفلاك والكواكب والأركان والمولادات
الثلاثة والعالم الروحاني هو عالم العقل وما يحييه من النفس والصور التي ليست
بأجسام ذات الأبعاد الثلاثة التي هي ظل ذي ثلاث شعب

ثم اعلم أن العالم الروحاني محاط بعالم الأفلاك كما أن عالم الأفلاك محاط
بعالم الأركان الذي دون فلك القمر ، وقد جعل الله تعالى عالم الأفلاك كربات
الأشكال مستديرات الحركات ، لأن هذا الشكل هو أفضل الأشكال من عدة

وجوه ومعان ، والحركة المستديرة أفضل الحركات من جهات شتى . وقسم الله تعالى الفلك اثني عشر قسما لأن هذا العدد أفضل الأعداد ، وذلك أنه أول عدد زائد ، وجعل عدد الأفلاك تسعة مطابقة لأول عدد فرد متجذر ، وجعل عدد الكواكب السيارة سبعة مطابقة لأول عدد كامل . وجعل فيها نيرين ، واثنين سعدين ، واثنين نحسين ، وواحد متزوج . وجعل أيضا في الفلك عقدتين ، وجعل بعض البروج منقلبة وبعضها ذات جسدرين وبعضها ثابتة وبعضها نارية وبعضها ترائية — كل ذلك — لما فيه من وجود الحكمة والتقان الصنعة — لا يعلم فهو البشر كنه معرفتها الا من ألهمه الله تعالى وهدي قلبه وشرح صدره بنور حكمته كما ذكر بقوله : « ولا يحيطون بشيء من علمه الا باشاء ». فإذا قيل : لم جعل الباري تعالى عالم الأجسام قسمين اثنين أحدهما علوى وهو عالم الأفلاك وما فيها من أصناف الا كروكواكب ، والآخر سفلي وهو عالم الاركان وما فيها من أنجاس الخلائق ؟ فيقال له : لعل شئ وأسباب عدة ، ولما فيه من اتقان الحكمة واحكام الصنعة ما لا يبلغ فهم البشر كنه معرفتها ، ولكن نذكر منها طرفاً فنقول :

ليكون في ذلك تمثلا للعقلاء وبيانا لأولي الابصار فإن الله (تعالى) دارين اثنين إحداهما هي الدنيا التي هي عالم الأجسام ومسكن الأجرام ، والآخر هي دار الآخرة التي هي عالم الآخرة ومحل النفوس . فإن قيل لم جعل الباري (تعالى) في عالم الأفلاك نيرين وسعدين ونحسين وعقدتين وقد قلنا في واحد واحد كفاية ؟ قيل له : ليكون ذلك دلالة على تحقيق ما قلنا وصححة ما وصفنا من أن له دارين اثنين وهذا الدنيا والآخرة . وذلك أن حالات أحد النيرين تشبه حالات أمور الدنيا وأبنائها وهو القمر ، والآخر تشبه حالاته حالات الآخرة وأبنائهما وهي الشمس النير الأكبر . ولذلك أن أمور الدنيا وحالات أبنائهما تعد من أقصى الوجه وأدون المراتب مرتبة إلى أعلىها وأكملها ، فإذا بلغت إلى غاياتها أخذت في الانحطاط والنقصان إلى أن تضمحل وتتلاشى ، وهذا حال القمر من أول الشهر

ثم إلى نصفه ، ومن نصف الشهر إلى آخره تشاهد في كل سنة اثنى عشرة مرة . وهكذا حكم السعدين ودلائلهما : أحدهما تدل على سعادة أبناء الدنيا والآخر يدل على سعادة أبناء الآخرة . وذلك أن الزهرة التي هي السعد الأصغر إذا استولت على مواليد أبناء الدنيا دل لهم على حسن الرتبة والعز والكرامة والسرور والذلة والنعمة والرفاقة واللعب والاهو والفناء وما يتنافس فيه أبناء الدنيا من هذه الخصال ويعدونها سعادة وليس لها سعادة بالحقيقة بل هي مخنة وشقاء وبلوى . وأما إذا استولى المشتري الذي هو السعد الأكبر على مواليد الناس دل لهم على حسن الأخلاق وجودة النفس ومحبة الخير والعمل به والعدل والانصاف في المعاملات والتمسك بالدين وكثرة العبادة وذكر الميعاد وترك الذنوب والشهوات الدنيوية والتفكير في أمر الآخرة والتقلب بعد الموت وما شاكل هذه الخصال المتضادة لما يدل عليه أبناء الآخرة . وهكذا حكم النجسين وذلك أن أحدهما يدل على مخنة ومنحنة أبناء الدنيا وهو زحل إذا استولى على المواليد دل على الفقر والبؤس والشدائد والذل والاهوان والعلل والامراض والتعب والعناء والمسائب والغموم والأحزان ونواب الحدثان التي هي أكثر من أن تخصى وأبناء الدنيا مرهونون بها لا ينفك أحد منها . وإذا استولى المريخ على المواليد وتنقى فدلاته على أنواع الشرور : على الفسق والفحوج وقتل الآنسق وقطع صلة الرحم وإهراق الدماء وهتك الحرام واتهاك المحارم والخروج عن الطاعة والجمية الجاهادية والسرعة والمعجلة وترك النظر في العواقب وقلة الورع والانكار لأمر المعاشر والمنتاب بعد الموت !! ومن كانت هذه حاله في الدنيا فليس له في الآخرة إلا العذاب . وأما كون عطارد مجازاً جائلاً كواكب ففيه دلالة على أن أمور الدنيا معلقة بأمور الآخرة مجازة لها ، وهكذا حكم البروج المقلبة يدل على تقلب أمور الدنيا وحالات أهلها والبروج الثواب تدل على ثبات أمور الآخرة وحالات أهلها ، والبروج ذوات الجندين تدل على أن أمور الدنيا متصلة بأمور الآخرة ومجازة لها . وأما كون العقدتين في الفلك اللتين احدهما رأس الجوزر والآخر ذنب الجوزر ، وهما خفيتا

الذات وظاهرتا التأثيرات في الفلك فتدلان على أن في العالم جواهر لطيفة خفيات الذوات ظاهرات الأفعال والتأثيرات وهم أجناس الملائكة وقبائل الجن وأحزاب الشياطين وأرواح الحيوانات ونفوسها . فإن قيل : لم جعل السكوف للهرين دون سائر الكواكب ؟ قيل : لتزول الشكوك عن قلوب المرتدين الذين يظنون أنهمما الهرين اثنين فانهوما لوكانا الهرين لما انكسفا

ثم اعلم أن الله تعالى جعل في جبلة الحيوان أربعة أسباب : آلامها ودواعي عطب أبدانها وشقاوة نفوسها وهلاك هيا كها وهي الجوع والعطش والشهوات المختلفة والذات الذليلة . أما قصد الباري الحكيم في فعله ذلك كله فهو لبقاء نسلها وصلاح معاشرها . وأما الذي يعرض لها من الآلام والكب فليس بالقصد الأول ، ولكن بالعرض من أجل النقص الذي هو في الهيولي ، وذلك أن الله تعالى جعل لها الجوع والعطش لكيما تدعوه بها إلى الأكل والشرب ليخاف على أبدانها من السكيموس بدل ما يتحمّل من البدن . لأن البدن في التحلل دائمًا من أسباب خارجة وأسباب داخلة ، وأما الشهوات فـ لكيما تدعوه إلى المأكولات المختلفة الموافقة لـ مزاجة أبدانها وما تحتاج إليه طباعها . وأما المذلة فـ لكيما تأكل بقدر الحاجة من غير زيادة ولا نقصان . فإن قيل : لم جعل للنفوس من الآلام والأوجاع والأذى عند الآفات العارضة لاجسادها ؟ قيل له : لكيما تخرس نفوسها على حفظ أجسادها من الآفات العارضة لها إلى وقت معلوم إذ كانت الآفة قد اتت على جر منفعة ولا دفع مضرّة عنها . فإن قيل : لم جعل بعض الحيوانات أكلة لحوم بعض ؟ قيل لـ كيما لا يضيع شيء مما خلق الله بلا قمع ، وذلك أنه قد تاهت أوهام العلماء وتغيرت عقوتهم في طلب علة أكل الحيوانات بعضها ببعضًا وما واجهه الحكمة منه إذ كان الباري (تعالى) جعل ذلك في طباعها جبلة وهيأ بها آلات وأدوات تتمكن بها كأنياب ومخاليب وأظافر حداد التي تقدر بها على القبض والبسط والضبط والخنق والنهاش والأكل والشهوة والذلة والجوع وما شاكل ذلك منها يلحق المأكولات منها من الآلام والأوجاع والفرز عند الذبح والقتل والأمراض !

فَلَمَّا تَفْكَرَ فِي ذَلِكَ وَلَمْ تَسْنُحْ لَهُمُ الْعِلْمَ وَلَا مَا وَجَهَ الْعِلْمُ وَالْحَكْمَةُ ، اخْتَلَفَتْ عِنْدَ ذَلِكَ بَيْنَ الْأَرَاءِ وَالتَّبَسَّتْ بَيْنَ الْمَذَاهِبِ حَتَّى قَالَ بَعْضُهُمْ : إِنَّ تَسْلِطَ الْحَيْوَانَاتِ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَأَكْلَ بَعْضَهَا بَعْضًا لَيْسَ مِنْ فَعْلِ الْحَكِيمِ بَلْ فَعْلُ شَرِيرٍ قَلِيلٍ الْرَّجْمَةُ ، فَلَهُذَا قَالُوا أَنَّ لِلْعَالَمِ فَاعْلَيْنِ خَيْرٌ وَشَرِيرٌ ! وَمِنْهُمْ مَنْ نَسَبَ ذَلِكَ إِلَى النَّجُومِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ عَقْوَبَةُ هَلَا مَا سَلَفَ مِنْهَا مِنَ الذَّنْبِ فِي الْأَدْوَارِ السَّالِفَةِ — وَهُمْ أَهْلُ التَّنَاسُخِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ بِالْعِرْضِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : إِنَّ هَذَا أَصْلَحٌ ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَفْرَى عَلَى نَفْسِهِ بِالْعَجْزِ وَقَالَ لَا أَدْرِي مَا الْعِلْمُ فِي أَكْلِ الْحَيْوَانَاتِ بَعْضَهَا بِعْضًا وَلَا مَا وَجَهَ الْحَكْمَةُ فِيهِ ! غَيْرُ أَنَّهُ قَالَ : الْبَارِيُّ الْحَكِيمُ لَا يَفْعَلُ شَيْئًا إِلَّا بِحِكْمَتِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ بِلَ لا حَكْمَةُ فِيهِ

وَكُلُّ هَذِهِ الْأَقَاوِيلِ قَالُوهَا فِي طَلْبِهِمُ الْحَكْمَةِ وَالْعِلْمِ وَإِنَّمَا لَمْ يَقْفَوْا عَلَيْهَا لِأَنَّ نَظَرَهُمْ كَانَ جَزِئِيًّا وَبِحَمْلِهِمْ عَنْ عَلَلِ الْأَشْيَاءِ خَصْوَصِيًّا ، وَلَيْسَ يَعْلَمُ عَلَلِ الْأَشْيَاءِ الْكَلِيَّاتِ بِالنَّظَارِ الْجَزِئِيِّ لِأَنَّ أَفْعَالَ الْبَارِيِّ إِنَّمَا الْغَرَضُ مِنْهَا النَّفْعُ الْكَلِيُّ وَالصَّالِحُ الْعُمُومِيُّ . وَإِنْ كَانَ قَدْ تَقْصَّ مِنْ ذَلِكَ ضَرَرٌ جَزِئِيٌّ وَمَكَارٌ خَصْوَصِيٌّ وَلَيْسَ يَعْلَمُ عَلَلِ الْأَشْيَاءِ الْكَلِيَّاتِ أَحْيَا نَاسًا

وَالْمَثَلُ فِي ذَلِكَ أَحْكَامُ الشَّرِيعَةِ النَّبُوَيَّةِ وَحَدِيدُهُ فِيهَا وَذَلِكَ لَحْمُ الْقَصَاصِ فِي الْقَتْلِ . قَالَ تَعَالَى « وَلَكُمْ فِي الْقَصَاصِ حِيَاةٌ يَا أَوْلَى الْأَلْبَابِ » وَإِنْ كَانَ مَوْتًا وَأَمْلًا لِلَّذِي يَقْتَصُ مِنْهُ ، وَكَذَلِكَ قَطْعُ يَدِ السَّارِقِ مِنْهُ نَفْعٌ عُمُومِيٌّ وَصَالِحُ الْكُلِّ وَإِنْ كَانَ بِنَالَهُ حَزْنٌ وَأَلْمٌ . وَكَذَلِكَ غَرُوبُ الشَّمْسِ وَطَلَوْعُهَا وَالْأَمْطَارُ كَانَ النَّفْعُ مِنْهَا عُمُومِيٌّ وَالصَّالِحُ كُلِّيٌّ وَإِنْ كَانَ قَدْ يَعْرُضُ لِبَعْضِ النَّاسِ وَالْحَيْوَانِ وَالنَّبَاتِ مِنْ ذَلِكَ ضَرَرٌ جُزِئِيٌّ

وَهَكُذا أَيْضًا قَدْ يَنَالُ الْأَنْبِيَاءُ وَالصَّالِحِينَ وَأَتَبَاعُهُمْ شَدَائِدُ وَجَهْدٌ وَآلامٌ فِي إِظْهَارِ الدِّينِ وَإِفَاضَةِ سِنِّ الشَّرِيعَةِ فِي أَوْلَى الْأَمْرِ

وَلَكِنْ لَمَّا كَانَ الْبَارِيُّ تَعَالَى غَرْضُهُ فِي إِظْهَارِ الدِّينِ وَسَنَةُ الشَّرِيعَةِ هُوَ النَّفْعُ

العام وصلاح السكل من الذين يحيثون من بعدهم الى يوم القيمة ولا يحصى عددهم
وتفعمهم وصلاحهم ، سهل في جنب ذلك وصغر ما نال النبي ﷺ من أذية
المشركين وجهاد الاعداء المختلفين وما لاقوه من الحرروب والقتال في الغزوات
وتعب الاسبفار وقيام الليل وصوم النهار وأداء الفرائض وما فيها من الجهد على
النفوس والتعب على الابدان

ولما كان نزول الأمر في المنقلب الى الصالح العمومي والنفع الكلّي كانت الشدائـد والجـهد والبلـوى في جـنبـه أمـراً صـغـيرـاً جـزـئـياً . فـعـلـى هـذـا المـثالـ والـقـيـاسـ يـنـبـغـي أـنـ يـعـتـرـضـ مـنـ يـرـيدـ أـنـ يـعـتـرـضـ : مـاـ العـلـةـ وـمـاـ وجـهـ الـحـكـمةـ فـيـ أـكـلـ الـحـيـوـانـاتـ بـعـضـهاـ بـعـضـاـ لـيـتـبـينـ لـهـ الـحـقـ وـالـصـوـابـ . وـنـخـنـ نـرـيدـ أـنـ نـبـيـنـ مـاـ العـلـةـ وـمـاـ وجـهـ الـحـكـمةـ فـيـ الـكـلـ وـفـيـ أـكـلـ الـحـيـوـانـاتـ بـعـضـهاـ بـعـضـاـ وـلـكـنـ لـاـ بـدـ مـنـ ذـكـرـهـ

* فصل *

فنقول اعلم أن عقول القوم إنما أنكرت كل الحيوانات لما ينطاها من الآلام والوجاع عند الذبح والقتل ولو لذاك لما أنكروا كما لا ينكرون كل الحيوان والنبات إذ ليس ينال النبات الآلام والوجاع فنقول : قصد الله وغرضه في ألم الحيوانات ما جبته عليه حليباها والوجاع الذي تاحق تقوتها عند الآفات العارضة ليس عقوبة لها وعذابا كما ظن أهل التناصح ، بل هي لنفسها على حفظ أجسادها وصيانتها من الآفات العارضة لها اذا كانت الاجساد لا تقدر على جر منفعة ولا دفع مضرها عنها ، ولو لم يكن ذلك كذلك لتهاونت النفوس بالاجساد وخذلتها وأسلمتها الى ال�لاك قبل فناء اعمارها وتقرب آجالها وهاجرت كاهرا دفعها واحدة في اسرع مدة

فلم هذه العلة جمات الآلام والوجاع لاحيوان دون النبات وجعل فيها حبا للبقاء، إما بالحرب والقتال وإما باطرب والفرار والتحرز لحفظ جثتها من الآفات.

العارضة الى وقت معلوم ، فاذا جاء أجلها فلا ينفع القتال ولا الهرب ولا التحرز بل التسليم والاقياد ولو كان ينالها بعض الالم والوجع . واذ قد ذكرنا ما يحتاج اليه .

فنقول الان إن الله تعالى لما خلق أجناس الحيوانات التي في الأرض وعلم أنها لا تدوم بذاتها أبد الآبدين جعل لكل نوع منها عمراً طبيعياً أكثر مما يمكن منه ثم يحييئه الموت ان شاء أو أبي وقد علم الله تعالى أنه يموت كل يوم منها في البر والبحر والسهل والجبل عدد لا يحصيه الا الله تعالى ثم جعل بواجب الحكمة جثة حيف موتاها غذاء لاحيائها ومادة لبقائها لثلا يضيع شيء مما خلق الله تعالى بلا قيم ولا فائدة وكان في هذا منفعة لاجسادها ولم يكن فيه ضرر على المولى . وخلة أخرى لو لم تكون الاحياء تأكل حيف المولى منها لبقيت تلك الحيف واجتمع منها على مئر الايام والدهور حتى تمتليء منها الأرض وقعر البحار وتتناثر ويفسد الهواء والماء من نحن روايتها فيصير ذلك سبباً لكونها واهلاً كها للاحياء فلما حكمه أكثر من هذه أن جعل الباري تعالى في كل الحيوانات بعضها ببعضها من المنفعة للحياة ودفع المضر عنها كلها وان كانت تتناول بعضها الالم والوجع عند الذبح والقتل ؟ وليس قصد القايض من القاتل من ذبحها وقبضها إدخال الالم والوجع عليها بل لينال المنفعة فيها لدفع مضره بها

* فصل *

ثم اعلم أن الله تعالى لما ابدع الموجودات واخترع الكائنات قسمها فسمين اثنين كليات وجزئيات ورتبت الجميع ونظمها مراتب الاعداد المفردات ، كما بيننا في رسالة المباديء وكانت مرتبة الكليات أن جعل الاشرف منها علة لوجود أدواتها وسبباً لبقاءها ومتعمها وبلغاً إلى أقصى غاياتها وأدواتها وكانت مرتبة الجزيئيات أن جعل الناقص منها علة للنافل (١) وسبباً لبقاءه ، والأدوات خادماً للأشراف وعميناً ومسخراً له . وبيان ذلك من النباتات الجزئي : لما كان أدوات رتبة من الحيوان

(١) لعل الصواب : الكامل كما يتضمنه السياق

الجزئي وأنقض حالة منه جعل جسم النبات غذاء لجسم الحيوان ومادة لبقاءه وجعل النفس النباتية في ذلك خادمة للنفس الحيوانية ومسخرة لها . وهكذا أيضاً لما كانت رتبة النفس الحيوانية أنقض وأدون من رتبة النفس الإنسانية جعلت خادمة ومسخرة للنفس الإنسانية الناطقة . وهذه الحكمة التي ذكرناها كافية بينة ظاهرة للعقل السليم . فنقول على هذا الحكم والقياس : لما كان بعض الحيوانات أتم خلقة وأكمل صورة كما بينا قبل هذا ، جعلت النفس الناقصة منها خادمة ومسخرة للثامة منها الكاملة ، وجعلت أجسادها غذاء ومادة للإجسام الناطقة منها وسبباً لبقاءها لتبلغ إلى أتم غياتها وأكمل نهاياتها كما جعل جسم النبات غذاء لجسم الحيوان ومادة لبقاءه وسبباً لكتاله . وكما أنه لما كانت النفس النباتية (إذ هي) أدون رتبة من النفس الحيوانية جعلت خادمة للنفس الحيوانية ومسخرة لها في رتبتها غذاء لها ومادة لاجسادها غيركذا جعل حكم تفوس الحيوانات الناقصة خادمة له وسبباً للحيوانات الثامة الخلقة الكاملة ومسخرة لها كيما تربى جسمها وتعميمها وتسدها إلى الحيوانات التي هي أكمل منها وأشرف ليكون ذلك غذاء لأجسادها ومادة لا بد منها وسبباً للبقاء أشخاصها زماناً ما أطول ما يمكن وعلة لتو ادنسها وبقاء صورتها ، لأنّ هيولى الاشخاص دا عافي الذوبان والسيلان فيحتاج الى بدل ما يتحلل من الاشخاص ، فإذاً قد تبين بما ذكرنا ما العملة في أكل الحيوانات بعضها بعضها . فأما المتفعة العامة والصلاح الكلى في أكل الحيوانات بعضها بعضها فهو أنه لو لم يكن لامتنلاً وجه الأرض وقعر البحار وجوف الانهار من جيف الحيوانات المنتنة في كل يوم على عمر الدهور ، ولفسد جواهروا وعرض من ذلك الوباء للحياة منها وهذا كله دفعه . وعلة أخرى : وذلك أن الله (تعالى) لما خلق الاحياء . اما لجز منفعة أو لدفع مضره عنها لم يترك شيئاً بلا قمع ولا عائدة . فلو لم يجعل أكل بعض الحيوانات بعضها بعضها لكان بعض الحيوان باطلأ بلا فائدة وكان يعرض منها ضرر عام وهلاك كلى كما ذكرنا آقاً فاما الالام والوجاع والفزع الذي يعرض لها عند الذبح والقتل والموت والامراض ، فلم يجعل ذلك الباري (تعالى) تعذيباً لفوسها ولا عقوبة ساقها لها - كما ظن ذلك أهل التناصح - بل جعل ذلك حشاً لفوسها

على حفظ أجسادها من الآفات العارضة لها الى أجل معلوم ، و اذا لم يكن كذلك لتهاونت النفس بالاجساد و تركتها هذه الآفات وأسللتها الى المهالك والناف و كانت هلاك جميعا قبل مجيء آجاها و فناء أممارها و قبل تمامها و كاها .
 واذا قيل : ما العلة في محبة الحيوانات الحية وكراهيتها الموت ؟ قيل ذلك لعل شئ وأسباب عدة أحدها أن الحياة تشبه البقاء والموت يشبه الفناء والبقاء محبوب في جبلاة الخلائق كلها اذ كان البقاء قرين الوجود والفناء قرين العدم والمعدم والوجود متقابلان ، والله (تعالى) لما كان هو علة الموجودات وهو باق أبداً صارت الموجودات كلها تحب البقاء وتشتاق اليه : فمن أجل هذا قال الحكماء ان الله (تعالى) هو المنشوق الاول المشتاق اليه سائر الخلائق ، وعلة أخرى لكراهية نفوس الحيوانات الموت وهو ما يتحققها من الآلام والوجاع والفزع عند مفارقة نفوسها أجسادها . وعلة أخرى أن نفوسها لا تدرى أن لها وجوداً خلوا من الأجساد . فان قيل : فلم لا تدرى نفوسها بأن لها وجوداً خلوا من الأجسام ؟ فلنا أنه لا يصلح لها أن تعلم هذه المعانى لأنها لوعة لفارقت أجسادها قبل أن تم وتتكل ، و اذا فارقت أجسادها قبل ذلك بقيت فارغة عطلاه بلا فعل ولا عمل ، وليس من الحكمة أن يكون كذلك اذ كانت علتها التي هي خالقها لم تخلي من تدبير ليكون فارغا بلا فعل البنية ، بل كل يوم هو في شأن

﴿فصل﴾

ثم اعلم ان النفوس التامة الكاملة اذا فارقت الأجساد تكون مشغولة بتأييد النفوس الناقصة الجسدية لكيما تم هذه و تكمل تلك و تتخلص هذه من حال النقص و تبلغ تلك الى حال الكمال و ترتقي هذه المؤيدة أيضاً الى حالة هي أكمل وأشرف وأعلى « وأن الى رب المتنهى »

والمثال في ذلك الآباء الشقيق والاستاذ الرفيق في تعليمهم التلامذة والآباء و اخراجهم ايام من فلمات الجماليات الى فسحة العلوم وروح المعارف ليتم التلامذة والآباء و يكمل الآباء والاستاذون باخراج ما في قوة نفوسهم من

العلوم والمعارف والصناعات والحكمة الى الفعل والظهور اقتداء بالله تعالى وتشبيهاته في حكمته اذ هو العلة والسبب والمبدأ في اخراج الموجودات من القوة الى الفعل والظهور ، وكل نفس هي أكثر علوماً وأحكم صناعات وأجود عملاً فهي أقرب تشبيهاً بربها وأشد تشبيهاً ، وهذه هي مرتبة الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون « يبتغون الى ربهم الوسيلة أقرب » . وهذا المعنى

قالت الحكمة هي التشبه بالله بحسب طاقة البشر

معناه أن تكون علوماً حقيقة وصناعة محبطة وأعماله صالحة وأخلاقه جميلة وآراءه صحيحة ومعاملاته نظيفة وفيضه على غيره متصل ، والله سبحانه تعالى كذلك

ثم اعلم أنه قد اختلف الحكاء في ماهية الإنسان وماحقيقة معناه اختلافاً كثيراً والبحث في ذلك القليل والقال ولكن يجمعها كاپانلات مقالات : وذلك أن منهم من قال : إن الإنسان هو هذه الجملة المركبة المبنية بنية مخصوصة من اللحم والدم والعظم وما شاكل ذلك لاشيء آخر سواها ، ومنهم من قال : إن الإنسان هو هذه الجملة المجموعة من جسد جساني ومن روح نفساني أي روحياني مقتري المجموعة ، ومنهم من قال : إن الإنسان بالحقيقة هو هذه النفس الناطقة والجسد لها بمنزلة قيس ملبوس أو غلاف مغشى عليه . فهذه ثلاثة مقالات في كلام الحكاء في ماهية الإنسان . فأما اختلافهم في ماهية النفس فنبينه أيضاً ويجمعها ثلاثة مقالات وذلك أن منهم من قال إن النفس هي جسم لطيف غير هرئي ولا محسوس . ومنهم من قال إنها هي جوهرة روحانية غير جسم معقوله وغير محسوسة باقية بعد الموت . ومنهم من قال إن النفس عرض يتولد من مزاج البدن وأخلاط الجسد يبطل ويفسد عند الموت اذا بلى الجسد وتلف البدن ولا وجود لها الا مع الجسم البنيه وهؤلاء قوم يقال لهم الجسميون لا يعرفون شيئاً سوى الاجسام المحسوسة والأعراض ذو الابعاد الثلاثة التي هي الطول والعرض والعمق ، والاعراض التي تحملها مثال الالوان والطعمون والروائح والاشكال ذات

الاصلاع من الاقطار والزوايا وليس عندهم علم من الامور الروحانية والجوادر
النورانية والصور العقلية والقوى النسائية السارية في الاجسام المظهرة فيها ومنها
افعالها وتأثيراتها حسب

﴿ فصل ٦ ﴾

ثُمَّ أَعْلَمُ أَنَّ مِنَ الْعِلْمِ الْشَّرِيفِ وَالْمَعْرِفَةِ النَّفِيسَةِ مَعْرِفَةُ الْإِنْسَانِ تَقْسِيمٌ
بِكُلِّ عَالَمٍ أَنْ يَدْعُوا مَعْرِفَةَ حَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ وَهُوَ لَا يَعْرِفُ تَقْسِيمَهُ وَيَجْهَلُ حَقِيقَةَ ذَاتِهِ
وَهُوَ يَتَعَاطَى الْحَكْمَةَ، لَانَّ مِثْلَ ذَلِكَ كُثُلٌ مِّنْ يَطْعَمُ غَيْرَهُ وَهُوَ جَائِعٌ أَوْ يَكْسُو
غَيْرَهُ وَهُوَ عَرِيَانٌ وَيَهْدِي غَيْرَهُ وَهُوَ ضَالٌ فِي الطَّرِيقِ الْأَنْجَجِ، وَقَدْ عَلِمَ كُلُّ عَاقِلٍ
ذَاتِهِ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ بِأَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَبْتَدِي أُولَاءِ بِنَفْسِهِ ثُمَّ بِغَيْرِهِ.

ثُمَّ أَعْلَمُ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَمْكُنُهُ أَنْ يَعْرِفُ تَقْسِيمَهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا أَنْ يَنْظُرَ وَيَبْحَثَ
وَذَلِكَ مِنْ ثَلَاثَ جَهَاتٍ أَحَدُهَا الْجَسْدُ بِمَجْرِدِهِ عَنِ النَّفْسِ، وَالثَّانِي النَّظرُ فِي أَمْرِ
النَّفْسِ وَالبَحْثُ عَنِ جَوْهِرِهَا بِمَجْرِدِهَا عَنِ الْجَسْدِ، وَالثَّالِثُ النَّظرُ وَالبَحْثُ عَنِ
الْجَمْلَةِ الْمُجْمُوعَةِ مِنَ النَّفْسِ وَالْجَسْدِ جَمِيعًا. وَقَدْ يَبْيَنَا فِي رِسَالَةِ تَرْكِيبِ الْجَسْدِ هَذِهِ
الْابْوَابُ الْثَّلَاثَةُ بِشَرْحِ مَاوِيلٍ وَلَكِنَّ نَذْكُرُ طَرْفًا مِّنْهَا هَاهُنَا مَا لَا يَدْعُونَنَا فَنَقُولُ:
أَنَّ الْجَسْدَ هُوَ جَسْمٌ مُؤْلَفٌ مِّنْ لَحْمٍ وَعَظْمٍ وَعِرْوَقٍ وَعَصْبٍ وَمَا شَاءَ كُلُّ ذَلِكَ.
وَهَذِهِ كُلُّهَا أَجْسَامٌ طَوْيَّةٌ عَرِيضَةٌ عَمِيقَةٌ وَجَلْدَهَا ذَلِكَ تَدْرِكُ بِالْحَسْنِ وَلَا يَشْكُ
فِيهَا عَاقِلٌ.

وَأَمَّا النَّفْسُ فَهِيَ جَوْهِرَةٌ سَمَاوِيَّةٌ رُوْحَانِيَّةٌ حَيَّةٌ بِذَاتِهَا عَلَامَةٌ دَرَاكَةٌ بِالْقُوَّةِ
فَعَالَةٌ بِالْطَّبِيعِ لَا تَهْدَأُ وَلَا تَقْرَرُ عَنِ الْجَوْلَانِ مَادَامَتْ مُوْجَودَةً، وَهَكُذا خَلَقَهَا
رَبُّهَا يَوْمَ خَلَقَهَا وَأَوْجَدَهَا، وَالدَّلِيلُ عَلَى مَا فَقَلَنَا وَصَحَّةُ مَا وَصَفَنَا حَسْبُ مَا يَبْيَنَا
مِنْ أَمْرِ النَّفْسِ آنَفَّا وَكَذَلِكَ نَبْيَنُ أَيْضًا فِيمَا بَعْدِ هَذَا.

وَأَمَّا الْجَمْلَةُ الْمُجْمُوعَةُ مِنَ الْجَسْدِ وَالنَّفْسِ بِهَذَا الْمَحْسُوسِ الْمَشَاهِدِ الْخَاطِبِ
الْمُتَكَلِّمُ السَّائِلُ الْمُجِيبُ الْعَالَمُ الْعَارِفُ مَادَمَ حَيًّا، فَإِذَا مَاتَ بَطْلُ مِنْهُ ظَهُورُ هَذِهِ
الْأَشْيَاءِ لَانَّ الْمَوْتَ لَيْسَ هُوَ شَيْءٌ سُوَى مُفَارِقَةِ تَقْسِيمِ جَسْدِهَا، وَعَنْدَ ذَلِكَ يَعْدُمُ
(م - ٢٣)

منه جميع فضائله الظاهرة من العلوم والصناعات والكلام والحركات والحواس وما شاكلها .

ثم اعلم أن كثرة العقلاة وكثيراً من العلماء ممن يقر بوجود النفس أو يتكلّم في أمرها يظنون وينوّهون أنها شيء متولد من مزاج الجسد وليس الأمر كما ظنوا وتوهّموا لأن المولود من الشيء يتكون من جوهر ذلك الشيء والجسم لاشك فيه والنفس ليس بجسم ولا عرض من الاعراض والدليل على ذلك أنها ليست بجسم ، وهو أن الجسم لا يعقل إلا متتحركاً أو ساكننا فلو كان متحركاً من حيث هو جسم لكان يجب أن يكون كل جسم متحركاً ولو كان ساكننا لكان يجب أن يكون كل جسم ساكننا وليس يوجد الأمر كذلك ، بل قد يوجد بعض الأجسام متحركة دائماً وبعضاً منها متحركاً تارة وساكنة أخرى مثل الهواء والماء والنار والحيوان والنبات ، فيدلنا بأن شيئاً آخر هو الذي يحركها ويسكنها

وليس النفس بجسم ولا عرض من الاعراض القائمة بالجسم المتولد منه أو فيه ، لأن العرض هو شيء لا يقوم بنفسه وهو أدنى حالاً من الجسم، والحركة للشيء المسكن له هو أقوى منه وأشرف

ودليل آخر أن العرض لا فعل له لأن الفعل عرض من الاعراض قائم بفاعله ولو كان للعرض فعل لكان يجب أن يكون العرض قابلاً به ، ولا هو يقوم بنفسه فكيف يقوم بغيره

فهذا دليل على أن العرض لا فعل له . وقد بينا أيضاً أن الجسم لا فعل له لأن الفاعل بالحقيقة هو الذي يقدر على اخذ الفعل وتركه لأن ترك الفعل أسهل من اخذه فلو كان للعرض فعل لكان يقدر على تركه كما يقدر على اخذه ، فمن ظن أن النفس الناطقة الفاعلة الحساسة الدراكة العلامه الصانعة الحكيمه المتكلمه العارفة المجردة من الكائنات : من تركيب الأفلاك واقسام البروج والحركات والمولادات المركبات من الحيوان والنبات والمعادن وأنواعها وخصائصها ومتافعها ومضارها

انما هي عرض او مزاج متولد من اخلاط البدن من غير دليل على ما زعم اوحجه
بنية دعته الى ما هو عليه ويتوهم ، فهو جاهل بأمر نفسه لم يعرف حقيقة ذاته
فكيف يوثق بقوله انه يعرف حقائق الاشياء ويعبر عن علل الموجودات الغائبات
عن الحواس وانه يعلم اسباب الكائنات الخفيات التي لا تعلم الا بدليل عقلي وبراهين
حكية ومقدمات ونتائج منطقية او هندسية ؟ وهذا يظن ان نفسه العالمة الناطقة
الصانعة الحكيمه جسم او مزاج او عرض من الاعراض لا قوام لها ولا حس ولا
حركة ولا شعور « هيئات هيئات لما توعدون » بعيد عن الحق « ونودي به من
مكان بعيد » ضل عن طريق الصواب من يظن بنفسه هذه الظنون « وما قدر الله
حق قدره » اذ من جهل نفسه كيف يتيسر له معرفة الله كما قال النبي ﷺ « من
عرف نفسه فقد عرف ربه واعرفكم بنفسه اعرفكم ربكم » وقال تعالى « بل الانسان
على نفسه بصيرا » وقال : « وفي افسركم افلا تبصرون » وقال : « واشهدتم على
افسهم السر بركم » « قالوا بلى شهدنا » . وقال : « ما اشهدتم خلق السماوات
والارض ولا خلق انفسهم » . قال اهل المعرف اشار بقوله تعالى « شهد الله
أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم » يعني المارفين بأنفسهم ليتبه الجاهل
من نوم غفلته . فان قيل : ما الحكمة في اختلاف أنواع النبات وأوراقها
وثمارها وفونها وألوانها وطعمها وروائحها وطبعاتها المختلفة ؟ قيل لما فيها من
كثرة المنافع للحيوانات المختلفة الصور المتغيرة الطباع المفتنة الاخلاق الكثيرة
المتصرفات فان قيل : لم جعل في طباع بعض الحيوانات وجعلتها الافة والانس
والمودة ؟ يقال ليدعوها ذلك الى اجتماع المعاون لما فيه من صلاحها وكثرة منافعها .
وان قيل : فما الحكمة في كون النمور والوحشة والعداوة في جبلة بعض الحيوانات
يقال لكيما يدعو ذلك الى التباعد في الاماكن والانتشار في البلاد مما فيه من
صلاح حاطها وسلامتها من الآفات ولكيما تزاحم في الاماكن ويضيق بها
التصرف والفسحة ورغدة العيش ، ثم اجتمع الناس في المدن والقرى وتزاحموا
لشدة حاجتهم الى معاونة بعضهم بعضاً لأن الانسان لم يقدر أن يعيش وحده
الا عيشاً نكداً

﴿فصل﴾

ما العلة في اختلاف لغات الناس وألوانهم وأخلاقهم وصورهم واحد وكلهم
أبوهم واحد فنقول : اختلاف أمة كن أبدانهم وألوانهم واختلاف رتبها وتغيرات
أهويتها وطوالع البروج عليها وسمات الكواكب وفنون آرائهم من كثرة
العداوة منهم في ذلك لكيما يدعوهم إلى استخراج فنون العلم والاحمداد في تهذيب
النفس أو الانتباه من نوم الغفلة والخروج من ظلمات الجهلة والبلوغ إلى تمام
والكمال والبقاء على أتم الأحوال ما أمكن واستوى
وأيضاً لما حكم على تفوس الحيوانات كلها بالموت : لتنقل إلى حالة هي أتم
وأكمل وأفضل

﴿فصل﴾

ثم أعلم أنه ينبغي لمن يريد أن يعرف حقائق الأشياء أن يبحث أولاً عن
عمل الموجودات وأسباب المخلوقات وأن يكون له قلب فارغ من الهموم والغموم
والأمور الدنيوية ونفس ذكية ماهرة من الأخلاق الرديئة وصدر سليم من
الاعتقادات الفاسدة ، ويكون غير متغصب لمذهب أو على مذهب ، لأن العصبية
هي الهوى والهوى يعمي عين العقل وينهى عن ادراك الحقائق ويعمى النفس
البصرة عن تصور الأشياء بحقائقها فيقصدها ذلك عن الهوى ويعدل عن
طريق الصواب

ونحن نريد أن نبحث في هذه الرسالة عن عمل الموجودات وأسبابها فنريد
أن نبين من ذلك طرفاً حسجاً جرت عادة أخواننا وعلى حسب جهودنا وطاقتنا فيما
وهب الله لنا من الهدایة ولكن نبدأ أولاً بتوسيعة أصول لأبدع من ذكرها مقدمات
يُنتج عنها ما نريد أن نبين من هذه العلل والsecrets فنقول
إن العلامة الراسخين والحكماء الربانين قالوا إن الله تعالى لما أبدع الموجودات
واخترع المخلوقات رتبها مراتب الأعداد المتواتلات ونظمها نظاماً واحداً يتلو

بعضها بعضا في الموجودات الى الاعداد المتناسبات ، اذا كان ذلك **احکم وأتقن** .
كما يبنا في رسالة المباديء العقلية

وأما فعل الباري تعالى حسب ما ذكرنا : وذلك أنه جعل كل جنس من
الموجودات على أعداد مخصوصة مطابقة بعضها البعض إما بالكمية واما بالكيفية
ليكون ذلك دليلا للعلماء وبيانا للعقلاء إذا بحثوا عنها واعتبروا واستدلوا
بشهادتها الجلى على غائتها الخفي ، فيبين لهم ويعلمون أنها كائنة من صنع باريء حكيم
فيزدادون بذلك بصيرة ويقيناً والى لقاء الله تعالى اشتياقاً ويعبدون ربهم
ليلاً ونهاراً

ثم اعلم أن من الاشياء الموجودة ماهي على أعداد مخصوصة ، ومنها ما هي في
البروج والافلاك ، ومنها ما هي في الاركان والامهات ، ومنها ما هي في خلقة
النبات ، ومنها ما هي في تركيب جنة الحيوانات ، ومنها ما هي في سن الشرائع
من المفروضات ، ومنها ما هي في الخطاب والمحاورات

ف- ذلك أن الله تعالى أنزل القرآن بلغة فصيحة هي أوضح اللغات
وجعل هذا الكتاب مهيمناً على كل كتاب أنزله قبله وجعل هذه الشريعة أتم
الشرائع وأكملها وحكم في سن المفروضات أموراً مثنويات ومثلثات ومربيعات
وخمسمائات وسداسات وسبعينات وثمانينات ، وما زاد بالغافما بلغ ليكون اذا تأمل
أولو الالباب وتفكر فيها أولو الابصار واعتبروا فيها وجدوا في سنتهما وأحكامها
أموراً معدودة مطابقة لامور من الرياضيات والطبيعيات والاطهيات ، ويتعلمون
ويتيقنون أن هذا الكتاب هو من عند الصانع الحكيم الذي هو صانع المخلوقات
وباريء الموجودات ، وأن هذه الشريعة هي التي وضعها وشرحها فيزول الشك
العارض عن قلوب هؤلاء المتعاطفين الحكمة من تلك الامور المعدودة وهذه
المحروف التي في أوائل السور ان الله تعالى أورد من جملة المحروف المعجمة التالية
والعشرين حرفاً أربعة عشر حرفاً حسب ، ولم يزيد عن أربعة عشر وهي : اح ر

س ص ط ع ق ك ل م ن لا ي يجعل منها في بعض السور حرفاً في بعضها
حرفين وثلاثة وأربعة وخمسة ولم يزد على ذلك
ثم أعلم أن العلامة المفسرين تناذروا وشرعوا في القيل والقال في معانى هذه
الحروف التي في أوائل سور القرآن وما حقيقة تفسيرها والفرض منها ماهو وهي
عدة سور في القرآن أولها «المذلك الكتاب لا رب فيه» «الم الله لا إله إلا هو»
«الْمَعْصِيَ» «الر تلک آيات الْكِتَاب الْحَكِيم» «الر كِتاب أَحْكَمَ آيَاتِه»
«الر تلک آيات الْكِتَاب الْمُبِين» «الر تلک آيات الْكِتَاب» «الر كِتاب أَنْزَلْنَا»
«الر تلک آيات الْكِتَاب وقَرآن مُبِين» «كَهْيَعْصِي» «طَهْ مَا أَنْزَلْنَا» «طَسْ»
«طَسْ» «طَسْ» «الْمَ أَحَسَّبَ النَّاسَ أَنْ يَتَرَكُوا» «الْمَ غَلَبَتِ الرُّومُ» «الْمَ
تلک آيات الْكِتَاب الْحَكِيم» «الْمَ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ» «يَسْ وَالْقَرآن الْحَكِيم»
«صَ وَالْقَرآن ذِي الذَّكْر» «حَمْ تَنْزِيلُ الْكِتَاب» «حَمْ تَنْزِيلُ مِنَ الرَّحْمَنِ
الرَّحِيم» «جَعْصَقْ» «حَمْ وَالْكِتَاب الْمُبِين» «حَمْ وَالْكِتَاب الْمُبِين» «حَمْ
تَنْزِيلُ الْكِتَاب» «حَمْ تَنْزِيلُ الْكِتَاب» «قَ وَالْقَرآن الْجَيْد» «ذَنْ وَالْقَلْمَنْ
وَمَا يَسْطِرُونَ» فذلك تسع وعشرون سورة . منها ما جاء في أولها حرف واحد
مثل ق ص ذ . ومنها ما جاء في أولها حرفان مثل طه يس حم . ومنها ما جاء في
أولها ثلاثة أحرف مثل الم طس الم الر . ومنها ما جاء في أولها أربعة أحرف
المر المص . ومنها ما جاء في أولها خمسة أحرف مثل كهيعص جعسق ولا يزيد على
خمسة أحرف

فمن العلماء من قالوا إن هذه الحروف قسم أقسام الله تعالى بها ، ومنهم من قال إن
كل حرف منها كملة قائمة بنفسها مثل ألف الله ، لام جبرائيل ، ميم محمد عليه السلام .
ومنهم من قال إنها حروف حساب الجمل كما جاء في الخبر أن علماء التوراة ورؤساء
اليهود اجتمعوا في المدينة وزعموا أنهم يعلمون حد هذه الأمة كم هو بحساب
الجمل ، ولأن طاولة معرفة مشهورة تركنا ذكرها . ومنهم من قال إن هذه الحروف
سر القرآن ولا يعلم بأويل ذلك إلا الله . ومنهم من قال إن الراسخين في العلم

أيضاً يعلمون تفسير ذلك لما عالمهم الله تعالى كذا ذكر بقوله « ولا يحيطون بشيء من عالمه إلا بما شاء » « ولا يعلم تأويلاً إلا الله والراسخون في العلم ». ومنهم من قال إن معرفتها أسراراً لا يصلح أن يعلمهها كل أحد إلا الخواص من عباد الله الصالحين

ثم أعلم أن كل هذه الأقاويل مقنع لنفوس أقوام دون أقوام وذلك لأن في الناس أقواماً عقلاً لا يرضون بالتقليد بل يريدون البراهين والكشف عن الحقائق وطلب العلة ، ولم ؟ وكيف ؟ ولماذا ؟ ولا يغيب لهم من جوع ما يتأنلون من التفسير في هذا المعنى . بل يطلبون وراء ذلك ما هو أحسن تأويلاً وأبين تفسيراً . ونحن نذكر الآن من ذلك طرفاً ونشير إليها إشارة حسبما تتحمل عقول هؤلاء القوم من أهواها

﴿ فصل ﴾

فتقول أعلم أن من يريد أن يعلم لم ترد من مجلة المائة والعشرين حرفاً إلا أربعة عشر حرفاً ولم يزد على خمسة أحرف منها ، وما المراد بالحكمة في ذلك ، فينبغي له أن يبحث ويعتبر جميع المحسوسات المفترضات في سين الشريعة مثل الصلوات الحسن والزكوات الحسن ، وأن شرائط الإيمان حسن . إذ بني الإسلام على خمس والفضلاء من أهل بيته حسنة ، وواعضوا الشريعة خمسة ومرافق منبر النبي حسنة ، وما شاكل هذه الخمسات في أمور الدين والشريعة وأحكامها وما يتحققها أيضاً من المعدودات الخمسات مثل الكواكب الخمسة السيارة التي لها رجوع واستقامة ، ومثل الحواس الحسن في الحيوانات التامة الخلقية ، ومثل الخمسات في خلقة النبات وما في أيام الایام الخمسة من مجلة السبعة والخمسة المسترقية من مجلة أيام السنة ، وما شاكل هذه الخمسات في الموجودات المطابقة بعضها بعضاً . ويعتبر أيضاً خاصية الحسن من العدد لأنها عدد كرى ، ويقال إنها عدد دوائر وأنها تحفظ نفسها وما يتولدها ، كما يبين في رسالة الأرسطي والاشكال الخمسة الفاضلة المذكورة في كتاب أقليدس والنسبة الخمسة الفاضلة

في الموسيقى وما شاكل هذه الامور من المحسات . فإذا اعتبر النبي العاقل هذه الاشياء التي ذكرنا وتأملها فعمى الله أن يفتح قلبه ويشرح صدره ويوفقه لعلمه علل الموجودات وأسباب الخلوقات وما الحكمة في كونها على ما هي عليه الآن .

وهكذا ينبغي لمن يريد أن يعرف سر هذه الحروف التي هي في أوائل السور لم كان منها أربعة عشر من جملة ثمانية وعشرين حرفا ، أن يعتبر الموجودات التي عددها ثمانية وعشرون فإنه يجد بها تنقسم قسمين حيث ما وجد : فن ذلك ثمانية وعشرون عدد مفاصل اليدين للانسان فانها في اليدين أربعة عشر وأربعة عشر في اليد اليسرى ، وأن عددها مطابق لعدد ثمانية وعشرين خرزة هي في عمود ظهر الانسان ، منها أربعة عشر في أسفل الصلب وأربعة عشر في أعلى . وهكذا توجد خرزات العمود التي في أصلاب الحيوانات التامة الخلقة كالبقر والجمل والابل والحمار والسباع .

وبالجملة كل حيوان ترضع وتلد منها أربعة عشر في مؤخر الصاب وأربعة عشر في مقدم البدن ، وهكذا وجد عدد الريشات التي في أجنبية الطير المعتمدة عليها في الطيران فانها أربعة عشر ظاهرة في كل جناح ، وهكذا توجد عدد الخرزات التي في أذناب الحيوانات الطويلة الاذناب كالبقرة والسباع وكل ماله ذنب طويل ، وهكذا يوجد في عموم صلب الحيوانات الطويلة الخلقة كالسمك والحيتان وبعض الحشرات ، وهكذا يوجد عدد الحروف التي في لغة العرب التي هي أتم اللغات وأفصحها ثمانية وعشرون حرفا منها أربعة عشر حرفا تدغم فيها لام التعريف وهي :

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧
التاء	والثاء	والدال	والذال	وازاء	والزاي	والسين
٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤
والشين	والصاد	والضاد	والطاء	والظاء	واللام	والنون

وأربعة عشر لا تدغم فيها وهي الالف والباء والجيم والخاء والخاء والعين والغين والفاء والقاف والكاف والميم والهاء والواو والياء . وهكذا يوجد حكم المحروف التي تخط بالقلم قسمين : أربعة عشر منها معلم وهي الباء والتاء والياء والخاء والدال والزاي والشين والصاد والفاء والغين والفاء والقاف والنون والجيم والخاء والدال والزاي والشين والصاد والباء والياء والسين والصاد والطاء والعين والكاف والميم والواو والهاء واللام : وهكذا حكم الحكم الواضع للخط العربي فانه افتني في وضعه الخط العربي حكمة الباري (تعالى) فانه كان حكماً فيلسوفاً ، وقد قيل : إن الحكمة هي التشبه بالله بحسب طاقة البشر ، ومعنى هذه الكلمة أن يكون الانسان حكماً في مصنوعاته محققاً في معلوماته خيراً في أفعاله . ومن التي عددها ثمانية وعشرون : هي منازل القمر في الفلك فان عددها ثمانية وعشرون منها في البروج الشمالية أربعة عشر ، وفي البروج الجنوبية أربعة عشر . فقد علم مما ذكرنا وصدق بما قلنا أذ الموجودات التي عددها ثمانية وعشرون تنقسم قسمين أي موضع وجدت : كل أربعة عشر منها لها حكم ليست للأربعة عشر الأخرى ، فلهذه الملة أورد من مجلة الثمانية والعشرين حرفاً حروف الجمل أربعة عشر حرفاً ولم يورد أربعة عشر الأخرى ، لأن هذه حكماً ليس بذلك وهي السر المكتوم الذي لا يصلح أن يعلمه كل أحد إلا المؤمنون من عباد الله المخلصين .

وإذ قد ذكرنا مارفا من الاشارة الى هذه المعرفة ودللتنا على أنها سر القرآن ولا يجوز الافصاح عنها اذ لم يأذن لنا الحكاء والأنبياء صلوات الله عليهم وفينا ذكرناه كافية لمن كازله قاب ذكي ونفس زكية وأخلاق ظاهرة . فامنذ ذكر الآن طرفاً من فضيلة ثمانية وعشرين علىسائر الاعداد فنقول اعلم أنه ما من عدد من الخطيئة إلا وله فضيلة ليست بشيء آخر غيره وقد ذكرنا طرفاً من فضيلة الاعداد في رسالة الارثماطيقي : فمن فضيلة الثمانية والعشرين أنه من الاعداد التامة ، والاعداد التامة هي أفضل من الاعداد الناقصة والزائدة ،

أو أنها قليلة الوجود : وذلك أنه يوجد في كل مرتبة من مراتب الأعداد واحدة لا غير كالستة في الأحادي عشرة وعشرين في العشرات ، وأربعين وستة وتسعين في المئات وثمانية آلاف ومائة وعشرين في الألوف فنقول : انه أيضاً لما كان الاثنان أول عدد الزوج والثلاثة أول عدد الفرد ، والاربعة أول العدد المجدور يجمع بين ذلك ، وكانت السبعة التي هي عدد كامل وعدد الكواكب السيارة مطابقها ، ثم ضرب الثلاثة في الاربعة وكان اثنا عشر الذي هو أول عدد زائد ، وجعل برج الفلك اثناعشر مطابقاً له ، ثم ضربت السبعة في أربعة وكان ثمانية وعشرين التي هي عدد تمام وجعل منازل القمر مطابقاً له وجعل سائر الموجودات الاثنا عشرية مطابقة لعديدها مثل الثقب للانسان التي هي اثني عشر ، والاعضاء الاثني عشر وشهور السنين الاثني عشر عددها .

وعلى هذا القياس يوجد أشياء كثيرة اثني عشرية وسبعينيات وستينيات وخمسينيات وأربعينيات وثلاثينيات ومئويات مطابقة بعضها لبعض ، ليدل ذلك على أنها كلها من صنع صانع كريم ، كما قال تعالى « ان في ذلك لعبرة لا ولليال بصار » وفقلت الله وإيانا وجميع أخواننا إلى طريق السداد وهداك وإيانا سبيل الرشاد إنه رءوف بالعباد

﴿ نَعْتَ رسالَةَ العَلَلِ وَالْمَعْلُولَاتِ وَبِلِيهَا رسالَةٌ فِي الْحَدُودِ وَالرُّسُومِ ﴾



الرسالة العاشرة

من النفسيات العقلية

في الحدود والرسوم

هي الرسالة الواحدة والاربعون من رسائل اخوان الصفا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آله خير أما يشركون
اعلم أياها الأخ اذا قد فرغنا من بيان العمل والمعلومات وبيننا فيها أقاويل
جميع الحكاء، حسب ما جرت به عادة اخواننا وزيد الآن أن نذكر في هذه
الرسالة بيان الحدود والرسوم فنقول :

إن الأنبياء عليهم السلام هم سفراء الله تعالى بينه وبين خلقه ، والعلماء هم
ورثة الأنبياء والحكاء هم أفضل العلماء . وقد قيل إن الحكيم هو الذي يوجد
فيه سبع خصال محمودة ، أحدها أن تكون أفعاله محكمة وصناعته متقدة وأقاويله
صادقة وأخلاقه جميلة وأراءه صحيحة وأعماله زكية وعلومه حقيقية
واعلم أن معرفة حقيقة الاشياء هي معرفة حدودها ورسومها وذلك لأن
الاشياء كلها نوعان : مركبات ووسائل

فأما المركبات فتعرف حقائقها اذا عرفت الاشياء التي هي مركبة منها ،
والوسائل تعرف حقائقها اذا عرفت الصفات التي تخصها
مثال ذلك اذا قيل لك ما حقيقة الطين ؟ فيقال : ماء وتراب مختلطان ،
والسكنجيين ؟ فيقال ؟ خل وعسل ممزوجان ، والسرير ؟ خشب وصورة مركبان ،

والكلام: ألفاظ ومعاني مؤلفات، والماحسن: نفحات حادة وغليظة متهدان، والحيوان: نفس وجسد مقر ونان

وعلى هذا القياس تجريب اذا سئلت عن هذه الاشياء المركبة فلا بد من ذكر
مالك الاشياء التي هي مركبة ومؤلفة منها . فاما الاشياء البسيطة فتعرف حقائقها
اذا عرفت الصفات التي تخصها

مثال ذلك اذا قيل لك ما الظىولى ؟ فيقال جوهر بسيط قابل للصورة ، فان
قيل ما الصورة ؟ فيقال ماهية الشىء وله الاسم والفعل والقيامة ، فان قيل ما
الجوهر ؟ فيقال هو قائم بنفسه القابل للصفات ، فان قيل ما الصفة ؟ فيقال عرض
حال في الجوهر لا كالجزء منه ، فان قيل ما الشىء ؟ فيقال هو المعنى الذي يعلم
ويخبر عنه ، فان قيل ما الموجود ؟ قيل هو الذى وجده أحد الحواس أو تصوره
العقل أو دل عليه الدليل ، فان قيل ما المعدوم ؟ فيقال ما قابل هذه الاشياء
المذكورة في الوجود ، فان قيل ما الوجود ؟ فيقال ايس ، فان قيل ما العدم ؟ فيقال ايس
فان قيل ما القديم ؟ فيقال مالم يكن ليس ، فان قيل ما الحدث ؟ فيقال ما كونه غيره
فان قيل ما الاحاديث ؟ فيقال تكوين المكون ، فان قيل ما العلة ؟ فيقال هي
سبب لكون شىء آخر إيجاداً ، فان قيل ما المعلول ؟ فيقال هو الذى لوجوده
سبب من الاسباب ، فان قيل ما العالم ؟ فيقال هو التصور للشىء على حقيقته ،
فان قيل ما العلم ، فيقال صورة المعلوم في نفس العالم ، فان قيل ما الحقيقة ، فيقال
المتحرك بذاته ، فان قيل ما القادر ؟ فيقال هو الذى لا يتغدر عليه الفعل منى
شاء ، فان قيل ما الفعل ؟ فيقال أثر من مؤثر ، فان قيل ما معنى البارى (تعالى)
فيقال علة كل شىء وسبب كل موجود ومبدع المبدعات ومخترع الكائنات ومنقnya
ومنهمها ومكملها وبلغها الى أقصى مدى غاليتها ومنتهاى نهاياتها بحسب ما يتأتى
في كل واحد منها ، فان قيل ما القدرة ؟ فيقال امكان ايجاد الفعل ، فان قيل ما الصنعة ؟
فيقال هو اخراج الصانع من فكره ووضعه في الظىولي ، فان قيل ما المصنوع ؟
فيقال مركب من هىولي وصورة ، فان قيل ما العقل الفعال ؟ فيقال هو أول بداع

أَبْدَعَهُ اللَّهُ (تَعَالَى) وَهُوَ جُوهرُ بِسِيطَةِ نُورِي فِيهِ صُورَةُ كُلِّ شَيْءٍ، فَإِنْ قِيلَ مَا النَّفْسُ؟ فَيُقَالُ جُوهرَةُ بِسِيطَةِ رُوحانِيَّةِ عَلَامَةِ فَعَالَةٍ وَهِيَ صُورَةُ مِنْ صُورِ الْعِقْلِ الْفَعَالِ، فَإِنْ قِيلَ مَا الْأَرَادَةُ؟ فَيُقَالُ إِشَارَةُ بِالْوَهْمِ إِلَى تَكْوِينِ أَمْرٍ مُمْكِنٍ كُونَهُ وَكُونَ خَلَاقَهُ، فَإِنْ قِيلَ مَا الْعِقْلُ الْأَنْسَانِيُّ؟ فَيُقَالُ التَّيْيِيرُ الَّذِي يَخْصُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْ أَشْخَاصِهِ دُونَ سَائِرِ الْحَيْوَانَاتِ، فَإِنْ قِيلَ مَا الْجِنْسُ؟ فَيُقَالُ صَفَةُ جَمَاعَةٍ مُتَفَقَّةٍ بِالصُّورَةِ يَعْمَلُهَا مَعْنَى وَاحِدٌ، فَإِنْ قِيلَ مَا الشَّيْخُصُ؟ فَيُقَالُ كُلُّ جَمَلَةٍ يُشارُ إِلَيْهَا دُونَ غَيْرِهَا مُمْيَزَةٌ مِنْ غَيْرِهَا بِالْأَفْعَالِ وَالصُّورِ، فَإِنْ قِيلَ مَا الْخَاصَّةُ؟ فَيُقَالُ صَفَةٌ مُخْصُوصَةٌ لِمَا دُونَ غَيْرِهِ بِطَبِيعَةِ الزَّوَالِ، فَإِنْ قِيلَ مَا النُّورُ؟ فَيُقَالُ جُوهرُ مَرْئَى يُضَىءُ مِنْ ذَاهِبٍ وَيُرَى بِهِ غَيْرَهُ، فَإِنْ قِيلَ مَا الظَّلَمةُ؟ فَيُقَالُ عَدَمُ النُّورِ عَنِ الدَّازِنِ الْقَابِلِ لِلنُّورِ، فَإِنْ قِيلَ مَا النَّهَارُ؟ فَيُقَالُ هُوَ ضُوءُ الشَّمْسِ، فَإِنْ قِيلَ قِيلَ مَا اللَّيلُ؟ فَيُقَالُ هُوَ ظُلُلُ الْأَرْضِ، فَإِنْ قِيلَ مَا الْحَرَارَةُ؟ فَيُقَالُ غَلِيَانُ أَجْزَاءِ الْهَيْوَانِ، فَإِنْ قِيلَ مَا الْبَرْودَةُ؟ فَيُقَالُ جُودُ أَجْزَاءِ الْهَيْوَانِ، فَإِنْ قِيلَ مَا الرَّطْبَةُ؟ فَيُقَالُ سِيلَانُ أَجْزَاءِ الْهَيْوَانِ، فَإِنْ قِيلَ مَا الْبَوْسَةُ؟ فَيُقَالُ تَمَسُّكُهَا، فَإِنْ قِيلَ مَا اللَّوْنُ؟ فَيُقَالُ هُوَ بَرْوَقُ شَعَاعَاتِ الْأَجْسَامِ، فَإِنْ قِيلَ مَا الْرَّائِحةُ؟ فَيُقَالُ بَخَاراتُ ذَوَاتٍ كَيْفِيَاتٍ تَجْحَلُ مِنَ الْأَجْسَامِ الْمُرْكَبَةِ، فَإِنْ قِيلَ مَا الصَّوْتُ؟ فَيُقَالُ قَرْعَ فِي الْهَوَاءِ مِنْ تَصَادُمِ الْأَجْسَامِ، فَإِنْ قِيلَ كَمُ الْحَرَكَاتُ؟ فَيُقَالُ سَتَةُ أَنْوَاعٍ: هِيَ الْكَوْنُ وَالْفَسَادُ وَالْزِيَادَةُ وَالنَّقْصَانُ وَالتَّغْيِيرُ وَالنَّقْلَةُ، فَإِنْ قِيلَ كَيْفُ حَالَتِنِي فِي الْأَفْعَالِ؟ فَيُقَالُ إِنَّ الْكَوْنَ هُوَ قَبْوُلُ الْهَيْوَانِ وَالصُّورَةِ، وَخَرْوَجُهُ مِنْ حِيزِ الْعَدَمِ وَالْفَسَادِ هُوَ خَلْقُ الصُّورَةِ وَخَلْعُهَا مِنْ الْهَيْوَانِيِّ، وَالْزِيَادَةُ تَبَاعِدُ نَهَايَاتِ الشَّيْءِ، وَالنَّقْصَانُ تَقَارِبُهَا، وَالتَّغْيِيرُ تَبَدِّلُ الصَّفَاتَ عَلَى الْمَوْصُوفِ، وَالنَّقْلَةُ خَرْوَجُ مِنْ مَكَانِهِ إِلَى مَكَانٍ دُوَّارِيَّاً، فَإِنْ قِيلَ مَا الْمَكَانُ؟ فَيُقَالُ أَنَّهُ كُلُّ مَوْضِعٍ عَكَنْ فِيهِ الْمُمْكِنِ وَهُوَ نَهَايَاتُ الْجَسَمِ، فَإِنْ قِيلَ مَا الزَّمَانُ؟ فَيُقَالُ عَدْدُ حَرَكَاتِ الْفَلَكِ وَتَكْرَارُ اللَّيلِ وَالنَّهَارِ، فَإِنْ قِيلَ مَا الْفَلَكُ؟ فَيُقَالُ أَنَّهُ جَسَمٌ شَفَافٌ كَرِيمٌ مُحِيطٌ بِالْعَالَمِ، فَإِنْ قِيلَ مَا الْعَالَمُ فَيُقَالُ جَمِيعُ الْمُوْجُودَاتِ الْمُتَكَوِّنَاتِ الَّتِي يَحْوِيهَا الْفَلَكُ، فَإِنْ قِيلَ مَا الْكَوَاكِبُ؟ فَيُقَالُ أَجْسَامٌ مُنْيَةٌ مُسْتَدِيرَةٌ كَاجْمَادَةٍ مِنْ دَوْمٍ ثَبَاتِهَا فِي

موضع معروف بها ، فان قيل ما الجسم فيقال ماله طول وعرض وعمق ، فان قيل ما الجسم الشفاف يقال كل جسم يرى ماوراءه فان قيل ما النار ؟ فيقال نير حار يبدد الاشياء ويفرق أجزاءها ويردها الى ذاتها بسيطة ، فان قيل ما الهواء ؟ فيقال جسم لطيف خفيف سيدل شفاف سريع الحركة الى الجهات الست وهي فوق وتحت وغرب وشرق وجنوب وشمال ، فان قيل ما الماء ؟ فيقال جسم سيدل قد احاط حول الارض ، فان قيل ما الارض ؟ فيقال جسم غليظ أغاظ ما يكون من الا جسام وتوافق في مركز العالم ، فان قيل ما الجهات . فيقال ستة أنواع : شرق وغرب وجنوب شمال وفوق وتحت ، وذلك أن الشرق حيث تطلع الشمس والغرب حيث تغيب والشمال حيث مدار الجندي والجنوب حيث مدار سهيل والفق هو مما يلي الحيط والاسفل هو مما يلي الارض فان قيل ما الطين . يقال ماء وتراب . فان قيل ما الزبد يقال ماء وهواء . فان قيل ما البخار . يقال ماء ونار . فان قيل ما الدخان . يقال نار وتراب . فان قيل ما البرق . يقال نار وهواء . فان قيل ما المعادن يقال ما الغالب عليه الترابية . فان قيل ما النبات . يقال ما الغالب عليه المائية . فان قيل ما الحيوان يقال ما الغالب عليه الهوائية . فان قيل ما الانسان . يقال ما الغالب عليه النارية . فان قيل ما الملائكة يقال ما الغالب عليها طبيعة الفلك . فان قيل ما الجن فيقال ما الغالب عليها النارية والهوائية . فان قيل ما الشياطين . يقال ما الغالب عليها الترابية والنارية . فان قيل ما الرياح يقال هي عوج الهواء وسيلانه الى احدى الجهات فان قيل ما الطبيعة الفاعلة يقال هي قوة من قوى النفس الكافية الفلكية سارية في الاركان فان قيل ما الاثير ، يقال الهواء الحار الذي يلي فلك القمر . فان قيل ما النسيم يقال هو الهواء المعتدل الذي يلي وجه الارض .

فان قيل ما الزهرير ؟ يقال هو الهواء الذي هو فوق كرة النسيم ودون الاثير وهو بارد مفرط البرودة ، فان قيل ما الشعاع ؟ يقال نور الشمس والقمر والكواكب السيارة في الهواء نحو مركز الارض ، فان قيل ما انعكاس الشعاع ؟ يقال هنور جوع تلك الانوار من سطح الارض والبحار والاهوار والجبال في الهواء ، فان قيل

ما البخار؟ يقال هو أجزاء مائية رطبة ترتفع في الهواء مع تلك الشعاعات الراجعة من سطوح المياه ، فان قيل ما الدخان يقال هو أجزاء أرضية لطيفة ترتفع في الهواء مع الحرارة ، فان قيل ما الغيم والسحب ؟ يقال الأجزاء المائية والتراوية اذا كثرت في الهواء وتراءكت ، والغيم منها هو الرقيق والسحب هو المتراكب ، فان قيل ما المطر ؟ يقال تلك الأجزاء المائية اذا التأم بعضها مع بعض وبردت وتقطلت ورجمت نحو الأرض ، فان قيل ما الرياح ؟ يقال تلك الأجزاء الأرضية اذا بردت ورجعت نحو مركبها ، فان قيل ما البرق ؟ يقال هو النار تنقدح من احتكاك تلك الأجزاء الدخانية في جوف السحاب ، فان قيل ما الرعد يقال هو الصوت الذي يدور في جوف السحاب ويطلب الخروج ، فان قيل ما الصاعقة ؟ يقال هي صوت يحدث من خروج تلك الرياح دفعه واحدة مع تلك البرق ، فان قيل ما الصوت ؟ يقال هو فرع يحدث في الهواء من تصادم الأجسام بعضها ببعض فان قيل ما الضباب ؟ يقال هو البخار الرطب يشور من وجه الأرض بعقب الامطار ، فان قيل ما الاهالة ؟ يقال دائرة تحدث فوق سطح الغيم من انعكاس شعاع الشمس والقمر والكواكب ، فان قيل ما قوس قزح ؟ يقال هو نصف محيط تلك الدائرة اذا حدثت في كرة النسم منصبة ، فان قيل كم عدد الألوان المتناهية من ذلك باصياغها ؟ يقال أربعة : الحمرة في اعلاها والصفرة دونها والخضرة دون الاصرار والزرقة دون الخضراء .

ونحن قد ذكرنا مارفأً في كيفية حدوث هذه الاشياء في رسالة الآثار العلوية بشرحها . فان قيل ما الثلوج ؟ يقال قطر صغار محمد في خلل الغيم تنزل برفق فان قيل ما البرد ؟ يقال قطر تجمد في الهواء بعد خروجهما من سلك السحاب ، فان قيل ما الغيم ؟ يقال ما كان بسيطاً رقيقاً يقال له الغيم وما كان متراً كما بعضه فوق بعض كأنه جبال من قطن يقال له السحاب ، فان قيل ما السيول ؟ يقال مياه أودية تجري من كثرة الامطار ، فان قيل ما ماء الانهار ؟ يقال من ماء العيون الذي ينزل من أصول الجبال فينصب وينجري في بطون الاودية — زيادتها من كثرة

السيول ، فان قبل من أي موضع تجري الانهار كلهما ؟ يقال تبتدىء من عيون في رؤوس الجبال أو أسفلها وتلال في البراري وترجع بريانها نحو الأجام والغدران والبطائع ، فان قيل ما لا زل ؟ يقال هي حركة بعض بقاع الأرض من رياح محتبسة في جوف الأرض ، فان قيل ما الخسوف ؟ يقال هي سقوط سطح بقاع الأرض على أهونية تحتها اذا انشقت وخرجت منها تلك الرياح المحتبسة ، فان قيل ما الجبال ؟ يقال أو تاد الأرض ومسنديات الرياح والبحار . فان قيل ما الجزار . يقال بقاع من الأرض في وسط البحار . فان قيل ما البراري . يقال هي بقاع من الأرض ليس فيها نبات ولا بناء ، فان قيل ما الأجام والبطائع ؟ يقال بقاع فيها مياه ونبات ، فان قيل ما الغدران ؟ يقال مواضع تجتمع فيها مياه إلا مطار ، فان قيل ما الأرض ؟ يقال جسم كري الشكل واقف في الهواء باذن الله (تعالى) بمجيئ ماء عليها من الجبال والبحار ، فان قيل ما الهواء ؟ يقال ما هو محيط بالأرض من جحيم الجهات ، فان قيل ما الفلك ؟ يقال هو محيط بالهواء مثل ذلك ، فان قيل ما مركز الأرض ؟ يقال نقطة في وسط عميقها ومن ذلك النقطة الى ظاهر سطحها ثلاثة ونصف من اثنين وعشرين - المحيط ، فان قيل ما البحار ؟ يقال هي مستنقعات على وجه الأرض حاصرة المياه المجتمعة فيها ، فان قيل ما زيادة البحر ؟ فيقال هي انصباب مياه الانهار والأودية فيها ، فالقيل ما العلة في مد البحر فارس وجزره في اليوم والليلة يقال علة كون المد عند طلوع القمر فانه يؤثر في غليان أجزاء المياه في قعره وثوران انتفاخها ورجوع تلك الانهار المنصبة الى خلف فيظهر المد فعله كون الجزر هي عند مغيب القمر ورجوع تلك الاجزاء الى قرارها ويؤثر بازالة الغليان وهو الفوران والانتفاخ السكون فيظهر الجزر فان قيل ما العلة في أن مياه البحار كلها مالحة صرفة غالية ومياه الامطار والانهار وأكثر الابارع ذمة لطيفة وقد ذكرنا طرفا من عملك وأسبابها في رسالة لنا قد تقدم ذكرها ، فان قيل ما الطياع الأربع يقال هي البرودة والحرارة والرطوبة والبوس ، فان قيل ما الاركان الاربعة يقال هي النار والهواء والماء والارض ، فان قيل ما الاختلاط الاربعة

يقال هي الصفراء (١) والسوداء والدم والبلغم ، فان قيل ما المولدات السكائنات
يقال هي المعادن والنبات والحيوان ، فان قيل ما المعادن يقال ما يكون في عمق
الارض من الجواهر وغيرها مما يجري مجرى الموات ، فان قيل ما النبات يقال
ما هو ظاهر ويظهر على وجه الارض من نبت الاشجار وما ينجم ، فان قيل ما
الحيوان يقال كل جسم منحرك حساس مؤلف من نفس حيوانية وبدن موات
وتكونها على ضربين

فهـما ما يـكون ويـتولد في الرحم ، وـمنـها ما تـخرـجـهـ البيـضـ وـمنـهاـ ماـ يـتـولـدـ منـ
أشـيـاءـ وـمنـهاـ ماـ يـجـتمـعـ منـ الطـرـفـينـ يـتوـالـدـ ، فـانـ قـيلـ ماـ الـارـادـةـ يـقـالـ هـيـ
اشـارةـ بـالـوـلـهـ إـلـىـ تـكـونـ شـيـءـ ماـ يـعـكـنـ كـوـنـ ذـلـكـ وـعـكـنـ الـكـوـنـ فـيـ غـيرـ ، فـانـ
قـيلـ ماـ الـقـدـرـةـ يـقـالـ هـيـ اـمـكـانـ شـيـءـ مـنـ الـافـعـالـ اـخـتـيـارـ ، فـانـ قـيلـ ماـ الـاخـتـيـارـ
يـقـالـ هـوـ قـبـولـ أـحـدـ الـأـمـرـيـنـ بـالـوـلـهـ مـنـ ذـوـاتـ الـبـاطـنـ وـذـوـاتـ الـظـاهـرـ بـالـحـسـ ، فـانـ
قـيلـ ماـ الـجـهـلـ يـقـالـ تـصـورـ الشـيـءـ بـغـيرـ صـورـتـهـ ، فـانـ قـيلـ ماـ الـاعـتـقـادـ يـقـالـ هـوـ عـقـدـ
الـاحـتمـالـ عـلـىـ تـحـقـيقـ شـيـءـ ، فـانـ قـيلـ ماـ الـوـلـهـ يـقـالـ هـوـ قـوـةـ مـنـ قـوـىـ النـفـسـ الـحـيـوـانـيـةـ
مـتـخـيـلـةـ بـهـ اـلـشـيـاءـ ، فـانـ قـيلـ ماـ الـإـيمـانـ ، يـقـالـ هـوـ التـصـدـيقـ مـاـ يـخـبـرـ بـهـ الـخـبـرـ ،
فـانـ قـيلـ ماـ الـاسـلـامـ يـقـالـ هـوـ التـسـلـيمـ بـلـ اـعـتـرـاضـ ، فـانـ قـيلـ ماـ الـدـينـ يـقـالـ هـوـ
الـطـاعـةـ مـنـ جـمـاعـةـ لـرـئـيسـ يـنـتـظـرـ مـنـهـ نـيـلـ الـجـزـاءـ ، فـانـ قـيلـ ماـ الـكـفـرـ يـقـالـ هـوـ
الـغـطـاءـ ، فـانـ قـيلـ ماـ الـشـرـكـ يـقـالـ هـوـ اـثـبـاتـ رـبـوبـيـةـ اـثـنـيـنـ ، فـانـ قـيلـ ماـ الـجـمـودـ يـقـالـ
هـوـ انـكـارـ الـحـقـ ، فـانـ قـيلـ ماـ الـمـعـصـيـةـ يـقـالـ هـيـ الـخـرـوجـ عـنـ الـطـاعـةـ ، فـانـ قـيلـ ماـ
الـطـاعـةـ يـقـالـ هـيـ الـاقـيـادـ لـأـمـرـ الـأـمـرـ وـنـهـيـ النـاهـيـ ، فـانـ قـيلـ ماـ الـمـعـادـ يـقـالـ هـوـ
رـجـوعـ النـفـوسـ الـجـزـئـيـةـ إـلـىـ النـفـسـ الـكـلـيـةـ ، فـانـ قـيلـ ماـ الـثـوابـ يـقـالـ هـوـ مـاـ تـجـدـ
كـلـ نـفـسـ مـنـ الـرـاحـةـ وـالـلـذـةـ وـالـسـرـورـ وـالـفـرـحـ بـعـدـ مـفـارـقـتـهـ لـلـجـسـدـ ، فـانـ قـيلـ

(١) الصفراء أجزاء لطيفة تحركت من طبيخ الطبيعة للكيموس والسوداء هي أجزاء غليظة
محترقة احترقت من طبيخ الطبيعة للكيموس والدم أجزاء معتدلة بين الحرارة والبرودة والرطوبة
والبيوضة والناظفة والطاعنة والبلغم أجزاء غليظة قحة لم تتضاعف من طبيخ الطبيعة للكيموس .
(م - ٢٤)

ما العقاب يقال هو ما ينالها من الخوف والحزن والألام بعد المفارقة للأجسام وكل نفس بحسب ما اكتسبت تناول من الخير إن كان خيراً أو من الشر إن كان شرًّا فان قيل ما المعروف يقال هو فعل ما جرت به العادة ولم تنه عنه الشريعة والسنة ، فان قيل ما المنكر يقال فعل مالم تجربه العادة لا في السنة ولا في الشريعة فان قيل ما أجراة الاجير يقال هي جزاء لما يستحق كل عامل بما يعمله

» فصل «

الشكل هو صورة جسمانية واللون صورة روحانية وهو جمعاً موجودان في الاشياء كلها اذا تأملها المتأمل فيكونان في جنس المثار يعني في شكل المثرة موجود لنضجها واستحالة الرطوبة اللطيفة الرقيقة الى ما قد بدت لها إما من ذوات الرطوبة السائلة وذوات الرطوبة المكثرة فتقديم السائلة لانحفاظ كالآلة تقوم مقام حباء الشجر لحفظ رطوبتها وتمنع أن يلتحقها الفساد والذوات الدهانية في ترتيبها أن نفس المثرة تقبلها وتحفظها لثلا يلتحقها الفساد ، و « ذلك تقدير العزيز العليم » ليطبع الحرارة الغريزية الكائنة في جميع المثار وبلاعما لها فهي تصير من لا هيئة غير نافعة الى هيئة نافعة ، لأن غرض انتظامية انصاص كل شيء تطبعه بالحرارة الغريزية لرطوبات الاهيولى على ما هي مرتبة ترتيب الاله للمنافقين من أجلها صار كذلك

فإذا لم تقدر على ذلك لعرض يعرض لذلك إما ما تكون الرطوبات غالبة على الشيء فتتولد فيه العفونة فيكون دليلاً لفساد ، وإما لكون الرطوبات في الشيء ناقصة فيصير ما يتولد فيه اليموسة والاخشن فيكون من ذلك الفساد وبدور النبات عند ظهورها وبدور الورع والشجر كلها حارة رطبة لأن الحرارة في ذلك أكثر من الرطوبة والرطوبة التي فيها مانعة للحرارة ، فلذلك يحدث الطراوة في بدئها .

ألا ترى الى فعل الاتقحة التي تجمد اللبن الحليب بفضل حرارته واتباع اللبن

لها القبول منها لأن في الحرارة قوى جاذبة تجذب الرطوبات إليها لينتفذى بها
وتعيش مادامت المادة من ذلك باقية

فإذا ازدادت البرودة والرطوبة عليها اختفت الحرارة في باطن الأجسام
فأحرقتها لأن الحرارة هي الفاعلة والرطوبة هي الطيولي القابله للصورة ،
والحرارة أيضاً بتمدد الحركة إلى فوق تكون في مخرجها نحو العين والقدم والى
فوق من ناحية القلب لأن القلب أفضل أجزاء البدن وليس بأفضل من البدن ،
وعروق الشجرة أفضل أجزائها وليس أفضل منها ، فالصغرى بكثيرها تقاوم الكبار
لقلتها ومن أجل أن الحركة الأولى واحد صار كل كائن فعله في مثله مماثلاً لل الأول
الواحد ، وكل مبديه واحد أول ما ينبعث من القلب في بدن الحيوان فإنه يبدو
منه عرقان اثنان واحد لا على البدن والآخر لاسفله

ومن بدن النبات يبدو عرقان أحدهما ينزل إلى أسفل ويتناول المادة من
الارض والماء بحسب ما يكون سبب حياته ، والآخر يرتفع إلى فوق ليتفذى به
فتكون منه تربية البدن والورق والثمر

﴿فصل﴾

ثم أعلم أن العدد هو أحد الرياضيات الحكيمه ، وذلك أن الوحدة الموجدة
في الواحد الموهوم هي أصل العدد ومنتجه وهو لاجزء له والعدد هو كثرة
الآحاد المجتمعه وهو صورة تطبع في نفس العاد من تكرار الوحدة
والمعدودات هي الأشياء التي تعدد ، والحساب هو جمع العدد وتفريقه ،
والمحسوبات هي الأشياء التي عرفت مقاديرها

فالعدد منه أزواج ومنه أفراد ، والزوج هو كل عدد له نصف صحيح ،
والفرد هو كل عدد يزيد على الزوج بواحد . والعدد منه صحيح ومنه كسور
فالعدد الصحيح هو كلاماً يشار إليه باحدى عشرة لفظة أصلية وهي اثنان ثلاثة
أربعة خمسة ستة سبعة ثانية تسعة عشرة مائة ألف ، وما ترک منها وهي هذه :

عشرون ثلاثة أربعمون خمسون ستون سبعون ثمانون تسعون مائة مائتان ثلاثة
أربعين مائة سبعين مائة تسعة ألف لفاف ثلاثة آلاف أربعة آلاف
خمسة آلاف ستة آلاف سبعة آلاف ثمانية آلاف تسعه ألف

وعلى ذلك تكرار المفظ بالغا ما بلغ ، والعدد الكسور هو كما يشار اليه
اليه بتسعة الفاظ مشتقة من نفسه وهي هذه : النصف والثلث والربع والخمس
والسدس والسبعين والثمن والتسع والعشر ، أو ما ترکب منها مثل : نصف وثلث
وربع ربع وخمس خمس وسبع سبع وما شاكلها من الالفاظ المركبة من هذه
التسعه . والعدد الذي مبدؤه من واحد في جميع أموره ومنتهى الى أربعة وهذه
صورة ذلك ١ ٣ ٢ ٤ وهذه الاربعة ثبات أصله وما يتولد منه في كيفية فرعه
ثم الباقى مرکب منها كما بينا فى رسالة الارتعاشي ، وللعدد مراتب أربيم : مراتب
آحاد ومراتب عشرات ومراتب مئات ومراتب الآلاف ، وله أيضاً نظام وترتيب
ذو فنون تجدها عند التصرف فيها .

فتها نظم طبيعى مثل ١ ٣ ٢ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠

ومنها نظم الازواج على الولاء مثل هذه ٢ ٤ ٦ ٨ ١٠ ١٢ ١٤ ١٦ ١٨ ٢٠

ومنها نظم الافراد على الولاء مثل هذه ١ ٣ ٥ ٧ ٩ ١١

ومنها نظم ذوج الفرد مثل هذه ٦ ١٥ ١٥ ١٤ ١٨ ٢٠

ومنها نظم ذوج الزوج والفرد مثل هذه ١٢ ١٤ ٢٥ ٢٨

ومنها نظم زوج الزوج مثل هذه ٤ ٤ ٨ ١٦ ٣٢

ومنها نظم الافراد الاول مثل هذه ٣ ٣ ٥ ٧ ٩ ٩

ومنها الجذورات مثل هذه ٤ ٩ ١٦ ٢٥ ٢٥

ومنها نظم المكعبات مثل هذه ٦ ٦ ٢ ٢ ٤ ٦

ومنها نظم المربعات غير الجذورات مثل هذه ٦ ١٥ ١٤ ١٨ ٢٥ ٢٥ ٦ ٢٢

ولكل نوع من هذه الكيفية نشوء وكيفية أنواع ، ولذلك الانواع خواص
قد ذكرنا طرفا منها في رسالة العدد . والنسبة هي قدر أحد العدددين عند الآخر ،
والنسبة المتصلة هي التي تكون قدر الاول الى الثاني كقدر الثاني الى الثالث ،

والمتعلقة هي التي تكون قدر الأول إلى الثاني كقدر الثالث إلى الرابع ، والضرب هو تضييف أحد العدددين بقدر ما في الأول من الآحاد ، والقسمة عكس الضرب ، والجذر هو العدد المضروب في نفسه والمحذور هو المجتمع من ذلك ، والمسكعب هو المجتمع من ضرب المحذور في الجذر .

ثم أعلم أن الهندسة أصل الرياضيات الحكيمية وعلم الهندسة هو معرفة الأبعاد والمقادير : فالأبعاد ثلاثة أنواع الطول والعرض والعمق ، والمقادير ثلاثة أنواع خطوط وسطح وأجسام ، فالخط هو مقدار ذو بعد واحد ، والسطح هو مقدار ذو بعدين ، والجسم ذو ثلاثة أبعاد ، والخطوط ثلاثة أنواع : مستقيم ومقوس ومنحني وهو المركب منهما ، والسطح ثلاثة أنواع : البسيط والم-cur والمقوب ، والأجسام كثيرة الأنواع فنها من كثرة السطوح ومنها من جهة كثرة الأشكال ومنها من جهة الجميع .

فأما التي اختلفها من جهة كثرة السطوح فنذكر منها ثانية أنواع : أولها الكرة وهي جسم يحيط به سطح واحد ، ونصف الكرة يحيط به سطحان ، وربع الكرة يحيط به ثلاثة سطوح ، والشكل الناري يحيط به أربعة سطوح ، والشكل الأرضي وهو المكعب يحيط به ستة سطوح ، والشكل الهوائي يحيط به ثانية سطوح ، والشكل المائي يحيط به عشرون سطحًا ، والشكل الفلكي يحيط به اثنتا عشر سطحًا .

والسطح كثيرة الأنواع : ثارة من جهة الأضلاع ، وتارة من جهة الزوايا وتارة من الجهة . ولكن يجمعها كائناً أربعة أنواع : المثلث والمربع والمدور والكثير الزوايا ، فالسطح المثلث ما يحيط به ثلاثة خطوط وله ثلاثة زوايا والسطح المربع ما يحيط به أربعة خطوط وأربعة زوايا ، والدائرة سطح يحيط به خط واحد في داخله نقطة كل الخطوط المستقيمة الخارجة منها إليه متاوية من المركز إلى المحيط مساو بعضها لبعض والشكل الكثير الزوايا مثل المخمس والمسدس والمسبعم وما زاد بالفأ ما بلغ ، والزوايا ثلاثة : قائمة وحادة ومنفرجة ، فالزاوية

القائمة هي التي يحيط بها مثلاها ، والحادية أصغر من القائمة ، والمنفرجة أكبر من القائمة .

❀ فصل ❀

النبات هو كل جسم يتغذى وينمو والحيوان كل جسم متتحرك حساس ، والانسان حي ناطق مائة ، وهو جملة مركبة من نفس ناطقة وبدن مائة ، والجسم جوهر لطيف طويل عريض عميق ، والصوت قرع يحدث في الهواء من تصادم الاجسام ، والللغة كل صوت له هجاء ، والكلام كل لفظ يدل على معنى . وان قيل ما الصدق ؟ فيقال ايجاب صفة المؤموف هي له اوساب صفة عن موصوف ليست له ، والكذب ؟ فهو عكس ذلك . ويقال أيضاً الصدق والكذب في الاقوال ، والصواب والخطأ في الفحائر ، والخير والشر في الاعمال والحق والباطل في الاحكام ، والضر والنفع في الاشياء المحسوسة .

والدنياهي مدة بقاء النفس مع الجسد الى وقت افترائها الذي يسمى الموت ، والموت هو ترك النفس استعمال البدن والاخرة هي نشوء ثان بعد الموت .

ويقال أيضاً الموت هو بقاء النفس بعد مفارقة الجسد وخلوها في عالمها والجنة هي عالم الانوار وجهنم هي عالم الاجسام ، والجنة أيضاً هي المرتبة العليا وجهنم أيضاً هي المرتبة السفلية .

جنة نفس النباتية صورة الحيوانية ، وجنة نفس الحيوانية صورة الانسانية وجنة نفس صورة الانسانية صورة الملائكة ولصورة الملائكة مقامات ودرجات عند الله تعالى وبذلك يكون بعضهم أشرف من بعض كالمقربين منهم وغير المقربين والبعث هو انتباه النفوس من نوم الغفلة ورقدة الجهالة ، والنوم هو اشتغال النفس عن الجسد بغيره مع شمول عنايتها به ، والقيامة قيام النفس من قبرها وهو الجسد الكائن الذي كانت فيه فز هدت وأبعدت عنه .

والحشر هو جم النفوس الجزئية نحو النفس الكلية واتحاد بعضها بعض إذ الجزء أحد أجزاء الكل ، والكل مجمع الاجزاء المنفصلة منه

وقولنا الانجاد ام تراج الجواهر الروحانية كام تراج صوت الزر والبم ، والحساب موافقة النفس الكلية النفوس الجزئية بما عملت عند كونها معم الاجساد والصراط هو الطريق المستقيم القاصد الى الله تعالى

﴿فصل﴾

الالوان المفردة هي البياض والسود والحررة والصفرة والخضراء والزرقة والكدرة ، والاشياء البيضاء إنما تراها بقضاء اسباب ثلاثة أحدها ان النور محبوس فيها لغلبة الرطوبة والرطوبة لونها كالبن ، والثاني لأن النور مولج فيها لكتلة التخلخل كالملح ، والثالث لأن النور محبوس فيها بجهود رطوبتها كالفضة على أن النور من وراء الاجسام المشففة يرى أبيض ، فان عرض لها عارض يرى اصفر ، والاشياء الصفراء ترى صفراء لا اسباب تمنع النور أن يرى صافياً كالنار يراها صفراء لأن حرارتها تسد مسام البصر فلا تقدر قوة الباصرة إدارتها على التمام .

ومنها ما يرى أصفر لأن الحرارة تسد مسامها كالأشياء البيضاء إذا طبخت أصفرت

فأماماً علة رؤية الاشياء حمر فلشين : أحدهما اسباب المعنفات ، والاخر اسباب المذوبات ، فالمعنفات لكتلة الرطوبة ، والمذوبات لكتلة الحرارة كالشمس تراها حمراء عند كثرة البخارات الصاعدة اليها من جملة المياه والرطوبات وعند النضج والازهار والثار تؤدي من شدة الحرارة المذوبة .

فقد تبين بهذا ان البصر إذا رأى النور من وراء الاجسام المشففة وغلبها أحد اسباب الثلاثة رأها حمراء .

وأما الخضراء فهي من أجل غلبة الرطوبة الارضية على النور ومنع البصر اياها أو منع النور أن يصير الى البصر صرفاً وأما السود فهو منع الرطوبة الارضية وصول النور الى البصر ومنع البصر الوصول الى النور ، لأن السود يحتمم البصر والبياض يفرقه .

وكل الالوان الباقية متوسطة بين هذين الطرفين وفعلها في البصر بحسب
غلبة أحد هذين عليها .

والطعوم تسعه أنواع : وهي العفوصة والقبوضة والمحوضة والخلاوة والملاحة
والمرارة والحرافة والعذوبة والدسمة . والخلاوة تجعل الانسان أماس والمرارة
تجعل أجزاءه متفرقة خشنة والحريف يزيد في ذلك والمالح يفرق ويجفف والعفوصة
تجهم وتقبض والمحوضة تفرق وتقبض .

نم اعلم أيها الاخ بانك قاصد الى ربك منذ خلقت نطفة في الرحم وربطت
بها نفسك تنقل كل يوم من حالة هي ادنى إلى حالة اتم وأكمل وأشرف ، ومن
مرتبة هي أقصى الى مرتبة أخرى هي أعلى وأشرف والى منزلة هي أرفع الى
أن تلقى ربك وتشاهده ويوفيك حسابك وتبقى عنده نفسك ملتذة فرحانة
مسرورة مخلدة أبد الابدين ودهر الراهن مع النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين وحسن أولئك رفيقا . وفقك الله وإيانا وجميع إخواننا إلى السداد
وهذاك وإيانا وجميع إخواننا سبيل الرشاد إنه رؤوف بالعباد .

تم القسم الثالث في العلوم النفسانيات العقليات من كتاب اخوان الصفاء
وخلان الوفاء ويتلوه القسم الرابع في الناموسيات الاهيات أوله رسالة في الآراء
والديانات .



الرسالة الاولى في الاراء والديانات

في العلوم الناموسية الاهمية والشرعية

﴿ وهي الرسالة الثانية والاربعون من رسائل اخوان الصفا ﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . آللله خير أاما يشركون

اعلم ايها الاخ أنا قد فرغنا من رسالة الحدود والرسوم التي هي آخر رسائل
النفسانيات العقليات حسب ما وعدنا في فهرست صدر كتابنا هذا فنريد الان
أن نذكر في هذا القسم الرابع الكلام في الاطهيات وهو الغرض الاقصى والغاية
القصوى فنبداً أولاً بالرسالة الاولى منها في الاراء والديانات فنقول :
اعلم أن الناس مختلفون في آرائهم ومذاهبهم كما هم مختلفون في صور أبدانهم
وأخلاق تقوسهم وأعما لهم وصنائعهم

واعلم أن سبب اختلاف أخلاقهم هو من أربع جهات : احدها من جهة
اختلاف تركيب أبدانهم ومزاج أخلاقها ، والأخرى من جهة اختلف ترب
بلاطم وتغيرات أهويتها والازمان التي تنشأ فيها ، والأخرى من جهة نشوئهم
على عادات آبائهم في سن دياناتهم وعلى عادات من يربوهم ويؤدبهم ، والأخرى
من جهة أشكال الفلك ومواضع الكواكب في أصول مواليدهم ومساقط نطفتهم
وقد بينا طرفاً من هذا العلم في رسالة الاخلاق ، وزرید أن نذكر في هذه الرسالة

طرفاً من فنون اختلافات العلماء الذين هم أصلوا الآراء والمذاهب وفرعوا منها أنواع المقالات والأحكام ، وكم هي تلك الآراء والمذاهب ، وما هي تلك الأسباب التي أدت بالعلماء إلى الاختلاف ، وكم هي . ولكن قبل ذلك نحتاج أن نذكر أجناس الأشياء التي اختلفوا فيها : كم هي وما هي فنقول :

إن الأشياء المختلفة فيها ثلاثة أنواع : أولها في الترتيب هي الأمور المحسوسة وبعدها الأمور المعقولة ، وبعدها الأمور الاطهية المبرهنة

أما الأمور المحسوسة فهي صور في الهيولي تدركها الحواس المباشرة لها وتنفعل عنها كما يبينا في رسالة الحواس والمحسوس

وأما الأمور المعقولة فهي رسوم تلك المحسوسات التي أدركها الحواس إلى القوة المتخيلة إذا بقامت مصورة في الأوهام بعد غيبة المحسوسات عن مباشرة الحواس لها كما يبين ذلك في رسالة العقل والمعقولات

وأما الأمور الاطهية المبرهنة فهي أشياء لا تدركها الحواس ولا تتصورها الأوهام ولكن الدليل والبراهين الصادقة باعثة للعقل إلى الإقرار بها والقبول لها — كما نبين ذلك في كتب الهندسة وبيان المنطقية جيئماً

مثال ذلك أنه قد قام البرهان في كتاب إقليدس على أن كل مقدار ذي نهاية أي مقدار كان جــما كان أو سطحــاً أو خطــاً فإنه يمكن أن يوجد منه ظل دائعاً أبداً لا ينفي ، وهذه الحكمة مما لا تدركها الحواس ولا تتصورها الأوهام البته وأمثال هذه الحكمة كثيرة في هذه الكتب وفي غيرها من كتب الهندسة ، وهكذا أيضاً قد قام البرهان بطريق المنطق الحكــى الفلسفــى على أن خارج العالم لــلاء ولا مــلاء ، وهذه الحكمة أيضاً مما لا تدركها الحواس ولا تتصورها الأوهام ، وأمثال هذه الأشياء كثيرة معروفة عند العلماء وخاصة إقرار الموحدين لله والعارفين به بأن الله تعالى حــى قادر عــالم حــكيم خــالق لا يوصف بالقيام ولا بالقعود ولا الدخول ولا الخروج ولا الحركة ولا السكون ، وما شــا كل ذلك من الأوصاف مما يوصف بها النفس والعقل الفعال والصور الجردة من الهيولي وما

شاكلها من الجوادر البسيطة المسمى الملائكة والروحانيين . وذلك لأن الحواس لا تدركها ولا تتصورها الا وهم بوجه من الوجوه ولا سبب من الاسباب فأما أوصاف الجاهلين بالله فهى أنهم يصفون الله تعالى بصفات المخلوقين بعد أن نزع الله تعالى نفسه عن ذلك بقوله «سبحان الله عما يصفون الا عبد الله الخالصين » . فقد تبين اذن ما ذكرنا أن الامور المبرهنة التي لا تدركها الحواس ولا تصورها الا وهموا لكن البرهان الضروري واللحجة القاطعة يضطر ان العقول الى الاقرار بها مقررة

ثم اعلم أن البراهين هي ميزان العقول كأن الكيل والذرع والشاهين موازين الحواس ، وكأن الناس اذا اختلفوا في حزر شيء وتخمينه من الاشياء المحسوسة رجعوا الى حكم الكيل والذرع ورضوا بها وارتفع الخلاف من بينهم ، فهكذا العقلاة الذين يعرفون البراهين الضرورية اذا اختلفوا في حكم شيء من الاشياء التي لا تدرك بالحواس ولا تصور بالاوهم رجعوا عند ذلك الى دليل وبرهان وما ينتهي من المقدمات الضرورية وأفروا بها وقبلوها وان كانت لا تدركها الحواس ولا تصورها الا وهم لا يرون الاقرار بالحق أولى من التحادي في الباطل ، وقد تبين مما ذكرنا أن الامور المختلفة فيها ثلاثة أجناس حسب ، التي هي المحسوسة أو المعقولة أو المبرهنة . ونريد أن نذكر الان كمية اسباب اختلاف الناس في ادراكهم من كم وجه يكون

﴿فصل﴾

في بيان اختلاف كمية ادراك المعلومات

فنقول : اعلم أن اسباب اختلاف الناس في ادراك هذه الامور الثلاثة التي تعلم وتعرف من ثلاثة جهات : احدها دقة المعانى ولطافتها وخفتها ، والثانية فنون الطرق المؤدية اليها اسباب المعينة على ادراكها ، والثالثة تفاوت قوى تقوسهم الدراكه لها في الجودة والرداة وهي الاصل والسبب في اختلافهم في

الآراء والمذاهب وسائرها فروع عليها وتحتاج أن نشرح هذا الباب فنقول : لما كان الإنسان أناهـو جلة مجموعـة من جسد جسـاني ونفس روحـانية صـار يـقوى نفسه الروـحـانية بـدرـك المـعـقولـات كـما أنـ بأـعـضـاء جـسـدـه الجـسـانـي يـعـمل الصـنـائـع لـأنـ كـلـيـة العـلـوم مـوضـوعـة باـزـاء قـوى تـقوـس جـمـيع النـاس ، كـما أنـ كـلـيـة الصـنـاعـات البـشـرـية مـوضـوعـة باـزـاء قـوى أجـسـاد جـمـيع النـاس وـذـلـك لـأـنـ لاـيـتـهـيـا لـأـنسـان واحد بـقـوـته الجـزـئـية الـاستـنبـاط بـجـمـيع العـلـوم وـالـاحـتمـال لـسـائر الصـنـائـع ، وـذـلـك أنـ لـنـفـسـه قـوى كـثـيرـة وـلـه بـكـلـ قـوـة مـنـهـا أـفـعـال عـجـيـبة كـما أنـ جـسـدـه مـفـاـصـلـ كـثـيرـة وـأـعـضـاء طـرـيفـة ، وـلـه بـكـلـ عـضـو مـنـ جـسـدـه حـرـكـات مـخـتـلـفة — كـما بـيـنـا طـرـفـا مـنـ هـذـه الـفـنـ في رسـالـة تـركـيبـ الجـسـد

ولـكـنـ زـيـدـ أنـ نـذـكـرـ هـنـا غـائـيـةـ أـنـوـاعـ مـنـهـا : وـهـيـ القـوـةـ الدـرـاكـةـ لـلـمـعـلـومـاتـ وـنـبـداـ أـولاـ بـذـكـرـ القـوـيـ الحـسـاسـةـ اـذـ كـانـتـ هيـ أـولـ قـوىـ النـفـسـ الـتـىـ يـنـالـ بـهـاـ الـأـنسـانـ العـلـومـ وـالـمـعـارـفـ ، ثـمـ نـذـكـرـ القـوـةـ الـمـتـخـيـلـةـ الـتـىـ مـسـكـنـهـاـ مـقـدـمـ الدـمـاغـ ، ثـمـ القـوـةـ الـمـفـكـرـةـ الـتـىـ مـسـكـنـهـاـ وـسـطـ الدـمـاغـ ، ثـمـ القـوـةـ الـخـافـظـةـ الـتـىـ مـسـكـنـهـاـ مـؤـخرـ الدـمـاغـ

ثـمـ اـعـلـمـ أـنـ النـاسـ مـتـفـاـوتـونـ فـيـ الـدـرـجـاتـ فـيـ هـذـهـ القـوـيـ بـيـنـ الـجـوـدـةـ وـالـرـاءـةـ فـيـ إـدـرـاـ كـهـمـ الـمـعـلـومـاتـ تـفـاـوتـاـ بـعـيـدـاـ وـهـيـ أـحـدـ أـسـبـابـ اـخـتـلاـفـهـمـ فـيـ الـآـرـاءـ وـالـمـذـاهـبـ ، وـذـلـكـ أـنـ مـنـ النـاسـ مـنـ يـكـونـ حـادـ الـبـصـرـ يـوـيـ الـأـشـيـاءـ الصـغـيرـةـ الـبـعـيـدةـ ، وـمـنـهـمـ مـنـ يـكـونـ دـوـنـ ذـلـكـ ، وـمـنـهـمـ مـنـ لـاـ يـبـصـرـ شـيـئـاـ الـبـتـةـ وـهـكـذـاـ تـجـدـ حـالـهـمـ فـيـ القـوـةـ السـامـعـةـ : وـذـلـكـ أـنـ مـنـهـمـ مـنـ يـكـونـ جـيـدـ الـسـمعـ يـسـمـعـ الـأـصـوـاتـ الـخـفـيـةـ وـيـعـيـزـ بـيـنـ النـفـهـاتـ الـمـوـزـوـنـةـ وـالـمـنـزـحـفـةـ ، وـمـنـهـمـ مـنـ يـحـتـاجـ فـيـ ذـلـكـ إـلـىـ مـفـاعـيلـ الـعـرـوضـ ، وـمـنـهـمـ مـنـ لـاـ يـحـسـ بـشـيـءـ مـنـ ذـلـكـ

وـعـلـىـ هـذـاـ الـقـيـاسـ يـكـونـ حـكـمـهـ فـيـ سـائـرـ قـوـيـ حـوـاسـهـمـ مـنـ الذـوقـ وـالـهـسـ وـالـشـمـ وـهـكـذـاـ حـكـمـهـ فـيـ ذـكـاءـ نـفـوسـهـمـ وـجـوـدـةـ قـرـائـبـهـمـ وـصـفـاءـ أـذـهـانـهـمـ وـذـلـكـ أـنـكـ تـجـدـ كـثـيرـاـ مـنـ النـاسـ مـنـ يـكـونـ جـيـدـ التـخـيـلـ دـقـيقـ التـبـيـزـ سـرـيـعـ التـصـورـ ذـكـورـاـ

خنوظاً ، ومنهم من يكون بليداً بطيءاً ، الذهن أعمى القلب ساهي النفس ، فهذا أيضاً أحد أسباب اختلاف العلماء في الآراء والمذاهب لأنَّه إذا اختلفت إدراكاتهم اختلفت آراؤهم واعتقاداتهم بحسب ذلك

﴿فصل﴾

في بيان علة اختلاف إدراك القوى العلامة

فنقول أعلم أن هذه التفاوتات التي ذكرنا من هذه القوى الداركة العلامة ليست هي من أجل أنها مختلفة في ذواتها بين الجودة والرداة ولكن من أجل اختلاف أحواها في إدراها كها صور المعلومات ، وأن علة اختلاف أفعالها هو من أجل اختلاف أدواتها واختلاف آلاتها في الجودة والرداة ، وذلك أنه لما كان كل عضو من الجسد هو آلية وأداة لقوة من قوي النفس وكانت أعضاء الجسد مختلفة الهيئات المتفاوتة في الجودة والرداة في بعض الناس أو في بعض الأحيان اختلفت أفعال هذه القوى بحسب تلك الاختلافات . مثال ذلك الحدقتان فالمما عضوان من الجسد وها أداتان للقوة الباصرة ، فإذا كانتا سليمتين من الآفات العارضة صححتين صافيتين مجليتين ترأفت فيما صور المرئيات المقابلات لها كما يتراءى في المرايا صور الأشياء المقابلة لها ، فأدركت هذه القوة تلك المبصرات على حقائقها . فاما إذا كانتا على غير ما ذكرنا لعارض من الآفات — عافت القوة الباصرة عن إدراها كها محسوماتها . وهكذا أيضاً القوة السامعة وذلك أنه مني كانت أدواتها التي هي صاحباً للأذين مفتوحة تقييمين من الأوساخ سليمتين من الآفات العارضة طلت فيها الأصوات بهما فادركتها القوة السامعة بحقائقها وإذا كانت على غير ما ذكرنا لعارض من الآفات عافت عن إدراها كها المجموعات . وهكذا أيضاً القوة الشامنة متى كانت خياشيم المخربين مفتوحة نقية من البخارات الغليظة سليمة من الآفات العارضة أدركت القوة الشامنة الروائح وميزت بينها وعرفتها أو متى عرض هناك بخار أو زكام أو آفة عوقت عن إدراها كها وتعيذ بها

وهكذا أيضاً القوة الذائنة متى كانت الرطوبة المستبطنة التي في جرم اللسان معتدلة سليمة من الآفات العارضة أدركت طعوم الأشياء المذوقة بحقائقها وعرفت التمييز بينها ، ومنى غلب على تلك الرطوبة خلط أو مزاج خارج عن الاعتدال عوقت عن إدرا كها الطعوم والتمييز على حقائقها . وهكذا أيضاً القوة اللامسة فانه متى عرضت آفة للاعصاب المنتسبة بين خلل اللحم والجلد عوقت عن ادرا كها المحسوسات . وهكذا أيضاً حالات القوة المتخلية فانه متى كان مقدم الدماغ معتدلا سالماً من الآفات تخيلات فيه رسوم المحسوسات التي أدتها إليها القوة الحساسة بحقائقها وقبلتها بهياً بها وهي عرضت آفة كما يعرض في الأمراض الحادثة المفرطة — كما ذكر في كتب الطب — عوقتها عن فعلها وتخيلها رسوم المحسوسات كما يعرض للمرسمين ^(١) وصاحب الماليخوليا . وهكذا أيضاً حكم القوة المفكرة المستبطنة وسط الدماغ متى كان معتدلاً على الاسر الطبيعي سالماً من الآفات العارضة ، كان فكر الانسان ورؤيته وتمييزه وفهمه على ما ينبغي ، ومنى عرضت هناك آفة لعارض من الاعراض أو خروج عن الاعتدال عوقت النفس عن أشراف أحواها وأفعالها التي هي الفكر والتمييز والرواية والتجهيز وما شاكلها لأن هذا العضو من أشرف الاعضاء بعد القلب . وهكذا أيضاً حكم القوة الحافظة المستبطنة مؤخر الدماغ في التذكرة والنسيان . وإنما ذكرنا في هذا الفصل هذه الأشياء لأن من هذه القوى تكون معارف الحيوان كلها ، ومن تعاون أدوات هذه القوى بالمعاونات الذائنة تزيد في قواها ، ومن تعاونها يكون اختلاف معارفها في الجودة والذكاء أكثر وأقل وهي الاصل في جميع العلوم والمعارف ، ومن تفاوت أفعال هذه القوى يكون أكثر اختلاف الناس في معلوماتهم ومنازعات العلماء في آرائهم ومذاهبهم . وحصلة أخرى أيضاً أن كثيراً من العلماء من ينظر في علوم النفس ويتكلم في أحواها يظن أن لها قوى وأفعالاً وأخلاقاً مختلفة تفعل بها اختلافات مختلفة ولا يدركون اختلاف أحواها وأخلاقها امامها

(١) يقال : برسمه أحدث فيه الرسام وهو التهاب في الحجاب الذي بين السكري والقلب والمربيض بهذا مرسم

من جهة اختلاف أدواتها في الهيئة والجودة والرداة التي كل واحد منها عضو من الجسد — كما بینا ذكرها — وحصلة أخرى أن كثیراً من العلماء الطبيعیین والمنطقیین لما اعتبروا هذا الرأی الذي ذکرنا من أن النفس انما هي مزاج البدن لما رأوا من تغیر أفعال الحیوان وأخلاقها عند تغیر مزاج الاعضاء واختلاف هیئتها ، وخاصة تغیر أفعال الانسان وأخلاقه عند الامراض وعند تغیر مزاج هذه الاعضاء واحداً واحداً .

فاما الاطیون فيرون خلاف ذلك وقد ذکرنا أقاویلهم في خلال رسائلنا الاحدی والخمیني وذکرنا البراهین علیها في الرسالة الجامعة فهذا الذي ذکرنا في هذا الباب هو أحد اسباب اختلاف الناس في معارفهم ومعلوماتهم المؤدية بهم الى اختلاف الاراء والمذاهب .

واما السبب الثاني الذي هو من جهة دقة المعنی ولطافتها وجلائها وظهورها فهو مثل التفاوت الذي بين الامور الجسمانية الظاهرة المدركة بالحواس وبين الامور الروحانية الخفیة عن ادراك الحواس التي لا تعلم الا بدلائل العقول ونتائج البراهین — كما تقدم ذکرها . وهذا الباب هو أكثر اسباب اختلاف العلماء في آرائهم ومذاهبهم .

واما الوجه الثالث من اسباب المؤدية للناس الى اختلافهم في معلوماتهم فهو استعمالهم القياسات المختلفة وطرق استدلالاتهم المتفاوتة ، وهذا الباب هو أكثرها تقرعاً وتشعباً وهو كتاب منبه وعلیه يجازون من الذم والمدح والثواب والعقاب .

واما الوجهان الا ولان فليس باختيار منهم ولا اكتساب لهم فيه

﴿فصل﴾

في بيان حکمة القوى العلامة

وإذ قد تبین ما ذکرنا أسباب اختلاف الناس في مدرکاتهم من الامور المختلفة فيها من کم وجہ يكون وكان أحد الوجوه تفاوت القوى الداركة العلامة

التي هي أربعة أنواع الحسارة والتخيلة والمفكرة والحافظة. وقد قدم شرح تفاوتها في الجودة والرداة قبل هذا فنريد أن نذكر في هذا الفصل الأسباب المعينة لها على ادراً كها مدركاتها والمعونة لها عن ذلك ونبأً أولًا ذكر القوى الحسارة ثم ذكر القوى التخيلية ثم المفكرة ثم الحافظة.

فأما بيان ما تحتاج كل حسارة من الشرائط في ادراً كها محسوساتها حسبانين هنا هنا فنقول أن كل حسارة من الحواس الحس تحتاج في ادراً كها محسوساتها إلى شرائط معدودة لازايدة ولا ناقصة فـى عدم واحدة من تلك الشرائط أو بعض أو زاد أو نقص على المقدار الذي ينبغي عوقها عن ادراك محسوساتها على حقائقها .

مثال ذلك القوة البصرية فإنها تحتاج في ادراً كها المبصرات إلى ضوء ما وـى بعد ما وـى مخاذـات ما وإلى وضع ما فـى عدم شيء منها عاقـها ذلك عن ادراك المبصرات بحقائقها ، وذلك انه لا يمكنها ادراك الضياء المفرط والنور الباهر كما لا يمكنها ادراك المبصرات في الظلمة الظلام ، وذلك ان الانسان لا يمكنه النظر الى عين الشمس نصف النهار في يوم صائف ، كما لا يمكنه رؤية الاشياء الصغار في الظلمة الظلام ولارؤيتها في بعد البعد ، ولافق القرب الاقرب اذا وضعت يده مثلـا قرب الجفن ، ولارؤيتها من غير مخاذـات ولارؤية الاشياء المتحركة الشديدة الحركة كالنبل المار متى رمى عن قوس شديدة وعلى هذا التـيـاس حكم سائر الحواس فإنـها تحتاج في ادراً كها محسوساتها إلى شرائط معدودة ، فـى عدم واحدة منها أو نقصـت عن المقدار أو زادـت عليه عـوقـها عن ادراك محسوساتها

﴿فصل﴾

في بيان ما لكل حـاسـة من المحسـوسـات بالذـاتـ
فاعـلمـ انـ لـكـلـ حـاسـةـ مـحـسـوسـاتـ مـخـتـصـةـ هـاـ بـالـذـاتـ وـمـحـسـوسـاتـ بـالـعـرـضـ
وـهـيـ لـأـتـخـطـيـءـ فـيـ الـمـدـرـكـاتـ الـتـيـ هـيـ هـاـ بـالـذـاتـ وـلـكـنـ فـيـ الـتـيـ هـاـ بـالـعـرـضـ.

مثال ذلك البصر فان المبصرات لها بالذات هي الانوار والضياء والظلم .

وأما الالوان فان ذلك لها بتوسط النور والضياء .

وأما سائر الاجسام وسطوح أشكالها وأوضاعها وأبعادها وحركاتها فهو بتوسط اللون : وذلك أن كل جسم للون له لا يرى ولا يدرك البصر

ثم اعلم أن البصر هو أشرف الحواس وأشدتها تحقيقاً لمدركاته كما يقال :

ليس الخبر كالمعاينة، وبين الحق والباطل اربع اصابع يعني بين العين والأذن ولكن مع شرفه وتحقيقه لمدركاته عظيم الخطأ كثير الزلل وذلك ان الانسان ربما يرى الشيء الصغير كبيراً أو الكبير صغيراً أو القريب بعيداً أو البعيد قريباً كما يرى الدرهم في قعر بركة صافي الماء قريباً كبيراً

وهكذا يرى في ماوراء البخار الرطب يرى الشيء أعظم مما هو ، فبكذا يرى ربما يرى الانسان الشيء المتحرك ساكناً والساكن متحركاً ، كما يرى من يكون في الزورق اذا نظر الى الشطوط فإنه يرى الاشخاص الساكنة متحركاً ويرى نفسه ومن معه ساكنة

وهكذا ربما يرى الشيء المستقيم معموجاً والمنتصب منقوساً كما يرى العود المنتصب في الماء ، وربما يرى الشيء المرتفع منخفضاً والمنخفض مرتفعاً كما يرى سقف الرواق وأرضه في بعد متقاربين وماشا كل هذه الفنون — كذا كر عملها في كتاب المناظر بشرح طويل وادا كان الخطأ والزلل الذي يدخل على الانسان العاقل المميز من جهة مدركات البصر الذي هو أشرف الحواس وأجل القوى الداركة — هذا القدر فما ظنك يا أخي عادونها من سائر الحواس والقوى الداركة على هذا المثال

﴿ فصل »

في بيان الحواس التي لا تخطيء في ادراكها المدركات التي هي لها بالذات
فنقول اعلم ان لكل حاسة مدركات بالذات ومدركات بالعرض وهي لا تخطيء
(٢٥ - م)

في مدركتها التي لها بالذات ، وإنما يدخل عليها الخطأ والزلل في المدركات التي لها بالعرض

مثال ذلك البصر فان الذى له من المدركات بالذات هي الانوار والظلامة وهي التي لا تخطئ في ادراكها في جميع الاوقات البدنة

فاما ادراكها الالوان والاشكال والاواعض والابعاد والحركات وما شاكلها فهي تدركها بتتوسط النور والضياء على الشرائط التي ذكرناها ، وقد يدخل عليها الخطأ والزلل في ذلك اذا نقصت الشرائط التي تحتاج اليها

وعلى هذا القياس يجري حكم سائر الحواس ومحسوساتها فتعقل يا أخي في هذا الباب فان الذين دفعوا حقائق الاشياء وكيفياتها والنظر فيها وأنكروها من هذا الباب أتوا

اما القوة السادعة التي لها بالذات هي بالأصوات والنغمات حسب ، والتي للذائقه هي الطعم حسب ، والتي للشامة هي الروائح حسب ، والتي لللامسة فهي عده أشياء قد ذكرناها في رسالة الحاس والمحسوس فاعرفها من هناك

ثم اعلم أن لكل قوة من هذه الحواس الخمس خاصية ليست للأخرى ولكن الخاصية التي تعمها هي أنها لا تخطيء في مدركتها اذا نقصت شرائطها ولم يعرض لها

عائق وخاصة أخرى أنها لا يدرك كل واحد منها محسوسات أخواتها التي لها بالذات

مثال ذلك البصر فانه لا يدرك الا صوات ولا الروائح ولا الطعم ! وعندما أخواتها ولكن بما تشرك في المحسوسات اللاتي هن بطريق العرض مثل الحركة

فانها تدرك وتتعلم بالبصر واللمس بالسمع جيما

﴿فصل﴾

في بيان زيادة القوى التي في حواس الانسان

فنقول اعلم ان الله تعالى خلق في حواس الانسان زيادة قوة وجودة تميز ما لم يجعل في حواس سائر الحيوانات ، وبخاصة في القوة اللامسة فضلها عليها

وكرمه بها كما جعل في قوة يديه من الصنائع العجيبة وفي قوة لسانه من اللغات المختلفة ما لم يجعل في أيديها ولا في ألسنتها كما هو بين ظاهر جلي لا يخفى على أحد من العقلاة ، وقد يظن كثير من الناس العقلاة أن بعض الحيوانات يفهم معاني الكلام ويتمثل الامر والنهى ، ولكن لا يقدر على الكلام كمثل الفيل والفرس الجواد والجمل والفم والبقر والكلاب والسنور والقردة والبيباء وأمثالها من الحيوانات المسخرة للإنسان المستأنسة به المقادرة لخدمته

ولعمري أنها قفهم معانى بعض الكلام كالزجر والامر والنداء وما شاكلها
التي هي بعض أقسام الكلام

فاما أَنْ تَقْهِمْ مَعْنَى الْخَبْرِ وَالسُّؤَالِ وَالجَوابِ وَالاسْتِفْهَامِ فَلَا — وَقَدْ بَيَّنَا
عَلَةَ ذَلِكَ فِي رِسَالَةِ الْحَيْوَانَاتِ

ثم اعلم أنَّ الإنسان مع استماعه لِأصواتٍ وتمييزه باللغات يفهم معاني اللغات والأقوال والكلمات كما أنه عند نظره إلى الخطوط والكتاب يفهم ما يتضمنها من معانٍ الكلام والعبارات ما لا يفهم عليها غيره من الحيوانات

ثم اعلم أن من هاتين الطريقتين أكثـر معلومات الإنسان التي ينفرد بها دون
سائر الحيوانات

واعلم أنّ بني الإنسان في هاتين القوتين متفاوتون الدرجات تقاوّتاً بعيداً جداً
وذلك أنّ من الناس من لا يفهم إلا لغة واحدة ولا يعرف أيضاً من معانٍ تلك
اللغة من الأشياء واللافاظ والأقاويل إلا شيئاً قليلاً ، ومن الناس من يفهم عدّة
لغات ويحسن أن يقرأ عدّة كتابات ويفهم من كل لغة اسماء وألفاظ وأقاويل
كثيرة ويفهم معانٍ دقيقة ما لا يفهم غيره من الناس . وهذه أحد أسباب
اختلاف الناس في المعارف واختلاف العلماء في الآراء والمذاهب

فاما بيان كية معلومات الانسان حسبما نذكره هنا فنقول : إنه لما كان جميع معلومات الانسان من جهة الزمان ثلاثة أنواع خب ، فنهما ما قدر كان

مع الزمان الماضي ، ومنها ما سيكون في المستقبل ، ومنها ما هو كائن في الوقت
والزمان والحاضر

ولما كان أحد الطرق التي تعلم الإنسان الأمور الماضية مع الزمان استماع الأخبار
وكان رب مخبر كذاب ورب مستمع له مصدق . وهكذا أيضاً مخبر صدوق ورب
مستمع له مكذب

وعلى هذا القياس أيضاً حكم الأخبار عن الكائنات قبل كونها وعن الأشياء
الموجودة في الزمان الغائبة بالمكان . فهذا أيضاً أحد أسباب اختلاف الناس في
المعلومات واختلاف العماماء في الآراء والمذاهب

﴿فصل﴾

في بيان ما يختص الإنسان من المعلومات

فنقول : إن الله لما خلق الإنسان الذي هو آدم أبو البشر عليه السلام وفضله
على كثير من خلق قبله تفضيلاً جعل أحد فضائله كثرة العلوم وغرائب المعارف
وجعل له إليها عدة طرقات : فنها طرق الحواس الخمس التي بها يدرك الأمور
الحاضرة في المكان والزمان — كما يبينا في رسالة الحاس والمحنوس ، ومنها طريق
استماع الأخبار التي يفرد بها الإنسان دون سائر الحيوانات يفهم بها الأمور
الغائبة عنه بالزمان والمكان جميعاً — كما ذكر الله تعالى ومن به عليه فقال « خلق
الإنسان عالمه البيان » ومنها طريق الكتابة القراءة يفهم بها الإنسان معاني
الكلام واللغات والأقوال بالنظر فيها ومن لم يره من أبناء جنسه مع الزمان
أو من هو غائب عنه بالمكان — كما قال الله ومن به على الإنسان فقال لنبيه محمد
عليه السلام « أقرأ وربك لا يلزم الذي علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم » وبهذه
الفضيلة شارك الإنسان الملائكة الكرام كما قال الله تعالى « وان عليكم حافظين
كراماً كاتبين يعلمون ما تتعلمون »

واعلم أن فهم القراءة والكتابة ومعرفتها متأخرة عن فهم الكلام والأقوال
كأن فهم الكلام والأقوال معرفتها إنما هي متأخرة عن فهم المحسوسات —

كما هو بين ظاهر لا يخفى على العقلاء ، وذلك أن الطفل اذا خرج من الرحم فانه في الوقت وال الساعة تدرك حواسه محسوساتها فيحس بالقوة اللامسة الخشونة واللذين ، وبالقوة الباقرة النور والضياء ، وبالقوة الدائمة طعم المابن ، وبالقوة الشامة الروابع ، وبالقوة السامعة الأصوات ولكن لا يعلم معانى الكلام والاصوات إلا بعد حين : فأول شيء يحس باللمس فيتألم لأن حساسة اللمس أعم الحواس ، ثم يحس بالطعم فيميز لبن أمه من غيره ، ثم يميز بين الروائح فيعرف الشم ، ثم يميز بين الصوت الشديد الجهير ، وبين الصوت الضعيف الخفيف ، ثم يفرق بين الصور . ثم يميز على مر الاوقات بين نغمة الأم ونغمة الأب والأخوة والأخوات والاقرباء وغيره . ثم شيئاً بعد شيء على التدرج وعلى هذا المثال فهمه ومعرفته بسائر الحواس ومحسوساتها الى أن تتم سن التربية ويغادر باب الرضاع ويفتح الكلام والنطق . ثم بعد ذلك تجلى أيام الكتابة القراءة والآداب والصناعات والرياضيات وامتع الاخبار والروايات ، والفقه في الدين والنظر في العلوم والمعارف ، وطلب حقائق الموجودات ، والبحث عن الكائنات ، والاستدلال بالحاضرات على الغائبات ، والمحسوسات على المعقولات ، وبالجسمانيات على الروحانيات ، وبالرياضيات على الطبيعيات ، وبالطبيعتيات على الاهيات التي هي الغاية القصوى في العلوم والمعارف والسعادة الابدية والدوام السرمدية .
بلغك الله ويايانا الى هذه الغاية وشرح صدرك وفتح قلبك ونور فهمك وصفى نفسك وحسن أخلاقك وأصلاح شأنك وزكي أعمالك وأنم بالك وأكرمك ما أنم به على أوليائه وأنبئاته بما عالمهم من البيان والكتاب — كما قال تعالى — « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا »

﴿ فصل ﴾

في بيان القوّة المتخيّلة

فنقول انا قد ذكرنا طرفاً من أحوال القوّة الحاسة وكيفية التفاوتات التي ينبعها في ادراكها محسوساتها وما الأسباب المعينة لها على ذلك والمعرفة لها عنها

فيما تقدم فربما أن نذكر طرقاً في هذا الفصل من أحوال القوة المتخيلة التي مسكنها الدماغ إذ كانت التالية للقوى الحساسة في تناوتها رسوم المحسوسات منها . ونذكر أيضاً بعض الأسباب المعينة على أفعالها والمعونة عن ذلك . ونذكر تفاوت درجات الناس في هذه القوة إذ كان ذلك أحد أسباب اختلافهم في العلوم وال المعارف والآراء والمذاهب ، ولكن من أجل أن هذه القوة أكثر القوى الحساسة متخيلات وأعجبها أفعالاً احتجنا أن نذكر علة ذلك فنقول : إن هذه القوى خواصاً عجيبة وأفعالاً فريدة فنها تناوتها رسوم سائر المحسوسات جيئاً وتخيلها بعد غيبة المحسوسات عن مشاهدة الحواس لها ، ومنها أيضاً أنها تخيل وتتوهم ماله حقيقة وما لا حقيقة له بعد أن عرف بسائطها بالحس إذ لم من القوة ما يقدر أن يواف الصور التي أدها الحس إلى النفس في هيولاه كيف شاء لانه كان يجدها مجردة عن الهيولي التي هي ماسكة للصور ومحتفية ببعضها دون بعض ، فإذا أخذها مجردة لا إمساك لها ولا ربط ، أمكنه أن يؤلف بينها كما شاء ويركبها ويصل بعضها ببعض مالم تكن متصلة بالهيولي . مثال ذلك أن الإنسان يمكنه أن يتخيّل بهذه القوة جلا على رأس نخلة أو نخلة ثابتة على ظهر جمل أو طائر له أربع قوائم أو فرساً له جناحان أو حماراً له رأس انسان وماشا كل هذه مما يعمله المصورون والنقاشون من الصور المنسوبة إلى الجن والشياطين وعجائب البحر ماله حقيقة وما لا حقيقة له . وإنما يستوي للإنسان بهذه القوة المتخيلات والتصور لها لعلتين اثنتين : إحداهما من أجل أن هذه المتخيلات مجتمعة عندها مواد كثيرة من رسوم المحسوسات مم اختلف أجسامها وفنون أنواعها وسائر أشخاصها فهي يمكنها بهذا السبب أن ترکب منها ضروب التراكيب بما له حقيقة في الهيولي ومتى لا حقيقة له .

والعلة الأخرى من أجل شرف جوهر النفس ولطافتها وشدة روحيتها وسهولة قبولها رسوم المعلومات في ذاتها وتصورها لها ، وذلك أن كل هيولي تكون ألطف جوهر أو أشد روحاً نية فإنه يكون لقبول الصور أسرع انفعالاً وأسهل

قبولاً . مثال ذلك الماء العذب فانه لما كان ألطاف جوهراً من التراب صار لقبول الطعوم والاصياغ أسرع اتفعاً وأسهل قبولاً لنظافته وعدوبته وسيلانه . وهكذا لما كان الهواء ألطاف جوهراً من الماء وأشد سيلاناً صار قبولة للاصوات والروائح أسرع اتفعاً وأسرع قبولاً . وهكذا لما كان الضياء والنور ألطاف من الهواء صار قبولها للالوان والاشكال أسرع وأشد روحانية ، فكيف لطافة النفس وروحانيتها ولعل هذا الباب يخفي على كثير من ينظر في دقائق العلوم من المحسوسات فكيف بالنظر في الامور الروحانية وذلك أن جوهر النفس ألطاف وأشد روحانية بكثير من جوهر النور والضياء . والدليل على ذلك قبولها رسوم سائر المحسوسات والمعقولات جميعاً فلهمان العلتين صار الانسان بالقوة المتخيلة يقدر على أن يتخيّل ويتومم ما لا يقدر عليه بالقوى الحساسة لأن هذه روحانية وتلك جسمانية ، ولأنها تدرك محسوساتها في الجواهر الجسمانية من خارج .

وأما القوة المتخيلة فهي تخيلها وتصور في ذاتها . والدليل على صحة ما فلتنا أفعال الصناع البشريين : وذلك أن كل صانع يبتدىء أولاً بتفكير ويتخيل ويتصور في وملمه صورة مصنوعة بلا حاجة إلى شيء من خارج ، ثم يقصد بعد ذلك إلى هيولاها ، في مكان ما في زمان ما ، فيصور فيها ما هو مصور في فكره بأدوات ما وبحركات ما كما بياننا في رسالة الصنائع العملية .

ومن خاصة هذه القوة أنها تعجز عن تخيل شيء لم تؤد إليه حاسة من الحواس وذلك أن كل حيوان لا يصر له فهو لا يتخيّل الالوان وما لا سمع له فلا يتخيّل الاصوات ولا يتوجهها لأن التخيّل أبداً في تصوّره للأشياء تبع للأدراك الحسّي والعقل في استنباطها تبع الدليل النفسي . فاما الانسان فانه لما كان يفهم الكلام أمكنه أن يتخيّل المعانى اذا وصفت له

* فصل *

في عجائب هذه القوة المتخيلة وتفاوت الناس فيها
فنتقول اعلم أن الناس في هذه القوة متفاوتون الدرجات تفاوتاً بعيداً جداً والدليل

عليه أنك تجد كثيراً من الصبيان يكون أسرع تصوراً لما يسمعون وأجود تخيلاً لما يصف لهم كثير من المشايخ والبالغين ، وذلك لأن كثيراً من العلماء والقلاة والمرتاضين في العلوم والآداب تعجز نفوسهم عن تصور أشياء كثيرة قد قامت الحجة والبراهين على صحتها .

ثم أعلم أن العلة في تفاوت درجات الناس في هذه القوة ليست من اختلاف جواهر نفوسهم ولكن من أجل اختلاف تركيب أدمنتهم واعتدال أمر جتها أو فسادها وسوء مزاجها — كما ذكر ذلك في كتب الطب — ومن عجائب أفعال هذه القوة أيضاً وما يتأنى للإنسان أن يعمل بها عملاً عجيبة مابحكي عن قوم من الكهنة من أهل الهند أنه يُؤثرُون في غيرهم بأوهامهم أشياء عجيبة ينكرها أكثر الناس . فأما حكماء بلاد اليونان وفلاسفتها فيرون ذلك يمكن ويتأنى للإنسان في نفسه ، فأما في غيره فبعيد جداً ونحن قد بينا ذلك في رسالة الضر .

ومن عجائب أفعال هذه القوة أيضاً أنها ترك القياسات وتحكم بها على حقائق الأشياء بلا رؤية ولا اعتبار ، مثل ما يفعل الصبيان والجهال وكثير من القلاة أيضاً . مثال ذلك أن الصبي الطفل إذا نشأ ورأى والديه وتأملهما وميز بينهما ثم رأى صبياً آخر مثله حكم بتوهمه بأن لذلك الصبي والدين أيضاً قياساً على نفسه ، وان يكن له أيضاً آخر أو أخت يظن ويتوهم بأن لذلك الصبي مثل ماله قياساً على نفسه من غير فكرة ولا رؤية ولا تأمل .

وأنت يا أخي ما تقول في هذا هل هذا قياس صحيح أو خطأ ؟ حتى أنه ربما رأى في دار والديه دابة أو متسعاً أو أصبه حر أو برد أو جوع أو عطش أو وجع أو غم ، ظن وتوجه أن سائر الصبيان قد أصابهم مثل ذلك قياساً على أحوال نفسه من غير فكر ولا رؤية في صوابه وخطائه ، حتى إذا كبر وتفكر وميز بين له صوابه من خطائه في قياسه .

ثم أعلم أنك تجد كثيراً من الناس العقالاء ومن يتعاطى العلم هذا حكمهم في قياساتهم ، وذلك لأن كثيراً من الناس من إذا رأى في بلده ليلاً أو نهاراً أو شتاها

أو صيفاً أو حراً أو بريداً أو مطراً ظن وتوهم بأن سائر البلاد مثله في ذلك الوقت قياساً على ما وجد في بلده ، فإذا نظر في علم الرياضيات من الهندسيات والطبيعيات تبين له أن قياسه كان خطأً أو صواباً . وهكذا تجد كثيراً من المترافقين بهذه العلوم يتوهون ويظنون بأن خارج العالم فضاء بلا نهاية قياساً على ما يجدون خارج بلادهم من بلادهم من سعة الأرض ومن ورائها سعة الهواء ومن ورائها سعة الأفلاك .

وهكذا أيضاً إذا فكروا في كيفية حدوث العالم وخلق السموات والارض ظنوا وتوهموا أن ذلك كان في زمان ومكان قياساً على افعال البشريين وإذا سمعوا من أهل البصائر قولهم بأن العالم لا في مكان لا يتصورون كيفية ذلك ، فإذا قيل لا في زمان ظنوا وتوهموا أنه قديم بلا حجة ولا برهان

* فصل *

في بيان فضيلة هذه القوة

فنقول أعلم أنا قد ذكرنا أن هذه القوة المتخيلة عجائب كثيرة ووصفنا خواص احوالها من أجل أنها من أعجب القوى الداركة وإن أكثر العلماء تائرون في بحث هذه القوة وعجبات متخيلاتها وذلك أن الإنسان يمكنه بهذه القوة في ساعة واحدة أن يجول في المشرق والمغارب والبر والبحر والسهل والجبل وفضاء الأفلاك وسعة السموات وينظر إلى خارج العالم ويتخيل هناك فضاء بلا نهاية وربما يتخيّل من الزمان الماضي وبده كون العالم ويتخيل فناء العالم ويرفع من الوجود أصلاً وما شاء كل هذه الأشياء مما له حقيقة وما لا حقيقة له وهذا الباب أحد الأسباب من جهة اختلاف العلماء في آرائهم ومذاهبهم في المعلومات : وذلك أنك تجد كثيراً من العقلاة إذا تذكرت وتخيلتوا بهذه القوة شيئاً ما ظنوا أن ذلك حق وحكموا عليه حكماً بلا حجة ولا برهان وأيضاً أن كثيراً منهم إذا سمع شيئاً من العلوم فلم يتصوره — لعجز هذه القوة ونقصان فعلها فيه — أنكر وجحد ولم ينظر إلى الدليل والبرهان البالغ.

فاما العقلاة المتصفوون في الحكومة الطالبون للحق غير المعجبين بانفسهم اذا سمعوا بالأخبار عن شيء متوفم وتخيلوا شيئاً غالباً لم يحکموا على صحته وعلى بطلانه الا بعد الحجة والبرهان على تحقيقه او بطلانه كما يفعل المهندسون والمنظقيون

وإذ قد ذكرنا طرفاً من خواص هذه القوة المتخيلة وعجب افعالها نريد أن نذكر طرفاً من خواص القوة المفكرة التالية في تناولها رسوم المحسوسات المتخيلات منها التي هي أشرف افعالاً وأكثراً عجائب

﴿فصل﴾

في بيان أفعال القوة المفكرة

فنقول اعلم أن لقوة المفكرة خواصاً كثيرة وأفعالاً عجيبة تستفرغ فيها أفعال هذه القوة المتخيلة وأفعالسائر القوى الحساسة الدراكية، وذلك أن افعال هذه القوة نوعان : فنها ما يخصها بمجردتها ، ومنها ما تشتراك هي مع قوة أخرى من قوى النفس ، فمن ذلك الصنائع فإن أكثرها أفعال مشتركة بين هذه القوة المفكرة التي آلتها وسط الدماغ وبين القوة الصناعية التي آلتها اليadan ، ومنها الكلام والأقوال واللغات أجمع فانها أفعال مشتركة بين هذه القوة وبين القوة الناطقة التي آلتها اللسان ، ومنها تناول رسوم المحسوسات المتخيلات فانها أفعال مشتركة بين هذه وبين المتخيلة التي آلتها مقدم الدماغ ، ومنها تناول رسوم المعلومات المحفوظة فانها المشتركة بين هذه وبين القوة الحافظة التي آلتها مؤخر الدماغ.

وأما الافعال التي تخصها بمجردتها فهي الفكر والرواية والتبييز والتصور والاعتبار والتركيب والتحليل والحجم والقياس البرهاني ، وهذا أيضاً القراسة والزجر والنکھین والخطوات والاطام والوحى ورؤيه المنامات وتأويلها

أما بيان ذلك فنقول : أن الانسان بالتفكير يستخرج غواصع العلوم بالرواية ويُعْكِن له تدبير الملك والسياسة ، وبالاعتبار يعرف الامور الماضية مع الزمان ،

وبالتصور يدرك حقائق الأشياء ، وبالتركيب يستخرج الصنائع ، وبالتحليل يعرف الجوادر البسيطة والمركبة ، وبالجمل يعرف الانواع والاجناس ، وبالقياس يدرك الامور الغامضة الغائبة بالزمان والمكان ، وبالفراسة يعرف ما في الطبائع ، وبالزجر يعرف الحوادث وتصاريف الاحوال ، وبالتشكيك يعرف الكائنات عوجيات الاحكام الفلاسفية ، وبالمنامات وتاؤيلها يعرف الكائنات والبشرات والانذارات ، وبقبول الوحي والاطماع يعرف الوضع لذواميس الاهمية وتدوين الكتب المترفة .

فاما فضائل هذه القوة وقضائهاها على ما بين هنا وذاك ان هذه القوة المفكرة من بين سائر القوى الحسارة والتخيلة ومدركاتها كالقاضي بين الخصماء ودعائهم وذلك ان من سنة القاضي أن لا يحكم بين الخصوم الا على سبيل معرفة شرعية وضعية معروفة بينهم أو مقاييس عقلية متفق عليها بين الخصميين ، ولا يقبل الدعوي الا بالشهود والشكوك وموازين ومقاييس معلومة معروفة بين الخصماء فهكذا حكمت هذه القوة المفكرة التي مسكنها وسط الدماغ وقضائهاها بين مدركات الحواس ومتخيلات الاوهام فيما يدعى العقلاه بينهم من المنازعات والخصومات في الآراء والديانات والمذاهب ، فهي لا تحكم لا أحد بين الخصميين بالصواب ولا بالخطأ الا بعد مشاهدة شاهدين من الحواس الحس أو تائج مقدمات جزئية من أوائل العقول

مثال ذلك في رجلين اختلافا في الحكومة في لون الشراب : يحكم أحدهما بأن ذلك لون الماء والأخر أبي ، ثم تناكى الى القوة المفكرة فلم تحكم هي لا احدها بالصواب ولا بالخطأ إلا بعد شهادة شاهدين من الحواس : وهذا القوة الدائمة والباصرة *

وهكذا لو انهم اختلفوا في رؤية المأورد أو خل مصاعد(١) أو نقطاً بيضاء أو

(١) الصواب أن يقول خل يقصد ، لأن المصعد من الاشارة : ما عولج بالثار حتى تحول عما هو عليه طبعاً ولواناً والا كان ما في الاصل بحريطاً وكان الانسب أن يقال: أو خل مصاعداً والله أعلم
*** قتبه

ما شا كله من الاجسام التي يشبه لونها لون الماء ولمسها لمس الماء، فان القوة المفكرة لا تحكم لاحدهما إلا بعد ما تشهد القوة الذائقة والشامة بما هي منها .

وعلى هذا المثال والقياس ينبغي أن يكون سائر قضايا القوة المفكرة بين الناس فيما يختلفون فيه من الحكومة على المحسوسات والتخيلات في الحكومات والقضايا جميعا .

فتتفقد يا أخي هذا الباب واعتبر فانه أول طريق العلوم وأول الاختلافات التي وقعت بين الناس في المدركات من المحسوسات والتخيلات .

وإذ قد ذكرنا طرفا من أسباب الاختلافات التي وقعت بين الناس في المدركات من المحسوسات والتخيلات أجمع ، فنريد أن نذكر طرفا من أسباب الاختلافات التي وقعت بين العقلاة في الاشياء التي تعلم بأوائل العقول إذ كان هذا الباب قائم المحسوسات في النظام والترتيب ، وذلك ان المعقولات التي هي في أوائل العقول ليست شيئاً سوى رسوم المحسوسات الجزئيات الملتقطة بطريق الحواس من الاشخاص المجتمعة في فكر النفس المسيحي أنواعاً وأجناساً - كما يبين في رسالة القاطيفورياس

ثم اعلم ان العقلاة متفاوتة الدرجات في معرفتهم هذه الاشياء التي تعلم بأوائل العقول تفاوتاً بعيداً جداً . والدليل على ذلك بما قلنا أنك تجد كل انسان يكون أكثر تأملاً من المحسوسات وأجود اعتباراً للتخيلات فان الاشياء التي تعلم بأوائل العقول تكون في نفسه أكثر عدداً وأشد تحقيقاً من غيره من الناس مثل المشايخ والمجربين للأمور المحسوسة .

والدليل على ذلك قوله تعالى : « وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بَطْوَنِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا نَعْلَمُ شَيْئاً » وقال : « عِلْمُ الْأَنْسَانِ مَا مِنْ يَعْلَمُ » وقال : « وَعِلْمَنَا مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا أَبْنَائُكُمْ » وقال : « وَفُوقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ » وقال : يرفع الله الدين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات :

مُصَدَّر

في بيان ما يعلم بأوائل المقول

فتقول أعلم أن الاشياء التي تعلم بأوائل العقول بعضها ظاهر جلي للكل العقلاء وبعضها غامض خفي يحتاج الى تأمل قليل ، وبعضها يحتاج الى تدقيق النظر وتأمل شديد . مثال ذلك قولهم : الكل أكثر من الجزء إن هذا عند الحكماء ظاهر في أوائل العقول السليمة

وأما قوله أن الأشياء المختلفة إذا زيدت عليها أشياء متساوية كانت كافية
جيع أوائل العقول السليمة مختلفة يحتاج فيها إلى تأمل قليل
وأما قوله إذا كانت أربعة مقادير على نسبة واحدة فان في الأول من أضعاف
الثاني مثل ما في الثالث من أضعاف الرابع ، فهذا أيضاً من الأشياء التي تعلمها
بأوائل العقول ، ولكن يحتاج إلى بحث أشد ونظر أدق ، وعلى هذا المثال يكون
تفاوت المعقولات والأشياء التي تعلم بالعقل الشاقية

ثُمَّ أَعْلَمُ أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمُقْلَأِ يَظْنُونَ أَنَّ الْأَشْيَاءَ الَّتِي تَعْلَمُ بِأَوَالِ الْمَعْقُولِ
مِنْ كُوْزَةِ فَنْسِبَتْهَا لِمَا تَعْلَمَتْ بِالْجَسْمِ فَهِيَ تَحْتَاجُ إِلَى التَّذْكَارِ وَيُسَمُّونَ الْعِلْمَ تَذْكِرَاهُ
وَيَحْتَجُونَ بِقَوْلِ أَفْلَاطُونَ : التَّعْلِيمُ تَذْكِرُ وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَافِلُنَا وَإِنَّمَا أَرَادَ أَفْلَاطُونَ
بِقَوْلِهِ : الْعِلْمُ تَذْكِرُ أَنَّ النَّفْسَ عَلَمَةٌ بِالْقُوَّةِ فَتَحْتَاجُ إِلَى التَّعْلِيمِ حَتَّى تَصِيرَ عَلَمَةً
بِالْفَعْلِ فَسُمِيَ الْعِلْمُ تَذْكِرَانِمْ إِنَّ أَوَّلَ طَرِيقَ التَّعَالِيمِ هِيَ الْحَوَاسُ ، ثُمَّ الْعُقْلُ ، ثُمَّ
الْبَرَهَانُ فَلَوْمَ يَكُنْ لِلْإِنْسَانِ الْحَوَاسُ لَمَا أَمْكَنَهُ أَنْ يَعْلَمْ شَيْئًا لَا المَبْرَهَنَاتُ وَلَا
الْمَعْقُولَاتُ وَلَا الْمَحْسُوسَاتُ الْمُتَّقَدَّمةُ

والدليل على صحة ما قلنا أن كل مالا يدركه الحواس بوجه من الوجوه لا تخيله الاوهام ، وما لا تخيله الاوهام لا تتصوره العقول واذا لم يكن شيء معقول فلا يمكن البرهان عليه لأن البرهان لا يكون الا من تاتيج مقدمات ضرورية مأخوذة من أوائل العقول والاشياء التي هي في أوائل العقول إنما هي كليات أنواع وأجناس ملتقطة من أصحاب جزئية بطريق الحواس

والدليل على ذلك الصبي لو لا أنه قدر أن عشر جوزات أكثر من خمس ، أو خشبة طولها عشرة أذرع أطول من أخرى لها ستة أذرع فن أين كان يمكنه أن يعلم أن الكل أكثر من الجزء

وعلى هذا القياس حكمسائر المقولات فالمأكولة وأمثالها من الحواس . والدليل على ذلك أيضاً أنك تجده من كان أكثر محسوسات وهو أكثر تاماً وللمتخيلات أجود اعتباراً ، فإن الأشياء المعقولة عنده أكثر عدداً ونفسه لها أكثر تحققـاً . فقد تبين بما ذكرنا أن الأشياء المعقولة ليست بشيء سوى رسوم المحسوسات الجزئيات المتقطعة بطريق الحواس من الأشخاص مجموعة في فكر النفس المسمى أنواعاً وأجناساً ، وأن العقل للإنسان — إذا تبين — ليس هو شيء سوى النفس الناطقة إذا تصورت رسوم المحسوسات في ذاتها ميزة بفكـرـها بين أجناسها وأنواعها وأشخاصها وعرفت جواهرها وأعراضها وجربت أمور الدنيا واعتبرت تصارييف الأيام بين أهلها

ثم أعلم أن كل من كان أكثر تاماً للمحسوسات وأدق نظراً في أمور الموجودات وأجود بحثاً عن الخفيات وأكثر تجارب للأمور الدنيوية وأحسن اعتباراً لأهلها كان أرجح عقلاً من أبناء جنسه وأكثر علماً من أهل طبقته
ثم أعلم أن العقلاً متباينـتوـ الدرجات في عقوـطمـ تفـاوـتاًـ بعيداً جداً لا يقدر قدره إلا الله تعالى الذي خلقـهمـ وفضل بعضـهمـ على بعضـ كما اقتضـتـ حـكـمـتهـ وسبـقـ علمـهـ في خـلـقهـ

ثم أعلم أن لتفاوت الناس في درجات عقوـطمـ عـلـلاـ شـتـيـ وأسـبابـاـ عـدـةـ فـنـ إـحـدىـ تـلـكـ العـلـلـ كـثـرةـ فـضـائـلـ الـعـقـولـ وـمـنـاقـبـ الـعـقـلاـ الـىـ لاـ يـحـصـىـ عـدـدـهـ الاـ اللهـ تـعـالـىـ ،ـ وـلـاـ يـعـكـنـ أـنـ تـجـمـعـ تـلـكـ الفـضـائـلـ فـيـ شـخـصـ وـاحـدـ موـفـرـةـ كـمـ بـيـنـاـ منـ اـمـتنـاعـ اـرـتـياـضـ الـنـفـسـ الـوـاحـدـةـ بـجـمـيعـ أـصـنـافـ الـعـلـومـ معـ قـصـرـ الـعـمـرـ وـاعـتـراـضـ الـعـوـاقـقـ ،ـ وـلـاـ نـكـلـيـةـ الـعـلـومـ مـوـضـوعـةـ باـزـاءـ قـويـ جـيـعـ الـنـاسـ ،ـ كـمـ أـنـ كـلـيـةـ الصـنـاعـاتـ مـوـضـوعـةـ باـزـاءـ قـويـ جـيـعـ الـصـنـاعـ

ولكن يجب للانسان أن يختار الأءلى والأشرف والأفضل وذلك لأن العقلاء هم أفضل الناس والانسان أفضل من الحيوانات والحيوان اشرف من النبات ، والنبات الاركان ومخ طبائعها ، والانسان صورة مختصرة من جميع صور الحيوان وهو المجموع فيه أمزجة قوى النبات وخصوص المعادن وطبائع الاركان والمولادات الكائنات منها أجمع

وهذه كلاما لا يمكن أن تجتمع في شخص واحد فتفرق في جميم الاشخاص هذه الصور فكثير وقل حتى عمرت الدنيا بهم ، فهذا أحد أسباب اختلاف طبائعهم واختلاف طبائعهم أحد أسباب اختلاف تفاوت عقوتهم

والعلة الثانية في تفاوت الناس في درجاتهم في عقوتهم هي خواص جواهر تقوسهم التابعة في إظهار أفعالهم لامزجة بدنهم ، والثالثة هي كثرة غرائب علومهم ومعارفهم التي لا يمكن أن يمحوها كلها انسان واحد ، الرابعة عجائب أفعالهم وفنون أعماظهم واختلاف صفاتهم وتصاريحهم في طلب معاشهم وأحكام تدبيرهم في سياساتهم كثيرة لا تمحى ولا يمكن أن ينهض بها كلها انسان واحد ، الخامسة اختلاف أخلاقهم المتضادة في الحسن والقبح ومجاري عاداتهم بين الجودة والرذيلة مما لا يمكن أن تجتمع كلها في انسان واحد ، والسادسة نشوءهم على اختلاف سنن دياناتهم وتباين مذاهب آباءهم وآراء استاذتهم ومعلميهم

ثم اعلم أن هذه الخصال والمناقب كلها لا يمكن أن تجتمع في شخص واحد ، فن أجل هذا فرق في جميم أشخاص الانسان كلها مع كثرتها ولا تخرج من صور الانسان البة التي هي احدى الصور التي تحت فلك القمر وهي صورة الصور ، فلا جل ذلك تراه في غاية الاعتدال في حال الفطرة ثم تخرج عنه عن ذلك عاداته الحسنة وازديائه فتضير كالطبع له ، والعادة توأم الطبيعة ، وقيل طبيعة منتزعه ، وقيل

صعب عادة منتزعه ، كما قيل صعب طلب ما ليس في الطبع
ثم اعلم أن هذه الصورة هي خليفة الله في أرضه مت Hickمة فيها مع كثرتها على حيواناتها ونباتاتها ومعادنها حكم الارباب على خوطها اذ سجدوا لها بحملتها وهي

صورة واحدة وإن كانت أشخاصها كثيرة فإن حكم جميع الأشخاص في هذه الصورة حكم جميع أعضاء بدن الإنسان الواحد لصورة نفسه وهي المتحكمة في جميع البدن على عضو عضو ومفصل مفصل وخاصة حامة من يوم الولادة إلى يوم الفراق — كما يتنا في رسالة تركيب الجسد ، فهكذا حكم هذه الصورة في جميع أشخاص البشر الأولين والآخرين من يوم خلق الله تعالى السموات والأرض . وآدم أبو البشر الترابي له الحكم في هذه الأرض والربوبية على جمجم ما فيها إلى يوم القيمة الكبرى « فسجد الملائكة كلهم أجمعون » كما يتنا في رسالة البعث والقيمة . وإذا قد تبين مما ذكرنا طرفاً من علل تفاؤل العقلاة في درجات عقوتهم نزيد أن نذكر أيضاً كيف تبين فيهم رجحان العقول والمعقول وكيف يُعرف ذلك فيهم

» فصل »

في بيان رجحان العقول للعقلاء

فتقول إن ذلك يتبيّن فيهم ويُعرف منهم بحسب طبقاتهم في أمور الدنيا ومراتبهم في أمر الدين وهي كثيرة لا يحصى عددها إلا الله تعالى . ولكن نجمعها كلها في هذه التسعة الأقسام للتقارب من الفهم ونحصرها للحفظ فنقول : إن منهم أهل الدين والشرائع والنبوات وأصحاب النواميس ومن دونهم من الموسومين بحفظ أحكامها ومراعاة سنتها والمعروفين بالتعبد فيها ، ومنهم أهل العلم والحكمة والأدباء وأصحاب الرياضيات الموسومين بالتعاليم والتآديب والرياضيات والمعارف ومنهم الملوك والسلطانين والأمراء والرؤساء وأرباب السياسات والمتعلقين بخدمتهم من الجنود والأعوان والكتاب والعمال والخزان والوكلاء ومن شاكيرهم ، ومنهم البناء والزارةون والأئمة والرعاة للشاة وساستة الدواب ورعاية الحيوان أجمع ، ومنهم الصناع وأصحاب الحرف والمصلحون للأمتنة والحوائج جميعاً ، ومنهم التجار والباعة والمسافرون والجلابيون للأمتنة والحوائج من الأفق ، ومنهم

المتعيشون الذين يعيشون في خدمة غيرهم وقضاء حواً مجدهم يوماً بيوم ، ومنهم
الضعفاء والسؤال والمكذبون ومن شاكهم من الفقراء والمساكين
ثم اعلم أن كل انسان من أهل هذه الطبقات — كائناً من كان — لا يخلو من
أن يكون فيها رئيساً سائلاً لغيره أو يكون مرؤوساً مسؤولاً عنها بغيره ورجحان
عقل كل رئيس سائب يتبع فيها ويعرف منه في حسن سياسته وتدبر رياسته
وحسن عشرته مع ابناء جنسه ما لم يخرج من سنة شريعته وحكم الناموس ورجحان
عقل كل مرؤوس مسوس يتبع فيه ويعرف منه في حسن طاعته لرئيسه ومسئولة
انتقاده لأمر سائمه وحسن عشرته مع ابناء جنسه ما لم يكن ذلك قدحاً في دينه
أو تقاصاً لاعقاده ، ورجحان عقل كل متدين يتبع فيه ويعرف منه في حسن
قيامه بواجبه عليه في أحكام شريعته وسنة دينه وحسن عشرته مع ابناء جنسه
ما لم يكن تاركاً للإفضل ولا غالباً في دينه ولا متقلباً في مذهبه ، ورجحان عقل
كل عالم أو أديب أو حكيم يتبع فيه ويعرف منه في حسن كلامه وتحصيل أقوائه
وجودة تأدبه وحسن عشرته مع ابناء جنسه مالم يدع ما لا يحسنه أو ينكر فضل
غيره ، ورجحان عقل كل صانع وصاحب حرفة يتبع فيه ويعرف منه في محكمات صنعته
وحسن عشرته مع ابناء جنسه ما لم يتعاط ما لا يحسنه أو يتكلف ما ليس في صناعته ،
ورجحان عقل كل تاجر باائع مشترٍ يتبع فيه ويعرف منه في صحة معاملته وحسن
عشرته مع ابناء جنسه ما لم يكذب في بيعه وشرائه ، ورجحان عقل كل فقير
مسكين أو ضعيف أو مبتلا يتبع فيه ويعرف منه في حسن عشرته وقلة جزءه
وإيجاه في الطلب وحسن عشرته مع ابناء جنسه ما لم يلح في السؤال ويستخط
عند الحرمان

﴿فصل﴾

في بيان فضل الفقراء والمساكين وأهل البلوى

فنقول اعلم أن هذه الطائفة هي رحمة للاغنياء وموعدة للمترفين ولمن كان
معافاً ولارباب النعم ليكون كل عاقل معاف اذا فكر بهم واعتبر بأحوالهم علم
(٢٦ - م)

بأن الذي أعطاه وعافاه هو الذي منعهم وابتلاهم ، ويعلم أن لم يكن لغنى المعافي
عند الله يد واحسان جازاه بها ولا لا واحد عند الله اساءة كفأه عليهما . فاذا فكروا
في هذه الاحوال واعتبروا أحوال القراء وأهل البلوى عرفوا حسن موقع النعم
عند هم فيزدادوا الله شكرآ يستوجبون به المزيد — كما قال الله تعالى «لئن شكرتم
لأزيدنكم» فبهذا الوجه والاعتبار صاروا هم رحمة للاغنياء وموعظة لمن كان
معافي ، وحصلة أخرى أيضاً أن أهل الدين ومن يؤمن بالآخرة اذا نظروا الى
هؤلاء واعتبروا أحوالهم يزدادون يقيناً من الآخرة ويعلم كل عاقل أن من بعد
هذه الحياة الدنيا داراً آخرى يجازى بها هؤلاء المبتلون بما صبروا على مصائبهم
من أمور الدنيا — كما قال تعالى — «إنما يوف الصابرون أجراً بغير حساب» .
ثم اعلم أن هذه الطائفة — أعني القراء وأهل البلوى — فضائل كثيرة والله
تعالى في ايجادهم حكمة جليلة تختفي على كثير من العقلاء والمترفين من أبناء الدنيا
فتها أنهم أشد الناس يقيناً بالآخرة من غيرهم من المترفين ، وأنهم أمرع الناس.
إجابة لدعوة الانبياء عليهم السلام من غيرهم من المترفين من أرباب النعم والاغنياء
وأنهم أقل من غيرهم من الاغنياء وأنهم أخف مؤنة وأقل حوانج وأفعى باليسير
وأرضى بالقليل من غيرهم من الناس ، وأنهم أكثر ذكر الله تعالى في السر والعلانية
وأرق قلوبها في الفكر والتذكرة ، وأخلص في الدعاء لله في السراء والفراء ، وحصلوا
آخر كثيرة لو عدناها لطال الكلام ويخرج بما نحن فيه . واما ذكرنا طرفاً
من فضائهم لأن كثيراً من العقلاء المترفين اذا نظروا اليهم يظنون بالله فلن السوء :
فنهم من يرى أن الذي ناهم من ذلك من سوء اختيارهم وشومهم وخذلانهم ،
ومنهم من يرى أن الصواب لو أنهم لم يخلقوا لكان ذلك خيراً لهم ، ومنهم من
يرى أنهم معاقبين بما سلف منهم في الاذوار الماضية من الذنوب ، وهذا رأي
 أصحاب التناسخ . ومنهم من يرى أن الله تعالى ليس يفكرون بهم ولا يهمه أمرهم
والا كان قادرآ على أن يغيبهم أو يعيث بهم ويريحهم بما هم فيه من الجهد والبلوى ،
ومنهم من يرى أن هذا ليس يجري بعلم عالم أو حكم حكيم بل هو بحسب سوء

اتفاق رديء، ومنهم من يرى أن هذه موجبات أحكام الفلك من غير قصد قاصد ولا صنع صانع، ومنهم من يرى أن هذا إنما يفعل بهم ليجازوا به ويشابوا عليه، ومنهم من يرى أن هذه الحال أصلح لهم وأقمع من غيرها، ومنهم من يرى أن هذا كان في سابق العلم والقدر المحتوم لم يكن بد من كونه، ومنهم من يرى أنه افهار القدرة وتحكم في الملك واقتاد المشيئة، ومنهم من يرى أن هذه موعدة ووعيد وتهديد وتخويف لغيرهم، ومنهم من يرى أن هذا هو الحكم والاتتن وان كان لا يدرى ما وجها الحكمة في ذلك فليس إلا الإيمان والتسليم والصبر والرضا بما يجري به القضاء والمقادير — كما قال تعالى — «ولنب لكم أياكم أحسن عملا» وقال «أحسبتم أن تدخلوا الجنة» وأياما ذكرنا في شرح هذا الباب لأن هذا البحث والنظر من أحدى أمثلات الخلاف بين العلماء المتفرع منها فنون الآراء والمذاهب وهي مخنة لقول ذوي الألباب، ورجحان عقل كل صاحب مذهب يتبع في فيه ويعرف منه في نصرته لدنيه بحجج متقدة ومساعدة لأهل مذهبه مما يتعلق به وحسن عشرته مع بناء جنسه مالم يكن معتقداً للرأيين المتناقضين، فإنه عند ذلك يكون مخالفاً لنفسه في مذهبة ومنافقاً لمذهبة باعتقاده، وهذا من أكبر العيوب عند العقلاة ومن أشنع اعتقادهم عند العلماء ثم أعلم أنه ليس على العقلاة كثیر عيب في مخالفة بعضهم بعضاً لأن ذلك من أجل تفاوت درجاتهم كما ذكرنا قبل.

وأما مخالفة الإنسان الواحد في نفسه في رأيه ومذهبة فإنه يدل على قوله التحسيل ورداءة التمييز وسخف الرأي التي بأضدادها يفتخر العقلاة ببعضهم على بعض، وحصلة أخرى في عذر العقلاة فيما يختلفون في الفروع: وذلك أنه عسر جداً اجتماع العقلاة على رأي واحد كاهم في شيء واحد، وأياماً يتفقون في الأصول ويختلفون في الفروع، فأياماً إنسان واحد فليس يعسر أن يعتقد في شيء رأياً واحداً وأن لا يعتقد رأيين متناقضين، وأياماً قد تبين مما ذكرنا طرقاً من كيفية رجحان عقول العقلاة في تصرفاتهم في أمور الدين والدنيا وكيف يعرف ذلك

منهم فربما ذكر طرفا من أحوال العلماء الذين هم أفضل العقلاة ونبين صفاتهم في العلوم والصناعات والمعارف وكيفية معلوماتهم التي في أوائل العقول المتفق عليها بين أهل كل صناعة وعلم ومذهب فيما يختصهم وما يتميزون به عن غيرهم

﴿ فصل ﴾

في الفرق بين أصول الصناعات والعلوم وفروعها

فنقول أعلم أن لكل علم وأدب وصناعة ومذهب أهلا ولا هن فيه أصواتا لهم فيها متفقون كلها في أوائل عقوتهم ولا يختلفون فيها وإن كانت عند غيرهم بخلاف ذلك ، وإن تلك الأصول أيضاً فروعاً لهم فيها يختلفون ، وهم في كل أصل قياسات عليها يتفرعون وموازين بها يتحاكمون فيما يختلفون – وهي كثيرة لا يحصى عددها إلا الله الواحد القهار ، ولكن نذكر منها طرفا ليكون ارشاداً لمن يريد النظر فيها والباحثين عنها فنبدأ أولاً بصناعة العدد التي هي أول الرياضيات فنقول :

ان الأصل المتفق عليه بين أهلها هو معرفتهم لما هي العدد وكيفية نشوئه من الواحد الذي قبل الاثنين وعلمه بأن العدد ليس هو شيء سوء كثرة الواحد يتصورها الإنسان في نفسه من تكرار الواحد في التزايد بلا نهاية ، وعلمه بأن تلك الكثرة كم بلغت لا تخلو من أن تكون أزواجا وأفراداً آحاداً وعشراتها ومئاتها وألوفها بالغالباً ما يبلغ

وهذا هو الأصل المتفق عليه بين أهل صناعة الارباعياتي الذين لا يختلفون فيه .

وأما كمية أنواعها وخصوص تلك الانواع فهو في معرفتها متفاوتون الدرجات كل ذلك بحسب تفاوتهم في قوى تقوسهم وجودة بحثهم ودقة نظرهم وحسن تأملهم وكثرة اعتبارهم .

ووهكذا أيضاً صناعة الهندسة فإن الأصل المتفق عليه بين أهلها ومعرفتهم

بالمقادير الثلاثة التي هي الخط وسطح الجسم ، والابعاد الثلاثة التي هي الطول والعرض والعمق وما يعرض فيها من الزوايا والأشكال والوضع وما شاكلها ، فان هذه الاشياء كلها كانت في اوائل عقوتهم وان كانت عند غيرهم بخلاف ذلك . فاما انواع هذه الاصول وخواص تلك الانواع وما يعرض فيها من المناسبات

المحببة وما ينبع عنها من المباحث الدقيقة ، فهم فيها متفاوتون الدرجات بحسب تفاوت قوى نقوسهم فيها وجودة بحثهم عنها ودقة نظرهم فيها وشدة تأملهم لها . وهكذا أيضا حكم صناعة التنجيم الذي يسمى علم الهيئة فان الاصل المتفق عليه بين اهلها هو معرفتهم بأن السماء كربة الشكل ، وأن الارض كربة أيضا موضوعة في وسط السماء ، وأن المركز واحد مشترك بها وان الارض ثابتة والسماء متحركة حولها على استدارة كدورة الدوّلاب في كل يوم وليلة دورة تامة .

وتركيب الافلاك التسعة وتخطيط الدوائر العظام وقسمة البروج الاثنى عشر ، والكتواب السبعة السيارة والثابتة الباقية ، وكيف تكون الارض في مركز العالم . فان هذه الاشياء كلها كانت في اوائل عقوتهم إما تسلماً أو استبصاراً أو برهاانا وان كان عند غيرهم بخلاف ذلك .

فان هذه الاشياء اوائل في هذه الصنعة لتقررها واتفاق اهلها عليها سواء كانوا في اعتقاد صحتها مقلدين لغيرهم مسلمين لهم أو مستبصرين في ذلك يعلمونه ببراهين وان كان عند غيرهم بخلاف ذلك .

واما معرفتهم بكيفية تركيب افلاك النداوير والافلاك الخارجية المراكز والأوج والحضيض والجib والميل والعرض والطول وما توصف به الزوج من الاصفات المختلفة وما توصف به الاقاليم السبعة وأحوالها في الطول والعرض واختلاف الليل والنهار فيها وما شاكل هذه المباحث ، فانهم في معرفتها متفاوتون الدرجات ، كل ذلك بحسب تفاوت قوى نقوسهم وجودة بحثهم عنها ودقة معرفتهم فيها وشدة تأملهم لها

وأيضاً حكم صناعة النمايل الذي يسمى الموسيقى فان الاصل المتفق عليه بين

أهلها هو معرفتهم بالنسب التي هي العددية وال الهندسية والتأليفية: وذلك أن كل مصنوع مركب من أشياء مختلفة لا يخلو تركيب أجزاءه وتأليف بيته من إحدى هذه الثلاث فما كان منها تأليفه على النسبة الأفضل فإنه يكون أحكم اتقانا وأجود هنداما وأحسن نظاما وما كان على النسبة الأدنى فهي بخلاف ذلك، وما كان بينهما فهو متوسط.

والناظرون في هذا العلم والصناعة في معرفته متفاوتون الدرجات بحسب تفاوت قوى نقوسهم وجودة قراائحهم وصفاء أذهانهم وكثرة رياضاتهم وطول درباتهم ونظريتهم وبختهم عنها وتأملهم لها

وهكذا أيضاً حكم علم الطبيعيات يعني بها الأجسام وما يعرض فيها من الاعراض المختلفة وما يوصف بها من الصفات المختلفة، وهي كثيرة الفنون وكل فن منها أصول وله فروع ولكن الأصل الأول فيها كلها المتفق عليه بين أهلها هو معرفة خمسة أشياء وهي الهيولي والصورة والمكان والزمان والحركة لأن هذه الأشياء الخمسة متحدة على كل جسم — فلكيماً كان ذلك الجسم أو مادونه من الأركان .

فأما الذي يتغير من هذا الأصل فنوعان: أحدهما عالم السموات والأفالك والآخر عالم الكون والفساد الذي هو تحت فلك القمر والأصل المتفق عليه بين أهل هذا العلم هو معرفتهم بأن حكم العالم بمجموعه أفلاته وطبقات سمواته والقوى السارية فيها تجري مجرى جسم انسان واحد وحيوان واحد يتحرك عن مركب واحد بحركة واحدة.

وأما كيفية تركيبها وفنون حركاتها وما يختص كل واحد منها بهم في معرفتها متفاوتون الدرجات بحسب قوى نقوسهم وشدة بحثهم عنها وجودة نظرهم فيها وشدة تأملهم لها .

وهكذا حكم الكون والفساد فإن الأصل المتفق عليه بين أهلها فيها هو معرفتهم بالطبع الرابع التي هي الحرارة والبرودة والرطوبة والجفافة، والأركان

الاربعة التي هي النار والهواء والماء والارض ، وكيفية استحالة بعضها الى بعض في بعض الاذمان وبعض المكان .

واما فنون الكائنات منها في تلك الاماكن وفي تلك الاذمان وفي تلك الاجناس فانهم في معرفتها متفاوتون الدرجات بحسب قوى نفوسهم وجودة بحثهم ونظرهم وتأملهم .

واعلم يا أخي ان الكائنات التي هي من استحالة هذه الاركان أربعة أنواع : فنها حوادث الجو وتغيرات الهواء ، ومنها الكائنات التي في باطن الارض المسماة المعادن ، ومنها الكائنات على وجه الارض التي تسمى النبات ، ومنها الكائنات التي تسمى الحيوان ، وكل جنس من هذه الاربعة فان النظر فيه هو صناعة قائمة بنفسها .

فاما الاصل المتفق عليه في حوادث الجو بين أهل هذه الصناعة فهو معرفتهم بطبيعة كرة النسم وكرة الزهرير وكرة الائير والبخاريين الصاعد़ين : الرطب واليابس من البحار والبراري .

فاما كيفية حوادث الكائنات منها والرياح والامطار والبروق والرعد والبرود والثلوج والحالات والشهب وذوات الاذناب في هذه الاركان كرويين سطوحها المشتركة فانهم في معرفتها متفاوتون الدرجات ، كل ذلك بحسب تفاوت قوى نفوسهم وجودة بحثهم ونظرهم وتأملهم .

وهكذا الاصل المتفق عليه في كون المعادن وهو معرفتهم بالزئبق والكبريت اللذان هما عنصران ولباب جواهر المعدنية كلها .

واما علة اختلاف بقاع الارض والمواضع المخصوصة لها وفنون انواعها مثل الذهب والنفضة والنحاس والرصاص والامبر والحديد والكحول والزرنيخ والشوب والزجاجات والاملاح والنفط والقار والاسفیداج وما شاكلها وخرافتها وتصاريحها فهم في معرفتها وعامتها متفاوتون الدرجات بحسب قوى نفوسهم وجودة تأملهم لها .

وهكذا أيضاً حكم النبات فان منه ماله حب أو بذر يزرع، ومنه ما هوأشجار تفرس ومنه ما هو حشائش تنبت، وكذلك حكم الحيوان فان منها ما يتولد في الأرحام ومنها ما يخرج من البيض ومنها ما يكون من الغفونات، فهذا هو الأصل المتفق عليه بين أهلها.

وأما معرفتهم بصلة اختلاف أنواعها وخصائصها واختلافها وأفعالها ومتصرفاتها ومنافعها ومضارها فان أهلها فيها متفاوتون الدرجات، كل ذلك بحسب قوى تقوسيهم فيها وجودة بحثهم عنها ودقة نظرهم وتأملهم فيها.

وأما علوم المنطق فهي نوعان: لغوی وفلسفی. فاللغوي مثل صناعة النحو والأصل المتفق عليه بين أهلها هو معرفتهم بالاسماء والأفعال والحرروف وأعرابها من الرفع والنصب والخفض، ومثل صناعة الخطيب التي الأصل فيها هو معرفة السجع والفصاحة وضرب الأمثال والتشبيهات، ومثل صناعة الشعر التي الأصل فيها معرفة المقاعيل والاسباب والأوّلاد والحرروف المتحركات والساوا كن فاما النظر في فروعها ومعرفة المزاحفات منها والعويس وعللها فهم فيها متفاوتون الدرجات بحسب تقوسيهم وطول دربتهم ودؤام رياضتهم.

وهكذا أيضاً المنطق الحكى هو فنون شتى منه: صناعة البرهان، ومنه صناعة الجدل، ومنه صناعة السفسطائي يعني المغالطين.

فاما صناعة البرهان فإن الأصل المتفق عليه بين أهلها هو معرفتهم بمعاني السنة الألفاظ التي في ايساغوجي، والعشرة التي في كتاب قاطيفور ياس والعشرين كلية التي في بارعيناس، والسبعة التي في أنولوطيقا.

فاما ما يتفرع من فنون المعاني وما يعرض فيها من غرائب المباحث في البحر عميق قد تاه فيه افهم كثير من الناقلين فيها وتحيرت عقول كثير من المباحثين عنها لدقة المعاني لهذه الصناعة وعجب أصولها وكثرة فروعها وبعدها رأى أهلها لأن من هذه الصناعة تعرف آداب الفلسفة وأدب الحكم وميزان العقل ومقاييس الحقائق التي تسمى البرهان.

فقد تبين مما ذكرنا أن لكل علم وصناعة أصول منفقة عليها بين أهلها وكأنها في أوائل عقوتهم ظاهرة بينة وان كان غيرهم بخلاف ذلك مثال ذلك قول المهندسين : ان كل ضلعين من أضلاع المثلث مجموعين هما أطول منباقي أي من الضلع الثالث ، فان هذه الحكومة عندهم كأنها في أولية عقوتهم ظاهرة بينة . وأما قوله إن الضلع الأطول من كل مثلث يوتر الزاوية العظمى فهو أدق وأخف قليلاً فيحتاج فيه إلى تأمل . وأما قوله أن الزوايا الثلاث من كل مثلث متساوية لا ويتين فاعتبر فيحتاج فيه إلى برهان ومقادمات .

وهكذا أيضاً صناعة المنطق فان فيها أشياء كأنها في أوائل عقوتهم ظاهرة بينة ، وهو قوله : الصدآن لا يجتمعان في شيء واحد في زمان واحد ، فان هذه الحكومة بينة ظاهرة .

واما التي هي أدق من هذا ويحتاج فيها إلى البرهان فهي مثل قوله : كون كل شيء فساد لشيء آخر .

وعلى هذا المثال يكون حالم في المقولات عند أهل كل صناعة وعلم وأدب ومذهب . يوجد أشياء كأنها في أوائل عقوتهم وأشياء آخر مثل ثوان وتوالث ورابع بالغاً ما يبلغ . مثال ذلك أن الحكومات التي في كتاب المحسض على هيئة الأفلاك في تركيبها هي بعد النظر في علم المناظر ومعرفة الأيماد والأجرام ، وعلم المناظر بعد علم الهندسة والنظر في كتاب أقليدس ، وعلى هذا المثال أوائل كل صنعة مأخذ من صناعة أخرى قبلها ، وان علم البرهان بعد المقولات والمحوسات .

واعلم أن كل صناعة مأخذة من صناعة أخرى كما تقدم ذكره وأن أهل كل صناعة أو علم أو مذهب هم بصناعتهما وأصواتها وفروعها أعلم وأعرف من غيرهم ، وأما ذلك لتعامهم بها ودربيتهم فيها وطول تجارةهم إليها .

فاما سبب اختلافهم في فروعها فهو من أجل تفاضلهم فيها وأن المتعلّم المبتدئ بها لا يمكنه أن يسأل الفاضل الساكمان فيها ويعارضه ويطالبه بالدليل والحقيقة

ويناقضه من غير بصيرة ولا بيان ، وهذه البلية العظمى في الصنائع والعلوم والحننة على أهلها الفاضلين فيها ولكن من أشد بلية على الصناعة وأعظم محنّة على أهلها هو أن يتكلم عليها من ليس من أهلها وينحكم في فروعها ولا يُعرف أصلها فيسمّع منه قوله ويقبل منه حكمه ، وهذا الباب من أجل أسباب الخلاف الذي وقع بين الناس في آرائهم ومذاهبهم ، وذلك أن قوماً من القصاصين وأهل الجدل يتقدرون في المجالس ويتكلمون في الآراء والمذاهب ويناقضون بعضها بعضاً وهم غير عالمين بما هيأتها فضلاً عن معرفتهم بحقائقها وأحكامها وحدودها فيسمع قولهم العوام ويحكمون بأحكامهم فيفضلون ويغلبون وهم لا يشعرون واعلم أن الجدل هو أيضاً صناعة من الصنائع ولكن الغرض منها ليس هو إلا غلبة الخصم والظفر به كيف كان ، ولذلك يقال : الجدل فتل الخصم مما هو عليه إما بحجة أو شبهة أو شعبة وهو الثقاقة في الحرب ، وال Herb كما قيل خدعة وهو يشبه الحرب والمعركة إذ الحرب خدعة .

» فصل »

ثم أعلم أن الأصل في هذه الصناعة المتفق عليها بين أهلها هو معرفة الدعاوى والسؤالات والجوابات والدليل .

فأما كيفية السؤالات وأجبتها والاستدلالات بالشاهد على الغائب وبالظاهر على الباطن وبالمحسوسات على المعقولات والحكم على الكل باستقراء الأجزاء في أي شيء يجوز وفي أي شيء لا يجوز ، وكيف امداد العلة في معلولاتها وكيفية قياس الفروع على الأصول ومعارضة الدعاوى بالدعوى ، والدليل بالدليل ، وقلب المسألة على الأصل ومناقضة أصلها لفروعها ، ومقاييس الأصل بالأصل والفرع بالفرع ، ولوازم الشنائع وما يعرض فيها وفي معرفتها لأهلها من الانقطاع والشكوك والحقيقة فيه فيها متفاوتو الدرجات كل ذلك بحسب قوى تقويمهم وجودة ذكائهم ودقة نظرهم وبحثهم ومكارיהם وفاحشتهم وشغفهم

ثُمَّ أَعْلَمُ أَنَّهُ لِيْسَ مِنْ صَنَاعَةٍ وَلَا عَلَمٌ وَلَا أَدْبٌ يُعْرَضُ لِأَهْلِهِ فِيهَا مِنْ الْحِيْرَةِ وَالْدَّهْشَةِ وَالشَّكْوَهِ وَالظُّنُونِ وَالْخَطْأِ وَالْعَدْوَانِ وَالْبَغْضَاءِ بَيْنَهُمْ مَا يُعْرَضُ لِأَهْلِهِ صَنَاعَةً لِلْجَدْلِ فِيهَا يَعْتَقِدُونَ فِيهَا وَيَجَادِلُونَ عَنْهَا . وَالْعَلَمُ فِي ذَلِكَ أَسْبَابٌ شَتَّى : مِنْهَا أَنَّ جَيْمَ الصَّنَاعَاتِ وَالْعِلُومِ وَالْمَذاهِبِ وَالآرَاءِ مُوضِوعَةٌ لَهُمْ يَتَكَامُونَ عَلَيْهَا وَيُعَارِضُونَ فِيهَا وَيَجَادِلُونَ عَنْهَا قَبْلَ النَّظَرِ وَالْبَحْثِ عَنْهَا وَالْعِلْمِ فِيهَا ، وَعَلَمٌ أُخْرَى أَنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يَدَخُلُهُمْ فِي صَنَاعَتِهِمْ مِنْ لِيْسَ مِنْهُمْ بِالْسُّؤَالِ لَهُمْ وَالْمُعَارِضَةُ فِي دُعَائِهِمْ وَالْمُنَاقِضَةُ لِاجْوَبَتِهِمْ ، لَأَنَّ السُّؤَالَ أَسْهُلُ مِنَ الْجَوابِ وَالْمُعَارِضَةُ دُعُوَيْ تَحَاذِي دُعُوَيْ ، وَالْمُنَاقِضَةُ أَسْهُلُ مِنَ ابْتَاتِ الْحِجَةِ لَأَنَّهَا أَفْسَادٌ ، وَالْأَفْسَادُ أَسْهُلُ مِنَ الْاِصْلَاحِ فِي أَكْثَرِ الْأَشْيَاءِ ، وَخَصْلَةُ أُخْرَى أَنَّهُمْ رَبِّا يَكُونُونَ مُقْلِدِينَ فِي أَصْوَلِهِمْ يَجَادِلُونَ فِيهِ مِنَ الْمَذاهِبِ فَيَبْصُرُونَ الْفَرَوْعَ ، وَمَنْ يَكُونُ فِي الْاِصْلَاحِ عَلَى التَّقْلِيدِ كَيْفَ يُمْكِنُهُ أَنْ يَبْصُرَ الْفَرَوْعَ عَلَى تَبَصِّرَةٍ وَخَصْلَةٍ أُخْرَى ، إِنَّ أَكْثَرَهُمْ رَبِّا يَجَادِلُ غَيْصِ الرَّأْيِ وَالْمَذاهِبِ لَا عَلَى سَبِيلِ الْوَرَعِ وَالتَّدِينِ وَطَلَبِ الْحَقِّ لَكِنْ عَلَى سَبِيلِ (الْنَّعْصَبِ وَالْحَمْيَةِ ، وَالْتَّعَصُّبِ وَالْحَمْيَةِ) يَعْمَيَانَ عَنِ الْحَقِّ وَيَضْلَلَانَ عَنِ الصَّوَابِ .

ثُمَّ أَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ طَائِفَةٍ تَنَعَّطُ الْعِلْمَ وَالْأَدْبَرِ وَالْكَلَامِ أَشَرَّ عَلَى الْعَالَمِ وَلَا أَضَرَّ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَلَا أَشَدَّ عَدَاوَةً لِأَهْلِ الدِّينِ وَأَفْسَدَ لِلْعُقُولِ السَّلِيمَةِ مِنْ كَلَامِ هَذِهِ الطَّائِفَةِ الْمُجَادِلَةِ الظَّلَامَةِ . وَخَصْوَمَاتِهِمْ فِي الْآرَاءِ وَالْخُصُومَاتِ وَالْمَذاهِبِ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي أَزْمَانِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَعِنْدَ مَبْعَثِهِمْ فِيهِمُ الْدِينُ يَطَالِبُونَهُمْ بِالْمَعْجزَاتِ وَيُعَارِضُونَهُمْ بِالْخُصُومَاتِ ، مَثَلًا مَا قَالُوا لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « لَمْ نُؤْمِنْ لَكَ حَتَّى تَفْجِرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا » وَقَالُوا لِنَوحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ « وَمَا تَرَكَتْ بَعْدَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوكَ » وَهُمُ الَّذِينَ إِذَا مَرُوا بِالْمُؤْمِنِينَ يَتَغَامِزُونَ وَقَالَ تَعَالَى فِي ذَمِّهِمْ « مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدْلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصْمُونَ » فَهَذِهِ حَالٌ مِنْ كَانُوا يُعَارِضُونَ أَهْلَ الدِّينِ فِي أَزْمَانِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فَأَمَّا إِذَا كَانُوا فِي غَيْرِ أَزْمَانِ الْأَنْبِيَاءِ فَهُمُ الَّذِينَ يُعَارِضُونَ أَهْلَ الدِّينِ وَالْوَرَعِ يَالشَّمَهَاتِ وَيَنْبَذُونَ كِتَابَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَرَاءَ ظَهُورِهِمْ يَفْرَعُونَ الْآرَاءِ

والماذهب بعقولهم الناقصة وآرائهم الفاسدة ويضعون لذهبهم قياسات مناقضة واحتتجاجات مموجة ويعارضون بها العقلاء من الأحداث وال العامة فيفضلونهم عن سن دياناتهم النبوية ويعدولون بهم عن موضوعات الشرائع الناموسية

ثم أعلم انه ليس من صناعة بين اهلها من التفاوت ما بين اهل هذه الصناعة، وذلك انك تجده فيهم من يكون له جودة عبارة وفصاحة كلام وسحر بيان يقدر معه على ان يصور بوصفه البليغ الحق في صورة الباطل والباطل في صورة الحق وهو مع ذلك جاهل القلب عن حقائق الاشياء بعيد الذهن عن المعارف وروى عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم «اخوف ما اخاف على امني رجل منافق عالم الانسان غير حكيم القلب ليغيرهم بفضائحه وبيانه ويضله وقلة معرفته» .

وتجد فيهم ايضاً من يجادل ويختلج ويناظر ، كلامه ينقض بعضه ببعضه ولا يدرى بذلك ، فاذا نبه عليه لم يشعر به ، وتجد فيهم ايضاً الرجل العاقل الذي المحصل في اشياء كثيرة من امور الدنيا فاذا فتشت اعتقاده في اشياء بينة ظاهرة في العقول السليمة من الآراء الفاسدة وجدت رأيه واعتقاده في تلك الاشياء اسخفاً واقبح من رأي كثير من الجهل والصبيان

والعلة في ذلك اسباب شتى : منها شدة تعصبه فيما يعتقد بقلبه من غير بصيرة واخرى اعجباته بنفسه في اعتقاده واخرى اعتقاده الاصول خفي فيها خطوه بين ظاهر الشناعة في فروعها ، فهذا يلزم ذلك الشناعات في الفروع مخافة ان تنتقض عليه الاصول ويطلب لها وجوه المراوغة عن الرام الحجة عليه ، تارة يشغب وتارة يموه وتارة يروغ في الجواب والافرار بالحق وبأنف ان يقول لا ادري والله ورسوله اعلم ! كما كان في زمان النبي ﷺ اذا سئلوا عما لا يدركون قالوا الله ورسوله اعلم اقتداء بامر الله كما قال : وما اختلفتم فيه من شيء شكله الى الله وقال : « ولو ردوه الى الله ورسوله وإلى أولى الامر منهم لعله الذين يستبطلونه منهم »

ولكن كثيراً من المجادلة يعتقد أن لا رجوع له إلى الله على الحقيقة ، ولا يرجو لقاءه ولا يجوز رؤيته لما نظر بعقله الناقد أداء اجتهده إلى هذا الرأي فترك ما ذكر الله في كتابه في عدة موضع وذلک قوله : « ثم ردوا إلى الله مولاه الحق » وقوله : « إلى الله مرجعكم جميعاً ثم يحكم بينكم يوم القيمة » وقوله : « أخسِّنْ إِنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبْدًا وَإِنْكُمُ الْبَرِّ لَا تَرْجِعُونَ » وقال « من كان يرجو لقاء الله فان أجل الله لا ت » وقال « ولو ترى اذ الظالمون موقفون عند ربهم » « ولو ترى اذ وفقو على ربهم قال أليس هذا بالحق » . وقال المسيح عليه السلام « أَنْتَ تَحْكُمْ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ » وأيات كثيرة في هذا المعنى

ولكن من هؤلاء من يحتاج ويقول معنى الرجوع إلى الله أي إلى توابه ، ولو انهم اعتبروا سenn الدين النبوية والمواضيع الناموسية الاطبية كيف فرض فيها واضعواها في كل سبعة أيام يوماً اترك الاعمال والاشتغال لأمور الدنيا والفراغ للعبادة والاجتماعات في بيوت العبادات من المساجد والبيع والكنائس والطيكيل بالصوم والصلوة والقراءين في الاعياد والبروز إلى الصحراء والمنابر والخطب والسكوت والاسمع الموعظ والتذكرة للأمر المعاذ بأن هذه كلها اشارات ومرامي أحوال القيمة التي في سبعة آلاف سنة تعرض للتفوس الجزئية المتجسدة لدى النفس الكلية لفصل القضاء ليحكم بينهم فيما كانوا فيه مختلفون ، ولو تركوا جدهم واشتبغوا بما ينفعهم من أعمالهم الصالحة والخلق بالأخلاق الجميلة وطلبو الآداب المحمودة لكان خيرا لهم من الجدال والخصومات والغضب والتعصب والعداوات

ولكن لاستيلاء المريخ عليهم في مواليدهم يكتنفهم على ذلك وقوة المرأة تبني إلى أمزجمهم فيقيمه على مثلها فتطول صحبتهم مع استاذيهم ورسائتهم معودون ذلك ودوامهم فيما يتدربون به فيصير عادة لهم لا يصبرون عنها ! فلا تطمع يا أخي في صلحهم وإنما كثروا ذكر هذه الطائفة المجادلة لأن كثيراً من أسباب الخلاف في الاراء والمذاهب من قبلهم يقع وهم السبب فيه

لَا هُمْ يَنْكَلِمُونَ الْكَلَامَ وَالْجَدَالَ وَالْحِجَاجَ فِي دِقَائِقِ الْعِلُومِ وَيَتَرَكُونَ تَعْلِمَ أَشْيَاءً
وَاجِبَ عَلَيْهِمْ تَعْلِمَهَا وَهِيَ بَيْنَةٌ ظَاهِرَةٌ جَلِيلَةٌ وَهِيَ يَمْجِدُونَهَا جَمِيلَةٌ

فصل

فِي مَنَانِ آدَابِ الْجَدَالِ

فقول أعلم أن كل مسألة تنازع فيها اثنان أو جماعة فلا يخلو من أن يكونوا من أهل تلك الصناعة التي المسوقة منها أو يكونوا من غير أهلها فأن كانوا من غير أهلها فكلامهم فيها على غير أصل مقرر منهم ، وكل كلام ومتنازعه في شيء على غير أصل مقرر منهم فلا تحصيل لكلامهم فيه ولا حجة لدعائهم ، وإن كان أحد هؤلاء غير أهلها فأن ممتازته لصاحبها تعد منه وظلم ، وكلام صاحبه معه أيضاً مختلف منه إذ كان يجادل مع من ليس من أهل صناعته ، وإن كان من أهل تلك الصناعة فلا يخلو من أن يكونوا متساوي الدرجة فيها أو متفاوتين ، فأن كانوا متفاوتين شركهما مثل ما تقدم ذكرها من ذكر حكم الاولين وإن كانوا متساوي الدرجة في تلك الصناعة فسيباهما أن يؤخذوا فيما اختلفوا فيه إلى قوانين تلك الصناعة وأصولها ويقيسان عليها تلك المسألة وإن كانت من فروعها

وأن لم يكن في قوة نقوشهم استخراجها فسبيلهما أن يتحاكموا إلى من هو أعلى درجة منهم في تلك الصناعة ليحكم بينهما

فاما بيان فنون القياسات فاعلم حسب ما نبين هاهنا . وذلك أن الامور التي

يعلمها الانسان ثلاثة أنواع : ماض ومستقبل وحاضر ، فعلمـه بما هو حاضر في الوقت موجود في طريقة احدى الحواس ، والحسـ قد تختلي وتصيب في ادراكـها محسـاتها العـلـلـ شـئـ قدـ بـيـنـا طـرـفـاـ فيـهاـ قـدـ تـقـدـمـ ذـكـرـهـ وـعـلـمـهـ بـماـ كـانـ مـنـ الـامـورـ وـمـضـىـ مـعـ الزـمـانـ وـاقـفـىـ مـعـ الـاـيـامـ اوـ غـابـ عـنـهـ بـالـمـكـانـ فـهـوـ بـطـرـيـقـ السـمـعـ وـالـاـخـبـارـ ، وـالـخـبـرـ قـدـ يـكـونـ صـدـوقـاـ وـقـدـ يـكـونـ كـذـوباـ وـهـكـذاـ أـيـضاـ رـبـ مـسـتـعـمـ مـكـذـبـ بـالـصـدـقـ ، وـرـبـ مـسـتـعـمـ مـصـدـقـ بـالـكـذـبـ . فـأـمـاـ عـلـمـهـ بـماـ سـيـكـونـ اوـ غـائبـ عـنـهـ بـالـمـكـانـ فـقـدـ يـكـونـ بـعـضـاـ بـالـقـيـاسـ ، وـالـقـيـاسـ قـدـ يـكـونـ صـحـيـحاـ وـقـدـ يـكـونـ سـقـيـماـ وـهـكـذاـ المـسـتـعـمـلـ لـالـقـيـاسـ قـدـ يـكـونـ جـاهـلاـ بـاسـتـعـالـهـ كـاـ بـيـنـاـ فـيـ قـيـاسـ الصـبـيـانـ وـالـجـهـالـ وـالـعـوـامـ وـكـثـيرـ مـنـ الـخـواـصـ . وـهـذـاـ أـيـضاـ أـحـدـ أـسـبـابـ اـخـتـلـافـ الـعـلـمـاءـ فـيـ الـأـرـاءـ وـالـمـذاـهـبـ

ثـمـ اـعـلـمـ أـنـكـ اـذـ اـعـتـرـتـ وـدـقـتـ النـظـرـ تـبـيـنـ أـنـ كـثـرـ عـلـمـ الـاـنـسـانـ اـنـاـ هـوـ بـطـرـيـقـ الـقـيـاسـ ، وـالـقـيـاسـاتـ مـخـتـلـفـةـ الـاـنـوـاعـ كـثـيـرـةـ الـفـنـونـ كـلـ ذـلـكـ بـحـسـبـ أـصـولـ الـصـنـائـعـ وـالـعـلـمـ وـقـوـائـنـهـاـ

مـثـالـ ذـلـكـ أـنـ قـيـاسـاتـ الـفـقـهـاءـ لـاـ تـشـبـهـ قـيـاسـاتـ الـاطـباءـ وـلـاـ قـيـاسـ الـمـنـجـمـينـ يـشـبـهـ قـيـاسـ النـحـويـنـ وـلـاـ الـمـتكلـمـينـ ، وـلـاـ قـيـاسـاتـ الـمـتـفـلـسـفـينـ تـشـبـهـ قـيـاسـاتـ الـجـدـلـيـنـ وـهـكـذاـ قـيـاسـاتـ الـمـنـطـقـيـنـ فـيـ الـرـيـاضـاتـ لـاـ تـشـبـهـ قـيـاسـاتـ الـجـدـلـيـنـ وـلـاـ تـشـبـهـ قـيـاسـاتـهـمـ فـيـ الـطـبـيـعـيـاتـ وـلـاـ فـيـ الـقـيـاسـاتـ وـالـاـطـيـاتـ

وـهـكـذاـ حـكـمـ فـيـ سـائـرـ الـصـنـائـعـ وـالـعـلـمـ . وـسـنـذـكـرـ طـرـفـاـ مـنـ ذـلـكـ فـيـ مـوـضـعـهـ وـلـكـنـ نـقـولـ أـوـلـ مـاـ الـقـيـاسـ ؟ وـذـلـكـ أـنـ الـقـيـاسـ هـوـ حـكـمـ عـلـىـ الـاـمـورـ الـكـلـيـاتـ الـغـائـبـاتـ بـصـفـاتـ قـدـ أـدـرـكـ جـمـيعـهـاـ فـيـ بـعـضـ جـزـئـاتـهـاـ

مـثـالـ ذـلـكـ : لـمـ أـدـرـكـ الـاـنـسـانـ اـنـ الـنـيـرـانـ الـجـزـئـيـةـ حـارـةـ حـكـمـ بـأـنـ كـلـ نـارـ حـارـةـ أـيـضاـ الـغـائـبـةـ قـيـاسـاـ عـلـىـ مـاـ اـدـرـكـ حـسـاـ وـهـكـذاـ حـكـمـ عـلـىـ رـطـوبـةـ الـمـاءـ مـنـ جـزـئـاتـهـ عـلـىـ كـلـيـاتـهـ بـالـحـسـنـ جـزـئـيـةـ وـالـعـقـلـ كـلـيـاـ

واعلم ان هذا الحكم وهذا القياس لا يطرد في كل شيء ولا في كل مكان وذلك ان يكون في كثير من البلدان اناس عقلاً لا يجدون من الماء الا عذباً ، فاذا حكوا بما ادركتوا على ان كل ماء في الارض عذب فقد اخطأوا وهم لا يشعرون وعلى هذا المثال يكون الخطأ والصواب في القياس الذي يطرد في كل شيء واذا تأملت يا أخي وجدت اكبر اختلاف العلماء وخطئهم انما في استعمال القياس من هذا الفن ، يكون ويخفى وهم لا يشعرون وان علموا ايضاً لا يحسنون كيف يميزون من الاشياء التي يطرد فيها والقدماء الحكماء قد تبعوا في استخراج هذا حتى عرفوه ووضعوه في كتبهم بخطب طويل لا يصبر على طلب معرفته كل احد من الناس الا المحبون للحكمة الطالبون للحقائق ، وقد ذكرنا طرفاً من ذلك في رسائلنا المنطقية ، ولكن نذكر منها طرفاً في هذا الفصل مثلاً واحداً

اعلم يا أخي ان القياس الذي يطرد الحكم فيه بالجزء على الكل انما هو في الصفات الذاتية للشيء لا في الصفات العرضية ، والصفات الذاتية هي الى اذا بطلت بطل الموصوف ، واذا ثبتت ثبت الموصوف : وهي الصورة المقومة ، والصفة العرضية هي الى اذا بطلت لم يبطل الموصوف والمثال في ذلك رطوبة الماء وعدوبته فان الرطوبة اذا بطلت لا يكون الماء موجوداً

فاما العذوبة فليس من الضروري اذا بطلت بطل الماء فالرطوبة هي الصورة المقومة للماء والعذوبة هي الصورة المتممة له

فعلى هذا المثال ينبغي أن يعتبر الحكم في القياس لا يصيب ولا يخطيء واعلم ان الحكماء الاولين لما اثبتوا الذي ذكرنا وعلموا ان اكبر علمهم انما هو بطريق القياس وقد يدخل الخطأ والازل في القياس — كما بينا — طلبوا بذلك حيلة يا منون بها الخطأ والازل في القياس وسموها البرهان وميزان العقل من أجل طلب الحقائق وإصابة الصواب وتجنب الزور والغزو بما لاحقيقة له . لكن هنهم مصيب ومنهم خطئ « والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم »

ثُمَّ أَعْلَمُ أَنْ كَثِيرًا مِّنْ أَهْلِ الْجَدْلِ يَظْنُونَ وَيَحْكُمُونَ بِمَحْكَمَتِهِمْ وَظَنْوَهُمْ أَنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَلْفُ عِبَادَهُ طَابُ الْحَقَائِقِ وَاصَابَتِهَا جَمِيعًا ، وَجَعَلَ لَهُمْ وَعِيدًا إِنْ أَخْطَأُوا ، أَوْ لَمْ يَصِيمُوا وَلَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا ظَنَّوْا لَأَنَّهُ قَالَ «لَا يَكْفُفُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَّا وَسِعَهَا» وَالْوَسْمُ دُونَ الْجَهْدِ وَالْطَّاقَةِ ، وَاصَابَةُ الْحَقِّ لَيْسَ فِي وَسْعِ الْعَلَاقَةِ فَكَيْفُ؟ وَلَا فِي وَسِعَهَا وَأَنَّمَا كَلَفَ اللَّهُ عِبَادَهُ طَلبُ الْحَقَائِقِ وَالْجَهْدُ فِي الْعَلَلِ .

فَأَمَّا اصَابَتِهَا فَإِنَّهُ يَهْدِي مِنْ يَشَاءُ إِلَيْهَا — كَمَا وَعَدَ جَلَّ جَلَلَهُ — «وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لِنَهْدِيهِمْ سَبِيلًا» وَأَنَّمَا شَرْطُ بِقَوْلِهِ فِينَا لَانَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ لَا يَكُونُ جَهْدَهُ فِي الْطَّابِ لِوَجْهِ اللَّهِ وَلَكِنْ لِأَسْبَابٍ أُخْرَى يَطْوُلُ شَرْحَهَا . فَنَّ أَجْلُ ذَلِكَ لَا يَسْتَحْقُ الْهُدَى وَلَا يَسْتَأْهِلُ الاصَابَةَ

ثُمَّ أَعْلَمُ أَنْ هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ مِنْ أَحَدِي مَسَائِلِ الْخَلَافِ : وَذَلِكَ أَنْ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ أَوْ يَظْنُ أَنَّهُ مَسْتَغْنٌ عَنِ الْعِلْمِ فِي طَلبِ الْحَقَائِقِ بِعَارِزَةِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْفَهْمِ وَالْتَّيْزِيزِ وَالذِّكَاءِ وَالْاسْتِطاعَةِ ، فَيَتَكَلَّ عَلَى حَوْلَهُ وَدُوْتَهُ وَيَنْسِي رَبَّهُ وَالْاسْتِعَانَةَ بِهِ وَالْسُّؤَالَ لَهُ وَالْتَّوْفِيقَ ، فَيَخْذُلُ وَيَحْرُمُ التَّوْفِيقَ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى :

«نَسَوَ اللَّهُ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ»

﴿ فَصْل ﴾

فِي بَيَانِ أَنْوَاعِ الْقِيَاسَاتِ

فَنَقُولُ أَعْلَمُ أَنَّ الْمَوَازِينَ إِلَى وَضْعِهَا الْحَكَماءُ لِيَعْرِفُوهُمْ بِالْخَطَاً وَالْأَلْلِ فِي الْقِيَاسِ مُخْتَلِفةُ الْفَنُونَ ، وَذَلِكَ بِحَسْبِ الصَّنَاعَةِ وَالْعِلْمِ وَالْقَوَافِينَ كَمَا هُوَ مُوْجُودٌ فِي اختِلافِ مَوَازِينِ أَهْلِ الْبَلَادِ النَّائِيَةِ وَمَكَانِيَاهُمْ مُعْرُوفٌ بَيْنَهُمْ بِحَسْبِ مَوَازِينِ أَهْلِ الْبَلَادِ فِي مَوْضِعَاهُمْ ، وَلَكِنْ مَعَ اختِلافِهَا كَمَا هُوَ فَالْفَرْضُ الْمُطْلُوبُ مِنْهَا هُوَ اصَابَةُ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ وَالْأَنْصَافِ فِيمَا يَتَعَامِلُونَ بَيْنَهُمْ فِي الْاَخْذِ وَالْاَعْطَاءِ ، فَهَكُذا أَيْضًا غَرْضُ الْحَكَماءِ فِي اسْتِخْرَاجِ الْبَرْهَانِ الَّذِي يُسَمَّى بِيَزَانِ الْعُقْلِ ، وَهُوَ طَلبُ الْحَقَائِقِ وَاصَابَةُ الصَّوَابِ وَتَجْنِبُ الزَّوْرِ وَالْخَطَاً بِاستِعْدَادِ الْقِيَاسَاتِ ، وَلَكِنْ مِنْهُمْ مَنْ يَصِيبُ وَمِنْهُمْ

(م - ٢٧)

من يخطئ ، أيضاً في استعمال هذه الموازين ، وذلك من أحدى ثلاث خصال : إما بجهله بحقيقة هذه الموازين وكيفية استعمال هذا الميزان ، أو لغرض من الأغراض في موازين الناس ومكاييلهم المعروفة بينهم المستعملين لها كيف يدخل الخطأ والزلل عليهم وأما بجهله بصحة الميزان وبكيفية استعماله له أو لغرض من الأغراض فأما واضعوها فما قصدوا في وضعها إلالطلب الحق والصواب والعدل والانصاف واعلم أن الموازين التي وضعها الحكماء في طلب حقائق الأشياء في العلوم والصناعات كثيرة لا يحصي عددها إلا الله الواحد القهار ، ولكن كلها لا تخرج عن ثلاثة أنواع : إما أن يستعمل باليد أو بالسان أو بالضمير ، والتي تستعمل باليد كالقبان والشاهد والمكاييل والموازين والأذرع وما شاكلها . وبالجملة كل مقياس يستعمله الناس في معاملاتهم في الأخذ والعطاء في طلب العدل والانصاف بينهم .

ومنها ما يستعمله المترجمون وأصحاب الرصد وقسام المياه كالبركار والاصطرباب وألات الرصد ، كل ذلك في طلب معرفة أجزاء الزمان ومقادير الأوقات .

ومنها ما يستعمله المساح والقسام والمهندسو في طلب معرفة الأجرام والبعد كالذراع والباب والأشل وذوات الشفتين وما شاكلها .

ومنها ما يستعمله الصناع في صنائعهم كالبركار والمسطرة والكونيا والشاقول والزاوية وما شاكلها ، كل ذلك لمعرفة الاستواء والاعوجاج .

ومنها ما يستعمله أهل كل صناعة على حدتها . فاما الذي يستعمله بالسان فمثل العروض التي يستعملها الشعراء والخطباء والنحويون والموسيقيون ، فاما التي تستعمل بالضمير فهو مثل ما يستعمله الفقهاء الحكماء عند تفكيرهم في المعلومات المحسوسات والمشاهدات واستخراجهم بها اخفیات المعقولات وصحة القياسات في ادراك المبرهنات

ثم اعلم أن هذه المقاييس كلها طرقات الى المعلومات ، وهذه الموازين حكام

وعدول نصيحتها البارى تعالى بين خلقه ليتحاكموا إليها في طلب العدل والانصاف والحقائق والاستواء ويجتنبون الزور والخطأ والظلم والجور ويرفعون به الخلاف والمنازعة من بينهم بحرز الظنون وتخمين الرأي

ثم أعلم أنه قد يقع الخلاف والمنازعة بين المستعملين لقياس الموازين أيضاً من جهات أربعة: إما يقصد من المستعملين هدا دغلاً وغشًا لأغراض لهم، وإما بسوء منهم، وإما بجهلهم بكيفية استعمال الميزان، وإما أن يكون القياس والميزان معيوجًا غير مستو، أجل هذه الوجوه يقع الخلاف والمنازعة بين أهالها فهذه أيضًا أحد أسباب الخلاف بين العلماء في آرائهم ومذاهبهم

ثم أعلم أن هذه الموازين والمقاييس التي تقدم ذكرها كلها دلالات ومتالات وأشارات إلى الموازين التي ذكرها الله تعالى بقوله: «ونضم الموازين القسط ليوم القيمة فلا تظلم نفس شيئاً»

ثم أعلم أن هذا الميزان هو آخر الموازين كلها فمن رجحت حسناته في هذا الميزان فقد أفلح وربح سعادة أبدية وفاز فوزاً عظيماً، ومن خفت موازينه فقد خاب وخسر خسراً مبيناً

فانظر لنفسك يا أخي وبادر واعمل عملاً صالحاً وتزود فان خير زادك التقوى وحاسب اليوم نفسك قبل أن تخاسب فهو أيسر لحسابك، وكن وصيها تأمن تفريط وصيتك بعده، وزن اعمالك اليوم ولا تغفل قبل أن تخاسب موازين الغد فهو أثقل لوزن حسناتك - إن كنت تخمن هذا الوزن وهذا الحساب كيف يكون وإن كنت لا تدرى ولا تخمن فهلم إلى مجلس أخوان لك نصحاء أصدقاء كرام فضلاء ليعرفوك كيفية محاسبة نفسك ووزن حسناتك فانهم أهل هذه الصناعة وقد قيل «استعينوا في كل صنعة باهلهما»

وقد وضعنا هذا الحساب وهذا الميزان في رسالة البعث والقيمة فاعرفها من هناك، إذا وقفت على جبل الاعراف مع أهل المعارف الذين ذكرهم الله تعالى ووصفهم بقوله: «وعلى الاعراف رجال يعرفون كلام بسياتهم، ونادوا أصحاب

الجنة سلام عليكم بما صبرتم ثم وصفهم بقوله : « رجال لا تلهمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله »

فلا تغتر يا أخي بقول من يقول ويظن بأن هذا يعرف بعد الموت هيئات هيئات أولئك ينادون من مكان بعيد كيف يعرف بعد الموت والله تعالى يقول : « ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً »

نبهك الله أيها الأخ من نوم الغفلة ورقدة الجهالة وأحياناً قلبك بنور المعرفة وجعلك من الذين ذكرهم بقوله : « أَفَنْ كَانَ مِيتاً فَاحْيِنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَعْشِي بَهْ فِي النَّاسِ كَمْ كَانَ مِثْلَهِ فِي الظَّلَامَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا » وظلمات الجهات المتراءات بعضها فوق بعض على قلوب الغافلين كما ذكر في كتب النبوات من المعارف الشريفة والأسرار المكنونة التي لا يمسها إلا المطهرون من ادناس الشهوات الطبيعية والغرور بالذات الجرمانية الذين ذمهم الله بقوله : « إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعْبٌ وَطَهْ وَزِينَةٌ » وقال : « يَرِيدُونَ عَرْضَ الدُّنْيَا » وقال : « رَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأْنَوْا بِهَا » وقال : « تَلِكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ تَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يَرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا » وأيات كثيرة في القرآن في ذم المریدين للدنيا ومدح المریدين لآخرة وفقك الله لافادة الدار الآخرة وجعلك من أهلها وجميع أخواننا

وإذ قد تبين بما ذكرنا طرفاً من مقاييس أهل الصنائع والعلوم وموازين الحكاء فيها نريد أن نذكر طرفاً من مذاهبهم وأرائهم وبخاصة ما كان في أمر الدين إذ كان هذا الفن من المباحث والمطالبات ومن أشرف الصنائع البشرية والطف العلوم الإنسانية وأعجب المعارف وأعرف الادراكات وأهلها أعقل الناس ومدر كائم أكثر من المعلومات ، وذلك أن هذه الدرجة أحق درجة يبلغ إليها العقلاة في طلبهم العلوم والمعارف وهذا البحر من العلم أوسع أقطاراً وفعره وجده أعمق انحراماً وجواهره أنفس أقداراً وسائل كوه وبعد مراماً وربحهم أكثر تزايداً وأحزانهم أعظم مصيبة من سائر ما تقدم ذكره لأن من أرشد في هذا الطريق فسيرته سيرة الملائكة ومن ضل عنه سلك به مسلك الشياطين والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم

وستبين صحة ماقلنا وحقيقة ما وصفنا عند ذكرنا الآراء الحكيمية والمذاهب البدعية الفرقية والديانات النبوية والمنهاجات السنوية والسير الملكية والمقاصد الربانية .

﴿ فصل ﴾

في أنجاس الآراء والمذاهب

فنتقول : أعلم أن الآراء الفاسدة واختلاف العلماء فيها منها ما هو من أمر الدين والشريعة وسننها وما يتعلق بها من العلوم والأحكام ومنها ما هو في الآداب والرياضيات والعلوم والصناعات مما ليس له تعلق باسر الدين مثل الحساب والهندسة والنجوم والنحو والطب وما شاكلها .

فأما التي لها تعلق بأمر الدين فهي كثيرة لا يحصى عددها الا الله ولكن يجمعها كالمأكولة نوعان : حكيمية ونبيوية وزيد أن نذكر أصول هذه الآراء والمذاهب وبعض فروعها مختصرًا أو جزء مما يمكن وإذ كان الشرح والاستئناف يطول فنبذًا أولاً في بيان الآراء الحكيمية ومذاهبتها إذ كنا قد بينا طرفاً من الآراء النبوية في رسالة التواميس الالهية والمذاهب الربانية ولكن زيد أن نذكر من ذلك ما لا بد في هذا الفصل جلا قبل ذكرنا الآراء الحكيمية والمذاهب البدعية ليكون الناظر فيها يحفظها ويعتقدها ويتعلق بقلبه قبل نظره في الآراء الحكيمية والمذاهب البدعية والبحث عنها والاحتجاجات عن اهلها المفسدة لاعقول السليمة الغير المرتاضة .

فاما بيان ماهية الخصال المانعة للإنسان عن الشرور حسبما نبين هنا وذلك أن الناس مختلفون في طبائعهم وأخلاقهم وأعمالهم وعاداتهم وعلومهم وصناعتهم ذرو وفنون شتى لا يحصى عددهم الا الله تعالى ولكن منهم خيراً وشريراً فنقول أشرف الناس من لا دين له ولا يؤمن بيوم الحساب .

والعلة في ذلك أن الإنسان لما خلق مستطيناً لعمل الخير يمكننا به وهو بذلك

الاستطاعة بعينها يقدر أن يعمل الشر لأسباب شئ وينفعه عنه علل عده وقد
بيناها في رسالة الأخلاق ولكن أمنع الخصال للانسان عن الشر وأقمعها عن الدين
وتواجهه من الورع والتقوى والحياة والمرءة والرحمة والخوف وما شاكلها من خصال
الدين والإيمان ، فن لا يؤمن بـ يوم الحساب ولا يرجو الثواب ولا يخاف العقاب فهو
لا ينتقم عن الشر جهده وطاقته ، سبباً إذا دعوه إليه الأسباب وأمكنته تجنبها في
الظاهر خفافة للناس فهو لا يتجنبها في المسر .

واعلم أن الدين هو شيطان اثنان أحدهما هو الأصل وملوك الأمر وهو
الاعتقاد في الضمير والسر ، والآخر هو الفرع المبني عليه القول والعمل في الجهر
والاعلان . ونحتاج أن نشرحها جميعاً حسب ما جرت عادة إخواننا الكرام
الفضلاء فنبدأ أولاً بذكر الاعتقادات اذا كانت هي الاصول والقوانين فيما هو
غرضنا ومقصودنا في هذا المقام ، كما قيل «إنما الاعمال بالنيات ولكل امريء
ما نوى »

﴿ فصل ﴾

في بيان ماهية أجود الآراء وخير الاعتقادات

فنقول اعلم أن اعتقادات الناس كثيرة لا يحصى عددها إلا الله تعالى ،
ولكن لا تخرج كلها من ثلاثة أنواع : فنها ما يصلح للخاص دون العام ، ومنها
ما للعام دون الخاص ، ومنها ما بين الخاص والعام

ونريد أن نذكر في هذا الفصل ما يصلح للخاص والعام جميعاً أن يعتقدوه
اذا كان القسمان الآخران كثيران الانواع والفرعوى الذى يطول شرحها فنقول :
اعلم أن من أجود الآراء وأنفع الاعتقادات وما يصلح لجميـم الناس من
الخاص والعام ان يعتقدوها ويقرروا بها هو القول بمحدودت العالم ، وأنه مصنوع
وأن له بارىء حكيم ، وصانع قديم ، وخلق رؤوف رحيم . وأنه قد أحـمـمـ أمر عـالـمـ
وأتقـنـ أمر خلقـهـ علىـ أـحـسـنـ النـظـامـ وـالـتـرـتـيبـ وـلـمـ يـتـرـكـ فـيـهـ خـلـلـ وـأـعـوـجـاجـ الـبـلـةـ

فانه لا يجري في عالمه أمر ولا يحدث حدث صغير ولا كبير دقيق ولا جليل الا هو يعلمه قبل كونه لا تخفي عليه خافية ولا يعزب عنه مقال ذرة ، وان لملائكة هم خالص عباده وصفوة بريته نصبهم لحفظ عالمه ووكفهم بتدير خلائقه لا يعصونه طرفة عين مما نهائ عنده ويفعلون ما يؤمرون . وان له خواصا من بنى آدم اصطفاهم وقربهم وجعلهم وسائل بين الملائكة وبين خلقه . من الجن والانس وسفراء له وأنه أمر عباده بأشياء إذا فعلوها فهو خير لهم وأتفع لاجماع ، ونهائهم عن أشياء إن لم ينتهوا عنها صرفهم عن الانقم وفائم الأفضل وأنهم يأمرهم شيئاً لا يطيقونه ولا يفعلون شيئاً مما هو لا يعلم ، وانهم قاصدون نحوه متوجهون اليه منذ يوم خلقهم ينتظرون حالاً بعد حال من الانقضى الى الامم والآ دون الى الـ مـ كـ مـ لـ وـ مـ منـ الـ أـ دـ نـىـ الـ أـ فـ ضـ لـ الـ يـوـ مـ يـاقـوـ نـهـ وـ يـ شـاهـدـوـ نـهـ فـ يـوـ فـيـهـ حـسـابـهـ

ثم اعلم أنه ليس الى معرفة هذا الرأي سبيل ، والى هذا الذي ذكرنا وحقيقة ما وصفنا طريق الا شدائان اثنان : احداهما الاستبعار والمشاهدة بعين البصيرة واليقين بالقلب الصاف من الشوائب للنفس إرتكبة التقية من الذنب بعد تأمل شديد للمحسوسات ودقة نظر في المعقولات ودرائية بالرياضيات وبحث عن القياسات كما فعلت القدماء الحكماء الموحدون الربانيون ، واقرار بالسان وایمان بالقلب وتسليم بالقول كافرار الملائكة بها اهاماً وتأييداً ، وكافرار الانبياء للملائكة وحياناً وابناء أو كافرار المؤمنين للأنبياء إيماناً وتسليمها ، وكافرار العامة والآتابع للخواص والعاماء تقليداً وقولاً ، أو كافرار الصبيان للآباء والمعلمين تعليماً وتلقينا . فهذا الذي ذكرناه هو أحد أركان الدين وهو الاعتقاد الصحيح . وأما الركن الآخر الذي هو الطاعة فهو الانقياد من المأمورين والمرؤوسين للآمرین الناهين ثم اعلم أن الاوامر والنواهي تختلف بحسب مراتب الآمرین والمأمورين في أحوالهم . فن ذلك طاعة الاولاد للآباء والامهات فيما يأمر ونهم به مما فيه حلاجهم وينهونه عنه مما فيه فسادهم وهلاكهم « فقل لها فولا كريعا وان جاهدك على أن تشرك بي ما ليس ليك به علم فلا تطعمهما » ومنه طاعة الصبيان للمعلمين في

قبول التأديب فيما هو صلاح لهم ، ومنها طاعة التلامذة للأساتذة في قبولهم
تعليم الصنائع لهم ، ومنها طاعة الأزواج لبعولتهن فيما يأمر ونهن من زرور المنزل
والتصون الذى فيه صلاحهن

ومنها طاعة المرضى للطبياء في الجميا وشرب الادوية مما فيه صلاحهم وبرؤهم
ومنها طاعة الجمال للعلماء فيما يأمر ونهى بالتمسك بأمر الدين واجتناب المحaram بما
هو صلاح لهم ، ومنها طاعة الرعية للسلطان العادل فيما يأمرهم به من المعروف
وينهاهم عن المنكر ومنعهم من ظلم بعضهم ببعض مما فيه صلاحهم ، ومنها طاعة
السلطانين والامراء والملوك تختلف الانبياء عليهم السلام فيما يولونهم من البلدان
وجباية الخراج ومحاربة الخارج والاعداء وحفظ الثغور وتحصين البيضاء فيما فيه
صلاح لهم وصلاح الرعية منهم

ومنها طاعة الخلفاء للانبية عليهم السلام فيما رسموا لهم من حفظ الشريعة
على الامة وإقامة السنة على أهل الملة

ومنها طاعة الانبياء عليهم السلام للملائكة فيما تلقى اليهم من الوحي والانباء في تدوين الكتب المنزلة ووضم الشريعة وايضاح السنة وجمع شمل الامة وتأليف قلوب الجماعة بابلاغ الوصية وبافهار الدعوة فيما فيه صلاح الكل ونفع الجميع ، ومنها طاعة الملائكة رب العالمين فيما قضت من عبادته ووكات به من تدبير بريته وحفظ خليقته ، مما فيه صلاح للجميع ونفع للعموم وبقاء للعالم ودوم الخليقة والبلوغ بها الى اقصى مدى غايتها التي هي السعادة العظمى

فهذا هو الدين النبوى الحنفى والمنهج السنى والسير المذكورة ، وهو أن يكون كل مرؤوس ينقاد لطاعة رئيسه ولا يعصيه فيما يأمره به وينهاه عنه فيما فيه صلاح للجميع

واذ قد تبين مما ذكرنا ما الدين الحنيفي والمذهب الرباني والاعتقاد الجيد والرأي الصواب والطريقة المختارة التي تصلح أن يتبعها كل الناس ويعتقدها كل أحد من الخاص والعام جميعاً نريد أن نذكر مارفاً من المذاهب المختلفة

والآراء الدائمة وما الاسباب الداعية لاً هلهلا اليها ومن أين انحرفو عن الطريقة المستقيمة وضلوا عن الصواب ووقعوا في الا باطيل ونبداً أولاً بذكر الآراء الحكيمية والمذاهب البدعية ثم نذكر علل اختلاف أهل الديانات والنواهيس الاهمية في فروعها من السن والاحكام

﴿فصل﴾

في بيان الآراء الحكيمية وهي نوعان دهرية أزلية ومحدثة معللة

فقول اعلم أن من هذين تفرعت سائر الآراء الحكيمية ومذاهبها فلنبدأ أولاً بذكر الدهرية ، ثم بقول هؤلاء كانوا أقواماً قد كان لهم من الفهم والتبييز قدر آما فنظروا الى الموجودات الجزئية المدركة بالحواس وتأملوا واعتبروا لها أحواها فوجدوا الكل مصنوع أربع علل : علة هيولانية ، وعلة صورية ، وعلة فاعلية ، وعلة غامضة

فاما فكرروا في حدوث العالم وصنيعته طلبوا لها هذه الاربع العلل وبخثروا عنها وهي هذه ترى من عمله ؟ ومن أي شيء عمله ؟ وكيف عمله ؟ ولم عمله ؟ وأيضاً متى عمله ؟ فلم يبلغ فهمهم الى ذلك ولم يتصوروه لقصور نفوسهم عن فهم دقة معانيها لأن الباحث عنها يحتاج إلى نفس زكية فاضلة في العلم والعمل ، ويحتاج الى ذهن صاف خلو عن الغش أو الدغل ونظر دقيق وبحث شديد ليدرك هذه العمل ومعانيها وحقائقها — كما يبينا في رسالة المعارف

ولما نظروا في هذه المباحث ولم يعرفوها دعائم جهلهم واعجابهم بأدائهم الى القول بقدم العالم وأزليته وأنكروا العلة الفاعلية لما جهلوا الثلاث الباقية ولم يعرفوها ثم اعلم أن كل ناظر في مصنوع متأنل له يطلب بتأمله وفكره أربع علل : من عمل ؟ ومتى عمل ؟ وكيف عمل ؟ ولم عمل ؟ فاما يطلب هذه المباحث لأنه يرى ويعاين بأول نظارة في ذلك المصنوع أشياء ثلاثة ظاهرة جلية من أمر الصنعة لا تخفي على كل عاقل سليم العقل من الآلات العارضة للعقل ، وهي الثلاثة

فصل

في بيان مناقب العقلاء والآفات المارة لاعقول

فنقول أعلم أن هؤلاء القوم لم يرتابوا ولم يضلوا من قلة العقل ولا رداءة المييز ولا من ترك النظر ولكن من الآفات العارضة للعقل ، وذلك لأن العقل وان كانت له مناقب كثيرة فإن له أيضاً آفات كثيرة تعرض لها ، وقد ذكر ناطرها منها في رسالة الأخلاق ولكن لا بد أن نذكر في هذا الفصل طرقاً منها فنقول: أولاً ما العقل الإنساني؟ وذلك لأن العقل الإنساني ليس هو شيء سوى النفس الناطقة إذا هو كبر وشانح بعد أيام الصبا وذلك لأن النفس يوم ربطة بالجسد أعني الجنين في الرحم كانت ساذجة لا علم لها من العلوم ولا خلق من الأخلاق ولرأى ولا مذهب ولا تدبير ولا سياسة ولا رياضة في أدب كما ذكر الله تعالى «والله اخرجكم من بطن أمهاتكم لا تعلمون شيئاً» وإنما كانت جوهرة روحانية حية بالذات علامه بالقوة فعالة بالطبع ، فإذا حصلت فيها رسوم المحسوسات التي

تسمى أنواعاً وأجناساً مصورة بعد غيبة المحسوسات عن مشاهدة الحواس لها ففيزها وتأملتها ونظرت فيها وعرفت أعيانها ومنافعها ومضارها وجربها واعتبرتها سميت عند ذلك عادة علامة بالفعل كما بينا في رسالة الحاس والمحسوس.

فأما مناقب العقل وأفعاله فكثيرة لا يحصى عددها الا الله الواحد القهار، وقد ذكرنا طرفاً في رسالة العقليات وشرحها، ولكن نريد أن نشير إليها في هذا الفصل اشارة فنقول: إن جميع الأفعال البشرية المحكمة وجميع الآراء والمذاهب المختلفة العقلية والوضعية من أفعال العقل الانساني، لكن له مع هذه الفضائل والمناقب كالمآفات عارضة كثيرة، فمن تلك المآفات الاهوى الغالب نحو شيء ما والعجب المفرط من المرء برأي نفسه، والكبر المانع عن قبول الحق والحسد الدائم للأقران وأبناء الجنس والحرص الشديد على طلب الشهوات، والعجلة وقلة التثبت في الأمور والبغض والعداوة عند الحكومة والخصوصيات، والميل والتعصب لمن يهوى والحبة الجاهلية عند الافتخار والافتقة من الانقياد للطاعة وحب الرئاسة من غير استحقاق وما شاكل هذه المآفات العارضة لعقلاء المضلة لهم عن سنن الهدى المانعة عن الاتقاء بفضائل العقل ومنافعه.

ثم أعلم أنه ليس من مرتبة في الدنيا أرفع ولا فضيلة أحسن من الرئاسة في العقلاء لنبوى السياسات والتديير، ولا نعمة أشرف ولا رتبة أحسن من انقياد العقلاء للرئيس وطاعتهم له، ولا مخيبة أعظم ولا بلية أشد من عصيان العقلاء للرئيس الفاضل وعدوانهم له، وهذه الخصال من إحدى أهميات الخلاف والمعاصي وهي كبر البليس وحرص آدم عليه السلام ومجملته حين بادر وحسد قابيل.

فاما الكبر فهي الخصلة التي سنتها بليس فرعون آدم كفراعنة الانبياء الذين هم جنوده يوم أمر بالسجود لآدم والطاعة والانقياد لأمره.

والخصلة الأخرى التي هي أيضاً إحدى أهميات المعاصي حرص آدم ومجملته حين بادر وطلب ما ليس له تناوله قبل حينه واستحقاقه، فلما ذاقها بذلت له عورته وسقطت مرتبته وانحطت درجته وانكشفت عورته وشمتت به أعداؤه!

فلو لا انه كانت سبقة كلة من ربه تفضلا منه عليه ورحمة منه لكان زاما له العقوبة وكل من عصى من ذريته كان يتعاجل بالعقوبة من ساعته، ولكن أمهل الى وقت ما ، فلما تاب وندم استحق الغفران والعفو « ربنا ظلمتنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين »

فاما ابليس فإنه لما انكر السجود والاتقياد للطاعة واستكبر وتبرد ولم يندم ولم يرجع ايس من الرحمة ، ولكن انظر أيضا وأمهل وأخرت العقوبة والعذاب الى يوم الوقت المعلوم « قال رب فأنظرنـي الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم ، قال فيعزتك لاغوريـهم أجمعين الا عبادك منهم الخالصين» وهذه سنة الفراعنة وحاظهم في الدنيا والدين الذين هم جنود ابليس أجمعون الذين يأنفون من الدخول تحت أمر الانبياء والطاعة لهم ويؤخرون ويمهلون إلى يوم يعـتون ، فإذا ماتوا قامت قيامتهم وأخسـئوا بالعذاب فلا يزال ذلك دأبـهم الى يوم يبعثـون ، كما قال تعالى : « النار يعرضون عليها غدوـا وعشـيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب » .

فقد تبين بما ذكرنا أن القائلين بقدم العالم لم يرتـابوا ولم يضلـوا عن الصراط من قلة العقل والبلـاهة أو تركـ النظر والبحث ولكن من الآفات العارضة والأخلاق الرديئة للنفوس والاسباب المختلفة والامور المشـكـلة والقصور عن النـفـاع وتركـهم ما كان أخذـه عليهم أوجـب ، وفعـله بهـم أولـي ، وتعـاطـيـهم مـالمـ يكنـ من صـنـاعـتهم وـتـكـانـهم مـالمـ يكنـ من قـوـةـ نـفـوسـهـمـ

« فصل »

وأما الآخر من الخطأ الذي يطرـىءـ عـلـيـهـ

وذلك أئـمـمـ ارادـوا أـنـ يـعـرـفـوا الـعـلـةـ الفـاعـلـةـ قبلـ مـعـرـفـةـ الـمـعـلـولـ ، وإنـماـ يـعـرـفـ الصـانـعـ المـحـتجـبـ الغـائبـ عنـ اـدـرـاكـ الـحـواسـ إذـاعـرـفـ الـمـصـنـوعـ الـمـكـشـوفـ الـظـاهـرـ وإنـماـ يـعـرـفـ الـمـصـنـوعـ بـالـنـظـرـ إـلـىـ الـهـيـوـلـيـ وـاعـتـيـارـ أـحـواـلـهـ الـلـازـمـ فيـ مـعـرـفـةـ حـقـيقـةـ الـهـيـوـلـيـ وـمـعـرـفـةـ أـحـواـلـهـ مـعـرـفـةـ الـمـصـنـوعـ ، وـفـيـ مـعـرـفـةـ الـمـصـنـوعـ مـعـرـفـةـ الـصـانـعـ

وقد ينافي رسالة سمع السكين، ماهية الهيولي وحقيقةها وأحوالها ، ولكن
نذكر هاهنا من أمرها مالا بد منه.

ثم اعلم أن الهيولي وحقيقةها هو جوهر ساذج لا كافية له ولا النتش ولا
الصورة ولا الاشكال ولا الاصباغ ولا الاعراض ، بل هو متهوى لقبو لها ولا يقبلها
إلا بقصد فاصل وجعل جاعل .

مثال ذلك الخشب فإنه متهوى لقبول صورة الألوان والسرير والكرسي
والباب وغيرها ولكن بقصد من النجار وعانياه منه
وهكذا قطعة من حديد فإنهما لا قبل الصورة إلا بعد قصد فاصل من
الخداد ، وكذلك سائر الهيوانيات الموضوعة في سائر الصنائع البشرية .

وهكذا أيضاً الهيولي الطبيعية التي هي الاركان الاربعة التي لا تجتمع ولا يكون
منها المعدن والنبات والحيوان إلا بقسر قاصر أو صنع صانع .

والعلة الفاعلة لها هي قوة من قوى النفس الكلية الفلكية بإذن الله تعالى .

وهكذا الجسم المطلق الذي هو جوهر دليل عريض عميق حسب ، لا يضر
على الاشكال كربارات مدورات بعضها بعض وبعضها كواكب صغار وكبار وبعضها
أركان مختلفة الطبائع من الحرارة والبرودة والرطوبة والبوسخة وخفيف وثقيل
ولطيف وغليظ ، وبعضها متحرك وبعضها ساكن وبعضها أسرع حرارة وبعضها
أبطأ حرارة وما شاكل هذه الحالات التي هي موجودة عليها إلا بقصد فاصل
وجعل جاعل ، وهو الله العزيز الغفار الواحد القهار تعالى وتقديره .

وكفى بهذا دليلاً وبياناً وحججاً للعقل الغربي على أن العالم مصنوع والمصنوع
يقتضي الصانع وهذه قضية موجبة في أوائل العقول بينما ظاهرة جلية لا تخفي
على كل عاقل متأمل سليم القلب والعقل من الآفات العارضة وإن لم يعلم من عمله
ومن عمله وكيف عمله ولم عمله .

فأما النظر في أمر الهيولي والدليل والحججة على حدوثه فيحتاج إلى نظر أدق
من هذا وبحث أشد وتأمل أجود وتميز الطف ، كما بينا في رسالة المبادي العقلية

واذ قد تبين بما ذكرنا بطلان قول القائلين بقدم العالم زيرد ان نذكر مارفا
من أقاويل القائلين بحدوده وفنون مذاهبهم واختلاف طبقاتهم والأسباب المؤدية
لهم اليها وفيما إذا أصابوا وفيما إذا أخطأوا

فصل

^٣ في بيان العلة الداعية إلى القول بمحدوث العالم عن علة واحدة

فنقول أعلم أن القائلين بمحدث العالم طائفة احدها تعتقد أن العالم محدث مصنوع وله علة واحدة مبدعة مخترعة وهو حي قادر حكيم ، وهذا رأي الانبياء عليهم السلام وأتباعهم وبعض القدماء الموحدين والحكماء منهم ، والآخرى ترى وتعتقد أن العالم محدث مصنوع ، ولكن ترى وتعتقدأن له علتین اثنتین قد يحيتن أزليتين ، وهذا الخلاف من احدى أمهات الآراء والمذاهب المتفرعة بهما ، ونحتاج أن نذكر الاعتبار والقياس الذي أدى إلى هذا الرأي والاعتقاد كيف كان فنقول :

اعلم أن السبب في ذلك هو نظرهم إلى الشرور التي تجري في عالم الكون والفساد الذي هو دون فلك القمر ، وذلك لأنهم رأوا من القبيح الشنيع أن يكون صانع العالم واحداً ثم يترك عالمه مملوءاً من الشرور والفساد ولا يعنهم من ذلك ولا بغيره ، وإن كان لا يقدر عليه فقد وجب علة أخرى لأن الشرور أفعال ، والفعل لا يكون إلا من فاعل ومنتفعل .

هذا كان نظيره والى هاهنا كان مبلغه من العلم والى هذا أدهم اجتهادهم
فـ البحث والتميز والقياس .

وهذه المسألة أعني طلب علة كون الشرور في العالم هو من احدي أمهات أسباب الخلاف من العلماء في الآراء والمذاهب ، وذلك أنه منذ كان الناس في الدنيا والعلماء مختلفون في علة كون الشرور في هذا العالم ملئ هو ؛ ومن الفاعل هنا بالحقيقة ؟ ومن أين كان أصلها ؟ وسنذكر بعد هذا الفصل ماقالوه وتكلموا فيه

﴿ فصل بـ ﴾

في بيان أسباب العلة الداعية لقائلين بالأصولين

فنقول اعلم وفقك الله أن القائلين بالأصولين طائفتان : احدهما ترى وتعتقد أن لها فاعلان من احدها نور خير ، والآخر ظلمة شرير . وهذا رأي زاردشت ومنى وأتباعها وبعض الفلاسفة ، والطائفة الأخرى ترى وتعتقد أن احدى العلتين فاعل والآخر منفعل ، يعنون به الظيوى . وهذا رأي بعض الحكماء اليونانية ، والذي دعاهم الى هذا الرأي هو نظرهم الى الشرور التي تجري بين كل اثنين متنازعين من الناس والحيوان من القتل والحروب والخصومات والعداوات وما يحدث بينهما من الاسباب والاحوال ، فبهذا الاعتبار قالوا وبهذا القياس حكموا بأن حدوث العالم كان سببه من فاعلين اثنين متنازعين ، لكن أحدهما خير والآخر شرير ، فهذا كان قياسهم والى هذا الموضع كان مبالغهم من العلم والى هنا أداهم اجتهادهم ، وطم أيضاً في كيفية حدوث العالم كلام وأقاويل يطول شرحها الا أنها مذكورة في كتبهم ، فلذلك تركناها اذ لافائدة في بيان ذلك.

فأما القائلون بأن أحد الأصولين فاعل والآخر منفعل فاما دعاهم الى هذا الرأي ما رأوا أنه يلزم القائلين بالفاعلين من الشنعة والقبح وما يوجب لها من العجز والنقص من فعاليتها وتناقضهما ، وما يقتضي دون ذلك من فلة النظام في تركيب العالم وخاق السموات ، وما يعرض من الفساد العام والبوار السكري .

وقد يوجد الامر بخلاف ما يلزم من هذه الحكومة . وذلك أنهم قد تبنوا نظام العالم وعرفوا اتقان خلق السموات مع سمعتها وكبرجزائمها وكثرة خلائقها التي هناك وليس فيها شيء من الفساد والشرور البتة ، وأنها كانت على أحسن النظام وأجود الترتيب والهندام ، وأن الشرور لا توجد إلا في عالم الكون والفساد التي تحت فلك القمر ، ولا توجد الشرور أيضاً في عالم الكون والشاد إلا في النبات والحيوان دونسائر الموجودات ، ولا في كل وقت أيضاً ، ولكن

في وقت دون وقت وأسباب عارضة لا بالقصد الاول من القائل بل من جهة نقص الاهيوي وعجز فيه عن قبول الخير في كل وقت أو على كل حال .

وقياسهم في ذلك أعني كون الشرور من قبل الاهيوي واعتبارهم الموجودات في الشاهد وذلك لهم قالوا أنا نجد في ود كل صانع أن تكون مصنوعاته على أتقن ما يمكن ولكن ربما لا يأتي في ذلك المادة والاهيوي الموضوع في صناعته الا على قدر ما فهو يفعل فيها بحسب ما يأتي فيها ويعمل عليها ما يجبه عنها وليس العجز منه بل هو من الاهيوي الناقص العسر القبول .

ومثال ذلك أن الحكم منا في الشاهد في وده أن يعلم كل علم وكل حكمة يحسنها لأولاده وتلامذته وأن يجعلهم حكاء فضلاء مثله في أسرع ما يمكن ، ولكنهم لا يقبلون ذلك الا على التدرج وفي عمر الأيام والآوقيات شيئاً بعد شيء لنقص فيهم لا لعجز في الحكم ، والنقص في الكمال يسمى شرداً وليس الشر سوى عدم الخير وال تمام والكمال ، فهذا كان مبلغ عالمهم وإلى هنا أدى اجتهدتهم .

فأما القائلون بالعلة الواحدة وأئمها واحدة قد عيدهم نظروا أدق من نظر أولئك وبخثروا أجود من بحثهم وتأملوا غير تأملهم فرأوا من القبيح الشنيع أن يكون محدث العالم قد عيدين ، واعتبارهم وقياسهم كان في ذلك هكذا :

قالوا لا يخلوا الأصلان القديمان من أن يكونا متفقين في كل شيء من المعانى ، أو مختلفين في جميع المعانى ، أو متفقين في شيء ومتناقضين في شيء . فان كانوا متفقين في جميع المعانى فواحد لا اثنين ، وان كانوا مختلفين في المعانى فأحددهما عدم وان كانوا متفقين في شيء ومتناقضين في شيء فالشيء الثالث ، وقد بطلت المتنوية فيجب أن يكون أصل العالم ثلاثة ، والقايلون بالثلاثة أو أكثر لازمة لهم هذه الحكومة والشنية أيضاً . فاما العلة الواحدة فتفق عليها بأن من يقول بالاثنين وأكثر فقد قال بالواحد ، ثم ادعى الى مادة الزيادة

فهرست الجزء الثالث

من رسائل اخوان الصفاء

صفحة

- ٣ الرسالة الثانية عشرة من الجسمانيات الطبيعيات في قول الحكماء أن
الإنسان عالم صغير
- ٤ فصل في اعتبار أحوال الإنسان بأحوال الموجودات
- ٦ فصل في أن الإنسان مختصر من اللوح المحفوظ
- ٨ « فضيلة جوهر النفس
- ٩ « اعتبار الإنسان بأحوال الفلك
- ١٢ « مشابهة تركيب جسد الإنسان بالarkan الاربعة
- ١٤ « تعداد قوى النفس
- ١٩ « اعتبار أحوال الإنسان بالموجودات التي دون فلك القمر
- ٢٥ الرسالة الثالثة عشرة في كيفية نشوء الانفس الجزئية في الأجسام
البشرية الطبيعية
- ٣٧ الرسالة الرابعة عشرة في بيان طاقة الإنسان في المعارف ومبانه من العلوم
- ٥٢ الرسالة الخامسة عشرة في حكمة الموت والحياة
- ٥٣ فصل في غرض رباط النفس الكلية بالجسم الكلى
- ٥٤ « سريان النفس الكلية في الجسم الكلى
- ٥٥ « اعتبار الموت والحياة
- ٥٧ « ماهية الحياة
- ٥٨ فصل في غرض رباط النفس الجزئية بالجسد الجزئي
- ٥٩ « حكمة الموت
- ٦٣ « كيفية خروج النفس من القوة إلى الفعل

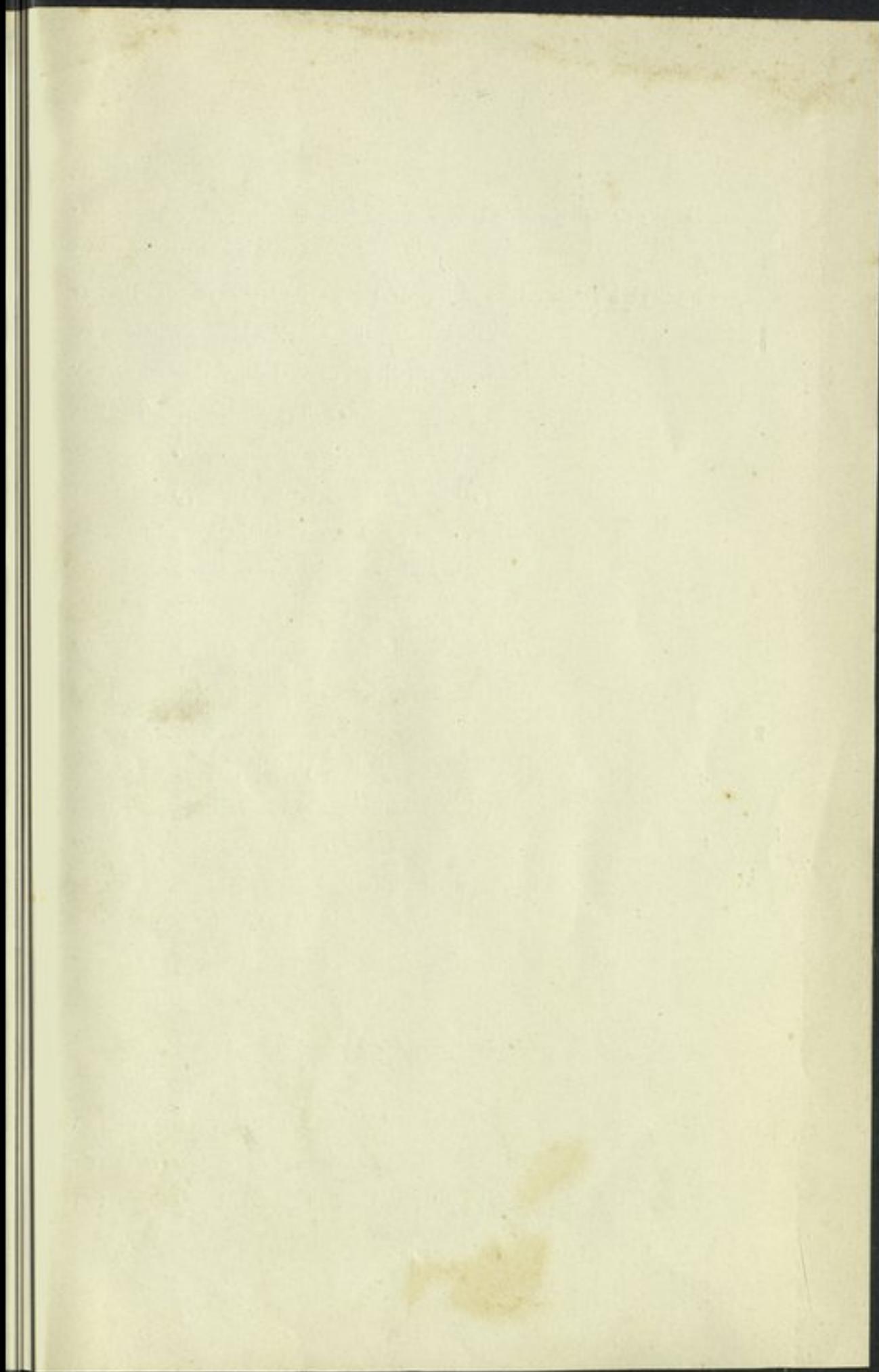
صفحة	
٦٤	فصل في غرض السياسات
٦٥	» « عيوب الجسد
٦٨	الرسالة الـادسة عشرة في خاصية اللذات وفي حكمة الحياة والموت وماهيتها
٧٢	فصل في علة وصول الآلام الى النفس الحيوانية دون سائر النفوس
٧٤	» « ماهية الالم واللذة وكيفيتها
٨١	» « كيفية وجدان اللذة والالم معاً في وقت واحد
٨٥	» « اللذات الروحانية
٩٣	» « كيفية وصول الآلام الى النفوس الشريرة بعد مقارفة أجسادها
٩٤	» « ماهية الشياطين وجندواد بليس
٩٨	الرسالة السابعة عشرة في علل اختلاف اللغات ورسوم الخطوط والعبارات
١٠٣	فصل في معرفة الاصوات الفلكية
١٠٨	» « معرفة أصول الاصوات الارضية
١١٧	» « أن منتهى كل حاسة الى القلب
١١٩	» « أن الجواهر تختلف في أنواعها
١٢٢	» « معرفة أصل الصوت
١٢٥	» « الفرق بين الصوت والكلام
١٢٩	» « المعاني
١٣٣	» « كيفية ادراك القوة السامعة للاصوات
١٤١	» « اختلاف الاصوات في الصغر والكبر
١٤٥	» « السكون والحركة
١٤٦	» « معرفة قسمة الاصوات من جهة الكمية
١٤٧	» « معرفة الاصوات من جهة طبيعة الانسان والحيوانات واختلافهم فيها
١٤٩	» « معرفة بداية الحروف
١٥٥	» « ان الكلام صنعة منطقية

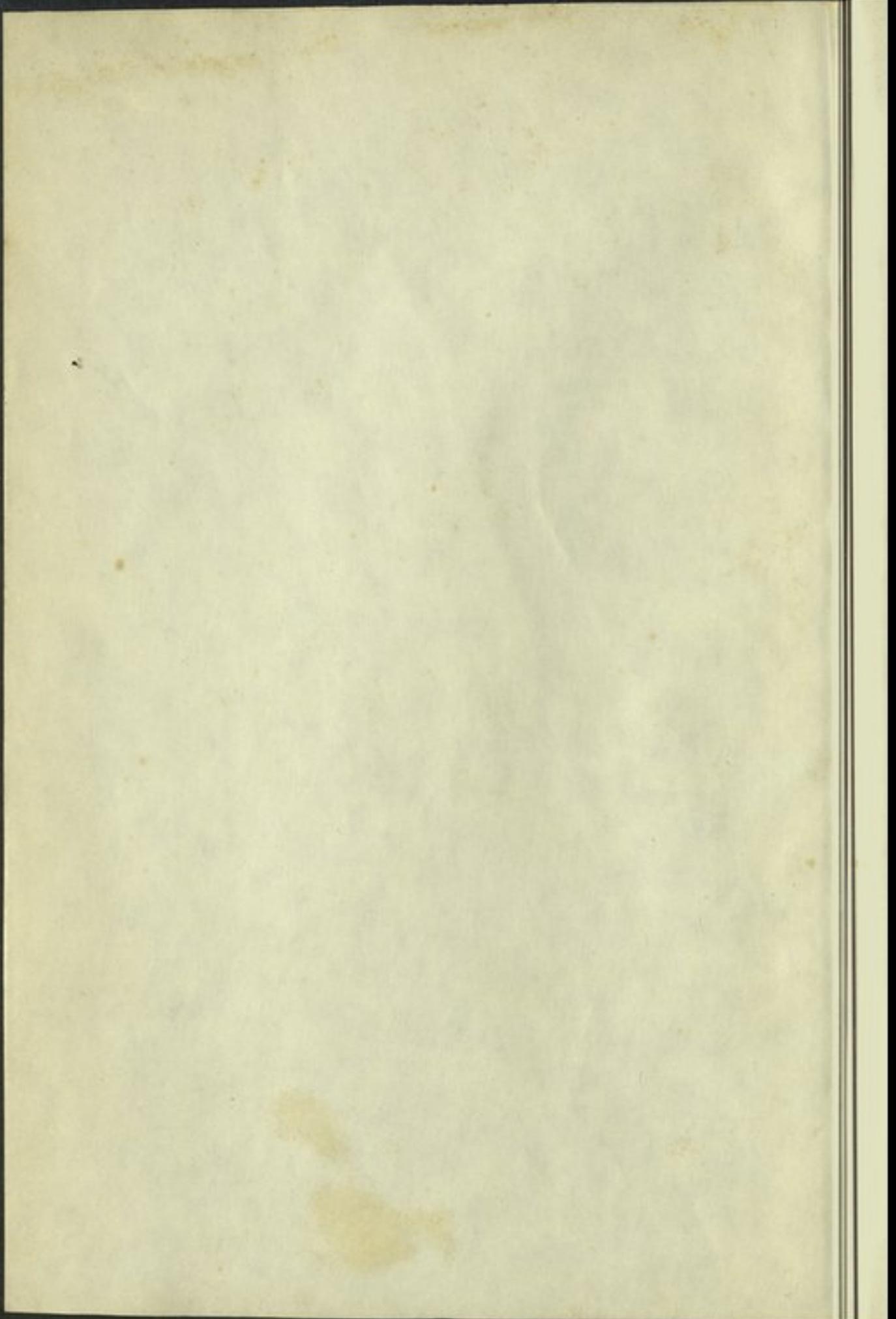
- ١٦٨ فصل في أن الدين والشريعة هما من الله
١٧٧ «أن السلطان الجائر قصير العمر»
١٨٢ **﴿الرسالة الأولى من النسانيات العقلية﴾** في مبادئ الموجودات
العقلية على رأي الفيشاغورين
١٨٩ فصل في سؤالات عن المبادئ
١٨٩ «المبادئ الروحانية والجمانية وفيه فصول وسائل»
٢٠٠ **﴿الرسالة الثانية من النسانيات العقلية﴾** في المبادئ العقلية على رأي
اخوان الصفاء
- ٢٠١ فصل في معنى قول الفيشاغورين ان الموجودات بحسب طبيعة العدد
٢٠٨ «بيان ضد العالم وأنه كري الشكل»
٢١١ **﴿الرسالة الثالثة﴾** في معنى قول الحكمة، أن العالم انسان كبير
٢١٦ فصل في أن أجسام بعض الحيوانات حبوس لنفسها الخ
٢١٩ «أن العالم باسره كرة تنفصل احدى عشر طبقة»
٢٢١ «الل موجودات نظاما في الوجود والبقاء»
٢٢٣ «أن أول مرتبة من الحيوانية متصلة بأخر النبات»
٢٢٥ «أن أدون رتبة الانسان رتبة الذين لا يعلمون الخ»
٢٢٧ **﴿الرسالة الرابعة﴾** في العقل والمعقول
٢٣٢ فصل في أن الموجودات نوعان جسماني وروحي
٢٣٧ «ماتتولى الروة المفكرة بنفسها من الافعال»
٢٣٩ «ما يختص بالقوة الناطقة من الافعال»
٢٤٣ **﴿الرسالة الخامسة﴾** في الا دور والا كوار
٢٥٨ فصل في أن الكائنات التي يستدل عليها المنجمون سبعة أنواع
٢٦٠ **﴿الرسالة السادسة﴾** في ماهية العشق
٢٦٦ فصل في ماهية علة فنون المشوقات
٢٦٨ «أنواع المحبوبات وما الحكمة فيها»

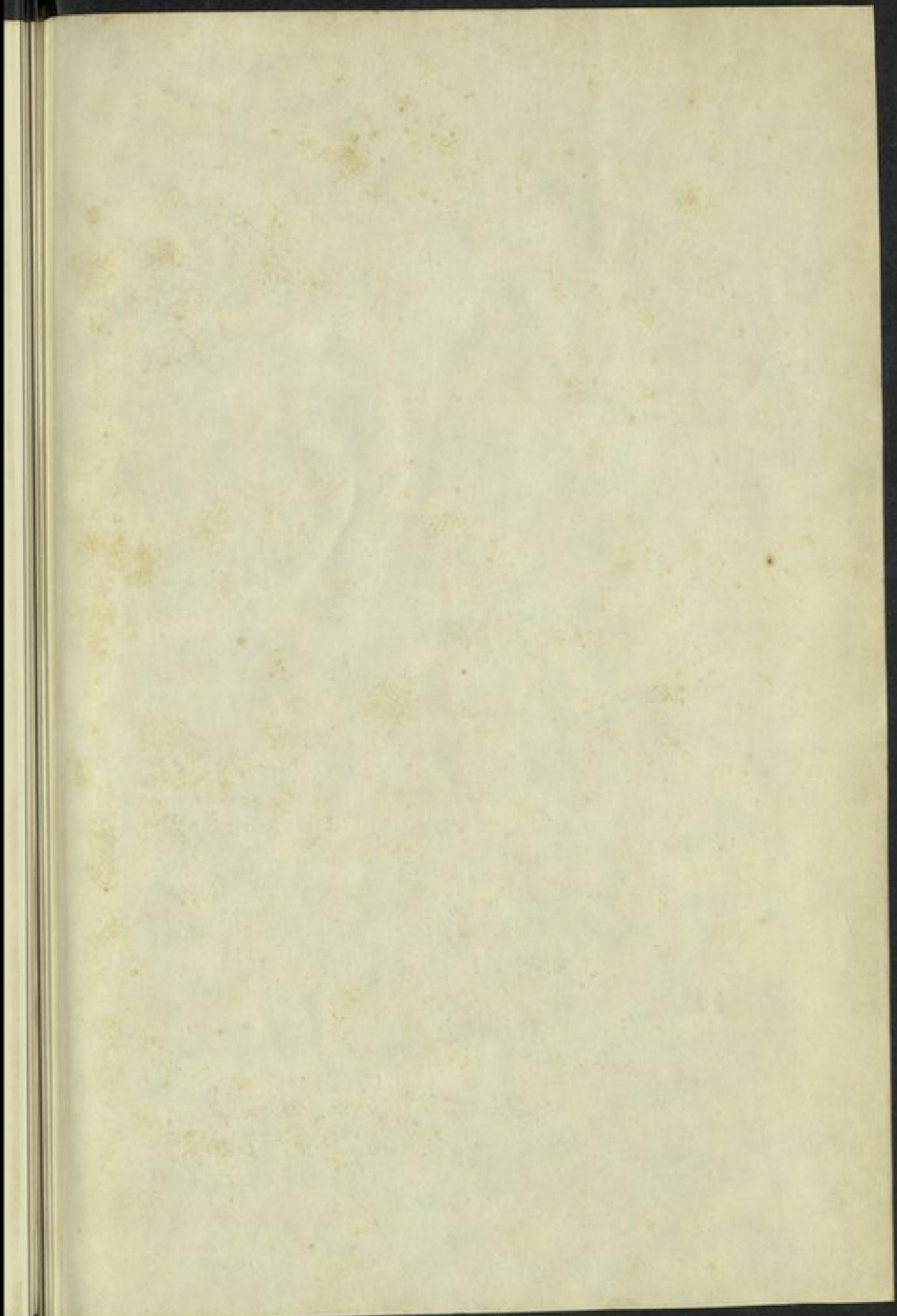
صفحة

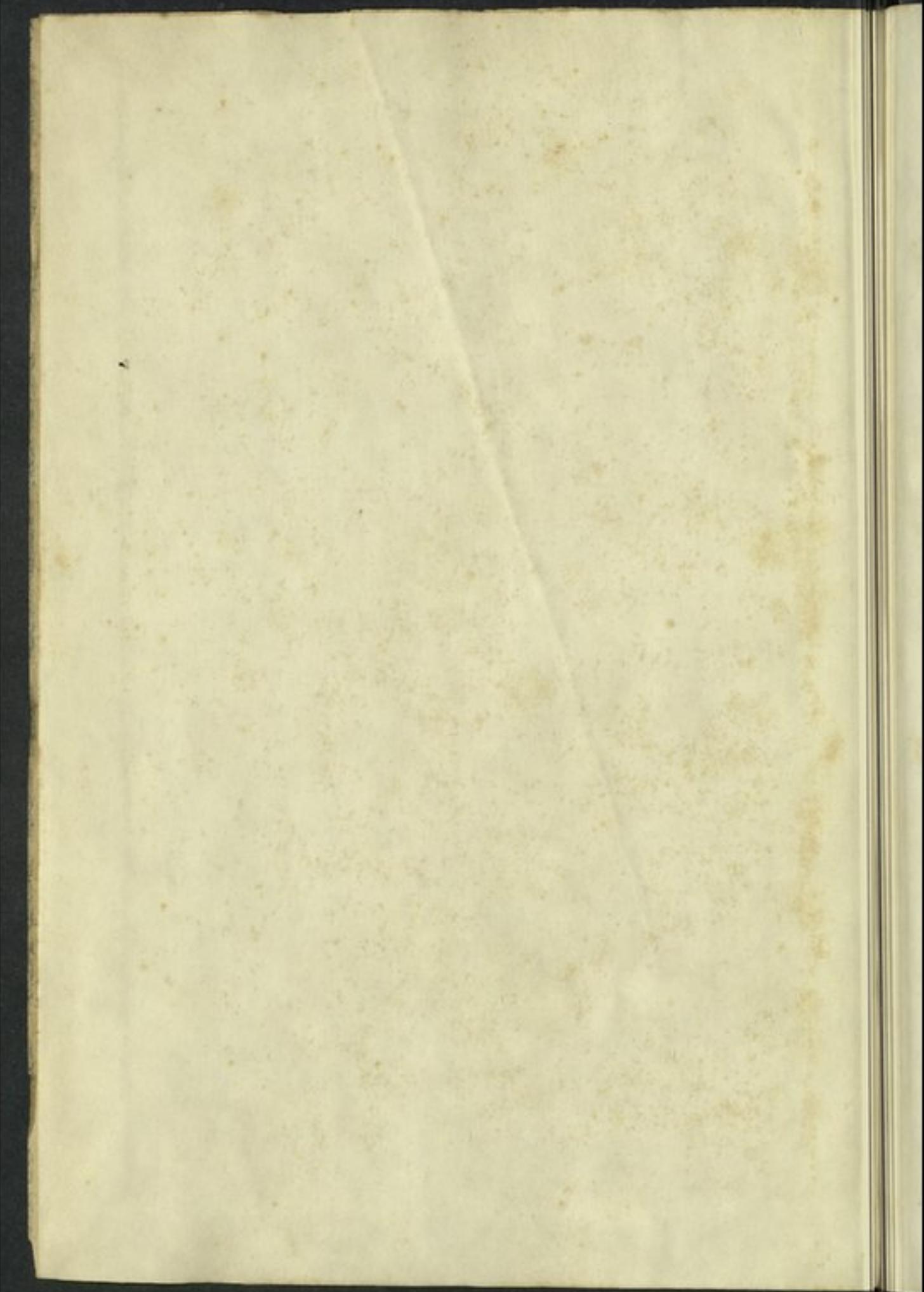
- ٢٧٦ «رسالة السابعة» في البعث والقيمة
٢٨٨ فصل في بعث الأجساد
٣٠٥ «رسالة الثامنة» في كمية أجناس الحركات
٣١٠ فصل في أن الأرض جسم كروي الخ
٣١٢ «أن حركات أعضاء البدن نوعان
٣١٦ «أن العالم محدث مصنوع
٣١٧ «بيان مشاهدة العارفين
٣١٨ «أن وجود العالم
٣٢١ «بيان الضرر لمن يعتقد أن العالم قديم غير مصنوع
٣٢٤ رسالة التاسعة في العلل والمعلولات
٣٢٨ فصل في أن الأشياء هي أعيان أي صور غيريات أبدعها البارى
٣٣١ «أن الأمور الطبيعية أحدثت على تدريج من الدهور والازمان
٣٣٣ «أن النفس الكلية سترجم إلى عالمها الروحاني
٣٣٦ «ما العمل وما المعلول وكيف العمل وكيف المعلول
٣٣٧ فصل في أن الموجودات نوعان كليات وجزئيات
٣٣٩ فصل في علة خلق العالم
٣٤٤ فصل في السكار أكل الحيوانات لما ينالها من الآلام عند الذبح والقتل
٣٤٧ فصل في أن النفوس الناتمة إذا فارقت الأجساد تكون مشغولة بتأييد
النفوس الناقصة
٣٤٩ فصل في معرفة الإنسان نفسه
٣٥٢ فصل في علة اختلاف لغات الناس والوانهم وأخلاقهم وصورهم
٣٥٢ فصل في أن الموجودات مرتبة مراتب الأعداد
٣٥٩ رسالة العاشرة في الحدود والرسوم
٣٦٦ فصل في أن الشكل هو صورة جسمانية واللون صورة روحانية
٣٦٧ فصل في أن العدد هو أحد الرياضيات الحكمية

- ٣٧٠ فصل في تعريف النبات والحيوان والانسان والجسم والصوت وغير ذلك
- ٣٧١ « في الالوان المفردة
- ٣٧٢ الرسالة الاولى في الاراء والديانات في العلوم الناموسية الاهمية والشرعية
- ٣٧٥ فصل في بيان اختلاف كمية إدراك المعلمات
- ٣٧٧ « في بيان علة اختلاف ادراك القوى العلامة
- ٣٧٩ في بيان كمية القوى العلامة
- ٣٨٠ « في بيان مالكل حاسة من الحواسات بالذات
- ٣٨١ « في بيان الحواس التي لا تختفي، في ادراكها
- ٣٨٢ « في بيان زيادة القوى التي في حواس الانسان
- ٣٨٤ « في بيان ما يختص الانسان من المعلمات
- ٣٨٥ « في بيان القوة المتخيلة
- ٣٨٧ « في بيان عجائب القوة المتخيلة وتفاوت الناس فيها
- ٣٨٩ « في بيان فضيلة هذه القوة
- ٣٩٠ « في بيان أفعال القوة المفكرة
- ٣٩٢ « في بيان ما يعلم بأوائل العقول
- ٣٩٦ « في بيان رجحان العقول للعقلاء
- ٣٩٧ « في بيان فضل الفقراء وأمساكين
- ٤٠٠ « في الفرق بين أصول الصنائع والعلوم وفروعها
- ٤١٠ فصل في بيان آداب الجدال
- ٤١٣ فصل في بيان انواع القياسات
- ٤٢١ فصل في اجناس الاراء والمذاهب
- ٤٢٢ فصل في بيان ماهية احود الاراء وخبر الاعتقادات
- ٤٢٥ فصل في بيان الاراء الحكمة
- ٤٢٦ « في بيان مناقب العقول
- ٤٣٠ « في بيان علة القول بمحدث العالم
- ٤٣١ « في بيان أسباب العلة الداعية لـ القائلين بالاصفين









DATE DUE

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



00486308

AUB Library

